

التفسير التحليلى

الصف السادس - الفترة الاولیٰ

سورةالبقرة - تفسير الجلالين

سورةآل عمران - تفسير الجلالين

سورة النساء - تفسير النسفى

ادارہ تحقیق وتالیف، جامعۃ الرشید، احسن آباد، کراچی

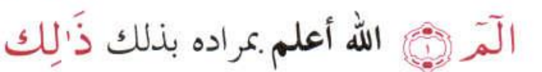


سورة البقرة و سورة آل عمران

تفسیر الجلالین

ادارہ تحقیق وتالیف، جامعۃ الرشید، احسن آباد، کراچی

سورة البقرة **مدنية**، مائتان وست - أو سبع - وثمانون **آية**.
نزلت بعد المطففين



الٓمٓ ﴿١﴾ **الله أعلم** بمراده بذلك **ذَٰلِكَ** ....

سورة: اختلف العلماء في حدها، وقال الجعبري: حد السورة: قرآن يشتمل على آي ذي فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات، كذا في "الإتقان". و"سورة البقرة" مبتدأ، و"مدنية" خبر أول، و"مائتان" خبر ثان. وقوله: "ست أو سبع آية" منشأ هذا الخلاف اختلاف المصحف الكوفي في رؤوس بعض الآي. **مدنية:** في كون السورة مكيةً أو مدنيةً خلاف كثير، وأرجحه: أن المكي ما نزل قبل الهجرة ولو في غير مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة ولو في مكة أو عرفة. وقوله: "مدنية" إلا الآيتان منها أي ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ (البقرة:١٠٩)، و﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ (البقرة:٢٧٢). (الإتقان)

آية: الآية أصلها: آئية، حذفت الهمزة تخفيفا، وقيل: غير ذلك. وهي في العرف: طائفة من كلمات القرآن متميزة بفصل، والفصل: هو آخر الآية. وقد تكون كلمةً، مثل: ﴿وَالْفَجْرِ﴾، ﴿وَالضُّحَى﴾، ﴿وَالْعَصْرِ﴾، وكذا ﴿الم﴾ و﴿طه﴾ و﴿يس﴾ ونحوها عند الكوفيين، وغيرهم لا يسميها آيات، بل يقول: هي فواتح السور. وعن أبي عمرو رحمه الله: إني لا أعلم كلمة ما هي وحدها آية إلا قوله: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم: اختلف الأئمة في كون البسملة من "الفاتحة" وغيرها من السور سوى سورة براءة، فذهب الشافعي وجماعة من العلماء إلى أنها آية من الفاتحة، ومن كل سورة ذكرت في أولها سوى براءة، وهو قول ابن عباس وابن عمر وأبي هريرة وسعيد بن جبير وعطاء وابن المبارك وأحمد - في إحدى الروايتين عنه - وإسحاق رحمهم الله، ونقل البيهقي هذا القول عن علي بن أبي طالب والزهري والثوري ومحمد بن كعب رحمهم الله. وذهب الأوزاعي ومالك وأبو حنيفة رحمهم الله إلى أن البسملة ليست آية من "الفاتحة"، زاد أبو داود رحمه الله: ولا من غيرها من السور، وإنما هي بعض آية في سورة النمل، وإنما كتبت للفصل والتبرك.

الله أعلم: إشارة إلى ما اختاره جمهور السلف والخلف أن الحروف المقطعة من المتشابهات التي لا يعلم تأويله إلا الله، كما قال الشعبي وجماعة: ﴿الم﴾ وسائر حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه، وهو سر القرآن، فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها إلى الله. وفائدة ذكرها: طلب الإيمان بها، قال أبو بكر الصديق: "في كل كتاب سر، وسر الله تعالى في القرآن أوائل السور". وقال علي رضي الله عنه: "إن لكل كتاب صفوة وصفوة هذه الكتاب حروف التهجي". قال داود بن أبي هند: كنت أسأل الشعبي عن فواتح السور، فقال: يا داود، إن لكل كتاب سرا، وإن سر القرآن فواتح السور، فدعها وسل ما سوى ذلك. وقال جماعة: هي معلومة المعاني، فقيل: كل حرف منها مفتاح اسم من أسمائه، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في ﴿كهيعص﴾ الكاف من كافٍ، والهاء من هادٍ، والياء من حكيم، والعين من عليم، والصاد من صادق. (تفسير الكمالين ومعالم التنزيل)

أي هذا ﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾ **الذي** يقرأه محمد ﷺ ﴿لَا رَيۡبَۛ﴾ **شك** ﴿فِيهِۛ﴾ **أنه** من عند الله، وجملة النفي خبر مبتدؤه "ذلك"، والإشارة به **للتعظيم**. ﴿هُدٗى﴾ خبر ثان، هادٍ ﴿لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ ﴿٢﴾ **الصائرين** ....

أي هذا إلخ: أشار بذلك إلى أن حق الإشارة أن يؤتى بها للقريب، وإنما أتى بما يدل على البعيد للتعظيم؛ لكون القرآن مرفوع الرتبة وعظيم القدر. (حاشية الصاوي) وقيل: "هذا" فيه مضمر، أي هذا ذلك الكتاب. قال الفراء: كان الله قد وعد نبيه ﷺ أن ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، فلما أنزل القرآن قال: "هذا ذلك الكتاب الذي وعدتك"، وقيل: "هذا ذلك الكتاب الذي وعدتك أن أنزله عليك في التوراة والإنجيل على لسان النبيين قبلك". و"هذا" للقريب و"ذلك" للبعيد. وقال ابن كيسان: إن الله تعالى أنزل قبل سورة البقرة سوراً كذّب بها المشركون، ثم أنزل سورة البقرة، فقال: ذلك الكتاب، يعني ما تقدم من البقرة من السور لا شك فيه. (معالم التنزيل)

الذي إلخ: [يشير إلى أن "الكتاب" صفة واللام للعهد. (تفسير الكمالين)]للعهد أي وعد له على لسان موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام، أو ذلك إشارة إلى "الــم". وإنما ذكّر اسم الإشارة والمشار إليه مؤنث وهو السورة؛ لأن "الكتاب" إن كان خبره كان "ذلك" في معناه ومسماه، فجاز إجراء حكمه عليه في التذكير، وإن كان صفة فالإشارة به إلى "الكتاب" صريحا؛ لأن اسم الإشارة مشار به إلى الجنس الواقع صفة له، تقول: "هذا ذلك الإنسان" أو "ذلك الشخص فعل كذا".

ووجه تأليف "ذلك" مع "الــم"، إن جعلت "الــم" اسما لسورة أن يكون "الــم" مبتدأ، و"ذلك" مبتدأ ثان و"الكتاب" خبره، والجملة خبر المبتدأ الأول، ومعناه: أن ذلك هو الكتاب الكامل كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص كما تقول: "هو الرجل" أي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال. وأن يكون "الــم" خبر مبتدأ محذوف، أي "هذه الــم"، و"ذلك الكتاب" جملة أخرى. وإن جعلت "الــم" بمنزلة الصوت، كان "ذلك" مبتدأ خبره "الكتاب" أي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل. (تفسير المدارك)

لا ريب: أي لا ينبغي أن يسألك فيه؛ لوضوح دلالته وسطوع برهانه، أي لاشك فيه أنه من عند الله وأنه الحق والصدق، وقيل: هو خبر بمعنى النهي، أي لا ترتابوا. شك: هو التردد بين النقيضين لا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك. (روح البيان) أنه: بفتح الهمزة بدل من الضمير المجرور، أي لا شك في أنه. (تفسير الكمالين)

للتعظيم: يعني إنما استعمل لفظ "ذلك" الموضوع للبعيد؛ للتعظيم. (تفسير الكمالين) هدى: مصدر بمعنى اسم الفاعل. للمتقين: جمع متقٍ. وتخصيص الهدى بالمتقين؛ لما أنهم المقتبسون من أنواره، المنتفعون بآثاره، وإن كانت هداية شاملةً لكل ناظر من مؤمن وكافر. (تفسير أبي السعود) الصائرين: أشار بذلك إلى أن في الكلام مجاز الأول أي المتقين في علم الله، أو من يؤول إلى كونهم متقين. (حاشية الصاوي)

إلى التقوى بامتثال الأوامر، واجتناب النواهي؛ لاتقائهم بذلك النار. ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ يصدقون بِٱلْغَيْبِ **بما غاب** عنهم من البعث والجنة والنار (والصراط والميزان وغيرها) وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ أي يأتون بها بحقوقها (بأركانها وآدابها) وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ أعطيناهم يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ في طاعة الله. وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ أي القرآن وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ أي التوراة والإنجيل وغيرهما وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ يعلمون. أُوْلَٰٓئِكَ الموصوفون **بما ذكر** عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ الفائزون بالجنة، الناجون من النار. إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ (من كفار مكة) كـ"أبي جهل وأبي لهب" ونحوهما سَوَآءٌ (مساو) عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ **بتحقيق الهمزتين** وإبدال الثانية ألفا (لورش عن نافع) **وتسهيلها**، (لأبي عمرو وابن كثير) .....

إلى التقوى: ففيه مجاز، وذلك؛ لأنهم لم يتصفوا بالتقوى إلا بعد هدايته وإرشاده لهم. قوله: "الصائرين إلى التقوى" أي راجعين إلى التقوى، فسرهم بذلك؛ لئلا يلزم اهتداء المهتدين، وقد يسمى المشارف للشيء القاصدُ فاعلاً له. والتقوى على ثلاثة أقسام: أحدها: تقوى العوام، وهي اتقاء الكفر بالإيمان. وثانيها: تقوى الخواص، وهي امتثال الأوامر واجتناب النواهي. وثالثها: تقوى أخص الخواص، وهي اتقاء ما يشغل عن الله. والآية يصح أن يراد منها الأقسام الثلاثة.

الذين: تفصيل بعض صفات المتقين. **بما غاب:** غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدرك بواحد منهما ابتداءً بطريق البداهة، وهو قسمان: قسم لا دليل عليه، وهو الذي أريد بقوله سبحانه: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ (الأنعام:٥٩)، وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته، والنبوات وما يتعلق بها من الأحكام والشرائع، واليوم الآخر وأحواله من البعث والنشور والحساب والجزاء، وهو المراد ههنا، كذا في "روح البيان". وفي "التأويلات النجمية": واعلم أن الغيب غيبان: غيب غاب عنك، وغيب غبتَ عنه، فالذي غاب عنك عالم الأرواح، فإنه قد كان حاضرا حين كنتَ فيه بالروح، وكذا وجودك في عهد "ألست بربكم"، واستماع خطاب الحق، ومطالعة آثار الربوبية، وشهود الملائكة، وتعارف الأرواح من الأنبياء والأولياء وغيرهم، فغاب عنك إذا تعلقت بالقلب ونظرت بالحواس الخمس إلى المحسوسات من عالم الأجسام. وأما الغيب الذي غبتَ عنه فغيب الغيب، فهو حضرة الربوبية قد غبتَ عنه بالوجود، وما غاب عنك بالوجود وهو يعلم أينما كنتم، أنت بعيد منه وهو قريب منك كما قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق: ١٦).

ويقيمون الصلاة: يديمونها ويحافظون عليها في مواقيتها بحدودها وأركانها وهيئتها، يقال: قام بالأمر إذا أتى به معطيا حقوقه. (معالم التنزيل) **بالآخرة:** قدم الجار والمجرور؛ لإفادة الحصر. **أولئك:** "أولاء" كلمة معناها الكناية عن جماعة، و"الكاف" للخطاب. **بما ذكر:** يشير إلى أن الموصول للعهد. **على هدى:** عبر بـ "على" إشارة إلى تمكنهم من الهدى كتمكن الراكب من المركوب. **بتحقيق الهمزتين:** أي إبقائهما على حالهما عن غير تغيير، وهو لابن عامر والكوفيين، ومزيد تحقيقه في الجمل. **وتسهيلها:** جعل الهمزة بينه وبين الحرف الذي من جنس لفظ إعراب الهمزة. (تفسير الكمالين)

وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى، **وتركه**، أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ لعلم الله منهم ذلك، فلا تطمع في إيمانهم. والإنذار إعلام مع تخويف. خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ طبع عليها واستوثق، فلا يدخلها خير وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ....

وتركه: أي ترك التسهيل مع إبقاء الألف بين الهمزتين لهشام عن ابن عامر. (تفسير الكمالين)

ختم الله إلخ: الختم: الكتم، سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه؛ لأنه كتم له وبلوغ آخره. فإن قيل: إذا ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم، فمنعهم عن الهدى فكيف يستحقون العقوبة؟ قلت: الختم مجازاة لكفرهم، والله تعالى قد يسر عليهم السبل، فلو جاهدوا لوفقهم؛ لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت:٦٩)، ولما اقترحوا الكفر، فبسببه طبع الله عليهما بدليل قوله تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ (النساء:١٥٥)

والقلوب جمع قلب وهو الفؤاد، سمي قلباً لتقلبه في الأمور ولتصرفه في الأعضاء، والمراد بالقلب في الآية محل القوة العاقلة من الفؤاد، لا الجسم الصنوبري الشكل؛ فإنه للبهائم أيضا، كما في "روح البيان". وفي "الجمل": القلب هو جسم لطيف قائم بالقلب اللحماني قيامَ العرض بمحله، أو قيامَ الحرارة بالفحم، وهذا القلب هو الذي يحصل منه الإدراك، وترسم فيه العلوم والمعارف.

على قلوبهم: هذا وما بعده كالعلة والدليل لما قبله، والمراد بالقلوب العقول، وهي اللطيفة الربانية القائمة بالشكل الصنوبري قيامَ العرض بالجوهر أو قيامَ حرارة النار بالفحم. وقوله: "طبع عليها" إشارة إلى المعنى الأصلي، فأطلقه وأراد لازمه وهو عدم تغيير ما في قلوبهم بدليل قوله: "فلا يدخلها خير". وفي القلوب استعارة بالكناية، حيث شبه قلوب الكفار بمحل فيه شيء مختومٌ عليه، وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الختم، فإثباته تخييل. (حاشية الصاوي)

وعلى سمعهم: أي مواضعه، إنما قدر ذلك المضاف؛ لأن السمع معنى من المعاني، لا يصح إسناد الختم لها. وإفراده إما لأنه مصدر لا يثنّى ولا يجمع، أو لكون المسموع واحدا. والمراد بالغشاوة عدم وصول النور المعنوي لهم، فأطلق اللازم وأراد الملزوم. وخص الثلاثة؛ لأنها طرق العلم بالله. السمع: إدراك القوة السامعة، وقد يطلق عليها وعلى العضو الحامل لها أي الأذن، وهو المراد ههنا؛ لأنه أشد مناسبة للختم؛ إذ هو المختوم عليه أصالة. وفي توحيد السمع وجوه، أحدها: أنه في الأصل مصدر، والمصادر لا تجمع؛ لصلاحيتها للواحد والاثنين والجماعة.

فإن قيل: فلمَ جمع "الأبصار" والواحد بصر، وهو كالسمع؟ قلنا: إنه اسم للعين، فكان اسماً لا مصدراً؛ فجمع لذلك. ولما اشترك السمع والقلب في الإدراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات، وإدراك الأبصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة (روح البيان). وأيضا الغشاوة على السمع لا يمنع عن السماعة والتفهم، بل الغشاوة على البصر يمنع عن الإبصار؛ لأجل هذا جعل ما يمنعهما من فعلهما الختم، وجعل المانع لها عن فعلها الغشاوة.

أي مواضعه؛ فلا ينتفعون بما يسمعونه من الحق وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٌۖ غطاء؛ فلا يبصرون
بالرفع خبر ومبتدأ
الحق وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ قوي دائم. ونزل في المنافقين: وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أي يوم القيامة؛ لأنه آخر الأيام وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ روعي فيه معنى "مَن"، وفي ضمير "يقول" لفظها. يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بإظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر؛ ليدفعوا عنهم **أحكامه الدنيوية** وَمَا يُخَٰدِعُونَ إِلَّآ
الكفر
أَنفُسَهُمۡ لأن **وبال** خداعهم راجع إليهم، فيفتضحون في الدنيا باطلاع الله نبيه على
الفاء للتعليل
ما أبطنوه، ويعاقَبون في الآخرة وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ يعلمون أن خداعهم لأنفسهم. **والمخادعة** هنا من واحد كـ"عاقبت اللص"، **وذكر الله**..................

أي مواضعه: جواب ما يقال: كيف وحّدَ السمع وجمعَ ما قبله وما بعده؟ وإيضاح ذلك أنه مصدرٌ حذف ما أضيف إليه؛ لدلالة المعنى، أي مواضع سمعهم، وقرئ شاذا: "وعلى أسماعهم". (تفسير الكرخي)

ومن الناس إلخ: خبر مقدم، و"من يقول" مبتدأ مؤخر، وقال أيضا: إن قوله: "من يقول" محلها الرفع على الخبرية. ونزلت في المنافقين: عبد الله بن أبي ابن سلول، ومعتب بن قشير وغيرهما. (معالم التنزيل)

يخادعون الله: هذه الجملة الفعلية تحتمل أن تكون بدلا من الجملة الواقعة صلة لـــ "مَن"، وهو"يقول"، ويكون هذا بدل الاشتمال؛ لأن قولهم كذا مشتمل على الخداع، وأصل الخداع الإخفاء. (تفسير السمين)

أحكامه الدنيوية: أي الكائنة في الدنيا، وذلك كالقتل والسبي والجزية والذل، ولو قصدوا دفع أحكامه الأخروية من الخلود في النار وغضب الجبار لَأخلصوا في إيمانهم. (حاشية الصاوي) **وبال:** أي ضرره عائد إلى أنفسهم، وإن كان الخداع بحسب الظاهر للمؤمنين. (تفسير الكمالين)

والمخادعة إلخ: أشار به إلى جواب سؤال مقدر، ومحصله: أن الخدعة الحيلة والمكر، وإظهار خلاف الباطن، فهي بمنزلة النفاق، وهي مستحيلة في حق الله تعالى، وصيغة المفاعلة تقتضي المشاركة، فأشار إلى جوابه بما ذكروا، محصله أنها هنا ليست على بابها. **وذكر الله:** جواب سؤال آخر، تقديره: كيف يخادَع الله أي يحتال عليه وهو يعلم الضمائر، فكيف قيل: يخادعون الله؟ فأجاب عنه بما ذكر، ومحصله: أن الآية من قبيل الاستعارة التمثيلية حيث شبه حالهم في معاملتهم الله بحال المخادع مع صاحبه، من حيث القبح، أو من باب المجاز العقلي في النسبة الإيقاعية، وأصل التركيب "يخادعون رسول الله"، أو من باب التورية، حيث ذكر معاملتهم لله بلفظ الخداع، من "أبي السعود" وغيره.

فيها **تحسين**، وفي قراءة: **"وما يَخدَعُون"**. فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ شك ونفاق، فهو يمرض قلوبهم أي يضعفها فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا بما أنزله من القرآن؛ لكفرهم به وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ **مؤلم** بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿١٠﴾ بالتشديد للأكثر أي نبيَ الله، وبالتخفيف لأهل الكوفة أي في قولهم: "آمنا". وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ أي لهؤلاء لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بالكفر والتعويق عن الإيمان قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴿١١﴾ وليس ما نحن عليه بفساد، قال الله تعالى ردا عليهم: أَلَآ للتنبيه إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿١٢﴾ بذلك. وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ أصحاب النبي ﷺ، قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ الجهال، أي لا نفعل كفعلهم، قال تعالى ردا عليهم: أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾ ذلك.....

تحسين: أي تحسين معنوي للكلام، وهو الجمع بين المتضادين في الجملة، كما في "مختصر المعاني". وفي "معالم التنزيل": وقيل: "ذكر الله" ههنا تحسين، والقصد بالمخادعة الذين آمنوا كقوله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ (الأنفال:٤١) **مؤلم:** أي بفتح اللام، على أنه اسم مفعول من الإيلام، وصف العذاب للمبالغة، وهو في الحقيقة صفة المعذب بفتح الذال المعجمة، ووجه المبالغة: إفادة أن الألم بلغ الغاية حتى سرى من المعذَّب إلى العذاب المتعلق له. (روح البيان) وفي "الخطيب": ويجوز كسر لام "مؤلم" كـــ"سميع" بمعنى "مسمع"، وعليه فنسبة الأليم إلى العذاب حقيقة. **يكذبون:** الكذب: هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به. وقال البيضاوي تبعا للزمخشري: وهو حرام كله، وهذا ليس على إطلاقه؛ فإن من الكذب ما هو مباح، وما هو مندوب، وما هو واجب، وما هو حرام؛ لأن الكلام وسيلة إلى المقصود كما هو محقَّق في كتب الفقه وغيره.

وإذا قيل لهم: شروع في ذكر قبائحهم وأحوالهم الشنيعة، وفي الحقيقة هو تفصيل للمخادعة الحاصلة منهم، وهذه الجملة تحتمل أنها استئنافية، وتحتمل أنها معطوفة على "يكذبون"، أو على صلة "من" وهي "يقول"، والتقدير: من صفاتهم أنهم يقولون: آمنا إلخ، ومن صفاتهم أنهم إذا قيل لهم: لا تفسدوا في الأرض إلخ. (حاشية الصاوي)

مصلحون: بين المؤمنين والكافرين بالمداراة. **ولكن لايشعرون:** [إنهم مفسدون، فحذف المفعول للعلم به.] ليس عندهم شعور بالإفساد؛ لطمس بصيرتهم، وعبّر بالشعور دون العلم؛ إشارةً إلى أنهم لم يصلوا إلى رتبة البهائم؛ فإن البهائم تمتنع من المضار فلا تقربها؛ لشعورها بخلاف هؤلاء. (حاشية الصاوي)

وَإِذَا لَقُوا۟ أصله:"لَقِيُوا"، حذفت الضمة؛ للاستثقال، ثم الياء؛ لالتقائها ساكنةً مع الواو، ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ منهم، ورجعوا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ رؤسائهم قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ في الدين إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ بهم بإظهار الإيمان. ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ **يجازيهم** باستهزائهم وَيَمُدُّهُمْ يمهلهم فِى طُغْيَٰنِهِمْ تجاوزهم الحدَ في الكفر يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ يترددون تحيرا، حال. أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ **استبدلوها به** فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ أي **ما ربحوا** فيها بل خسروا؛ لمصيرهم إلى النار المؤبّدة عليهم وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ **فيما فعلوه.** مَثَلُهُمْ صفتهم في نفاقهم كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ **أوقد** نَارًا في ظلمة .....

وإذا لقوا إلخ: سبب نزول هذه الآية أن أبا بكر وعمر وعليا رضي الله عنهم توجهوا لعبد الله ابن سلول - لعنه الله - فقال له أبو بكر رضي الله عنه: "هلم أنت وأصحابك، وأخلص معنا". فقال له: "مرحباً بالشيخ والصديق"، ولعمر: "مرحباً بالفاروق القوي في دينه"، ولعلي رضي الله عنه: "مرحباً بابن عم النبي"، فقال له علي رضي الله عنه: "اتق الله ولا تنافق"، فقال: "ما قلت ذلك إلا لكون إيماني كإيمانكم". فلما توجهوا، فقال لجماعته: "إذا لقوكم فقولوا مثل ما قلت"، فقالوا: "لم نزل بخير ما عشت فينا". (حاشية الصاوي) إنما: توكيد لقوله "إنا معكم".

يجازيهم: سمي جزاء الاستهزاء باسمه على سبيل المشاكلة، كقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ (الشورى:٤٠)، وإنما أوّل بذلك؛ لأنه لا يجوز الاستهزاء أي السخرية عليه سبحانه تعالى شأنه عن العبث والجهل. (تفسير الكمالين)

استبدلوها به: أشار بذلك إلى أن المراد بالشراء مطلق الاستبدال، والباء داخلة على الثمن، والمراد بـــ"الضلالة" الكفر وبـــ"الهدى" الإيمان، وكلامه يقتضي أن الهدى كان موجودا عندهم ثم دعوه وأخذوا الضلالة، وهو كذلك؛ لقوله ﷺ: كل مولود يولد على الفطرة . (حاشية الصاوي)

فما ربحت إلخ: ترشيح للمجاز، أي ما ربحوا فيها؛ فإن الربح مسند إلى أرباب التجارة في الحقيقة، فإسناده إلى التجارة نفسها على الاتساع؛ لتلبسها بالفاعل أو لمشابهتها إياه من حيث إنها سبب الربح والخسران. ودخلت الفاء؛ لتضمن معنى الشرط، تقديره: وإذا اشتروا فما ربحوا، كما في "الكواشي". فإن قيل: كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على الهدى؟ قلت: جعلوا لتمكنهم منه كأنه في أيديهم، فإذا تركوه ومالوا إلى الضلالة فقد استبدلوها به. ما ربحوا: أشار إلى أن إسناد الربح للتجارة مجاز عقلي، وحقه أن يسند للتاجر. فيما فعلوه: أي إلى طريق التجارة. أوقد: يشير إلى أن "استوقد" بمعنى "أوقد" لا على الطلب، كما قال الزمخشري وأشياعه. (تفسير الكمالين)

﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ﴾ **أنارت** ﴿مَا حَوۡلَهُۥ﴾ المستوقد فأبصر **واستدفأ**، وأمن ما يخافه ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ﴾ أطفأه. **وجمع الضمير** مراعاة لمعنى "الذي" ﴿وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ١٧﴾ ما حولهم، متحيرين عن الطريق، خائفين، فكذلك هؤلاء، أمنوا بإظهار كلمة الإيمان، فإذا ماتوا جاءهم الخوفُ حال والعذابُ حال. **هم** ﴿صُمُّۢ﴾ عن الحق؛ فلا يسمعونه سماعَ مفعول قبول ﴿بُكۡمٌ﴾ خرس جمع أخرس عن الخير؛ **فلا يقولونه** ﴿عُمۡيٞ﴾ عن طريق الهدى؛ فلا يرونه ﴿فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨﴾ **عن الضلالة**. ﴿أَوۡ﴾ مثلهم ﴿كَصَيِّبٖ﴾ أي **كأصحاب** مطر، وأصله: "صَيْوِبٌ" من "صاب يصوب" أي ينزل ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي **السحاب** ﴿فِيهِ﴾ أي السحاب..............

أنارت: أشار به إلى أن الفعل متعد، ففاعله ضميره المستتر، و"ما" الموصولة مفعوله، أي أضاءت النار المكان الذي حوله، فـ "ما" بمعنى المكان. (حاشية الجمل) **استدفأ:** "دفء" الحرارة. (الصراح) **وجمع الضمير:** كما أن إفراده في "استوقد" باعتبار اللفظ. (تفسير الكمالين) **هم صم إلخ:** أشار به إلى أن "صم بكم" خبر مبتدأ محذوف وهو "هم"، وعليه الجمهور. وقوله: "فهم لا يرجعون" جملة مستأنفة. (تفسير أبي البقاء)

فلا يقولونه: لما أبطنوا خلاف ما أظهروا، فكأنهم لم ينطقوا. **عن الضلالة:** أشار به إلى أن الفعل لازم أي لا يرجعون عن الضلالة، أو لا ينتهون عن الباطل ما هو صنيع غيره. وقيل: هو متعد ومفعوله محذوف، تقديره: فهم لا يردون جوابا. (تفسير أبي البقاء بتغيير يسير) والآية فذلكة التمثيل، وأفادت أنهم كانوا يستطيعون الرجوع باستطاعة سلامة الآلات حيث استحقوا الذم بتركه، وأن قوله: "صم بكم عمي" ليس بنفي الآلات، بل هو نفي تركهم استعمالها. **أو كصيب إلخ:** في "أو" خمسة أقوال، أظهرها: أنها للتفصيل بمعنى أن الناظرين في حال هؤلاء، منهم من يشبههم بحال المستوقد الذي هذه صفته، ومنهم من يشبههم بأصحاب صيب هذه صفته. (حاشية الجمل)

كأصحاب: أشار إلى أن في الكلام حذف، تقديره: أو كأصحاب صيب أي مطر. **السحاب:** أشار إلى أن أطلق السماء وأريد به السحاب؛ لأن المطر موضعه السحاب، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: "أن تحت العرش بحر ينزل منه أرزاق الحيوانات، يوحى إليه؛ ليمطر ما شاء من سماء إلى سماء حتى ينتهي إلى سماء الدنيا، ويوحى إلى السحاب أن غربله، فيغربله فليس من قطرة تقطر إلا ومعها ملك يضعها موضعها". (روح البيان)

فيه: المتبادر من ظاهر النظم أن الضمير راجع لـ "صيب"، وقد أعاده غير الجلال رحمه الله من المفسرين، وأما هو فقد أعاده إلى السحاب الذي هو مدلول السماء، وهو خلاف ظاهر نظم الآية. و"في" بمعنى "مع". (حاشية الجمل) وفي "معالم التنزيل": قوله تعالى: "فيه" أي الصيب، وقيل: "في السماء" أي في السحاب، ولذلك ذكره، وقيل: السماء يذكر ويؤنث، قال الله تعالى: ﴿السَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦ﴾ (المزمل: ١٨). وقال: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ (الانفطار: ١).

ظُلُمَٰتٌ متكاثفة **وَرَعْدٌ** هو الملك **الموكَّل به**، وقيل: صوته **وَبَرْقٌ** لمعان سوطه الذي **يزجره** به يَجْعَلُونَ أي أصحاب الصيب أَصَٰبِعَهُمْ **أي أناملها** فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ أجل ٱلصَّوَٰعِقِ شدة صوت الرعد؛ لئلا يسمعوها **حَذَرَ** خوف ٱلْمَوْتِۚ من سماعها، **كذلك هؤلاء** إذا نزل القرآن، وفيه ذكر الكفر المشبَّه بالظلمات، والوعيد عليه المشبَّه بالرعد، والحجج البينة المشبهة بالبرق يسدّون آذانهم؛ لئلا يسمعوه فيميلوا إلى الإيمان وترك دينهم، وهو عندهم **موت** وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ علما وقدرة **فلا يفوتونه**. يَكَادُ يقرب ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْۖ يأخذها بسرعة كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ أي في ضوئه وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْۚ وقفوا، ....

الإضافة بيانية

ورعد: وهو الصوت الذي يسمع من السحاب. (معالم التنزيل) **الموكل به:** أي بالسحاب، روى "الترمذي" عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا: "الرعد الملك الموكل بالسحاب، معه مخاريق من نار، يسوق بها السحاب حيث شاء الله." كما قاله علي وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم وأكثر المفسرين. والبرق: لمعان سوطه من نور. (معالم التنزيل)

وبرق: قال: هو النار التي تخرج من السحاب، قال في "معالم التنزيل": وهو أصح الأقوال، وفي "الجمل": وسوطه: آلة من نار يزجر بها السحاب. ويزجر -بضم الجيم- من باب نصر أي يسوقه كما في "المختار".

يزجره: روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "البرق سوط من نور يزجر به الملك السحاب". (تفسير الكمالين)

أي أناملها: أشار إلى أنه من أنواع المجاز اللغوي، وهو إطلاق الكل على الجزء، ونكتة التعبير عنها بــ"الأصابع" إشارة إلى إدخالها على غير المعتاد مبالغة في الفرار من شدة الصوت، فكأنهم جعلوا الأصابع جميعها. (تفسير الكرخي)

حذر: مفعول له للجعل المعلل بقوله: "من الصواعق".

كذلك هؤلاء إلخ: هذا شروع في بيان حال المشبه بعد بيان حال المشبه به، وهذا التوزيع في كلامه يقتضي أن الآية من قبيل التشبيهات المفردة، والأقرب أن لفظ الآية من قبيل التشبيه المركب، ولذلك قال البيضاوي: الظاهر أن التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة، وهو: أن تشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت أجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا بأخرى مثلها، فالغرض تمثيل حال المنافقين. (حاشية الجمل مختصرا) **موت:** والموت فساد بنية الحيوان. **والله إلخ:** الجملة اعتراض لا محل لها. **فلا يفوتونه:** أي فههنا استعارة تمثيلية، شبَّه حاله تعالى مع الكفار في أنهم لا يفوتونه، ولا محيص لهم عن عذابه، بحال المحيط بالشيء في أنه لا يفوته المحاط. (تفسير الكمالين)

تمثيل لإزعاج ما في القرآن من الحجج قلوبَهم، وتصديقهم لما سمعوا فيه مما يحبون، ووقوفهم عما يكرهون ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ **بمعنى أسماعهم** ﴿وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾ الظاهرة، كما ذهب بالباطنة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ كان ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ **شاءه** ﴿قَدِيرٌ ۝٢٠﴾ ومنه إذهاب ما ذكر. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي **أهل مكة** ﴿ٱعْبُدُواْ﴾ **وحِّدوا** ﴿رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ أنشأكم و لم تكونوا شيئا ﴿وَ﴾ خلق ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١﴾ بعبادته عقابَه، و"لعل" في الأصل: **للترجي** وفي كلامه تعالى ....

تمثيل: أي فهو تمثيل لهؤلاء المنافقين بأنهم كلما سمعوا من القرآن ما فيه من الحجج، أزعج قلوبهم؛ لظهورها لهم، وصدقوا به إن كان مما يحبون من عصمة الدماء والأموال والغنيمة ونحوها، وإن كان مما يكرهون من التكاليف الشاقة عليهم كالصلاة والصوم وقفوا متحيرين. (تفسير الكرخي) **لإزعاج**: أي تحريكه قلوبهم عما كانت عليه، في "القاموس": زعجه: أقلعه وقلعه من مكانه كـ"أزعجه". (تفسير الكمالين) **ولو شاء الله إلخ**: مفعول "شاء" محذوف؛ لدلالة الجواب عليه، أي ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بهما، وقد تكاثر هذا الحذف في "شاء" و"أراد". (تفسير المدارك)

بمعنى أسماعهم: إشارة إلى أن المفرد بمعنى الجمع بقرينة "وأبصارهم". **شاءه**: [يشير إلى أن "الشيء" اسم بمعنى "مشيء" اسم مفعول.] قيد بذلك لإخراج الواجب وهو ذاته وصفاته؛ فإنهما من جملة الشيء؛ إذ هو الموجود، لكنهما ليسا من متعلقات الإرادة، فالمراد بقوله "شاءه" أن من شأنه أن يشاءه، وذلك هو الممكن. (حاشية الجمل) وفي تفسير "روح البيان": فلا يشك في أن المراد من الشيء في أمثال هذا ما سواه تعالى، فالله تعالى مستثنى في الآية مما يتناوله لفظ الشيء بدلالة العقل، فالمعنى: على كل شيء سواه قدير، كما يقال: "فلان أمين" على معنى: أمين على من سواه من الناس، ولا يدخل فيه نفسه وإن كان من جملتهم.

أهل مكة: ولا ينافي ذلك كون السورة مدنية. وأما ما روى الحاكم عن ابن مسعود ﷺ: ما كان "يا أيها الناس" فبمكة، وما كان "يا أيها الذين آمنوا" فبالمدينة، فهو على الأكثر وليس بعام. (تفسير الكمالين)

وحدوا: قال ابن عباس ﷺ: كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد. قال البغوي ﷺ: وخرجوه على وجهين، أحدهما: أن العبادة لا تكون إلا بالتوحيد، فهو سبب لها فأطلق عليها مجازا، والثاني: أنه بمعنى اجعلوا عبادتكم لواحد ولا تعبدوا غيره، ذكره "الخفاجي". (تفسير الكمالين)

للترجي: الطمع في المحبوب، وعبر عنه قوم بالتوقع، وذلك لا يكون إلا مع الجهل بالعاقبة، وهو محال في حقه تعالى، فيجب تأويله كما أشار إلى ذلك بقوله: "وفي كلامه تعالى للتحقيق" أي لتحقيق الوقوع؛ لأن الكريم لا يطمع إلا فيما يفعله، وفيه نظر: لأن في أكثر المواضع من كلام الله ما جاء للتحقيق، فكلية قوله: "وفي كلامه تعالى =

للتحقيق. ٱلَّذِى جَعَلَ خلق لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا حال، **بساطا** يفترش، لا غاية لها في الصلابة أو الليونة فلا يمكن الاستقرار عليها وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ **سقفا** وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ **أنواع** ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ تأكلونه **وتعلفون** به دوابكم (تفريع على المنفي) فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا شركاء في العبادة وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾

= للتحقيق" غير مسلَّم، والجواب عن المحال: أن الطمع بالنسبة إلى المخاطبين، أي حال كونكم مترجين التقوى طامعين فيها، ونصه في "السمين" حيث قال: وإذا ورد "لعل" في كلام الله تعالى فللناس فيه ثلاثة أقوال، أحدها: أن "لعل" على بابها من الترجي والإطماع، ولكن بالنسبة إلى المخاطبين أي لعلكم تتقون على رجائكم وطمعكم، وكذا قال سيبويه في قوله تعالى: "لعله يتذكر" أي اذهبا على رجائكما. والثاني: أنها للتعليل أي اعبدوا ربكم لكي تتقوا، وبه قال قطرب والطبري وغيرهما، والثالث: أنها للتعرض للشيء، كأنه قيل: افعلوا ذلك متعرضين لأن تتقوا، وأيضا في "تفسير أبي البقاء": قوله: "لعلكم" متعلق في المعنى بـــ "اعبدوا" أي اعبدوه؛ ليصح منكم رجاء التقوى.

للتحقيق: أي لتحقيق مضمون ما بعدها، ولا يطّرد؛ لورود نحو: "لعله يزكي أو يذكر إلخ". (حافظ)

بساطا: يفترش، وليس من ضرورة ذلك كونها سطحا حقيقيا، وهو الذي له طول وعرض، فإن كرية شكلها مع عظم جرمها مصححة لافتراشها. (روح البيان) **سقفا:** جاء التعبير به في آية أخرى، فعبر عنه هنا بالبناء إشارة إلى إحكامه. (حاشية الجمل) **من السماء:** أي مطر ينحدر منها على السحاب، ومنه على الأرض، وهو رد لمن زعم أنه يأخذه من البحر. (روح البيان) **أنواع الثمرات إلخ:** الظاهر أنه جعل "من" للبيان لقوله: "رزقا لكم". و"رزقا" بمعنى المرزوق مفعول، و"أنزل" و"لكم" صفة له، ويجوز أن تكون "من" للتبعيض، و"رزقا" مفعول له، كأنه قيل: وأنزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا بعض الثمرات؛ ليكون بعض رزقكم. (تفسير الكمالين)

وتعلفونه: إشارة إلى أن المراد بـــ"الثمرات" جميع ما ينتفع به مما يخرج من الأرض، كما قال المفسرون. والعلف طعام الدواب وغيرها. **فلا تجعلوا:** هو متعلق بالأمر، أي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا لله أندادا؛ لأن أصل العبادة وأساسها التوحيد، وأن لا يجعل له ند ولا شريك. **أندادا:** جمع ند وهو المثل. وعن ابن عباس ﭫ: لا تقولوا: لولا فلان لأصابني كذا، ولولا كلبنا يصيح على الباب لسرق متاعنا. وعن النبي ﷺ أنه قال: "إياكم و"لو"؛ فإنه من كلام المنافقين"، قالوا: ﴿لَوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾ (آل عمران: ١٥٦) إلخ. (روح البيان) و"أندادا" مفعول أول للفعل، والثاني هو الجار والمجرور، و"أنتم تعلمون" جملة مبتدأ وخبر في موضع الحال، ومفعول "تعلمون" محذوف، أي بطلان ذلك. (من تفسير أبي البقاء وغيره)

أنه الخالق ولا يخلقون، **ولا يكون إلها** إلا مَن يخلق وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ **شك** مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا محمد من القرآن أنه من عند الله، فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ أي المنزل، و"من" للبيان أي هي مثله في البلاغة وحسن النظم والإخبار عن الغيب. والسورة: **قطعة** لها أول وآخر، وأقلها: ثلاث آيات وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم **آلهتكم** التي تعبدونها مِّن دُونِ ٱللَّهِ أي **غيره**؛ لتعينكم إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ في أن محمدا قاله من عند نفسه، **فافعلوا ذلك**؛ فإنكم عربيون فصحاء مثله. ولما عجزوا عن ذلك، قال تعالى: فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ ما ذكر؛ لعجزكم وَلَن تَفْعَلُواْ ذلك أبدا؛ لظهور إعجازه، اعتراض. فَٱتَّقُوا بالإيمان بالله **وأنه** ليس من كلام البشر ٱلنَّارَ ٱلَّتِى **وَقُودُهَا** ٱلنَّاسُ الكفار وَٱلْحِجَارَةُ كأصنامهم منها، يعني أنها مفرطة الحرارة، تتقد بما ذكر لا كـ"نار الدنيا" تتقد بالحطب ونحوه أُعِدَّتْ هيئت لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ يعذبون بها، جملة مستأنفة **أو حال**....

(حواشٍ بين السطور: أمر تعجيز — الإضافة للتشريف — الضمير لـ"ما نزلنا" — متعلق بـ"شهداءكم" — بين الشرط والجزاء — أصنامهم الكائنة من الحجارة)

أنه: يشير إلى أن مفعول "تعلمون" محذوف. **ولا يكون إلها:** هذا هو من تمام الدليل، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل:١٧). (حاشية الصاوي) **شك:** جعل الشك ظرفا لهم، إشارة إلى أنه تمكن منهم تمكن الظرف من المظروف. (حاشية الصاوي) **من مثله:** صفة "سورة" أي بسورة كائنة من مثله، والضمير لـ"ما نزلنا"، و"من" للتبعيض أو للتبيين أو زائدة عند الأخفش، أي بسورة مماثلة للقرآن في البلاغة وحسن النظم. (تفسير البيضاوي)

قطعة: أي قطعة من القرآن معلوم الأول والآخر، وإنما سميت سورة؛ لكونها أقوى من الآية، من "سور الأسد" أي قُوته. هذا إن كانت واوها أصلية، وإن كانت منقلبة عن همزة، فهي مأخوذ من السؤر الذي هو البقية من الشيء. فالسورة: قطعة من القرآن، مُفْرَزَةً من غيرها. (روح البيان) **آلهتكم:** سموا شهداء؛ لأنهم يشهدون لهم بين يدي الله في القيامة بصحة عبادتهم إياهم على زعمهم الفاسد. **غيره:** أشار إلى أن "دون" بمعنى "غير".

فافعلوا ذلك: هذا جواب الشرط وهو "إن كنتم...". **وأنه:** عطف على لفظ الجلالة أي وبالإيمان بأنه ليس من كلام البشر. **وقودها:** الجمهور على فتح الواو وهو الحطب، وقرئ بالضم. (تفسير أبي البقاء) وفي "الصراح": وقودها -بالضم- اشتعال النار. **أو حال إلخ:** أي من "النار"، ولا يصح أن تكون حالا من الضمير في "وقودها"؛ لأنه مضاف إليه، ولأن المضاف اسم بمعنى العين كالحطب، فهو جامد لا يعمل. (حاشية الجمل)

لازمة وَبَشِّرِ أخبر ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صدقوا بالله وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ من الفروض والنوافل أَنَّ **أي بأن** لَهُمۡ جَنَّٰتٖ **حدائق** ذات شجر ومساكن تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا أي **تحت أشجارها** وقصورها ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أي **المياه** فيها. والنهر: الموضع الذي يجري فيه الماء؛ لأن الماء ينهره أي يحفره، وإسناد الجري إليه **مجاز** كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا أطعموا **من تلك الجنات** مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا (من نوعها) قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي أي مثل ما رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ أي **قبله في الجنة**؛...

لازمة إلخ: دفع لما قيل: هي معدّة للكافرين، اتقوا أم لم يتقوا، فمن ثم قال: لازمة. (حاشية الجمل) **وبشر:** عطف على مضمون آية "فإن لم تفعلوا إلخ"، (تفسير السمين). **أي بأن:** إشارة إلى أنه فتحت "أن" ههنا؛ لأن التقدير: بأن لهم، وموضع "أن" وما عملت فيه نصب بـــ"بشر"؛ لأن حرف الجر إذا حذف وصل الفعل بنفسه. هذا مذهب سيبويه. (تفسير أبي البقاء) **حدائق:** جمع حديقة، وهو الروضة ذات الشجر، وبستان عليه حائط.

تجري إلخ: صفة لـــ"جنات"، وقوله: "كلما رزقوا" صفة ثانية، وقوله: "لهم" صفة ثالثة، وقوله: "وهم فيها إلخ" صفة رابعة، وأما قوله: "وأتوا به متشابها" فهو اعتراض، وفي الحديث: أنهار الجنة تجري في غير أخدود. (معالم التنزيل) **تحت أشجارها:** يريد أن الكلام على حذف مضاف أو على الاستخدام، وإنما اعتبر ذلك؛ لأن جريان الماء في وسط الجنان أوفق من جريانها تحتها. (تفسير الكمالين)

المياه: فسر النهر بالماء فإن الجري إنما هو للماء، والنهر اسم الموضع. (تفسير الكمالين) **مجاز:** أي إلى موضع مجاز، أي مجاز عقلي، ويمكن أن يكون مجازا في الطرف بذكر المحل وإرادة الحال أو بحذف المضاف. (تفسير الكمالين) **من تلك الجنات:** يشير إلى أن "من" فيها للابتداء، وإنهما ظرفان لغوان لـــ"رزقوا". قيد الثاني بعد تقييده بالأول، فالأول متعلق بالمطلق والثاني بالمقيَّد، فلا يلزم اتحاد تعلق حرفي جر بمعنى واحد بفعل واحد. (تفسير الكمالين)

هذا الذي إلخ: "هذا" مبتدأ، و"الذي" بصلته خبره، فيقتضي التركيب أن الذي أحضر إليهم، وأرادوا أكله هو عين الذي أكلوه من قبل وهو لا يستقيم؛ فلذلك جعل المفسر الكلام على حذف مضاف في جانب الخبر، فقال: أي مثل ما، و"ما" هي المذكورة بلفظ "الذي"، ولو قال: "أي مثل الذي" لكان أوضح. وقوله: "لتشابه ثمارها" علة لتقدير المضاف. وقوله: "بقرينة وأتوا إلخ" متعلق بقوله: أي قبله في الجنة، فهو تعليل لهذا التقييد، وغرضه به الرد على من لم يقيد القبلية بالجنة بل جعلها شاملة لها وللدنيا. (حاشية الجمل)

قبله في الجنة: كذا حكي عن الحسن، ورواه ابن جرير عن يحيى بن كثير، قال الصاوي: أشار بذلك إلى رد ما قيل: إن المراد بقوله: "من قبل" في الدنيا، وقوله: "وأتوا به متشابها" أي يشبه ثمر الدنيا في الصورة.

لتشابه ثمارها بقرينة وَأُتُواْ بِهِۦ جيئوا بالرزق مُتَشَٰبِهًا يشبه بعضه بعضا **لونا** ويختلف **طعما** وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٌ من الحور وغيرها مُّطَهَّرَةٌ نساء الدنيا من الحيض وكل قذر وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ **ماكثون أبدا** لا يفنون ولا يخرجون. ونزل رداً لقول اليهود لما ضرب الله المثل بـ"الذباب" في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً﴾ (الحج:٧٣) و"العنكبوت" في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ﴾ (العنكبوت:٤١): ما أراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسة؟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ يجعل مَثَلٗا مفعول أول مَّا **نكرة** موصوفة بما بعدها، مفعول ثان خبر بعد خبر **أيّ مثل** كان، أو زائدة حرف "ما" **لتأكيد الخسة، فما بعدها** المفعول الثاني بَعُوضَةً عطف بيان لـ"مثلا" مفرد البعوض، وهو صغار البق فَمَا فَوۡقَهَا أي **أكبر منها** أي

متشابها: فإنه في رزق الجنة أظهر. **لونا إلخ:** من المعلوم أن التشابه في اللون لا مزية فيه، وإنما المزية في تشابه الطعم، إلا أن يقال: اختلاف الطعم مع اتفاق اللون غريب في العادة؛ فكان ذلك مدحا لطعام الجنة؛ ولذا روي عن الحسن: أن أحدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها، ثم يؤتى بأخرى فيراها مثل الأولى فيقول: هذا الذي رزقنا من قبل، فيقول له الملائكة: اللون واحد والطعم مختلف. (حاشية الجمل)

طعما: قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والربيع. (معالم التنزيل) **مطهرة:** أخرج الحاكم عن الخدري رضي الله عنه مرفوعا وصححه: "مطهرة عن الحيض والغائط والنخامة والبزاق". قوله: "وكل قذر" أي كل ما يستقذر من النساء ويذمُّ من أحوالهن. (حاشية الجمل) **ماكثون أبدا:** أفاد به أن المراد بالخلود الدوام ههنا؛ لما يشهد له من الآيات والأحاديث، وأصله: ثبات طويل المدة، دام أو لم يدم؛ ولذا يوصف بالأبدية. (تفسير الكرخي)

نكرة: أي كلمة "ما" اسم نكرة موصوفة بما بعدها، وفي "الإتقان": قد يكون "ما" نكرة موصوفة بمفرد، نحو: ﴿مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ (البقرة: ٢٦)، وقد يكون جملة نحو: ﴿نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ (النساء: ٥٨). والوصفية في ما نحن فيه باعتبار أنه يفيد معنى صغير أو أصغر. (تفسير الكمالين) **أيّ مثل:** العموم فيها مكسوب من الوصف. **لتأكيد الخسة:** أراد به دفع ما يقال: القرآن مصُون عن الحشو، والزائد حشو، فدفعه.

فما بعدها: أي إذا كانت "ما" زائدة فما...إلخ. **فما فوقها:** عطف على "بعوضة"، و"ما" موصوفة أو موصولة منصوب المحل، والظرف صفتها أو صلتها. (تفسير الكمالين) **أكبر منها:** يشير إلى أن المراد الزيادة في الجثة لا في الصغر والحقارة، وقد فسر بالوجهين، بل ذكر بعضهم أن الثاني هو الذي مال إليه المحققون. ويمكن أن يحمل كلام المفسر عليه. (تفسير الكمالين)

لا يترك بيانه لما فيه من الحكَم ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أي المثل ﴿ٱلْحَقُّ﴾ **الثابت** الواقع موقعه ﴿مِن رَّبِّهِمْۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۘ﴾ تمييز، أي بهذا المثل، و"ما" استفهام إنكار مبتدأ، و"ذا" بمعنى "الذي" بصلته خبره، أي أيّ فائدة فيه؟ قال تعالى في جوابهم: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ﴾ أي بهذا المثل ﴿كَثِيرًا﴾ عن الحق لكفرهم به ﴿وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًاۚ﴾ من المؤمنين؛ لتصديقهم به ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ٢٦﴾ الخارجين عن طاعته. ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت ﴿يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ **ما عهده** إليهم في الكتب من الإيمان بمحمد ﷺ، ﴿مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ توكيده عليهم ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ **من الإيمان** بالنبي ﷺ والرحم وغير ذلك، ....

(وهي "أراد") (العهد)

لا يترك إلخ: أشار بهذا إلى أن الحياء في حق الله تعالى بمعنى غايته لا مبدئه؛ لاستحالته عليه. وعبارة "الخازن": الحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به ويذم عليه، وقيل: هو انقباض النفس عن القبائح، هذا أصله في وصف الإنسان، والله تعالى منزه عن ذلك كله، فإذا وصف الله تعالى به يكون معناه الترك؛ وذلك لأن لكل فعل بداية ونهاية، فبداية الحياء هو التغير الذي يلحق الإنسان من خوف أن ينسب إليه ذلك الفعل القبيح، ونهايته ترك ذلك الفعل القبيح. (حاشية الجمل) فإذا ورد وصف الحياء في حق الله تعالى، فالمراد منه ترك الفعل الذي هو نهاية الحياء في حق الله تعالى، فيكون معنى: أن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا أي لا يترك المثل لقول الكفار. (ملخصا)

فأما الذين: شروع في بيان الحكمة المترتبة على ضرب المثل. **الثابت:** الواقع موقعه، والمراد بكونه واقعا موقعه أنه ليس عبثا، بل هو مشتمل على الحكَم والأسرار والفوائد. **فيقولون:** كان من حقه: "فلا يعلمون"؛ ليطابق قرينه ويقابل قسيمه، لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل إليه على سبيل الكناية؛ ليكون كالبرهان عليه. (تفسير البيضاوي) **ما عهده:** إنما فسر المصدر باسم المفعول؛ لأن العهد الذي هو أمر الله بالإيمان بالنبي ﷺ قد حصل فلا ينقض، وإنما الذي ينقض المأمور به، والمراد العهد الواقع على ألسنة أنبيائهم في كتبهم؛ فإن الله عاهد كل نبي مع أمته من آدم إلى عيسى أنه إذا ظهر محمد ليؤمنن به ولينصرنه، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ (آل عمران:٨١)، ومن جملة العهد أوصافه المذكورة في كتبهم، فنقضوا ذلك بتبديلهم إياها وعدم الإيمان بها. (حاشية الصاوي)

من الإيمان: بيان لـــ"ما"، يعني: ما أمر الله أن يوصل دين محمد ﷺ بدين موسى ومن تقدمه من الأنبياء، وبوصل الرحم وغير ذلك كموالاة المؤمنين والإيمان بالكتب والجماعات المفروضة. (تفسير الكمالين)

و"أن" **بدل** من ضمير "به" وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بالمعاصي **والتعويق** عن الإيمان
منها قطع السبيل الصرف والشغل
أُوْلَٰٓئِكَ الموصوفون بما ذكر هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم. كَيْفَ تَكْفُرُونَ **يا أهل مكة!** بِٱللَّهِ وَ **قد** كُنتُمْ أَمْوَٰتًا نطفا في الأصلاب، فَأَحْيَٰكُمْ في الأرحام والدنيا **بنفخ الروح** فيكم، **والاستفهام للتعجب** من كفرهم
في "كيف تكفرون"
مع قيام البرهان والتوبيخ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ عند انتهاء آجالكم ثُمَّ يُحْيِيكُمْ بالبعث ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ تردُّون بعد البعث، فيجازيكم بأعمالكم. وقال تعالى دليلا على البعث لما أنكروه: هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ أي الأرض وما فيها جَمِيعًا؛

و"أن" بدل: إشارة إلى "أن يوصل" في موضع جر بدلا من الهاء أي يوصله. **يا أهل مكة:** والأحسن التعميم لأهل مكة وغيرها. **وقد كنتم:** أشار به إلى أن جملة "وكنتم" إلى قوله: "ثم إليه ترجعون" في محل نصب على الحال، وأن "قد" مضمرة بعد الواو جريا على القاعدة المقررة عند الجمهور أن الفعل الماضي إذا وقع حالا فلا بد من "قد" ظاهرة أو مقدرة. (تفسير الكرخي) وعبارة "أبي البقاء": "وكنتم" "قد" معه مضمرة، والجملة حال.

بنفخ الروح: من المعلوم أن نفخ الروح إنما هو في الرحم، والظرف متعلق بقوله: "في الأرحام" فقط. (حاشية الجمل) **والاستفهام للتعجيب:** إيقاعهم في الأمر العجيب، أو حمل المخاطب على التعجب والاستغراب. وقوله: "مع قيام البرهان" هذا هو منشأ التعجيب؛ لأن الكفر مع قيام برهان الوحدانية مستغرب فيتعجب منه، والمراد بالبرهان هو المذكور بقوله: "وكنتم أمواتا إلخ".

للتعجب: يتعجب منه كل عاقل يطلع عليه أو التعجب بمعنى الاستعظام، وإلا فحقيقته محال عليه تعالى؛ فإنه روعة تعتري الإنسان عند استعظام الشيء. (تفسير الكمالين) **ثم يميتكم:** عبر بـــ"ثم"؛ لتخلل مدة العمر بين نفخ الروح والإماتة، وقوله: "ثم يحييكم" عبر بها؛ لتخلل مدة البرزخ، وقوله: "ثم إليه ترجعون" عبر بها؛ لتخلل مدة الحشر والحساب. (حاشية الجمل) هذا على رأي الشارح، وأما غيره من المحققين فذهبوا إلى أن المراد بقوله تعالى: "يحييكم" حياة القبر، وقال في"روح البيان": ودلّ "ثم" التي للتعقيب على سبيل التراخي، على أنه لم يرد به حياة البعث؛ فإن الحياة يومئذ يقارنها الرجوع. وعبارة "التفسير الكبير" ملخصها: فلو جعلنا الآية من هذا الوجه دليلا على حياة القبر كان قريبا، لكن الشيخ أبا سليمان نقل الآثار عن "السمين" وعزاه لابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ومجاهد، فبتقدير صحتها يرجح قول الشارح. **ثم يحييكم:** للسؤال في القبور، فيحيا حتى يسمع خفق نعالهم إذا ولو مدبرين، ويقال: من ربك؟ ومن نبيك؟ وما دينك؟

لتنتفعوا به وتعتبروا ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾ **بعد خلق الأرض أي قصد** ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ الضمير يرجع إلى السماء؛ لأنها في معنى الجمع **الآئلة إليه، أي صيرها** كما في آية أخرى: ﴿فَقَضَاهُنَّ﴾ ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ مع كونه مفردا ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٩﴾ **مجملا ومفصلا**، أفلا تعتبرون أن القادر على خلق ذلك ابتداء - وهو أعظم منكم - قادر على إعادتكم ﴿وَ﴾ **اذكر** يا محمد! ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يخلفني في تنفيذ أحكامي فيها، **وهو آدم** ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ بالمعاصي ينوب عني ﴿وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ يريقها بالقتل كما فعل بنو **الجان** وكانوا فيها، فلما أفسدوا أرسل الله إليهم الملائكة؛ .... في الأرض

بعد خلق الأرض: ولا ينافي قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (النازعات: ٣٠)؛ فإن دحوها متأخرة، كذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقد يدفع التعارض بأن "ثم" بمعنى الواو، وبأنها لترتيب الأخبار المخبر عنه، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (البلد: ١٧)، وأنها لتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخي في الزمان. (تفسير الكمالين)

أي قصد إلخ: الاستواء حقيقة: الاعتدال والاستقامة، ولما استحال في حقه تعالى حمل عند تعديته بـــ "إلى" على القصد المستوي إلى الشيء من غير تعريج إلى غيره. (تفسير الكمالين) **الآئلة إليه:** أي باعتبار أنه يؤول إلى الجمع بعد الخلق؛ فكونها جمعا باعتبار ما يؤول إليه، وقيل: هو اسم جنس يقع على الواحد والجمع، وقيل: جمع سماءة، وقيل: الضمير مبهم يفسره "سبع سماوات"، وعلى ذلك فيكون "سبع سماوات" تمييزا أو بدلا و"سواهن" بمعنى عدلهن وخلقهن. (تفسير الكمالين) **أي صيرها:** فيكون "سبع سماوات" مفعولا ثانيا، ولكن لما كان "جعل" بمعنى "صير" ليس بمعروف في اللغة، استشهد عليه بقوله أي صيرها إلخ. (تفسير الكمالين) **مجملا ومفصلا:** هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة. **سبع سماوات:** اسم الأول: رقيع وهي من زمردة خضراء، والثانية: أرفلون وهي من فضة بيضاء، والثالثة: قيدوم وهي من ياقوتة حمراء، والرابعة: ماعون وهي من فضة بيضاء، والخامسة: ربقاء وهي من ذهب أحمر، والسادسة: وقناء وهي من ياقوتة صفراء، والسابعة: عروباء وهي من نور يتلألأ. (روح البيان)

واذكر إلخ: أشار به إلى أن "إذ" في محل نصب، وأن العامل فيها "اذكر" مقدر. قال أبو البقاء في تفسيره: "إذ قال" هو مفعول به، تقديره: اذكر إذ قال. وقيل: هو خبر مبتدأ محذوف تقديره: وابتداء خلقي إذ قال ربك، وقيل: "إذ" زائدة. **وهو آدم:** فهو أبو البشر والخليفة الأول باعتبار عالم الأجساد، وأما باعتبار عالم الأرواح فهو سيدنا محمد ﷺ، وهو مأخوذ من أديم الأرض؛ لخلقه من جميع أجزائها، وكانت ستين جزءا، لذلك كانت طباع بنيه ستين طبعا، وكفارة الظهار والصوم ستين، وعاش من العمر تسع مائة وستين سنة، وما مات حتى رأى من أولاده مائة ألف، عمروا الأرض بأنواع الصنائع. (حاشية الصاوي مختصرا) **الجان:** هو أبو الجن كما أن آدم أبو البشر، فيه إشارة إلى أنهم عرفوا ذلك قياسا لأحد الثقلين على الآخر. (تفسير الكمالين)

فطردوهم إلى الجزائر والجبال ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ متلبسين ﴿بِحَمْدِكَ﴾ أي نقول: "سبحان الله وبحمده" ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ ننزهك عما لا يليق بك، من السوء فاللام زائدة، والجملة حال أي **فنحن أحق** بالاستخلاف ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ من المصلحة في استخلاف آدم، وأن ذريته فيهم المطيع والعاصي، فيظهر العدل بينهم، فقالوا: "لن يخلق ربنا خلقا أكرم عليه منا ولا أعلم؛ لسبقنا له ورؤيتنا ما لم يره." فخلق تعالى آدم من أديم الأرض - أي وجهها - بأن قبض منها قبضة **من جميع ألوانها**، وعجنت وفي نسخة "وعجن" بالمياه المختلفة، وسواه، ونفخ فيه الروح، فصار حيواناً حساساً بعد أن كان جمادا ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ﴾ أي **أسماء المسميات** ﴿كُلَّهَا﴾ **حتى القصعة** والقصيعة **والفسوة** والفسية والمغرفة وعليه أكثر المفسرين بأن ألقى في قلبه علمها، ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أي المسميات، وفيه **تغليب العقلاء** ....

متلبسين: أشار بذلك أن الباء للملابسة. فنحن أحق إلخ: ليس المقصود منه الاعتراض على الله ولا احتقار آدم، وإنما ذلك لطلب جواب يريحهم من العناء، حيث وقعت المشورة من الله لهم. (حاشية الصاوي)

من جميع ألوانها: أخرج أحمد والترمذي وأبو داود ﵏ عن أبي موسى الأشعري ﵁ مرفوعا: "إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن والخبيث والطيب". (تفسير الكمالين) ألوانها: تقدم أنها ستون، وورد: "أن الله لما أراد خلق آدم أوحى إلى الأرض: أني خالق منك خلقا، من أطاعني أدخلته الجنة، ومن عصاني أدخلته النار، فقالت: يا ربنا، أتخلق مني خلقا يدخل النار؟ فقال: نعم، فبكت فأنبعت العيون من بكائها، وهي تجري إلى يوم القيامة". (حاشية الصاوي)

أسماء المسميات: أشار بذلك إلى أن "ال" عوض عن المضاف إليه، والمراد من المسميات: مدلولات الأسماء، سواء كانت جواهر أو أعراضا، أو معاني أو معنوية، فالحاصل أن الله تعالى أطلع آدم على المسميات جميعها، وعلّمه أسماءها، وأطلع الملائكة على المسميات، ولم يعلّمهم أسماءها، فاشترك آدم مع الملائكة في معرفة المسميات، واختص آدم بمعرفة الأسماء بجميع اللغات، وتلك اللغات تفرقت في أولاده. (حاشية الصاوي)

حتى القصعة: قصعة: پیالہ، قصيعة: القدح. وقوله: والفسوة: ريح يخرج من الدبر، فهي عبارة عن المرة من إخراج الريح، والمغرفة: ما يغرف به الطعام ونحوه. والفسوة: هو الريح الخارج من الدبر بلا صوت، فإن كان شديدا سمي فسوة، وإن كان خفيفا سمي فسية، وإن كان بصوت سمي ضراطا، فالمكبر للشديد، والمصغر للخفيف. (حاشية الصاوي)

تغليب العقلاء: في تذكير الضمير، وجمعه جمع من يعقل، تغليب العقلاء؛ لشرفهم على غيرهم. (تفسير الكمالين)

عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ لهم تبكيتا: أَنۢبِـُٔونِى توبيخا وإسكاتا أخبروني بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ المسميات إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ في أني لا أخلق أعلم منكم، أو أنكم أحق بالخلافة، **وجواب الشرط** دل عليه ما قبله قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ تنزيها لك عن الاعتراض عليك لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ **إياه** إِنَّكَ أَنتَ **تأكيد** للكاف ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ الذي لا يخرج شيء عن علمه وحكمته. قَالَ تعالى: يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم أي الملائكة بِأَسْمَآئِهِمْ أي المسميات، فسمى كل شيء باسمه، وذكر حكمته التي خلق لها فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ تعالى لهم موبخا: أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ما غاب فيهما وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ في نسخة: توبيخا تظهرون من قولكم: "أتجعل فيها" إلخ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ تسرون من قولكم: لن يخلق ربنا خلقا أكرم عليه منا ولا أعلم. وَ اذكر إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ سجود تحية **بالانحناء** فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ **هو أبو الجن**، ....

جواب الشرط: وهو "إن كنتم"، وقوله: "دل عليه ما قبله" أي "أنبئوني" السابق، ويجوز تقدم الجواب على الشرط على مذهب سيبويه. **إياه:** أشار بذلك إلى أن المفعول الثاني محذوف. **تأكيد:** لتقرير المسند إليه، وقيل: ضمير فصل يفيد تأكيد الحكم، والقصر المستفاد من تعريف المسند. (تفسير الكمالين)

بالانحناء: لا بوضع الجبهة على الأرض، أشار بذلك إلى أن المراد السجود اللغوي، وهو الانحناء، كسجود إخوة يوسف وأبويه له، وهو تحية الأمم الماضية، وأما تحيتنا فهي السلام، وعليه فلا إشكال، وقال بعض المفسرين: إن السجود شرعي بوضع الجبهة على الأرض، وآدم قبلة كالكعبة، فالسجود لله وإنما آدم قبلة، والآية محتملة للمعنيين، ولا نص بعين أحدهما، وعلى الثاني فاللام بمعنى "إلى"، أي اسجدوا إلى جهة آدم فاجعلوه قبلتكم. (حاشية الصاوي)

هو أبو الجن إلخ: هكذا في خط الشيخ المصنف "بين الملائكة" وهو تابع في ذلك للشيخ في سورة طـــه وغيرها، وقضية كلامهما أنه ليس من الملائكة، وصرح بذلك في "الكشاف" فقال: كان جنيا واحدا بين أظهر ألوف من الملائكة، مغمورا بينهم، فغلبوا عليه في قوله: "فسجدوا"، لكن أكثر المفسرين كالبغوي والواحدي والقاضي على أنه كان من الملائكة، وإلا لم يتناوله أمرهم ولم يصح استثناؤه منهم، قالوا: ولا يرد على ذلك قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ (الكهف: ٥٠)؛ لجواز أن يقال: كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا، أو لأن الملائكة قد يسمون جنا لاختفائهم، والحاصل: أن ما ذكروه محاولة على جعل الاستثناء متصلا وهو الأصل، وما ذكره الشيخان محاولة على أنه منقطع، فلا حاجة حينئذ إلى التأويل الذي بيّنوه، لكنه خلاف الأصل. (حاشية الجمل)

كان بين **الملائكة** أَبَىٰ **امتنع** من السجود وَٱسْتَكْبَرَ **تكبر** عنه، وقال: أنا خير منه وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ **في علم الله تعالى**. وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ تأكيد للضمير المستتر؛ ليعطف عليه وَزَوْجُكَ **حواء** - بالمد - وكان **خلقها** من ضلعه الأيسر ٱلْجَنَّةَ (كذا رواه البخاري) وَكُلَا مِنْهَا أكلا رَغَدًا واسعا، **لا حجر** فيه حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ بالأكل منها، **وهي الحنطة** أو الكرم **أو غيرهما** فَتَكُونَا فتصيرا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ العاصين، فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ إبليس **أذهبهما**، وفي قراءة: "فأزالهما" نحّاهما عَنْهَا أي الجنة؛ (أبعدهما عنها) بأن قال لهما: هل أدلكما على شجرة الخلد؟ وقاسمهما بالله إنه لهما لمن الناصحين، فأكلا منها فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ من النعيم ....

الملائكة: إشارة إلى الاستثناء المنقطع. **امتنع إلخ:** قالوا: لما سجد الملائكة امتنع إبليس، ولم يتوجه إلى آدم، بل ولّى ظهره، وانتصب هكذا إلى أن سجدوا، وبقوا في السجود مائة سنة، وقيل: خمسمائة سنة، وفي الخبر: قيل له من قبل الحق: "اسجد لقبر آدم أقبل توبتك وأغفر معصيتك، فقال: ما سجدت لقالبه وجثته، فكيف أسجد لقبره وميتته، وفي الخبر: أن الله تعالى يخرجه على رأس مائة ألف سنة من النار، ويخرج آدم من الجنة ويأمره بالسجود لآدم؛ فيأبى ثم رد إلى النار، من "روح البيان". **واستكبر:** عطف العلة على المعلول. **تكبر:** أفاد به أن السين للمبالغة لا للطلب. وإنما قدم الإباء عليه وإن كان متأخرا عنه في الترتيب؛ لأنه من أفعال الظاهرة بخلاف الاستكبار؛ فإنه من أفعال القلوب. (تفسير الكرخي)

في علم الله تعالى: كأنه قيل: إنه كان قبله عابدا طائعا، فأجاب عنه الشارح بقوله: "في علم الله". وإنما أول الآية بما ذكر؛ لأنه لم يكن كافرا قبل ذلك، ولم يصدر عنه ما يقتضيه، فالتعبير عنه بـــ"كان" باعتبار ما سبق في علمه سبحانه في الأزل بكفره فيما لا يزال، وقيل: "كان" بمعنى "صار". (تفسير الكمالين) **حواء:** سميت بها؛ لأنها أم كل حي. (تفسير الكمالين) **خلقها:** في الجنة أو قبل دخولها. (تفسير الكمالين) **لا حجر:** أي لا منع. (تفسير الكمالين) **وهي الحنطة:** قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعليه الأكثر.

أو غيرهما: أي اللوز أو الأترج أو النخلة أو التين. **فتكونا:** مسبب عن قوله: "ولا تقربا"، وتعبيره بعدم القرب منها كناية عن عدم الأكل، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾ (الإسراء:٣٢)، فالنهي عن القرب يستلزم النهي عن الفعل بالأولى. **أذهبهما:** فإن قلت: إبليس كان كافرا، والكافر لايدخل الجنة، فكيف دخل هو؟ قلت: دخول الجنة لإزلال ليس بلازم، ونصه في "البيضاوي" حيث قال: إن آدم وحواء دارا في الجنة للتمتع بها، فقربا من بابها، وكان إبليس إذ ذاك واقفا خارجه، فتكلم معهما بما كان سبباً في إخراجهما.

وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ إلى الأرض أي أنتما بما اشتملتما عليه من ذريتكما بَعْضُكُمْ بعض الذرية لِبَعْضٍ عَدُوٌّ من ظلم بعضهم بعضا وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ موضع قرار وَمَتَٰعٌ ما تمتعون به من نباتها إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ وقت انقضاء آجالكم فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ألهمه إياها، وفي قراءة: بنصب "آدم" ورفع "كلمات"، أي جاءته وهي: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ الآية، فدعا بها فَتَابَ عَلَيْهِ قبل توبته إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ على عباده ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ بهم. قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا من الجنة جَمِيعًا كرره؛ ....

لابن كثير

اهبطوا: خطاب لآدم وحواء، وجمع الضمير؛ لأنهما أصلا الجنس وكأنهما الجنس كله. وقال القرطبي في تفسيره: إن الصحيح في إهباطه وسكناه في الأرض ما قد ظهر من الحكمة الأزلية في ذلك، وهي نشر نسله فيها يكلفهم ويمتحنهم، ويترتب على ذلك ثوابهم وعقابهم الأخروي؛ إذ الجنة والنار ليستا بداري التكليف، فكانت تلك الأكلة سبب إهباطهما من الجنة فأخرجهما؛ لأنهما خلقا منها، وليكون آدم خليفة الله في الأرض، والله يفعل ما يشاء، وقد قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠)، وهذه منقبة عظيمة وفضيلة كريمة.

وسئل أبو مدين - قدس سره - عن خروج آدم من الجنة على وجه الأرض، ولم تعدى في أكل الشجرة بعد النهي، فقال: لو كان أبونا يعلم أنه يخرج من صلبه مثل محمد ﷺ لصار يأكل عرق الشجرة، فكيف ثمرها ليسارع في الخروج على وجه الأرض؛ ليظهر الكمال المحمدي والجمال الأحمدي. (روح البيان) قلت: لعله مع علمه بهذا أكل الشجرة. وأيضا قال سيدي وشيخي إمام الأولياء والأتقياء مولانا محمد إرشاد حسين - قدس سره -: كان سبب نزوله من الجنة دخول آلاف من الأمة؛ لأجل هذا أكل الشجرة.

بعضكم إلخ: هذه جملة من مبتدأ وخبر، وفيها قولان: أصحهما: أنها في محل نصب على الحال، أي اهبطوا متعادين، والثاني: أنها لامحل لها؛ لأنها مستأنفة، إخبار بالعداوة، وأفرد لفظ "عدو" وإن كان المراد به جمعا لأحد الوجهين: إما اعتبارا بلفظ "بعض"، فإنه مفرد، وإما لأن "عدوا" أشبه المصادر في الوزن كالقبول ونحوه، وقد صرح أبو البقاء بأن بعضهم جعل "عدوا" مصدرا. (حاشية الجمل) **فتلقى:** أي أخذ منه، يقال: تلقيت هذه الكلمة من فلان أي أخذتها منه. (تفسير الكمالين)

الآية: منصوب بفعل محذوف، هو: "أعني" أو "اقرأ"، أو مرفوع على أنه مبتدأ، وخبره محذوف، أي الآية مقروّة إلى آخرها، أو مجرور أي إلى مقطعها وتمامها: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف٢٣). (تفسير الكمالين) **كرره:** غرضه بهذا أن التكرير للتأكيد، وعبارة "المدارك": وكرر الأمر بالهبوط للتأكيد، أو لأن الهبوط الأول من الجنة إلى السماء، والثاني من السماء إلى الأرض، أو لما نيط به من زيادة قوله: "فإما يأتينكم".

ليعطف عليه فَإِمَّا فيه إدغام نون "إن" الشرطية في "ما" المزيدة يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى كتاب ورسول فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فآمن بي، وعمل بطاعتي **فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴿٣٨﴾ في الآخرة، بأن يدخلوا الجنة. وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ كتبنا أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ماكثون أبدا، لا يفنون ولا يخرجون. **يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ** أولاد يعقوب ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ أي على **آبائكم** من الإنجاء من فرعون، وفلق البحر، وتظليل الغمام وغير ذلك؛ **بأن تشكروها** بطاعتي وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ الذي عهدته إليكم من الإيمان بمحمد ﷺ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ الذي عهدته إليكم من الثواب عليه بدخول الجنة وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ خافون في ترك الوفاء به **دون غيري**. **وَءَامِنُوا۟** بِمَآ أَنزَلْتُ من القرآن مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ من التوراة بموافقته له ....

مبتدأ وخبر — متعلق بـ اذكروا — في التوراة والإنجيل

فلا خوف عليهم إلخ: عند الفزع الأكبر، وقوله: "ولا هم يحزنون في الآخرة" أي على ما فاتهم من الدنيا.

يا بني إسرائيل: ذكر سبحانه تعالى خطاب المكلفين عموما في أول السورة، ثم شرع بمبدأ خلق آدم وقصته مع إبليس، وثلّث بذكر بني إسرائيل، سواء كانوا في زمنه ﷺ أو قبله، وما يتعلق بهم من هنا إلى ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ (البقرة:١٤٢) ، فعدد عليهم نعما عشرة، وقبائح عشرة، وانتقامات عشرة.

والحكمة في ذكر بني إسرائيل الذين تقدموا قبل رسول الله ﷺ مع أنهم لم يخاطبوا بالإيمان برسول الله، أن من كان في زمنه ﷺ يدعي أنه على قدمهم وأنه متبع لهم، وأن أصولهم كانوا على شيء فلذلك تبعوهم، فبين سبحانه النعم التي أنعم بها على أصولهم، وأنهم قابلوها بالقبائح، وحكمة تخصيصهم بالخطاب أن السورة أول ما نزل بالمدينة، وأهل المدينة كان غالبهم يهود أو هم أصحاب كتاب، فإذا أسلموا وانقادوا انقاد جميع أتباعهم؛ فلذلك توجه الخطاب لهم. (حاشية الصاوي) **بني إسرائيل:** إسرائيل هو يعقوب عليه السلام، ومعناه في لسانهم: صفوة الله أو عبد الله، فـ"إسرا" هو العبد و"إيل" هو الله بالعبرية، وهو غير منصرف؛ لوجود العلمية والعجمة. (تفسير المدارك)

آبائكم: فإن نعمة الآباء نعمة على الأولاد.

بأن تشكروها: جواب عما قيل: اليهود أبدا يذكرون هذه النعمة، والجواب: أن المراد بذكر النعمة شكرها وإذا لم يشكروها حق الشكر، فإنهم نسوها وإن أكثروا ذكرها. (تفسير الكرخي) **دون غيري:** أخذ الحصر من تقديم المعمول، و"إياي" مفعول لمحذوف يفسره قوله: "فارهبون". وهذا في الحصر أبلغ من "إياك نعبد"؛ لأن "إياك" معمول لـ"نعبد"، وأما ههنا فهو معمول لمحذوف؛ لاستيفاء الفعل المذكور معموله، وهو الياء المذكورة أو المحذوفة تخفيفا، فهو في قوة تكرار الفعل مرتين. (حاشية الصاوي) **وآمنوا:** من عطف المسبب على السبب.

في التوحيد والنبوة ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾ **من أهل الكتاب**؛ لأن خلفكم تبع لكم؛ فإثمهم عليكم ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ﴾ **تستبدلوا** ﴿بِـَٔايَٰتِي﴾ التي في كتابكم من نعت محمد ﷺ ﴿ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ عوضا يسيرا **من الدنيا**، أي لا تكتموها خوف فوات ما تأخذونه من سفلتكم ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾ خافون في ذلك دون غيري. ﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ﴾ **تخلطوا** ﴿ٱلۡحَقَّ﴾ الذي أنزلت عليكم ﴿بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ الذي تفترونه ﴿وَ﴾ لا ﴿تَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ﴾ نعت محمد ﷺ ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ **أنه حق**.

في نسخة: تغيرونه

من أهل الكتاب: دفع به ما يقال: إن أول من كفر به مشركوا العرب بمكة قبل كفر اليهود به بالمدينة، فكيف جعلوا أول من كفر به؟ فأجاب بأن الأولية نسبية أي نسبة أهل الكتاب، ومفهوم الأولية معطل، كما قال في "الكرخي": ومفهوم الصفة غير مراد هنا، فلا يقال: إن المعنى "ولا تكونوا أول كافر به بل آخر كافر". وإنما ذكرت الأولية؛ لأنها أفحش لما فيها من الابتداء بالكفر، بل يجب أن تكونوا أول فوج مؤمن به؛ لأنكم أهل نظر في معجزاته، والعلم بشأنه، وأيضا أجاب الرازي في "تفسيره الكبير": أن لا تكونوا أول كافر به عند سماعكم بذكره، بل تثبتوا فيه وراجعوا عقولكم فيه.

والسؤال الثاني: أنه كان يجوز لهم الكفر إذا لم يكونوا أولا؟ والجواب من وجوه: أحدها أنه ليس في ذكر ذلك الشيء دلالة على أن ما عداه بخلافه، مثلا: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً﴾ لا يدل على إباحة ذلك بالثمن الكثير كذا ههنا، وثانيها: أن في قوله: ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ﴾ دلالة على أن كفرهم أولا وآخرا محظور.

تستبدلوا: فسر الشراء بذلك؛ لتعذر حقيقته ههنا، فإن الباء إنما تدخل على الثمن، فالشراء مجاز عن الاستبدال، إما باستعمال المقيد في المطلق أو لتشبيه الاستبدال المذكور في كونه مرغوبا فيه بالبيع والشراء. (تفسير الكمالين)

من الدنيا: في "المعالم": كانوا يأخذون كل عام شيئا معلوما من زروعهم ونقودهم، فخافوا إن يبينوا صفة محمد ﷺ وبايعوه، يفوتهم ذلك. (تفسير الكمالين) **تخلطوا:** أشار به إلى أن اللبس بالفتح مصدر لبس - بفتح الباء - أي خلط، والباء للإلصاق، كقولك: خلطت الماء باللبن فلا يتميز. (حاشية الجمل)

أنه حق: أي نبي مرسل، وهذه الآية وإن كانت خاصة لبني إسرائيل، فهي تناول من فعل فعلهم، فمن أخذ الرشوة على تغيير حق وإبطاله، أو امتنع من تعليم ما وجب عليه، أو أداء ما علمه، وقد تعين عليه حتى يأخذ عليه أجرا، فقد دخل في مقتضى الآية. قال رسول الله ﷺ: من تعلم علما لا يبتغي به وجه الله، ولا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة أي ريحها، فمن رهب وصاحب التقوى لا يأخذ على علمه عوضا ولا وصيته ونصيحته جعلا، بل يبين الحق ويصدع به ولا يلحقه بذلك خوف ولا فزع، قال رسول الله ﷺ: لا يمنعن هيبة أحدكم أن يقول أو يقوم بالحق حيث كان إلخ (روح البيان) واختلف العلماء في أخذ الأجرة على تعليم القرآن =

وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ **صلوا مع المصلين**، محمد ﷺ وأصحابه. **ونزل** في علمائهم، وقدكانوا يقولون لأقربائهم المسلمين: اثبتوا على دين محمد؛ فإنه حق أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ بالإيمان بمحمد ﷺ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ **تتركوها**، فلا تأمروها به وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ (اليهود) التوراة، وفيها الوعيد على مخالفة القول العمل أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ سوء فعلكم فترجعون، فجملة النسيان محل الاستفهام الإنكاري. وَٱسْتَعِينُوا۟ اطلبوا المعونة على أموركم بِٱلصَّبْرِ الحبس للنفس على ما تكره وَٱلصَّلَوٰةِ أفردها بالذكر تعظيما لشأنها، وفي الحديث: "كان ﷺ **إذا حزبه** (أهمه ونزل به) أمر بادر إلى الصلاة." وقيل: الخطاب لليهود، ....

= والعلم لهذه الآية: ﴿وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً﴾، والفتوى في هذا الزمان على جواز الاستيجار لتعليم القرآن والفقه وغيره؛ لئلا يضيع، قال ﷺ: "إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله"، والآية في حق من تعين عليه التعليم، فأبى حتى يأخذ عليه أجرا، فأما إذا لم يتعين فيجوز له أخذ الأجر، بدليل السنة في ذلك، وكذا يجوز للإمام والمؤذن وأمثالهما أخذ الأجرة. وفي "الدر المختار": ولا لأجل الطاعات مثل الأذان والحج والإمامة وتعليم القرآن والفقة، ويفتى اليوم بصحتها لتعليم القرآن والفقه والإمامة والأذان وفي "الهداية": وبعض مشايخنا استحسنوا الاستيجار على تعليم القرآن اليوم؛ لأنه ظهر التواني في الأمور الدينية، ففي الامتناع يضيع حفظ القرآن، وعليه الفتوى. وقال في "الكفاية": وكذا يفتى بجواز الإجارة على تعليم الفقه، وقال الإمام خيرازي: في زماننا يجوز للإمام والمؤذن والمعلم أخذ الأجرة، كذا في "الروضة". وبيع المصحف ليس بيع القرآن، بل هو مع الورق وعمل يدي الكاتب.

صلوا مع المصلين: أشار بذلك على أنه من باب تسمية الكل باسم جزئه، وآثر الركوع على غيره؛ لأنه لم يكن في شريعتهم، فكأنه قال: صلوا الصلاة ذات ركوع في جماعة. (حاشية الصاوي) **ونزل:** أخرجه الواحدي في أسباب النزول عن ابن عباس. (تفسير الكمالين) **بالبر:** البر جامع لجميع أنواع الخير، وخص عنها؛ لأن الإيمان بمحمد ﷺ أصل كل بر. **تتركونها:** عبر عن الترك بالنسيان؛ لأن نسيان الشيء يلزمه تركه، فهو من استعمال الملزوم في اللازم. **إذا حزبه:** [حزبه: بحاء مهملة وزاي مفتوحة وموحدة مخففة، ومعناه: أهمه ونزل به. (تفسير الكمالين)] أهمه، وفي "الصراح": أي أصابه. وفي "القاموس": حزبه الأمر من باب كتب: اشتد عليه أو ضغطه، وفي بعض النسخ حزنه أي جعله حزينا.

لما عاقهم عن الإيمان **الشرهُ** وحبُّ الرياسة، فأمروا بالصبر وهو الصوم؛ لأنه يكسر الشهوة، والصلاة؛ لأنها تورث الخشوع، وتنفي الكبر ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي **الصلاة** ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ ثقيلة ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝٤٥﴾ **الساكنين** إلى الطاعة، ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ **يوقنون** ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ **بالبعث** ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝٤٦﴾ في الآخرة فيجازيهم. ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ بالشكر عليها بطاعتي ﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ﴾ أي آباءكم ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٧﴾ **عالمي زمانهم**.

(منعهم) (الحرص) (على المؤمنين جميعا)

لما عاقهم: العوق: المنع، وقوله: "الشره" أي الحرص. **الصلاة:** أو المذكور من الإيمان والصبر والصلاة والاستعانة.
إلا على الخاشعين: استثناء مفرغ، وشرطه أن يسبق بنفي، فيؤول الكلام هنا بالنفي، أي وإنها لا تخف ولا تسهل إلا على الخاشعين. (حاشية الجمل) وإنما لم يثقل على الخاشعين ثقلها على غيرهم؛ لأن نفوسهم مرتاضة بأمثالها، متوقعة في مقابلتها الثواب الذي يستحقر لأجله مشاقها، ويستلذ بسببه متاعبها؛ ومن ثم قال ﷺ: "وجعلت قرة عيني في الصلاة". (تفسير البيضاوي)
الساكنين: أشار به إلى أن أصل الخشوع السكون، قال الله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ (طـه:١٠٨) فالخاشع ساكن إلى طاعة الله. (معالم التنزيل). وفي "الجمل": الساكنين أي مائلين، والخشوع: الإخبات والتطامن، والخضوع: اللين والانقياد؛ ولذلك يقال: الخشوع بالجوارح، والخضوع بالقلب. (تفسير البيضاوي)
يوقنون: إشارة إلى أن الظن هنا بمعنى اليقين، وهو كثير الاستعمال، وفي "المدارك" فسر "يظنون" بـ"يوقنون"؛ لقراءة عبد الله: "يعلمون" أي يعلمون أنه لا بد من لقاء الجزاء، ويعملون على حسب ذلك.
ملاقو ربهم: وهو رؤية الله تعالى، وقيل: المراد من اللقاء الصيرورة إليه. (معالم التنزيل) وقيل: هو الحشر إلى الله، فيحمل الملاقات على الحشر إلى الله، والرجوع على مطلق الجزاء، أو يحمل اللقاء على الرؤية، وحمل الرجوع إليه على الرجوع لنيل الثواب لا على النشور؛ فإنه يجب فيه اليقين ولا إلى المصير إلى الجزاء؛ فإنه أيضا يقيني، بل على المصير إلى الثواب؛ ليحمل المطلق على معناه الحقيقي. (تفسير الخفاجي) أو يحمل اللقاء على الرؤية، و الرجوع على مطلق الجزاء، فالمقصود من هذا التقرير اندفاع ما قيل، تقريره: ما فائدة بذكر الثاني مع أن ما قبله يغني عنه؟ وحاصل الاندفاع أن المعنى الأول مغاير للمعنى الثاني، فافهم.
بالبعث: إشارة إلى أن لقاء الله على الحقيقة ممتنع، لكن المجوزين لرؤية الله كما ورد بها الحديث متواترا فسروا الملاقاة واللقاء بالرؤية مجازا، والمانعون لها يفسرونها بما يناسب بالمقام، كلقاء ثوابه، أو الجزاء، أو العلم المحقق الشبيه بالمشاهدة والمعاينة. (حاشية الجمل ملخصا) **يا بني إسرائيل:** كرر النداء لطول الفصل.
عالمي زمانهم: أخرجه ابن جرير عن مجاهد وقتادة يعني: ليس المراد بالعالم جميع ما سوى الله؛ ليلزم تفضيلهم على هذه الأمة أمة محمد ﷺ، بل المراد بالعالم كل موجود سواه في ذلك الوقت، ولو سلم عمومه فلم يلزم منه التفضيل من جميع الوجوه. (تفسير الكمالين)

وَٱتَّقُواْ خافوا يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي **فيه** نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وهو يوم القيامة وَلَا يُقۡبَلُ **بالتاء والياء** مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ أي **ليس لها شفاعة** فتقبل، فما لنا من شافعين وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ فداء وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ يمنعون من عذاب الله. وَ اذكروا إِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم أي آباءكم، والخطاب به وبما بعده للموجودين في زمن نبينا ﷺ، أخبروا بما أنعم على آبائهم، تذكيرا لهم بنعمة الله تعالى؛ ليؤمنوا مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ يذيقونكم سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ أشده، والجملة حال من ضمير "نجيناكم" يُذَبِّحُونَ **بيان لما قبله** أَبۡنَآءَكُمۡ المولودين وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡ **يستبقون لقول بعض الكهنة** له: أنّ مولودا يولد في...

يوما: "يوما" هنا مفعول به؛ لأن الأمر بالتقوى لا يقع في يوم القيامة، والتقدير: اتقوا عذاب يوم، أو نحو ذلك. (تفسير أبي البقاء) **لا تجزي فيه نفس:** أي لا تقتضي أو لا تغني ، وعبارة "البيضاوي": لا تقتضي عنهما شيئا من الحقوق أو شيئا من الجزاء، فيكون نصبه على المصدر، وقرئ: "لا تجزئ" من أجزأ عنه إذا أغنى عنه، وعلى هذا تعين أن يكون مصدرا، والجملة صفة لـــ"يوم"، والعائد منها محذوف، تقديره: لا يجزي فيه، وإليه أشار الشارح بقوله: "فيه". والنفس الأولى هي المؤمنة، والثانية هي الكافرة.

عن نفس: متعلق بـــ"تجزي"، و"نفس" فاعل "تجزي"، وهو بمعنى تغني أي لا تغني نفس مؤمنة عن نفس كافرة شيئا من عذاب الله، وأما قوله ﷺ: يحشر المرأ مع من أحب، أي إذا كان المحب مؤمنا، والأصول لا تنفع الفروع إلا إذا كان مع الفروع إيمان، قال تعالى: ﴿أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ (الطور:٢١). (حاشية الصاوي)

بالتاء والياء: الفوقية لابن كثير وأبي عمرو "والياء" التحية للباقين. (تفسير الكمالين) **ليس لها شفاعة فتقبل:** معناها أن النفس الكافرة ليس لها شفاعة أصلا، فضلا عن قبولها، ويحتمل أن معناه: أن النفس المؤمنة ليس لها شفاعة في الكافر. (حاشية الجمل) **بيان لما قبله:** [أي لــ "يسومونكم"، لذلك ترك العاطف.] أي لبعض ما قبله؛ فإنهم كانوا يعذبون بأنواع العذاب فكانوا يخدمون أقوياء بني إسرائيل في قطع الحجر والحديد والبناء وضرب الطوب وغير ذلك، وكان نساؤهم يغزلن الكتان لهم وينسجنه، وضعفائهم يضربون عليهم الجزية، وإنما قلنا: "لبعض ما قبله"؛ لأن ذبح الأولاد وما ذكر معه ليس هو عين أشد العذاب بل بعضه. (حاشية الصاوي)

يستبقون: أي يتركونهن باقية للخدمة، أو لعدم الغرض في قتلهن. وقيل: الاستحياء الاسترقاق، وقيل: يفتشون حياء النساء، وينظرون هل لهن حبل، والحياء بالكسر: الفرج. (تفسير الكمالين)

لقول بعض الكهنة: أي في جواب سؤاله لما سألهم عما رآه في النوم: وهو أن نارا أقبلت من بيت المقدس وأحاطت بمصر وأحرقت كل قبطي بها، ولم تتعرض لبني إسرائيل، فشق عليه ذلك، فسأل الكهنة، فقالوا له ما ذكر، فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني إسرائيل، حتى قتل من أولادهم اثني عشر ألفا. (حاشية الجمل)

بني إسرائيل يكون سببا لذهاب ملككِ وَفِي ذَٰلِكُم العذاب أو الإنجاء بَلَآءٌ **ابتلاء**، أو إنعام مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَ اذكروا إِذْ فَرَقْنَا فلقنا بِكُمُ **بسببكم** ٱلْبَحْرَ حتى دخلتموه هاربين من عدوكم فَأَنجَيْنَٰكُمْ من الغرق وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ **قومه** معه وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ إلى انطباق البحر عليهم. وَإِذْ وَٰعَدْنَا بألف ودونها **مُوسَىٰٓ** أَرْبَعِينَ لَيْلَةً نعطيه عند انقضائها التوراة؛ لتعملوا بها ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ الذي صاغه لكم **السامري** إلها مِنۢ بَعْدِهِۦ أي بعد ذهابه إلى ميعادنا وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ باتخاذه؛ لوضعكم العبادة في غير محلها ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم محونا ذنوبكم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ الاتخاذ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ نعمتنا عليكم. وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ التوراة وَٱلْفُرْقَانَ عطف تفسير أي الفارق بين الحق والباطل، والحلال والحرام لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ به من الضلال. وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ الذين عبدوا العجل يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ إلها

ابتلاء: راجع للعذاب، وقوله: "إنعام" راجع للإنجاء، فهو لف ونشر مرتب، والبلاء والإنجاء من الأضداد. (حاشية الصاوي والكمالين) **بسببكم:** بسبب إنجاءكم، والباء للسببية والمضاف محذوف. **قومه:** اقتصر في الآية بذكرهم بأنه كان أولى. **واعدنا:** من المفاعلة للأكثر، ولأبي عمرو من الثلاثي. **موسى:** "مو" بالعبرانية الماء و"شى" بمعنى الشجر، فقلبت الشين المعجمة سينا في العربية، وإنما سمي به؛ لأن أمه جعلته في التابوت حين خافت عليه من فرعون، وألقته في البحر فدفعته أمواج البحر، حتى أدخلته بين أشجار عند بيت فرعون، فخرجت جواري آسية – امرأة فرعون – يغسلن، فوجدن التابوت، فأخذنه، فسمي ﷺ باسم المكان الذي أصيب به وهو الماء والشجر. (روح البيان، ١/١٧٤) **السامري:** اسمه؛ موسى كان ولد الزنا، ولدته أمه في الجبل، وتركته لخوفها من قومها، فرباه جبرئيل، وكان يستقيه من إصبعه لبنا، فصار يعرف جبرئيل، ويعرف أن أثر حافر فرس جبرئيل إذا وضع على ميت يحيى، فاستعار حليا منهم، وصاغه عجلا، ووضع التراب في أنفه وفمه؛ فصار له خوار، وكان السامري منافقا من بني إسرائيل، فعكفوا على عبادته جميعا إلا اثني عشر ألفا، قال بعضهم:

إذا المرء لم يخلق سعيدا من الأزل فقد خاب من ربى وخاب المؤمل

فموسى الذي رباه جبريل كافر وموسى الذي رباه فرعون مرسل (حاشية الصاوي)

فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ خالقكم من عبادته فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أي **ليقتل البريء** منكم المجرم ذَٰلِكُمۡ **القتل** خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فوفقكم **لفعل ذلك**، وأرسل عليكم سحابة **سوداء**؛ لئلا يبصر بعضكم بعضا؛ فيرحمه، حتى قتل منكم **نحو سبعين ألفا** فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ قَبِل توبتكم إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ **وقد خرجتم** مع موسى؛ لتعتذروا إلى الله من عبادة العجل، **وسمعتم كلامه** يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ

من الذنب — هذا بيان لتوبتهم — أعطاكم التوفيق — في يوم واحد

إلى بارئكم: قال في "التفسير الكبير": التوبة لا يكون إلا للبارئ فما معنى "فتوبوا إلى بارئكم"؟ والجواب: المراد منه النهي عن الريا في التوبة. **ليقتل البريء إلخ:** ورد أنهم أمروا جميعا بالاحتباء، فصار الواحد منهم يقتل أخاه أو ابنه فشق عليهم ذلك، فشكوا لموسى عليه السلام، فتضرع موسى لربه، فأرسل عليهم سحابة سوداء مظلمة كما قال المفسر. **ذلكم القتل:** إشارة إلى المصدر المفهوم من "فاقتلوا".

لفعل ذلك: أي القتل، يشير بذلك الكلام إلى أن الفاء في قوله: "فتاب عليكم" فصيحة، وهي: الفاء التي تدل على أن ما بعدها متعلق بمحذوف هو سبب لما بعدها، قاله "الطيبي". (تفسير الكمالين)

سوداء: روي أن الرجل كان يبصر ولده ووالده فلم يمكنه المضي لأمر الله، فأرسل سحابة لا يتباصرون تحتها، وأمروا أن يحتبوا بأفنية بيوتهم، ويأخذوا الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم، وقيل لهم: اصبروا، فلعن الله من مد طرفه، أو حل حبوته، أو اتقى بيد أو رجل، فيقولون: آمين، فقتلوهم إلى المساء. (تفسير الكمالين)

نحو سبعين ألفا: حتى دعا موسى وهارون، فقال: يا رب، هلكت بنو إسرائيل، البقيةَ البقيةَ، فانكشفت السحابة ونزلت التوبة. (تفسير الكمالين) **فتاب عليكم:** أي لما تضرع موسى وهارون وبكيا، فأرسل الله جبرئيل يأمرهم بالكف عن الباقي، وأخبرهم أن الله قبل توبة من قتل ومن لم يقتل، وقوله: "فتاب عليكم" الفاء سببية مرتب على محذوف، قدره المفسر بقوله: "فوفقكم بفعل ذلك إلخ"، وقوله: حتى قتل منكم نحو سبعين ألفا أي في يوم واحد. (حاشية الصاوي)

وقد خرجتم إلخ: بيان للسبب، وحاصل ذلك: أنه بعد قبول توبتهم أوحى الله إلى موسى أن خذ من قومك سبعين رجلا ممن لم يعبدوا العجل، ومُرهم بطهارة الثياب والأبدان والذهاب معك إلى جبل الطور؛ ليعتذروا عمن عبدوا العجل، ويستغفروا ويتوبوا، فاختارهم، وذهبوا معه إلى جبل الطور؛ فسمعوا كلام الله، ورد أن الله قال لهم: "إني أنا الله لا إله إلا أنا، أخرجتكم من أرض مصر بيد شديدة، فاعبدوني ولا تعبدوا غيري"، قالوا: يا موسى! لن نؤمن لك إلخ. (حاشية الصاوي) **وسمعتم كلامه:** كذا روى البغوي عن السدي. (تفسير الكمالين)

لن نؤمن: وأورد عليه أن الإيمان يعدّى بنفسه أو بالباء لا باللام؟ وأجيب بأن اللام للتعليل لا للتعدية أي لن نؤمن؛ لأجل قولك. (من تفسير أبي السعود)

جَهْرَةً عيانا ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ﴾ **الصيحة**، فمتم ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ ما حل بكم. ﴿ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم﴾ أحييناكم ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ يوما وليلة ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ نعمتنا بذلك. ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ بشفاعة موسى سترناكم بالسحاب الرقيق الحقيقي من حر الشمس **في التيه** ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ﴾ فيه ﴿ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ **هما الترنجبين والطير السُماني** - بتخفيف الميم والقصر- **وقلنا:** ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ﴾ شيء يشبه العسل الأبيض ولا تدّخروا، فكفروا النعمة وادَّخروا، فقطع منهم ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ **بذلك** ﴿وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ **لأن وباله عليهم**. ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ لهم بعد خروجهم من التيه ﴿ٱدْخُلُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس أو **أريحا** ﴿فَكُلُوا۟﴾ ....

الصيحة: أي صيحة جبريل، كذا رواه ابن جرير عن ربيع بن أنس، وقيل: نزل من السماء نار فأحرقتهم، رواه ابن جرير عن السُدّي. (تفسير الكمالين) **في التيه:** وهو واد بين الشام ومصر، وقدره تسعة فراسخ، مكثوا فيه أربعين سنة متحيرين لا يهتدون إلى الخروج منه، وسبب ذلك مخالفتهم أمر الله تعالى بقتال الجبارين الذين كانوا بالشام حيث امتنعوا من القتال، فقالوا: يا موسى، ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا﴾، كما سيأتي بسطه في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ (المائدة:٢١)، وكان عدد بني إسرائيل الذين تاهوا فيه ستمائة ألف، وماتوا كلهم في التيه إلا من لم يبلغ العشرين ومات فيه موسى وهارون. (تفسير الجمالين)

هما الترنجبين إلخ: بفتح الراء وتسكين النون، كان أبيض مثل الثلج، كالشهد المعجون بالسمن إلخ. (روح البيان) والسلوى: طائر يشبه السماني أصغر من العصفور وأكبر من الحمامة. (تفسير حسيني) ويقال له: لوي. (من أستاذي) **والطير السماني:** بإرسال ريح الجنوب. قيل: كان يأتيهم مطبوخا، وقيل: كانوا يطبخونه بأيديهم، قيل: هو الطير المعروف، وقيل: طير يشبهه. (حاشية الصاوي)

وقلنا: يشير بتقدير القول إلى أنه معطوف على قوله: "وأنزلنا". (تفسير الكمالين) **بذلك:** أي بادخار بعد النهي عنه. **لأن وباله عليهم:** بأن قطع مادة الرزق الذي كان يعول عليهم بلا مؤونة في الدنيا، ولا حساب في العقبى، فرفع ذلك عنهم؛ لعدم توكلهم على الله، ويأخذ كل إنسان كفاية ويذبح إلا يوم الجمعة، يأخذ ليومين؛ لأنه لم يكن ينزل يوم السبت؛ لأنه كان يوم عبادتهم، فإن أخذ أكثر من ذلك دوّد وفسد. (روح البيان) قال في "الأشباه والنظائر": الطعام إذا تغير واشتد تغيره تنجس وحرم، واللبن والسمن إذا انتنّ لا يحرم أكله.

أريحا: قرية قريب من بيت المقدس. (تفسير الكمالين) **فكلوا:** أتى بالفاء؛ لأن الأكل منها إنما يكون بعد الدخول، فحسن الترتيب، ولم يأت بالفاء في "الأعراف"، بل أتى بالواو؛ لتعبيره هناك بـــ "اسكنوا" وهو يجامع الأكل فلم يحصل بينهما ترتيب، فلذا أتى بالواو، بخلاف الدخول، فيعقبه الأكل عادة، فلذلك أتى بالفاء. (حاشية الصاوي)

مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا واسعا لا حجر فيه وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ أي بابها سُجَّدًا منحنين راكعين وَقُولُوا۟ مسألتنا حِطَّةٌ فعلة من الحط كالجلسة أي أن تحط عنا خطايانا نَّغْفِرْ مجزوم في جواب أمر وفي قراءة بالياء والتاء مبنيا للمفعول فيهما لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بالطاعة ثوابا. فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ منهم قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فقالوا: "حبة في شعرة" وفي نسخة: شعيرة، ودخلوا يزحفون على أستاههم أدبارهم فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فيه وضع الظاهر موضع المضمر؛ مبالغة في تقبيح شأنهم رِجْزًا عذابا، طاعونا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ بسبب فسقهم أي خروجهم عن الطاعة، فهلك منهم في ساعة سبعون ألفا أو أقل يعني أربعة وعشرون ألفا. وَ اذكر إِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ أي طلب السقيا لِقَوْمِهِۦ وقد عطشوا في التيه فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ

سجدا: شكرا لله على ما أنعم به عليهم من الفتح وأنقذهم من التيه. (تفسير الكمالين) **منحنين:** أشار إلى أن "سجدا" نصبه على الحال أي متواضعين. (تفسير الكرخي) **مسألتنا إلخ:** أي الذي نسأله حطة وهي كلمة استغفار عندهم معناها: اغفر خطايانا. **مبنيا للمفعول:** متعلق بكلا القراءتين وقراءة الباقين بالنون كما هو متن التفسير. (تفسير الكمالين) **منهم:** أشار به إلى أن المبدلين كانوا بعضهم لا كلهم. وبدلوا الفعل أيضا كما بدلوا القول بدليل قوله: "ودخلوا يزحفون إلخ"، لكن خص القول؛ لأن المقصود بالذات من الأمر كان هو القول؛ فخالفوا القول والفعل معه أيضا ترقيا على الظلم.

قولا: وفعلا، ففيه اكتفاء على حد ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ (النحل:٨١) أي والبرد، أو المراد بالقول: الأمر الإلهي، وهو يشتمل القول والفعل كأنه قال: فبدل الذين ظلموا أمرا غير الذي أمروا به. (حاشية الصاوي)

يزحفون على أستاههم: أي يمشون على أدبارهم، وفي "المصباح": الإست العجزة، ويراد به حلقة الدبر، وأستاه جمع سته. **مبالغة في تقبيح شأنهم:** أشار به إلى أن وضع الظاهر موضع المضمر يكون لفوائد. ويقدّر في كل موضع بما يناسبه، تعظيما، كقوله: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ﴾ (المجادلة: ٢٢)، أو تحقيرا كقوله: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ﴾ (المجادلة: ١٩) أو إزالة لبس أو غير ذلك كما هو مبسوط في "الإتقان".

طاعونا: وهو الوباء كما في "القاموس"، وسببه فساد الأمزجة والأبدان أو فساد الريح أو طعن الجن، على اختلاف الأقوال. وفي رواية: أرسلت عليهم نار من السماء. (التفسير الحسيني) وخص الشارح الرجز بالطاعون بالحديث. **بسبب فسقهم:** أشار به إلى أن الباء سببية و"ما" مصدرية.

وهو الذي فر بثوبه، خفيف **مربع** كرأس رجل رخام أو كذان **فضربه** فَٱنفَجَرَتْ انشقت، وسالت مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا **بعدد الأسباط** قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ سبط منهم مَّشْرَبَهُمْ موضع شربهم؛ فلا يشركهم فيه غيرهم، وقلنا لهم: كُلُوا وَٱشْرَبُوا مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ **حال مؤكدة لعاملها** من عثي - بكسر المثلثة - أفسد وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ **أي نوع منه** وَٰحِدٍ ....

خبر بعد خبر لـ"هو" صلى — وفي نسخة: الرجل — كغراب: حجر أبيض — جمع سبط وهو ولد الولد

وهو الذي إلخ: أو اللام للجنس أي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر، وهذا أظهر في الحجة وأبين في القدرة. (تفسير المدارك) **وهو الذي فرّ بثوبه:** أي حين رموه بالأدرة -وهي انتفاخ الخصية- وكان بنو إسرائيل لا يبالون بكشف العورة، فأراد موسى عليه السلام الغسل، فوضع ثوبه على ذلك الحجر، ففر بذلك الثوب، فخرج موسى عليه السلام من الماء، وقال: ثوبي حجر، فنظر بنو إسرائيل لعورته، فلم يروه كما ظنوا، قال تعالى: ﴿فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ (الأحزاب: ٦٩). وهذا الحجر قيل: أخذ - وهو والعصا - من شعيب، وقيل: إن الحجر أخذه عن وقت فراره، وكان طوله ذراعا وعرضه كذلك، وله جهات أربع، في كل جهة ثلاثة أعين، فكان يضربه بالعصا عند طلب السقيا، فتخرج منها اثنتا عشرة عينا بعدد فرَق بني إسرائيل، وكانت العصا من الجنة، خرجت مع آدم مع عدة أشياء. فر بثوبه: أي لما وضعه عليه؛ ليغتسله عاريا، وبرأه الله تعالى به عما رموه من الأدرة، فأشار إليه جبرئيل بحمله. (تفسير البيضاوي) **مربع:** له أربعة أوجه أي جوانب، وكان ذراعا في ذراع.

فضربه: أشار به إلى أن قوله: "فانفجرت" جملة معطوفة بالفاء الفصيحة، على جملة محذوفة أي فامتثل الأمر فضربه، ويدل عليها وجود الانفجار مرتبا على ضربه؛ إذ لو كان ينفجر بدون ضرب لم يكن للأمر فائدة (تفسير الكرخي) وقال بعض العلماء: والنكتة المختصة لهذا الحذف، الدلالة على أن المأمور لم يتوقف في اتباع الأمر، وأن المطلوب من المأمور الانفجار لا الضرب، والإيماء إلى أن السبب الأصلي هو أمره لا فعل موسى عليه السلام.

بعدد الأسباط: وكانوا ستمائة ألف، وسعة العسكر اثنا عشر ميلا. (تفسير المدارك) والأسباط جمع سبط، وهو القبيلة، وسبب تفرقهم اثنا عشر أن أولاد يعقوب عليه السلام كانوا كذلك، فكل سبط ينتمي لواحد منهم.

حال مؤكدة لعاملها: أي لأن معناها قد فهم من عاملها، وحسن ذلك اختلاف اللفظين، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ (التوبة: ٢٥). (تفسير الكرخي) **أي نوع منه:** جواب عما يقال: إن الطعام كان قسمين، فكيف وصفه بالوحدة؟ وحاصله: أنه وصف بها باعتبار كونه نوعا واحدا؛ لأنهما معا طعام أهل التلذذ. (من البيضاوي) وقال عبد الرحمان بن زيد بن أسلم: كانوا يعجنون المن بالسلوى فيصيران واحدا. (معالم التنزيل) أو باعتبار أنه لا يتبدّل. (تفسير المدارك)

وهو **المن** والسلوى ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا﴾ **شيئا** ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ﴾ للبيان ﴿بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا﴾ حنطتها ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ﴾ لهم موسى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ﴾ **أخس** ﴿بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ﴾ أشرف أي تأخذونه بدله. والهمزة للإنكار، فأبوا أن يرجعوا، فدعا الله تعالى، فقال تعالى: ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ انزلوا ﴿مِصْرًا﴾ من الأمصار ﴿فَإِنَّ لَكُم﴾ فيه ﴿مَّا سَأَلْتُمْ ۗ﴾ من النبات ﴿وَضُرِبَتْ﴾ جعلت ﴿عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ الذل والهوان ﴿وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ أي **أثر الفقر** من السكون والخزي؛ **فهي** لازمة لهم وإن كانوا أغنياء **لزوم الدرهم** المضروب لسكته ﴿وَبَآءُو﴾ رجعوا ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ﴾ أي الضرب والغضب ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم ﴿كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ كـ"زكريا ويحيى" ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ﴾ أي ظلما ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ يتجاوزون الحد في المعاصي، ....

"من" للتبعيض — أو الله

وهو المن إلخ: عدا طعاما واحدا باعتبار أنها لا يختلف ولا يتبدل، أو باعتبار أنها من نوع واحد، أي مما رزقوا به في التيه، وقيل: إنهم كانوا يطبخونها فيصيران طعاما واحدا. **شيئا:** يشير إلى أن "من" للتبعيض، والمفعول مقدر. (تفسير الكمالين) **أخس:** أصل الدنو القرب في المكان، فاستعير للخسة، كما استعير البعد في الشرف والرفعة. فقيل: بعيد المحل، بعيد الهمة. **اهبطوا:** يقال: هبط الوادي إذا نزل به، وهبط منه إذا خرج منه. (القاموس)

أثر الفقر: أي القلبي ولو كثرت أمواله. (حاشية الصاوي) **فهي:** أي "المسكنة"، ولما كانت متحدة مع الذلة في المعنى أفرد الضمير، أو المراد كل منهما، أو التي ذكر. (تفسير الكمالين) **لزوم الدرهم إلخ:** هذه العبارة مقلوبة، وحقها أن يقول: لزوم السكة للدرهم المضروب، والكلام على حذف المضاف أي لزوم أثر السكة، وأثرها: هو النقش الحاصل من طبعها على الدرهم. وفي "المصباح": والسكة - بالكسر - حديدة منقوشة تطبع بها الدراهم والدنانير، والجمع سكك مثل: سدرة وسدر. (حاشية الجمل)

ويقتلون النبيين إلخ: روي أن اليهود قتلت سبعين نبيا في أول النهار، ولم يبالوا ولم يغتموا حتى قاموا في آخر النهار يتسوقون مصالحهم، وقتلوا زكريا ويحيى وشعياء وغيرهم من الأنبياء. (حاشية الجمل)

بغير الحق: فإن قلت: قتل الأنبياء لا يكون إلا بغير الحق، فما الفائدة بذكره؟ قلت: معناه أنهم قتلوهم بغير حق عندهم؛ لأنهم لم يقتلوا ولا أفسدوا في الأرض، فيقتلوا، وإنما نصحوهم ودعوهم إلى ما ينفعهم فقتلوهم، فلو سئلوا وأنصفوا من أنفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم. (تفسير الكشاف)

وكرره للتأكيد. **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ** بالأنبياء **من قبل** **وَٱلَّذِينَ هَادُواْ** هم اليهود **وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ** **طائفة** من اليهود، **أو النصارى** **مَنْ ءَامَنَ** منهم **بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ** **في زمن نبينا** **وَعَمِلَ صَٰلِحًا** بشريعته **فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ** أي ثواب أعمالهم **عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴿٦٢﴾ روعي في ضمير "آمن"، و"عمل" لفظ "من"، وفيما بعده معناها **وَ** اذكروا **إِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ** عهدكم بالعمل بما في التوراة

وكرره: أي كرر اسم الإشارة وهو لفظ "ذلك". **إن الذين آمنوا:** هذه الآية معترضة بين قصص بني إسرائيل.
من قبل: لما لم يكن يستقيم قوله: "من آمن بالله" بعد قوله: "إن الذين آمنوا"؛ فإن ذلك يقتضي المغائرة، اختلفوا في تأويله، فقال المفسر: الذين آمنوا بالأنبياء السابقين على موسى أو مطلقا، فيكون ذكر اليهود والنصارى تخصيصا بعد تعميم. وقال الزمخشري: الذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطاة القلب وهم المنافقون، وقال البغوي: إنهم هم الذين آمنوا قبل البعث، وهم طلاب الدين مثل: حبيب النجار وزيد بن عمرو بن نفيل، ويمكن أن يرجع كلام المفسر إلى ذلك أي الذين آمنوا بالأنبياء من قبل نبوتهم. (تفسير الكمالين)
هادوا: من هاد إذا رجع، سموا به لرجوعهم من عبادة العجل. **طائفة:** واقتصر الشيخ المحلي في سورة الحج على أنهم من اليهود، وقال المفسر: وإنما زدت "أو النصارى"، وعن قتادة: قوم يعبدون الملائكة فيقرؤون الزبور ويصلون إلى الكعبة، وقيل: عبدة الكواكب. (تفسير الكمالين)
أو النصارى: هو جمع نصران، يقل: رجل نصران وامرأة نصرانة، والياء في النصراني للمبالغة، سموا بذلك؛ لأنهم نصروا المسيح، والصابئين جمع صابئ، وهو من صبأ إذا خرج من الدين، وهم قوم عدلوا عن دين اليهود والنصرانية وعبدوا الملائكة. (كشاف) واليهود: إما عربي من هاد إذا تاب، سموا بذلك، لما تابوا عن عبادة العجل، وإما معرب يهوذا، والذال أبدل بالدال المهملة كعادة التعريب به، كأنهم سموا باسم أكبر أولاد يعقوب عليه السلام. (البيضاوي)
من آمن إلخ: من موضع مبتدأ والخبر "آمن"، والجواب "فلهم أجرهم"، والجملة خبر إن الذين، والعائد محذوف، تقديره: من آمن منهم. (تفسير أبي البقاء)
في زمن نبينا: جواب عما يقال: كيف قال في أول الآية: إن الذين آمنوا، وقال في آخرها: من آمن بالله، فما وجه التعميم ثم التخصيص؟ وحاصل الجواب: أنه أراد إن الذين آمنوا على التحقيق في زمن الفترة مثل حبيب النجار وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل وبحيرا الراهب ووفد النجاشي وسلمان الفارسي و غيرهم، فمنهم من أدرك ﷺ وتابعه، ومنهم من لم يدركه، فكأنه قال: إن الذين آمنوا قبل بعثة محمد ﷺ والذين كانوا على الدين الباطل من اليهود والنصارى والصابئين، من آمن منهم بالله واليوم الآخر وبمحمد ﷺ في زمنه أيضا، فلهم أجرهم.

وَ قد رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ **الجبل، اقتلعناه** من أصله عليكم لما أبيتم **قبولها وقلنا:** خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ بجد واجتهاد وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ بالعمل به لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ النار أو المعاصي. ثُمَّ تَوَلَّيْتُم أعرضتم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ الميثاق عن الطاعة فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لكم بالتوبة أو تأخير العذاب لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ الهالكين وَلَقَدْ لام قسم عَلِمْتُمُ **عرفتم** ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ تجاوزوا الحد مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ بصيد السمك وقد نهيناهم عنه، **وهم أهل أيلة** ....

الجملة حال بتقدير"قد" — متعلق بـــ أعرضتم — يدل على قسم محذوف — متعلق بـــ"تجاوزوا" — بلد بين مدين والطور

وقد رفعنا: أشار به أن الجملة في محل نصب على الحالية. (تفسير الكرخي)، والطور يطلق على أي جبل كان، كما في "القاموس"، وفي "روح البيان": الطور: هو الجبل بالسريانية. **الجبل:** اللام للعهد أي الطور المعروف، وقيل: الجبل من الجبال، فاللام للعهد الذهني. (تفسير الكمالين) **اقتلعناه:** الاقتلاع: انتزاع الشيء من أصله. فأمر الله تعالى جبرئيل عليه السلام فقلعه من أصله ورفعه؛ فظلله فوقهم. (تفسير المدارك)

قبولها: أي قبول التوراة، وكان الجبل على قدر عسكرهم فرسخا في فرسخ، فرفع فوق رؤوسهم قدر قامة الرجل. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن موسى جاءهم بالألواح فرأوا ما فيها من الأمور الشاقة فكبرت عليهم، وأبوا قبولها؛ فأمر جبرئيل بقلع الطور من أصله ورفعه فظلله فوقهم، وقال لهم: أن قبلتم وإلا ألقي عليكم حتى قبلوا. لا يقال: إنه إلجاء فيمنع التكليف؛ لأنا نقول: إنه إكراه وهو معدم للرضا لا للاختيار، وأما قوله: لا إكراه في الدين، فقد كان قبل الأمر بالقتال، وقيل: كان يكفي في الأمم السابقة مثل هذا الإيمان. (تفسير الكمالين)

وقلنا خذوا إلخ: [عطف على "رفعنا" فهو حال مثله]أشار به إلى أن "خذوا" في محل نصب بالقول المضمر، والقول المضمر في محل نصب على الحال من فاعل "رفعنا"، والتقدير: ورفعنا الطور قائلين، و"ما آتيناكم" مفعول "خذوا" وقوله: "بقوة" حال مقدرة والمعنى: خذوا الذي آتيناكموه حال كونكم عازمين على الجد بالعمل. (تفسير الكرخي)

عرفتم: فسر العلم بالمعرفة؛ لتعديته إلى مفعول واحد. **وهم أهل أيلة:** حاصله: أن سبعين ألفا من قوم داود كانوا بقرية أيلة عند العقبة في أرغد عيش، فامتحنهم الله بأن حرم عليهم اصطياد السمك يوم السبت، وأحل لهم باقي الجمعة، فإذا كان يوم السبت وجدوا السمك بكثرة على وجه الماء، وفي باقيها لم يجدوا شيئا، ثم أن إبليس علمهم حيلة يصطادون بها، فقال لهم: اصنعوا جداول حول البحر، فإذا جاء السمك ونزل في الجداول فسدوا عليه وأخذوه في غير يوم السبت، فافترقوا ثلاث فرق: فاثنا عشر ألفا فعلوا ذلك، واصطادوا وأكلوا؛ فمسخوا قردة، ومكثوا ثلاثة أيام ثم ماتوا، وفرقة نهوهم وجعلوا بينهم سدا، وفرقة أنكروا بقلوبهم و لم يتعرضوا لهم؛ فمن نهى نجا، وكذا من لم ينه على المعتمد.

فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ مبعدين، فكانوها وهلكوا بعد **ثلاثة أيام** فَجَعَلْنَاهَا أي تلك العقوبة نَكَالًا عبرة، مانعة من ارتكاب مثل ما عملوا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا أي للأمم التي في زمانها وبعدها وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ الله، وخصوا بالذكر؛ لأنهم المنتفعون بها بخلاف غيرهم. وَ اذكرإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ وقد قتل لهم **قتيل**، اسمه عاميل لا يدرى قاتله، وسألوه أن يدعو الله أن يبينه لهم، فدعاه إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً موسى قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا **مهزوءا بنا** حيث تجيبنا **بمثل ذلك** قَالَ أَعُوذُ أمتنع بِاللَّهِ من أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ **المستهزئين** فلما علموا أنه عزم قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ أي **ما سنها**؟ قَالَ موسى: إِنَّهُ أي الله يقول: إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ مسنة وَلَا بِكْرٌ صغيرة عَوَانٌ **نصف** بَيْنَ ذَٰلِكَ **المذكور** من السنين فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ به من ذبحها......... بيان لـ"ما"

ثلاثة أيام: ولا يكون للممسوخ نسل، كما في حديث عند مسلم. (تفسير الكمالين) **نكالا**: هو في الأصل قيد الحديد، أطلق وأريد لازمه وهو المنع؛ لأن المقيد ممنوع، فكذا تلك العقوبة مانعة. (حاشية الصاوي)
قتيل: كان في بني إسرائيل شيخ موسر فقتله بنو أخيه، وفي رواية: بنو عمه، طمعا في ميراثه وطرحوا على باب المدينة، ثم جاؤوا طالبين دمه. (تفسير الكمالين) **مهزوءا بنا**: أشار بذلك إلى أنه مصدر بمعنى اسم المفعول، ويصح أن يبقى على مصدرية مبالغة، أو على حذف مضاف أي ذوي هزء على حد ما قيل في زيد عدل، والهزؤ هو الكلام الساقط الذي لا معنى له.
بمثل ذلك: أي لأن سؤالنا عن أمر القتيل، وأنت تأمرنا بذبح بقرة. **المستهزئين**: لأن الهزء في أثناء تبليغ أمر الله جهل وسفه. (روح البيان) **ما سنّها**: أي حالتها وصفتها، وفيه إشارة إلى أن "ما" يسأل بها الجنس والحقيقة غالبا، والمراد هنا: السؤال عن صفة البقرة لا عن حقيقتها؛ لأن حقيقة البقرة معروفة. وعبارة "المدارك": قوله: "ما هي" سؤال عن حالها وصفتها؛ لأنهم كانوا عالمين بماهيتها؛ لأن "ما" وإن كانت سؤالا عن الجنس، و"كيف" عن الوصف، ولكن قد تقع "ما" موقع "كيف". **فارض**: من الفرض، وهو القطع، كأنها فرضت منها أي قطعتها وبلغت آخرها. (تفسير الكمالين) **نصف**: بفتح النون والصاد، المرأة بين الحديثة والمسنة. (تفسير الكمالين)
المذكور: من الفارض والبكر؛ ولذا أضيف إليه البين فإنه لا يضاف إلا إلى متعدد. (تفسير الكمالين)
ما تؤمرون: إشارة إلى أن "ما" موصولة والعائد محذوف، وأن حذف الجار قد شاع في هذا الفعل، من "الخفاجي".

قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا شديد الصفرة تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ إليها بحسنها أي تعجبهم قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ أسائمة أم عاملة؟ إِنَّ ٱلْبَقَرَ أي جنسه المنعوت بما ذكر تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا لكثرته؛ فلم نهتد إلى المقصودة وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ إليها، في **الحديث**: "**لو لم يستثنوا** لما بينت لهم **آخر الأبد**" قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ غير **مذللة** بالعمل تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ **تقلبها** للزراعة، **والجملة** صفة "ذلول"، داخلة في النهي وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ الأرض المهيأة للزراع مُسَلَّمَةٌ من العيوب وآثار العمل **لَّا شِيَةَ لون** فِيهَا ۚ غير لونها قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ نطقت بالبيان التام، **فطلبوها** فوجدوها عند الفتى **البارّ** بأمه؛ فاشتروها بملء مسكها **ذهبا** ....

الفقوع خلوص الصفرة

بفتح الميم: الأدم

الحديث: رواه ابن جرير عن أبي هريرة مرفوعا. **لو لم يستثنوا**: بقوله: "إن شاء الله"، والمراد بالاستثناء: التعليق بالمشيئة، وسمي التعليق بها استثناء؛ لصرفه الكلام عن الجزم، وعن الثبوت في الحال من حيث التعليق بما لا يعلمه إلا الله تعالى. (تفسير الكرخي)

آخر الأبد: وقيل: كناية عن المبالغة في التأبيد، بالنصب، وهو على سبيل المبالغة، وإلا فالأبد لا آخر له. (تفسير الكرخي) والمراد منه: آخر حياة الدنيا، و"الأبد": الدهر أي آخر الدهر، والدهر اسم الزمان الطويل، وهذه الحياة الدنيا كما في "النهاية". **مذللة**: أي ميسرة بالعمل، "الذلول" من الذل ضد الصعوبة.

تقلبها: قلب تقليبا: تحويل الشيء عن وجهه. **والجملة إلخ**: وعبارة أبي البقاء تشير في موضع نصب حالا من الضمير في "ذلول"، تقديره: لا تذل في حال آثارها و"لا تسقي الحرث" يجوز أن يكون صفة أيضا، وأن يكون خبرا مبتدؤه محذوف وكذلك، وقوله: "داخلة في النفي" أي فالنفي مسلط على الموصوف وصفته.

لا شية: لا لمعة في نقبتها من لون أخرى سوى الصفرة. (تفسير الكشاف) **لون**: لا لون فيها يخالف لون جلدها، فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها. (روح البيان) **فطلبوها**: إشارة إلى أن قوله: "فذبحوها" مرتب على هذا المقدر، من "حاشية الجمل"، **البار**: بتشديد الراء، ضد العاق. (تفسير الكمالين) **ذهبا إلخ**: وكانت قيمة البقرة غير هذه في ذلك الوقت ثلاثة دنانير، كذا في "البيضاوي". وفي "المصباح": والمسك: الجلد، الجمع مسوك. (تفسير الجمالين)

﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾ لغلاء ثمنها **وفي الحديث**: "لو ذبحوا أي بقرة كانت لأجزأهم، ولكن شددوا على أنفسهم؛ فشدد الله عليهم." ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الدال ، أي **تخاصمتم وتدافعتم** ﴿فِيهَا وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ﴾ مظهر ﴿مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾﴾ من أمرها، **وهذا اعتراض، وهو أول القصة** ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ﴾ أي القتيل ﴿بِبَعْضِهَا﴾ فضرب بلسانها أو **عجب ذنبها** فحيي، وقال: قتلني فلان وفلان لابني

وما كادوا يفعلون إلخ: لتطويلهم وكثرة مراجعتهم، أو لخوف الفضيحة في ظهور القاتل، أو لغلاء ثمنها. (تفسير البيضاوي) **وفي الحديث:** أخرجه سعيد بن منصور في سننه عن عكرمة مرسلا. (تفسير الكمالين)

فادّارأتم إلخ: عبارة "السمين": أصل ادارأتم: تدارأتم على وزن تفاعلتم من الدرء: وهو الدفع، فاجتمعت التاء مع الدال وهما متقاربان في المخرج، فأريد الإدغام فقلبت التاء دالا وأسكنت؛ لأجل الإدغام، ولا يمكن الابتداء بالساكن فاجتلبت همزة الوصل؛ ليبتدئ بها، فبقي اددارأتم، فأدغم. (حاشية الجمل) **تخاصمتم وتدافعتم:** لأن المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا، أي يدفعه ويزاحمه. (تفسير الكشاف)

وهذا اعتراض: قوله: "والله مخرج" اعتراض أي بين العاطف والمعطوف عليه، وهما: "فادارأتم" و"فقلنا اضربوه"، وقوله: "وهو" أي قوله: "وإذ قتلتم نفسا" (تفسير الكرخي) لكن في صنيعه تساهل؛ لأن هذا الضمير – أي قوله: وهو أول القصة – لم يتقدم له مرجع في كلامه. (حاشية الجمل) أقول: توجيهه: أن مرجع الضمير هو المضمون السابق فكأنه قال: هذا -أي مضمون القريب- اعتراض، وهو -أي المضمون السابق- أول القصة فالمضمون مذكور سابقا، وهو: "وإذ قتلتم فادارأتم فيها"، وتقديمه في كلامه ليس بضروري، وعبارة "معالم التنزيل": هذا أول القصة وإن كان مؤخرا في التلاوة.

وهو أول القصة: يعني "وإذ قتلتم نفسا" وإن كانت متأخرة في التلاوة. والقصة كما أوردها آدم بن أبي إياس في "تفسيره" عن أبي العالية: أنه كان في بني إسرائيل رجل غني، ولم يكن له ولد، وكان له قريب وارث فقتله؛ ليرثه، وألقاه إلى مجمع الطرق، ثم جاء إلى موسى وقال: قتل قريبي ولا أدري من قتله، فأوحى الله إلى موسى عليه السلام بذبح البقرة. (تفسير الكمالين) **عجب ذنبها:** العجب بفتح العين المهملة وسكون الجيم والباء الموحدة، أصل الذنب، أو ضرب بفخذها، أو بعظم من عظامها، أو بعض أعضائها، روايات. قال ابن كثير: لم يأت من طريق صحيح بيان العضو الذي ضربوه به، وكذا لم ينقل لكثرة ثمنها إلا من نقل بني إسرائيل. (تفسير الكمالين) **العجب:** وهو عظم الذنب، فعلى هذا إن قال: "عجبها" موضع "عجب ذنبها" لكان أولى، اللهم إلا أن يقال: "العجب" هو العظم بين الأليتين كما قاله الآخر، فتكون المغايرة بينهما من وجه، فتأمل.

عمه ومات، فحرما الميراث وقتلا، قال تعالى: كَذَٰلِكَ الإحياء يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ دلائل قدرته لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ تتدبرون، فتعلمون أن القادر على إحياء نفس واحدة قادر على إحياء نفوس **كثيرة**، فتؤمنون. ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم أيها اليهود! صلبت عن قبول الحق مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ المذكور من إحياء القتيل، وما قبله من الآيات، فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ في القسوة أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً **منها** وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فيه إدغام التاء في الأصل في الشين فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ ينزل من علو إلى أسفل مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وقلوبكم لا تتأثر، ولا تلين، ولا تخشع وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ وإنما يؤخركم لوقتكم، وفي قراءة بالتحتانية، وفيه التفات عن الخطاب أَفَتَطْمَعُونَ ....

بالبعث / متعلق بالأفعال السابقة / لابن كثير، والباقون بالفوقية / إلى الغيبة

كذلك يحي الله الموتى: "كذلك" في محل نصب؛ لأنه نعت لمصدر محذوف، تقديره: يحي الله الموتى إحياء مثل ذلك الإحياء، فيتعلق بمحذوف أي إحياء كائنا كذلك الإحياء. (تفسير السمين) **كثيرة:** لعدم البعث حتى لا ينكر البعث. (تفسير الكمالين) **ثم قست قلوبكم إلخ:** "ثم" موضوعة للتراخي في الزمان، ولا تراخي ههنا؛ إذ قسوة قلوبهم في الحال لا بعد زمان، فهي محمولة على الاستبعاد مجازا، أي يبعد من العاقل القسوة بعد تلك الآيات، وقوله: "من بعد ذلك" مؤكد للاستبعاد أشد تأكيد. (حاشية الجمل) **منها:** والمعنى أنها في القساوة مثل الحجارة أو زائد عليها، وقد يفسر بأنها مثلها، أو مثل ما هو أشد منها قسوة، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. فإن قيل: الشك محال عليه تعالى؟ قلنا: المعنى أن من عرف حالهم أمكنه أن يشبههم بالحجارة أو بما هو أقسى منها، وقد يجعل "أو" بمعنى بل أو التنويع أو بمعنى الواو. (تفسير الكمالين)

منها: إشارة إلى أن "قسوة" منصوب على التمييز؛ لأن الإبهام حصل في نسبة التفضيل إليها، والمفضل عليه محذوف للدلالة عليه، (تفسير الكرخي) وإنما لم يقل: أقسى، مع أنه أخصر؛ لأن "أشد" أبلغ من أقسى؛ لدلالته على الزيادة بالمادة و الهيئة. (تفسير البيضاوي) **لما يتفجر:** [الجملة معطوفة على "قست قلوبكم"، أو على مقدر أي أتحسبون قلوبهم صالحة للإيمان فتطمعون. (تفسير الكمالين)] "ما" بمعنى الذي في موضع نصب اسم "إن"، واللام للتوكيد. (تفسير أبي البقاء) **أفتطمعون:** الهمزة للاستفهام، وتدخل على ثلاثة من حروف العطف: الفاء كما هنا، والواو كقوله الآتي: "أو لا يعلمون"، وثم كقوله: "أثم إذا ما وقع آمنتم به". =

أيها المؤمنون أَن يُؤْمِنُواْ أي اليهود لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ طائفة مِّنْهُمْ أحبارهم يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ في التوراة ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ يغيّرونه مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ فهموه وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ أنهم مفترون، والهمزة للإنكار، أي لا تطمعوا فلهم سابقة في الكفر وَإِذَا لَقُواْ أي منافقوا اليهود ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بأن محمدا ﷺ نبي، وهو المبشر به في كتابنا وَإِذَا خَلَا رجع بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أي رؤساؤهم الذين لم ينافقوا لمن نافق أَتُحَدِّثُونَهُم أي المؤمنين بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ أي عرفكم في التوراة من نعت محمد ﷺ لِيُحَآجُّوكُم ليخاصموكم، واللام للصيرورة بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ في الآخرة، ويقيموا عليكم الحجة في ترك اتباعه مع علمكم بصدقه ....

(علماؤهم — جمع حبر — وقيل: في الطور — وفي نسخة: مغيرون — في "أفتطمعون" — تخبرونهم)

= واختلف في مثل هذه التراكيب، فذهب الجمهور إلى أن الهمزة مقدمة من تأخير؛ لأن لها الصدر، ولا حذف في الكلام، والتقدير: فأتطمعون، وألا يعلمون، وثم أإذا ما وقع. وذهب الزمخشري إلى أنها داخلة على محذوف، دل عليه سياق الكلام، والتقدير هنا: أتسمعون أخبارهم وتعلمون أحوالهم فتطمعون. (من تفسير أبي السعود)
أيها المؤمنون: يشير إلى أن الخطاب له ﷺ والمؤمنين، كذا روي عن ابن عباس. وقيل: هو لرسول الله ﷺ خاصة، خوطب بلفظ الجمع تعظيما. (تفسير الكمالين)
أن يؤمنوا لكم: أي أن يصدقوكم، واللام زائدة، أو يقرروا لكم، أو يحدثوا الإيمان لأجل دعوتكم. (تفسير الكمالين)
طائفة: أي فيمن سلف منهم قبل زمان نبينا ﷺ. (تفسير الكمالين) **يحرفونه:** كنعت محمد ﷺ وآية الرجم. (تفسير الكمالين) **فلهم سابقة:** أي أسلافهم فعلوا ذلك، فكيف يطمع إيمانهم؟ يقال: له سابقة في هذا الأمر، إذا سبق الناس إليه. (تفسير الكمالين) **وإذا لقوا إلخ:** شروع في ذكر الفرقة الثانية، وهم المنافقون، ورئيسهم عبد الله بن سلول، وقوله: "وإذا خلا"، شروع في الفرقة الثالثة وهم الموبخون للمنافقين.
عرفكم: [يعني أن الفتح مجاز عن التعريف والإظهار؛ لكونه لازما له.] وفي "تفسير العباسي" وغيره: بين الله لكم. **للصيرورة:** أي للعاقبة كقوله: لدوا للموت. (تفسير الكمالين) **في الآخرة:** متعلق بـــ"يحاجوكم"، ولما أورد على هذا التفسير: أن الإخفاء لا يدفع المحاجة يوم القيامة عند علام الغيوب، أشار إلى دفعه بقوله: "ويقيموا إلخ". (تفسير الكمالين) **بصدقه:** أي وإقراركم بذلك يعني أن المحاجة يقع بأنكم بلغتم وخالفتم، وقال البيضاوي: لتحتجوا عليكم بما أنزل ربكم في كتابه، جعلوا محاجتهم لكتاب الله وحكمه محاجة عنده، كما يقال: عند الله كذا أي أنه في كتابه وحكمه. وعلى هذا فيكون قوله: "عند ربكم" بدلا من ضمير "ربه". (تفسير الكمالين)

أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أنهم يحاجونكم، **إذا حدثتموهم** فتنتهوا. قال تعالى: أَوَلَا يَعْلَمُونَ **الاستفهام** للتقرير، والواو الداخلة عليها **للعطف** على الجملة بعدها أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ ما يخفون وما يظهرون من ذلك وغيره، **فيرعووا** عن ذلك وَمِنْهُمْ أي اليهود أُمِّيُّونَ عوام لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ التوراة إِلَّآ **لكن** أَمَانِيَّ **أكاذيب تلقّوها** من رؤسائهم، **فاعتمدوها** وَإِنْ ما هُمْ في جحد نبوة النبي ﷺ وغيره مما يختلقونه يخترعونه إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ظنا، ولا علم لهم فَوَيْلٌ **شدة عذاب** لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ أي مختلقا من عندهم ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا من الدنيا، وهم اليهود، **غيروا صفة النبي** ﷺ في التوراة، **وآية الرجم** وغيرها، ....

إذا حدثتموهم: يشير إلى أن المفعول محذوف، وهو من كلام اللائمين. (تفسير الكمالين) **الاستفهام:** للتقرير، وهو حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده أي مع التوبيخ. (تفسير الكرخي) **للعطف:** لعطف الجملة على المقدر، تقريره: ألا يتأملون ولا يعلمون؟ أو المراد: أن الواو في الحقيقة هي الداخلة على همزة الاستفهام، وإنما أخرت؛ لصدارة الاستفهام. (تفسير الكمالين) **فيرعووا:** من الارعواء وهو الكف عن القبيح. **ومنهم:** شروع في ذكر الفرقة الرابعة. (حاشية الصاوي)

لكن إلخ: الاستثناء في قوله تعالى: "إلا أماني" منقطع، كما أشار بتفسيره بـــ"لكن" على عادته في أنه يشير للمنقطع بتفسير "إلا" بـــ"لكن"؛ لأن الأماني ليست من جنس الكتاب، ولا مندرجة تحت مدلوله. (حاشية الجمل) **أكاذيب إلخ:** وهي المفتريات من تغيير صفة محمد ﷺ، وأنهم لا يعذبون في النار إلا أياما معدودة، وأن آبائهم الأنبياء يشفعون لهم، وأن الله لا يؤاخذ بخطاياهم ويرحمهم، ولا حجة لهم في صحة ذلك. (روح البيان)

تلقوها: من التلقي أي أخذوها. **فاعتمدوها:** تقليدا لهم مما يختلقونه - بالقاف - أي يفترونه. (تفسير الكمالين) **فويل:** شروع في ذكر ما يستحقونه. **شدة عذاب:** أو هلاك عظيم، وما في الحديث: "إنه واد في جهنم"، فمعناه: أن فيها موضعا يتبوأ فيها من جعل له الويل، وهو في الأصل مصدر لا فعل له، وإنما ساغ الابتداء به نكرة؛ لأنه دعاء. (تفسير الكمالين) **غيروا صفة النبي إلخ:** وكانت هي في التوراة: حسن الوجه، جعد الشعر، أكحل العين، ربعة أي متوسط القامة، فغيروها وكتبوا مكانه: طوال، أزرق سبط الشعر وهو خلاف الجعد، فإذا سألهم سفلتهم عن ذلك، قرؤوا عليهم ما كتبوا فيجدونه مخالفا لصفته عليه السلام فيكذبونه. (روح البيان)

وآية الرجم: في الصحيحين: أنهم جعلوا بدلها الجلد والتحميم أي تسويد الوجه. (تفسير الكمالين)

وكتبوها على خلاف ما أنزل، فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ من المختلق وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ من الرُشا. وَقَالُوا لما وعدهم النبي ﷺ النارَ لَن تَمَسَّنَا تصيبنا ٱلنَّارُ (وفي نسخة: بالنار) إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قليلة: أربعين يوماً مدة عبادة آبائهم العجلَ، ثم تزول قُلْ لهم يا محمد! أَتَّخَذْتُمْ حذف منه همزة الوصل؛ **استغناء** بهمزة الاستفهام عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا ميثاقا منه بذلك فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ به **لا** أَمْ **بل** تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ تمسُّكم وتخلدون فيها، مَن كَسَبَ سَيِّئَةً **شركا** وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ بالإفراد والجمع، أي استولت (غلبت) عليه **وأحدقت** (أطافت وعمت) **به** من كل جانب بأن مات مشركاً فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ **روعي** فيه معنى "مَن". وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَ اذكر إِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ في التوراة، وقلنا: لَا تَعْبُدُونَ **بالتاء** والياء إِلَّا ٱللَّهَ ....

كتبت أيديهم إلخ: تأكيد لقوله: ﴿وَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ (البقرة:٧٩)، ومع ذلك فيه نوع مغايرة؛ لأن قوله: "مما كتبت أيديهم" وقع تعليلا فهو مقصود. وقوله فيما سلف: "يكتبون الكتاب بأيديهم" وقع صلة فهو غير مقصود. وقوله: "وويل لهم مما يكسبون" الكلام فيه كالذي فيما قبله من جهة أن التكرير للتأكيد. (حاشية الجمل)
من الرشا: الرشا بضم الراء وكسرها جمع رشوة. **استغناء:** بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل؛ فإنه لا يؤتى إلا لتعذر الابتداء بالساكن، فإذا دخل عليها همزة الاستفهام استغني عنها. (تفسير الكمالين) **فلن يخلف إلخ:** جواب شرط مقدر أي إن كنتم اتخذتم عند الله عهدا. (تفسير الكمالين)
لا أم بل إلخ: أشار به إلى أن "أم" منقطعة وهي التي بمعنى "بل"، والاستفهام لإنكار الاتخاذ ونفيه، ومعنى "بل" الإضراب والانتقال؛ فلذا قدّر جواب الهمزة بـــ"لا" النافية، فيكون المعنى على نفي ما في حيّز الهمزة وإثبات ما في حيّز "أم"، ويكون الكلام في الحقيقة من قبيل الخبر. (حاشية الجمل) **شركا:** تفسير السيئة بالشرك عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما ﷺ. (تفسير المدارك) وفي "التفسير العباسي": "من كسب سيئة" أي أشرك بالله.
خطيئته: للأكثر، ولنافع بلفظ "خطيئاته". **وأحدقت:** أحدق: أحاطه، في "الصراح": أحدقوا به: أحاطوا به.
روعي: كما روعي في "كسب" لفظه. **بالتاء:** الفوقية لأبي عمرو ونافع وعاصم وابن عامر حكاية لما خوطبوا به. (تفسير الكمالين)

خبر بمعنى النهي **وقرئ:"لا تعبدوا"**، وَ أحسنُوا بِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا برّاً وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ القرابة، عطف على "الوالدين" وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ **قولاً** حُسۡنٗا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في شأن محمد ﷺ والرفق بهم، وفي قراءة بضم الحاء وسكون السين، مصدرٌ وصف به مبالغةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ **فقبلتم ذلك** ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ أعرضتم عن الوفاء به، **فيه التفات** عن الغيبة، والمراد: آباؤهم، إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٨٣﴾ **عنه** كآبائكم. وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وقلنا لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ تريقونها بقتل بعضكم بعضا وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ لا يخرج بعضكم بعضا من داره ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ ....

في الشاذ — بالميثاق — خبر بمعنى النهي

خبر: بمعنى النهي وهو أبلغ من صريح النهي؛ لما فيه من إيهام أن المنهي حقه أن يسارع إلى الانتهاء عما نهي عنه، فكأنه انتهى عنه، فيخبر به الناهي. (تفسير أبي السعود) **وقرئ لا تعبدوا:** أي بصريح النهي، وهذه القراءة شاذة، ونبّه الشارح على شذوذها بقوله: "وقرئ" على قاعدته أنه يشير للسبعية بقوله: "وفي قراءة"، وللشاذة :بقوله "وقرئ"، وهذه القاعدة أغلبية في كلامه، وسيأتي أنه يخالفها في مواضع. (حاشية الجمل)

قولا حسنا: أشار به إلى أن "حسنا" - بالفتح - صفة لمصدر محذوف أي قولا حسنا. (تفسير أبي البقاء)

فقبلتم ذلك: أي الميثاق المذكور، وقدّر هذا؛ ليعطف عليه قوله: "ثم توليتم". **فيه التفات:** أي في قوله: "أخذنا بني إسرائيل" إلى الخطاب في "ثم توليتم". (تفسير الكمالين) وحكمته: الاستلذاذ للسامع وعدم الملل منه؛ فإن الالتفات من المحسِّنات للكلام. (حاشية الصاوي) **إلا قليلا منكم:** أي من أجدادكم، وهو مَن أقام اليهودية على وجهها قبل النسخ أي ومنكم أيضا، وهو مَن آمن منهم كعبد الله بن سلام وأضرابه. **عنه:** قدّر ذلك لتصحيح عطف ما بعده. **وإذ أخذنا إلخ:** المقدَّر "اذكروا" فهو خطاب لبني إسرائيل، وهو معطوف على الجملة الأولى المتعلقة بحقوق الله، وهذه الجملة متعلقة بحقوق العباد، فخانوا كلا من العهدين. (حاشية الصاوي مختصرا)

ميثاقكم: خطاب لليهود المعاصرين له ﷺ، والمراد: أسلافهم المعاصرون لموسى عليه السلام على سنن التذكيرات السابقة، أي واذكروا يا أيها اليهود! المعاصرون لمحمد ﷺ وقتَ أن أخذنا ميثاقكم أي ميثاق آبائكم. (حاشية الجمل)

دماءَكم: إنما جعل قتل الرجل غيره قتلَ نفسه؛ لاتصاله به نسباً أو ديناً، فهو من باب المجاز بأدنى ملابسة، أو لأنه توجيه قصاصا، فهو من باب إطلاق السبب على المسبب. (حاشية الصاوي)

قبلتم ذلك الميثاق وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ على أنفسكم. ثُمَّ أَنتُمْ **يا** هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ **يقتل** بعضكم بعضا وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ فيه إدغام التاء في الأصل في الظاء، وفي قراءة بالتخفيف **على حذفها**، تتعاونون عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ المعصية وَٱلْعُدْوَٰنِ الظلم وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ وفي قراءة: "أسْرى" تُفَٰدُوهُمْ وفي قراءة: "تفدُوهم" تنقذوهم من الأسر بالمال أو غيره وهو مما عَهِدَ إليهم وَهُوَ أي الشأن مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ متصل بقوله: "وتخرجون"، والجملة بينهما اعتراض أي كما حرم ترك الفداء، وكانت قريظةُ حالفوا الأوسَ، ....

فإن أصله تتظاهرون للكوفيين — لحمزة — متعلق بـ"محرم" — هو حي من الأنصار

قبلتم: إنما فسّر الإقرار بذلك؛ ليكون قوله: "تشهدون على أنفسكم" تأسيساً لا تأكيداً، ولو أبقى الإقرار على ظاهره يكون ما بعده تأكيداً. في "البيضاوي": "وأنتم تشهدون" تأكيد كقولك: أقرّ فلان شاهداً على نفسه، وقيل: وأنتم أيها الموجودون تشهدون على إقرار أسلافكم، فيكون إسناد الإقرار إليهم مجازاً.

ثم أنتم يا إلخ: "أنتم" مبتدأ وفي خبره ثلاثة أوجه، أحدها: "تقتلون" فعلى هذا في هؤلاء وجهان: أحدهما: في موضع نصب بإضمار "أعني"، والثاني: هو منادى أي "يا هؤلاء"، إن هذا لا يجوز عند سيبويه؛ لأن "هؤلاء" مبهم ولا يحذف حرف النداء مع المبهم. والوجه الثاني: أن الخبر "هؤلاء" على أن يكون بمعنى "الذين" و"تقتلون" صلته، هذا أيضا ضعيف؛ لأن مذهب البصريين أن "أولاء" هذا لا يكون بمنزلة "الذين"، وأجازه الكوفيون. والوجه الثالث: أن الخبر "هؤلاء" على تقدير حذف مضاف تقديره: "ثم أنتم مثل هؤلاء"، فعلى هذا "تقتلون" حال يعمل فيها معنى التشبيه. (تفسير أبي البقاء)

يقتل إلخ: أشار بذلك إلى أنه من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم؛ لأنه يلزم من القتل إراقة الدم غالبا، والإضافة في "دمائكم" لأدنى ملابسة؛ فإن دم الأخ كدم النفس، أو باعتبار أن من قتل يقتل، أي فلا تتسببوا في قتل أنفسكم بقتلكم غيركم. (حاشية الصاوي) **تظاهرون:** مأخوذ من الظهر للإسناد عليه.

على حذفها: أي حذف إحدى التاءين وهي على القراءتين، حال من الفاعل. (تفسير الكمالين)

تفادوهم: أي لنافع وعاصم والكسائي، من "المفادات". والمذكور في متن التفسير "تفدوهم" -بفتح التاء وضم الدال- من الثلاثي وهو قراءة الباقين. (تفسير الكمالين) **محرم:** خبر مقدم لقوله: "إخراجهم" والجملة خبر "هو". (تفسير الكمالين)

والنضيرُ الخزرجَ، فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه، ويخرب ديارهم ويخرجهم، فإذا أُسروا فدوهم، وكانوا إذا سئلوا: لم تقاتلونهم وتفدونهم؟ قالوا: أُمرنا بالفداء، فيقال: فلمَ تقاتلونهم؟ فيقولون: حياءَ أن يستذلّ حلفاؤنا، قال تعالى: أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وهو الفداء وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ وهو ترك القتل والإخراج والمظاهرة فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ هوانٌ وذلٌّ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا **وقد خزوا بقتل قريظة** ونفي النضير إلى الشام وضرب الجزية وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ بالياء لابن كثير ونافع والتاء. للأكثر أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأَخِرَةِ بأن آثروها عليها فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ يمنعون منه. وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ التوراة، وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ أي أتبعناهم ....

والنضير: معطوف على "قريظة"، والعامل فيه "كانت"، وقوله: "الخزرج" معطوف على "الأوس"، والعامل فيه "حالفوا"، ففيه العطف على معمولي عاملين مختلفين قصدا للاختصار، ويحتمل أن "الخزرج" معمول لمحذوف، التقدير: "حالفوا"، والحاصل: أن الأوس والخزرج فرقتان في المدينة - وهم الأنصار - كان بينهما عداوة، ولم يرسل لهم نبي غير رسول الله ﷺ، وأما قريظة وبنو النضير فكانوا مكلفين بشريعة موسى عليه السلام، وكانوا أذلاء فاستعزّ قريظة بالأوس وبنو النضير بالخزرج، فكان إذا اقتتل الأوس مع الخزرج قاتل مع كل حلفاؤه، فإذا أسر حلفاء قريظة أسيرا من بني النضير افتدوه قريظة وبالعكس، فإذا سئلوا عن القتال أجابوا بأنهم قاتلوا خشيةَ أن يستذل من استعزوا به، وعن الفداء أجابوا بأننا أمرنا به. (حاشية الصاوي)

وقد خزوا: وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كان عادة قريظة القتلَ وعادة النضير الإخراجَ، فلما غلب رسول الله ﷺ أجلى النضير وقتل قريظة وأسر نساءهم وصبيانهم. (تفسير الكمالين) **بقتل قريظة:** أي حين دخل النبي ﷺ المدينة، وأسلم الأوس والخزرج، فغزاهم النبي ﷺ وأصحابه إلى أن نزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه، فحكم فيهم بقتل شجعانهم، وسبي ذراريهم ونسائهم، فقتل منهم سبعمائة، وكان ذلك في السنة الرابعة من الهجرة.

ولقد إلخ: شروع في ذكر نعم أخرى لبني إسرائيل قابلوها بقبائح عظيمة، وصدّر الجملة بالقسم زيادةً في الرد عليهم. (حاشية الصاوي) **الكتاب:** التوراة، آتاه الله إياها جملة واحدة. روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: "أن التوراة لما نزلت، أمر الله تعالى موسى عليه السلام بحملها، فلم يطق ذلك، فبعث لكل آية ملكا فلم يطيقوا حملها، فبعث الله لكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا حملها، فخفف الله على موسى عليه السلام حملها". (التفسير الكبير)

رسولا في أثر رسول، وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ المعجزات كإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص وَأَيَّدْنَٰهُ قويناه بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ من إضافة الموصوف إلى **الصفة،** أي الروح المقدسة **جبرئيل لطهارته، يسير معه** حيث سار، **فلم تستقيموا** أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ تحب أَنفُسُكُمُ **من الحق** (بيان لـــ"ما") ٱسْتَكْبَرْتُمْ **تكبرتم** عن اتباعه، جواب "كلما"، وهو محل **الاستفهام،** والمراد به التوبيخ ....

رسولا: قد قيل: إن عدد الأنبياء بين موسى ﷺ وعيسى ﷺ سبعون ألفا، وقيل: أربعة آلاف، وكانوا جميعا على شريعة موسى ﷺ فكانوا مأمورين بالعمل بالتوراة وتبليغها إلى أممهم. (حاشية الجمل) **أثر رسول:** في "المصباح": جئت في أثره - بفتحتين - وفي إثره - بكسر الهمزة وسكون المثلثة - أي تبعته عن قرب. وكون بعضهم في أثر بعض ليس من لفظ الآية، وإنما أخذه الجلال من السياق والمقام، وهذا يفيد عدم اجتماع رسولين في زمن واحد، فإن كان المراد بالرسل خصوص من أمروا بالتبليغ أمكنت صحته، وإن كان المراد بهم مطلق الأنبياء بَعُد كل البعد؛ لأن من المعلوم أنهم قتلوا سبعين نبيا في يوم واحد، فانظر اجتماع هذا العدد في وقت واحد. (حاشية الجمل)

عيسى بن مريم: "عيسى" بالسريانية يسوع، ومعناه: المبارك، و"مريم" بمعنى الخادم. (تفسير الكشاف)

بروح: سمي روحا؛ لأنه كان يأتي الأنبياء بما فيه حياة القلوب. (روح البيان) **الصفة:** للمبالغة في الاختصاص، وفي الصفة "القدس" منسوب إليها، وفي الإضافة بالعكس نحو: "مال زيد"، أفاده الطيبي. (تفسير الكمالين)

جبرئيل: وجه تسميته روحا: أن الروح جسم نوراني، به حياة الأبدان، وجبرئيل جسم نوراني به حياة القلوب. (حاشية الصاوي) **لطهارته:** أي من المعاصي والمخالفات والأقذار وقد مدحه الله بقوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (الحاقة: ٤٠). (حاشية الصاوي) **يسير معه إلخ:** أي من صباه إلى كبره، ولم يكن ذلك لغيره. ولأنه حفظه حتى لم يدنُ منه الشيطان، ولأنه رفعه إلى السماء حين أراد اليهود قتله. (تفسير الكمالين)

فلم تستقيموا إلخ: هذا هو المقصود بسياق الكلام من قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾، وهذا كناية عن التكذيب والقتل وغير ذلك من القبائح، وأيضا أشار به إلى أن قوله: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ معطوف على هذا المقدر، فكأنه قيل: فلم تستقيموا فاستكبرتم كلما جاءكم رسول إلخ. وتوسيط الهمزة بين المعطوف والمعطوف عليه لأجل توبيخهم على تعقيبهم النعم التي عددت عليهم باستكبارهم المذكور. (حاشية الجمل)

من الحق: بيان لـــ"ما"، وأشار به إلى أن "ما" موصولة، وعائدها محذوف كما تقدم . (حاشية الجمل)

تكبرتم: أي فالسين زائدة للمبالغة. **الاستفهام:** أي فالتقدير: استكبرتم كلما جاءكم رسول الله إلخ. ومعنى كونه محل الاستفهام أنه هو المستفهم عنه والموبخ عنه والمعير به.

فَفَرِيقًا منهم كَذَّبْتُمْ كعيسى وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ المضارع **لحكاية الحال الماضية**: أي قتلتم كزكريا ويحيى. **وَقَالُوا** للنبي استهزاء قُلُوبُنَا غُلْفٌ جمع أغلف، أي مغشاة بأغطية؛ **فلا تعي** ما تقول، قال تعالى: بَل للإضراب لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ أبعدهم عن رحمته، وخذلهم عن القبول بِكُفْرِهِمْ **وليس** عدم قبولهم لخلل في قلوبهم فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ "ما" زائدة لتأكيد القلة، **أي إيمانهم** قليل جدا وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ من التوراة: هو القرآن وَكَانُوا مِن قَبْلُ **قبل مجيئه** يَسْتَفْتِحُونَ **يستنصرون** عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يقولون: "اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث آخر الزمان" فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا من الحق، هو بعثة النبي ﷺ كَفَرُوا بِهِۦ حسدا وخوفا على الرياسة، ....

(ردا لما قالوا)

ففريقا إلخ: الفاء عاطفة، جملة "كذبتم" عطف على "استكبرتم"، و"فريقا" مفعول مقدم قدم لنسق رؤوس الآي، وكذا "وفريقا تقتلون"، وفي الكلام حذف أي فريقا منهم كذبتم. (تفسير أبي البقاء) وإليه أشار الشارح بقوله: "منهم". **منهم:** من الرسل الدال عليه قوله: "رسول". (تفسير الكمالين)

لحكاية إلخ: وصورتها أن يقدر ويفرض الواقع في الماضي واقعا وقت التكلم، ويخبر عنه المضارع الدال على الحال. (حاشية الجمل) **وقالوا إلخ:** أشار به إلى أن هذا القول صدر من فريق آخر، وذلك الفريق هم المعاصرون للنبي ﷺ. **فلا تعي:** من الوعي وهو الحفظ، أي لا يحفظ قلوبنا الذي تقوله. (تفسير الكمالين)

وليس إلخ: أي كما ادعوا من أنها مغطاة فهذا هو الخلل. (حاشية الجمل) **فقليلا:** "قليل" منصوب على أنه نعت لمصدر محذوف وهو "إيمانا" أي إيمانا قليلا. ويستفاد هذا من قول الشارح أيضا. **أي إيمانهم إلخ:** أي إيمانهم قليل جدا إلخ، قلّته باعتبار قلة المؤمَن به - وهو الظاهر - أو باعتبار قلة أفراد المؤمنين منهم، كذا أفاد الشيخ، و"قليلا" منصوب على أنه نعت لمصدر محذوف أي فيؤمنون إيمانا قليلا، هذا هو المتبادر من صنيع الجلال، ويحتمل أنه صفة لزمان محذوف أي فزمانا قليلا يؤمنون، فهو على حد قوله: ﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ﴾ (آل عمران: ٧٢). (تفسير السمين، حاشية الجمل)

ولما جاءهم: هذه الجملة من متعلقات الجملة التي قبلها، وكل منهما حكاية عن اليهود والذين كانوا في زمنه ﷺ. (حاشية الصاوي) **قبل مجيئه:** أشار به إلى أن "قبل" بُنيت ههنا لقطعها عن الإضافة، والتقدير: من قبل مجيئه ومن قبل ذلك. (تفسير أبي البقاء) **يستنصرون:** أي يطلبون الفتح والنصرة، فالسين جرى على الحقيقة والفتح يتضمن معنى النصر بواسطة "على". (تفسير الكمالين)

وجواب "لما" الأولى دل عليه جواب الثانية فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ **باعوا** بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أي حظها من الثواب، و"ما" نكرة بمعنى "شيئا"، تمييز **لفاعل "بئس"**، والمخصوص بالذم أَن يَكْفُرُوا۟ **أي كفرهم** بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ من القرآن بَغْيًا مفعول له لـــ"يكفروا" أي حسدا على **أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ بالتخفيف** والتشديد مِن فَضْلِهِۦ الوحي عَلَىٰ مَن يَشَآءُ للرسالة مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو رجعوا بِغَضَبٍ من الله بكفرهم بما أنزل، والتنكير للتعظيم عَلَىٰ غَضَبٍ استحقوه من قبل بتضييع التوراة والكفر بعيسى وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ ذو إهانة وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ القرآن وغيره قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا أي التوراة قال تعالى: وَيَكْفُرُونَ "الواو" **للحال** بِمَا وَرَآءَهُۥ سواه، أو بعده من القرآن وَهُوَ ٱلْحَقُّ **حال** مُصَدِّقًا..............

وجواب لما إلخ: دل عليه جواب الثانية يعني جواب "لما" الأولى محذوف دل عليه جواب "لما" الثانية وهو: "كفروا به"؛ لأن مقتضاهما واحد. **باعوا:** أي اشترى من الأضداد وهو ههنا بمعنى باع؛ لأنهم بذلوا أنفسهم بالكفر، ولم يعكسوا حتى يصح معنى الشراء المعروف. (تفسير الكمالين) **لفاعل بئس إلخ:** أي المستكن على معنى: بئس الشيء شيئا، و"اشتروا به أنفسهم" صفة "ما". (حاشية الجمل) **أي كفرهم:** إشارة إلى أن قوله "أن يكفروا" في تأويل مصدر كما اقتضاه السياق؛ لظهور أن ما باعوا به أنفسهم في الماضي ليس هو أن يكفروا في المستقبل، وإنما عبر عنهم بالمضارع؛ حكاية للحال الماضية واستحضارا لفعلهم الشنيع. (تفسير الكرخي)

أن ينزل الله: مفعول من أجله، أي بغوا؛ لأن أنزل الله، وقيل التقدير: بغيا على ما أنزل الله أي حسدا على ما خص الله به نبيه من الوحي. (تفسير أبي البقاء) وعبارة "المدارك": ينزل الله أي لأن ينزل الله، أو على أن ينزل أي حسدوه على أن ينزل الله. **بالتخفيف:** لأبي عمرو وابن كثير من الإنزال. **من فضله:** "من" للابتداء صفة لموصوف محذوف أي شيئا كائنا من فضله، وهو الوحي وهو مفعول "أن ينزل". (تفسير الكمالين)

للحال: عن الضمير في "قالوا". **بما وراءه:** قال "البيضاوي": "وراء" في الأصل مصدر جعل ظرفا، ويضاف إلى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه، وإلى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه، ولذلك عدّ من الأضداد.

حال: والعامل فيها "يكفرون". **مصدقا:** حال ثانية مؤكدة والعامل فيها ما في "الحق" من معنى الفعل؛ إذ المعنى: وهو الثابت مصدقا، وصاحب الحال الضمير المستتر في "الحق". (تفسير أبي البقاء)

حال ثانية مؤكدة لِّمَا مَعَهُمْۗ قُلْ لهم فَلِمَ تَقْتُلُونَ **أي قتلتم** أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ بالتوراة وقد نهيتم فيها عن قتلهم، والخطاب للموجودين في زمن نبينا ﷺ بما فعل آباؤهم؛ لرضاهم به وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ أي بالمعجزات كالعصا واليد وفلق البحر، ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ إلها مِنۢ بَعْدِهِۦ أي من بعد ذهابه **إلى الميقات** وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ **باتخاذه**. وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ على العمل بما في التوراة وَ قد رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ الجبل حين امتنعتم من قبولها؛ **ليسقط** عليكم **وقلنا**: خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ بجد واجتهاد وَٱسْمَعُواْۖ ما تؤمرون به سماعَ قبول قَالُواْ سَمِعْنَا قولك وَعَصَيْنَا أمرك وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ أي خالط **حبه** قلوبهم كما يخالط الشراب بِكُفْرِهِمْۚ قُلْ لهم بِئْسَمَا **شيئا** يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ بالتوراة عبادة العجل إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ بها كما زعمتم، ....

الباء للسببية — بيان لخصوص بالذم

حال ثانية إلخ: جيء لتقرير مضمون الجملة؛ لتضمن رد مقالهم، فإنهم لما كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها. (تفسير الكمالين) **أي قتلتم:** أشار بذلك إلى أن المضارع بمعنى الماضي، وإنما عبر بالمضارع لحكاية الحال الماضية. **ولقد جاءكم:** هذا أيضا من قبائح بني إسرائيل. **إلى الميقات:** أي ليأتي بالتوراة. **باتخاذه:** يشير إلى أن الجملة حال، وقد يجعل اعتراضا بمعنى أنكم قوم من عادتكم الظلم. (تفسير الكمالين) **ليسقط:** علة لقوله: "رفعنا" أي رفعناه لأجل السقوط عليكم إن لم تمتثلوا.

وقلنا: عطف على "رفعنا" فهو حال مثله. **وأشربوا:** الجملة حالية على حذف مضافين أي حب عبادة العجل، وفي الكلام استعارة بالكناية، وتقريرها أن تقول: شُبِّه حب عبادة العجل بمشروب لذيذ سائغ، بجامع الالتذاذ في كل، وطوي ذكر المشبَّه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الإشراب، فإثباته تخييل، ولم يعبر بالأكل؛ لأنه ليس فيه شدة مخالطة. (حاشية الصاوي)

حبه: يريد أن المضاف محذوف؛ لأن العجل لا يشرب، فحذف الحب وأقيم العجل مقامه للمبالغة. (تفسير الكمالين) **شيئا:** أشار بذلك إلى أن "ما" نكرة بمعنى شيء مفسرة لفاعل "بئس". أي خلال القلوب والأبدان، فمفعول "يخالط" محذوف. (حاشية الصاوي) **إيمانكم:** لأنه ليس في التوراة عبادة العجل، وإضافة الأمر إلى إيمانهم تهكُّم، وكذا إضافة الإيمان إليهم. (تفسير الكمالين)

المعنى لستم بمؤمنين؛ لأن الإيمان لا يأمر بعبادة العجل، والمراد آباؤهم، أي فكذلك أنتم لستم بمؤمنين بالتوراة وقد كذبتم محمدا ﷺ، والإيمان بها لا يأمر بتكذيبه قُلْ لهم إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ أي الجنة عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً خاصة بكم مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ كما زعمتم فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ **تعلق بتمنيه** الشرطان، على أن الأول **قيد في الثاني** أي إن صدقتم في زعمكم أنها لكم، ومَن كانت له يؤثرها، والموصل إليها الموت، فتمنَّوه وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ من كفرهم بالنبي ﷺ المستلزم لكذبهم وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ الكافرين فيجازيهم. وَلَتَجِدَنَّهُمْ لام قسم أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَ **أحرص** مِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ المنكرين للبعث **عليها** ....

المعنى إلخ: إشارة إلى قياس حملي من الشكل الأول، وتقريره أن تقول: اعتقادكم يأمركم بعبادة العجل، وكل اعتقاد كذلك فهو كفر، ينتج اعتقادكم كفر. **خالصة:** حال من "الدار" على رأي من يجوّز الحال من اسم كان، ومن لم يجوّزه فهو حال من الضمير المستتر في الخبر العائد إلى "الدار".

تعلق بتمنيه إلخ: الأظهر "تعلق تمنيه بالشرطين"، وقوله: "على أن الأول إلخ" غير ظاهر؛ لأن الأول هو تمام معنى الثاني، فلا يتحقق معنى الثاني بدونه، وشأن القيد الانفكاك، واستقلال المقيد بدونه. (حاشية الجمل)

قيد في الثاني: حاصله: أنه إذا اجتمع شرطان وتوسط بينهما جواب، كان الأول قيدا في الثاني، بمعنى أنه من تمام معناه، ويكون الجواب لذلك الثاني، فتقدير الآية: إن كنتم صادقين في زعمكم أن الدار الآخرة لكم خاصة فتمنّوُا الموت، وقيل: إن الجواب للأول، وجواب الثاني محذوف، دلّ عليه جواب الأول. (حاشية الصاوي)

ولن يتمنوه إلخ: هذا المعنى إشارة إلى استثناء نقيض التالي، وقوله: "المستلزم لكذبهم" إشارة إلى النتيجة التي هي نقيض المقدم. **أحرص إلخ:** من عطف الخاص على العام؛ زيادةً في التقبيح عليهم، ودفعاً لتوهم أن المشركين أحرص منهم. (حاشية الصاوي) أشار به إلى أن قوله: "من الذين أشركوا" معطوفة على "الناس" في المعنى، والتقدير: أحرص من الناس أي الذين في زمانهم وأحرص من الذين أشركوا، (تفسير أبي البقاء) ودخل "الذين أشركوا" تحت "الناس" لكنهم أفردوا بالذكر للمبالغة؛ فإن حرصهم شديد، كما أن جبريل وميكائيل خص بالذكر وإن دخلا تحت "الملائكة" من "المدارك" وغيره.

عليها: متعلق بـــ"أحرص" المقدرة في كلام الشارح، والضمير للحياة. (حاشية الجمل)

لعلمهم بأن مصيرهم إلى النار، دون المشركين؛ لإنكارهم له ﴿يَوَدُّ﴾ يتمنى ﴿أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ "لو" مصدرية **بمعنى "أن"**، وهي بصلتها في تأويل مصدر مفعول "يودّ" ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي أحدهم ﴿بِمُزَحْزِحِهِ﴾ مبعده ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ النار ﴿أَنْ يُعَمَّرَ﴾ فاعل "مزحزحه" أي تعميره ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ بالياء والتاء؛ فيجازيهم. وسأل **ابن صوريا** النبي ﷺ **أو عمر** رضي الله عنه عمن يأتي بالوحي من الملائكة؟ فقال: "جبريل"، فقال: "هو عدونا يأتي بالعذاب، ولو كان ميكائيل لآمنا؛ لأنه يأتي **بالخصب** والسلم." فنزل: ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ **فليمت** غيظا ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾ أي القرآن ﴿عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ﴾ بأمر ﴿اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ....

(مرجعهم) (تعليل الأمر)

لعلمهم إلخ: بيان لنكتة عطف هذا الخاص على العام، وقوله: "بأن مصيرهم إلخ" أي فيحبون الحياة فراراً من هذا المصير، وقوله: "له" أي لهذا المصير. يود: بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف. بمعنى أن: أي التي هي الناصبة للفعل، ولكن لا تنصب، لكن جيء بـــ"لو" حكاية لودادهم. (تفسير أبي البقاء وغيره)
أن يعمر إلخ: أي في موضع رفع بـــ"مزحزحه" أي وما الرجل بمزحزحه تعميرُه. ابن صوريا: اسمه عبد الله وكان من أحبار فدك، قال العراقي: لم أقف له على سند، وإنما أورده الثعلبي والبغوي بلا سند. (تفسير الكمالين)
أو عمر رضي الله عنه: أشار بذلك إلى تنويع الخلاف، فإن عمر رضي الله عنه كان له أرض بالعوالي وكان يمر على مدارسهم؛ ليختبر صفات محمد ﷺ من كتبهم، فقالوا: يا عمر! لقد أحببناك، فقال: والله ما أحبكم، وإنما أدخل عليكم؛ لأزداد بصيرة في أمر محمد، فسأله ابن صوريا عمن يأتي بالوحي لمحمد؟ فقال: جبريل، فقال: هو عدونا إلخ، فأخبر النبي ﷺ بذلك فنزلت الآية. (حاشية الصاوي)
الخصب: رغد العيش، وقصته أن عمر رضي الله عنه دخل مدارس اليهود يوما فسألهم عن جبرئيل، فقالوا: ذلك عدونا، يطلع محمدا على أسرارنا، وأنه صاحب كل خسف وعذاب، وميكائيل صاحب الخصب والسلم، فقال: وما منزلتهما من الله تعالى؟ قالوا: جبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة، فقال: لإن كانا كما تقولون فليسا بعدوين، ولأنتم أكفر من الحمير، ومن كان عدوا لأحدهما فهو عدو الله، ثم رجع عمر رضي الله عنه فوجد جبرئيل عليه السلام قد سبقه بالوحي، فقال عليه السلام: "لقد وافقك ربك يا عمر"، من "البيضاوي"، وأخرجه ابن أبي شيبة في مسنده، وابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عن الشعبي، وله طرق أخرى فهو أقوى من الأول، (حاشية الخفاجي) فهذا رد على من عبر الثاني بـــ"قيل". فليمت: يشير إلى أن جواب الشرط محذوف.

وَهُدًى من الضلالة وَبُشْرَىٰ بالجنة لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ بكسر الجيم وفتحها بلا همز و به، بياء ودونها وَمِيكَىٰلَ عطف على الملائكة، من عطف الخاص على العام، وفي قراءة: "ميكائيل" بهمز وياء، وفي أخرى: بلا ياء فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ أوقعه موقع "لهم" بيانا لحالهم وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ يا محمد ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ واضحات، حالٌ ردّ لقول ابن صوريا للنبي ﷺ: "ما جئتنا بشيء" وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ كفروا بها أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ الله عَهْدًا على الإيمان بالنبي إن خرج ....

أحوال من مفعول — ظهر

للمؤمنين: أي ونذيرا للكافرين بالنار، وهذا رد أول لكلام ابن صوريا، حاصله: أن جبرئيل لا اختيار له في إنزال العذاب ولا في إنزال القرآن. (حاشية الصاوي) بكسر الجيم: كقنديل، وقوله: و"فتحها" كشمويل، وقوله: "بلا همز" راجع لهما، وقوله: و"به" إلخ راجع للمفتوح فقط، فالقراءات أربعة واحدة في مكسور الجيم، وثلاثة في مفتوحها، وكلها سبعية، والثالثة بوزن سلسبيل، والرابعة بوزن جحمرش. (حاشية الجمل) عطف الخاص: وفائدة هذا العطف التنبيه على فضلهما على غيرهما من الملائكة كأنهما من جنس آخر؛ إذ التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات، من "تفسير المدارك" وغيره. أوقعه: وضع الظاهر موضع المضمر. بيانا لحالهم: فيه إشارة إلى أن فائدة الوقوع الدلالة على أنهم كافرون بهذه العداوة؛ لأن الجزاء مترتب على كل واحد من المذكورين في الشرط لا على المجموع، من "تفسير الكرخي". وعبارة "المدارك": فجاء بالظاهر؛ ليدل على أن الله إنما عاداهم بكفرهم وأن عداوة الملائكة كفر كعداوة الأنبياء، ومن عاداهم عاداه الله.

ولقد إلخ: عطف على قوله "من كان" عطف القصة على القصة. (تفسير الكمالين) كفروا: أي أكفروا بها؟ أشار بذلك إلى أن الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف وهو أحد احتمالين تقدما. (حاشية الصاوي) عاهدوا الله: قدّره؛ ليفيد أن "عهدا" منصوب على المفعول به، و"عاهدوا" ضمن معنى "أعطوا"، ويكون المفعول الأول محذوفا يعني أن المفعول الأول لـــ"أعطوا" "عهدا"، والثاني هو "الله" محذوف في الكلام، تقديره: عاهدوا الله، أشار به الشارح، كما صرح به أبو البقاء في تفسيره.

على الإيمان بالنبي إلخ: يعني اليهود عاهدوا لئن خرج محمد لنؤمنن به، فلما خرج إليهم محمد ﷺ كفروا به، وقال عطاء: هي العهود التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين اليهود أن لا يعاونوا المشركين على قتاله، فنقضوها، من "معالم التنزيل".

أو **النبي** أن لا يعاونوا عليه المشركين نَّبَذَهُۥ طرحه فَرِيقٌ مِّنْهُم بنقضه، جواب "كلما" **وهو** محل الاستفهام الإنكاري بَلْ **للانتقال** أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ محمد ﷺ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ أي التوراة وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ أي **لم يعملوا** بما فيها من الإيمان بالرسول وغيره كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ما فيها من أنه نبي حق أو أنها كتاب الله وَٱتَّبَعُوا۟ عطف على "نبذ" مَا تَتْلُوا۟ أي **تلت** ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ عهد مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ **من السحر**، وكانت دفنته **تحت كرسيه** لما نزع ملكه أو كانت تسترق السمع، وتضم إليه أكاذيب، **وتلقيه** إلى الكهنة فيدوِّنونه، وفشا ذلك وشاع أن الجن تعلم الغيب، فجمع سليمان الكتب ودفنها، فلما مات دلَّت الشياطين ....

أو النبي: [عطف على لفظ "الجلالة"] إشارة إلى تفسير ثان، فقد كانوا يأتون النبيﷺ ويقولون له: إن كنت نبيا فأت لنا بكذا، فيقيم عليهم الحجة، فيعاهدونه أن لا يعاونوا عليه المشركين ثم ينقضونه. وهو إلخ: والمعنى على إنكار اللياقة يعني ما كان ينبغي لهم نبذ العهد كلما عقدوه. للانتقال: من غرض إلى غرض آخر. ولما جاءهم: هذا من جملة التشنيع على بني إسرائيل. لم يعملوا إلخ: أشار بذلك إلى أن قوله: "وراء ظهورهم" ليس على حقيقته بل هو كناية عن عدم العمل بما في التوراة، وإلا فهم يعظمونها إلى الآن. (حاشية الصاوي) تلت: أشار به إلى أن "تتلو" حكاية حال ماضية. الشياطين: من الجن والإنس أو منهما.

من السحر: بيان لـــ "ما" الموصولة. تحت كرسيه: أخرج ابن جرير عن ابن عباسؓ: كان سليمانؑ إذا أراد أن يدخل الخلاء أو يأتي شيئا من شأنه، أعطى الجرادة - وهي امرأته - خاتمه، فلما أراد الله أن يبتلي سليمانؑ بالذي ابتلاه به، أعطى الجرادة ذات يوم خاتمه، فجاء الشيطان في صورة سليمانؑ فقال لها: هاتي خاتمي، فأخذه فلبسه، فلما لبسه وأتت له الشياطين والجن والإنس، فجاءها سليمانؑ فقال: هاتي خاتمي، فقالت: كذبت لست سليمان، فعرف أنه بلاء ابتلي به، فانطلقت الشياطين، فكتبت من تلك الأيام كتبا فيها سحر وكفر، ثم دفنوها تحت كرسي سليمانؑ، ثم أخرجوها فقرؤوها على الناس، وقالوا: إنما كان سليمان يغلب الناس بهذه الكتب، فبرئ الناس من سليمان وأكفروه حتى بعث الله محمدا ﷺ وأنزل عليه: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾. (تفسير الكمالين) وتلقيه: خبر الملائكة مع ما ضم إليه.

عليها الناس فاستخرجوها فوجدوا فيها **السحر**، فقالوا: "إنما ملككم بهذا" فتعلّموه
سليمان بهذا المدفون
ورفضوا كتب أنبيائهم، قال تعالى تبرية لسليمان ورداً على اليهود - في قولهم: انظروا إلى محمد، يذكر سليمان في الأنبياء وما كان إلا ساحرا-: وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ أي لم يعمل السحر؛ **لأنه كفر** وَلَٰكِنَّ بالتشديد والتخفيف ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ
سمي السحر كفرا للأكثر لابن عامر وحمزة
يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ الجملة **حال** من ضمير "كفروا"..................

عليها: على ما دفنته الشياطين، أو على ما دفنه سليمان لكم. (تفسير الكمالين) **السحر:** كونه سحرا على الوجه الثاني مشكل؛ فإنها لم تكن فيها إلا أخبار الغيب، ولعلها كانت تؤثر أثر السحر؛ فإن السحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشياطين. (تفسير الكمالين) **لأنه كفر:** أي من غير تفصيل بين الاستحلال وعدمه، فالأول كفر دون الثاني. وفي "البيضاوي": والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشياطين مما لا يستقل به الإنسان إلخ. وقال الشيخ أبو المنصور: "القول بأن السحر كفر على الإطلاق خطأ، بل يجب البحث عن حقيقته، فإن كان في ذلك رد لما لزم من شرط الإيمان فهو كفر، وإلا فلا". (تفسير المدارك)

وفي "شرح فقه الأكبر": ثم لا كفر في تعلّم السحر بل في اعتقاد ترتب الأثر عليه، بمعنى جعله مستندا إليه وفي العمل به، كذا في "شرح العقائد"، وقال في "الروضة": ويحرم فعل السحر بالإجماع، وأما تعليمه وتعلّمه ففيه ثلاثة أقوال: الأول: الصحيح الذي قطع به الجمهور أنهما حرامان. والثاني: أنهما مكروهان. والثالث: أنهما مباحان. وأما ما ذكره التفتازاني في "شرح الكشاف" من أنه لا يروى خلاف في كون العمل به كفرا، فيخالفه هذا الخلاف، مع أن بين كلاميه تناقض وتناف.

السحر إلخ: والسحر كل ما لطف و دقّ، يقال: "سحره" إذا أبدى له أمرا يدقّ عليه ويخفى، وهو في الأصل مصدر، يقال: "سحره سحرا"، ولم يجئ مصدر لـــفعل يفعل على فِعْل إلا سِحْرا وفِعْلا. (تفسير السمين) وقال الغزالي في "الإحياء" ما نصه: السحر نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر، وبأمور حسابية في مطالع النجوم، فيتخذ من تلك الخواص هيكل على صورة الشخص المسحور ويترصّد له وقتا مخصوصا من المطالع، وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع، ويتوصل بسببها إلى استغاثته بالشياطين، ويحصل بين مجموع ذلك بحكم إجراء الله العادة أحوال غريبة في الشخص المسحور. (حاشية الجمل) **حال إلخ:** أو مستأنفة لبيان سبب الكفر، وفيه أن تعليمه أيضا كفر. (تفسير الكمالين)

وَ **يعلمونهم** مَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ أي ألهماه من السحر. وقرئ بكسر اللام الكائنَيْن بِبَابِلَ بلد في سواد العراق هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ بدل أو عطف بيان لـــ"الملكين"، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "**هما ساحران** كانا يعلمان السحر"، وقيل: ملكان أنزلا لتعليمه؛ **ابتلاء** من الله للناس وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ زائدة أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ له ....

ويعلمونهم إلخ: أشار به إلى أن "ما" موصولة في محل النصب عطفا على السحر، ونصه في "الكشاف"؛ فإن قيل: إن السحر لو كان نازلا عليهما لكان منزّله هو الله، وذلك غير جائز؛ لأن السحر كفر وعبث ولا يليق بالله تعالى إنزال ذلك، قلنا: فرق بين العمل وبين التعليم، فلم لا يجوز أن يكون العمل منهيا، وأما تعليمه لغرض التنبيه على فساده فإنه يكون مأمورا به، وأيضا أن السحر كثرت في ذلك الزمان، واستنبطت أبوابا غريبة في السحر، وكانوا يدّعون النبوة ويتخذون الناس بها، فبعث الله تعالى هذين الملكين وأنزل عليهما السحر؛ لأجل أن يعلما الناس حتى يتمكنوا من معارضة أولئك الذين كانوا يدّعون النبوة كذبا. (التفسير الكبير) ببابل: "الباء" بمعنى "في" وهي متعلقة بـــ"أنزل"، سميت به لتبلبل الألسنة أي تبدّلها عند سقوط صرح نمروذ أي تفرقها. (تفسير البغوي)

هما ساحران إلخ: هذا على التقدير بكسر اللام أي "على الملِكين"، قرأه الحسن، وهو مروي أيضا عن الضحاك، والقراءة المشهورة بفتح اللام، وهما كانا ملَكين نزلا من السماء، وهاروت وماروت اسمان لهما. (التفسير الكبير)

هما ساحران: قدم هذا القول إشارة لقوته، وإنهما رجلان ساحران وليسا بملكين. (حاشية الصاوي)

ابتلاء إلخ: وقصة هاروت وماروت على القول بثبوتها: أن الملائكة لما رأوا أعمال بني آدم الخبيثة تصعد إلى السماء، قالوا: سبحانك يا ربنا! خلقت خلقا وأكرمتهم وهم يعصونك، فقال الله تعالى لهم: لو ركّبتُ فيكم ما ركّبتُ فيهم لفعلتم فعلهم، قالوا: سبحانك لا نعصيك أبدا، فقال: اختاروا لكم ملكين، فاختاروا هاروت وماروت و كانا من أصلحهم، فركّب الله فيهما الشهوة، وأمرهما بالهبوط إلى الأرض والحكم بين الناس بالحق، ونهاهما عن الشرك و القتل والزنا وشرب الخمر، وعلمهما الله الاسم الأعظم، فكانا إذا أمسى لوقت صعدا به إلى السماء.

ثم إنه جاءت إليهما امرأة تسمى: الزهرة، وكانت جميلة جدا، فلما وقع نظرهما عليها أخذت بقلوبهما، فراوداها عن نفسها، فأبت إلا أن يحكما لها على زوجها، ففعلا فراوداها فأبت إلا أن يقتلا، ففعلا ثم راوداها فأبت إلا أن يشربا الخمر، ففعلا ثم راوداها فأبت إلا أن يسجدا للصنم ففعلا، ثم راوداها فأبت إلا أن يعلماها الاسم الذي يصعدان به إلى السماء ففعلا، فتلته فصعدت به إلى السماء، فمسخها الله كوكبا وهي الزهرة المعروفة.

فلما علما ذلك أرادا تلاوة الاسم الأعظم فلم تطاوعهما أجنحتهما، فذهبا إلى إدريس عليه السلام فسألاه أن يشفع لهما عند الله، ففعل ذلك، فخيرهما الله بين عذاب الدنيا والآخرة، فاختارا عذاب الدنيا؛ لعلمهما بانقطاعه، فهما ببابل معلّقان بشعورهما، يضربان بسياط من حديد إلى يوم القيامة. وقد اختلف في صحة هذه القصة وعدمها، فاختار الحافظ ابن حجر الأول؛ لورودها من عدة طرق عن الإمام أحمد بن حنبل، واختار البيضاوي ومن تبعه الثاني. (حاشية الصاوي)

نصحا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ بلية من الله للناس؛ ليمتحنهم بتعليمه، فمن تعلّمه كفرَ، ومن تركه فهو مؤمن **فَلَا تَكْفُرْ** بتعلّمه، فإن أبى إلا التعلم علّماه فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ بأن يبغض كلا إلى الآخر (وفي نسخة: كل منهما) وَمَا هُم أي السحرة بِضَآرِّينَ بِهِۦ بالسحر مِنْ **زائدة** أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ بإرادته وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ في الآخرة وَلَا يَنفَعُهُمْ وهو السحر وَلَقَدْ لام قسم عَلِمُوا۟ أي اليهود لَمَنِ **لام ابتداء** معلقة لما قبلها من العمل، و"**مَن**" **موصولة** ٱشْتَرَىٰهُ اختاره أو استبدله بكتاب الله مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ نصيب في الجنة وَلَبِئْسَ مَا **شيئا** شَرَوْا۟ باعوا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أي الشارين (بيان لضمير "أنفسهم") أي حظها من الآخرة (بيان للمخصوص بالذم) **أن تعلموه** حيث أوجب لهم النار لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ **حقيقة ما** يصيرون إليه من العذاب، ما تعلّموه وَلَوْ أَنَّهُمْ أي اليهود ءَامَنُوا۟ بالنبي والقرآن وَٱتَّقَوْا۟ عقاب الله بترك معاصيه كالسحر، وجواب "لو" محذوف أي لأثيبوا، ودلّ عليه لَمَثُوبَةٌ ثواب، وهو مبتدأ واللام فيه للقسم مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ خبره: ....

نصحا: ويقولان ذلك سبع مرات. **فلا تكفر إلخ:** أي مع العمل به على وجه يكون كفرا. **من زائدة:** أي في المفعول به؛ لإفادة تأكيد الاستغراق الذي يفيده "أحد". (روح البيان) **ما يضرهم:** لأنهم يقصدون به العمل أو لأن العلم يجر إلى العمل غالبا. **لام ابتداء:** وهو قوله: "علموا"، وتعليقها إبطال عملها لفظا لا معنى، وعبارة "البيضاوي": والأظهر أن اللام لام الابتداء علقت "علموا" من العمل.

ومن موصولة: أي في محل رفع بالابتداء، و"اشتراه" صلتها، وقوله: "ما له في الآخرة من خلاق" جواب القسم. **شيئا:** يشير إلى أن "ما" نكرة موصوفة. (تفسير الكمالين) **أن تعلموه:** "أن" مصدرية و"حيث" تعليلية لزمهم. **حقيقة ما إلخ:** يعني أنهم وإن علموا عقاب الله لكن لم يعلموا حقيقة عذابه وشدته، فلا يرد إثبات العلم لهم في قوله: "ولقد علموا"، ويقال: وإنهم إن علموا عدم الخلاف لهم في الآخرة بدخول الجنة ولكنهم لم يعلموا ما يترتب عليه من العقاب. (تفسير الكمالين)

مما شروا به أنفسهم لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ أنه خير لما آثروه عليه يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا للنبي، **أمر** من المراعاة، وكانوا يقولون له ذلك، وهي بلغة اليهود سبٌّ **من الرعونة، فسُرُّوا بذلك**، وخاطبوا بها النبي، فنهي المؤمنون عنها وَقُولُوا بدلها انْظُرْنَا أي انظر إلينا وَاسْمَعُوا ما تؤمرون به **سماع قبول** وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مؤلم، هو النار مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ من العرب، عطف على "أهل الكتاب" و"من" للبيان أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ زائدة خَيْرٍ وحي مِنْ رَبِّكُمْ **حسدا لكم** وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ نبوته مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ **ولما طعن** الكفار في النسخ وقالوا: "إن محمدا يأمر أصحابه اليوم بأمر، وينهى عنه غدا" نزل: **مَا شرطية** نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أي ....

مفعول له لقوله: "يود"

مما شروا به إلخ: ليس هذا الخير بمعنى "أفعل"، بل هو لبيان أنها فاضلة كقوله: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾ (الفرقان:٢٤) و﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ﴾ (فصلت:٤٠) كذا في "السمين"، لكن الجلال جرى على أنها صيغة تفضيل، حيث قدر المفضل عليه بقوله: "مما شروا به أنفسهم" لكن هذا بالنظر لزعمهم، وإلا فلا مشاركة أصلا. (حاشية الجمل) **أمر:** وهي المبالغة في الرعي، وهو حفظ الغير وتدبير أموره وتدارك مصالحه. كان المسلمون يقولون لرسول الله ﷺ إذا ألقى عليهم شيئا من العلم: راعنا، يا رسول الله، أي راقبنا وانتظرنا وتأنَّ بنا حتى نفهم كلامك من "أبي السعود".

من الرعونة: وهو الحمق، فكانوا إذا أرادوا أن يحمقوا إنسانا قالوا: راعنا يعني يا أحمق، قاله البغوي، فالألف حينئذ لمد الصوت وحرف النداء. **فُسروا بذلك:** بتشديد الراء أي فرحوا بذلك. **سماع قبول:** لا كسماع اليهود حيث قالوا: سمعنا وعصينا. (تفسير الكمالين)

حسدا لكم: تعليل النفي وحسد اليهود بسبب زعمهم أن النبوة لا تليق إلا بهم؛ لكونهم أبناء الأنبياء، وحسد مشركي العرب بسبب ما عندهم من الرياسة و الفخر، فقالوا: لا تليق النبوة إلا بنا. **ولما طعن إلخ:** أشار بذلك إلى سبب نزول الآية، والمقصود من ذلك بيان حكمة النسخ والرد على الكفار حيث قالوا: إن القرآن افتراء من محمد، فلو كان من عند الله لما بدل فيه وغيّر. **ما شرطية:** أي شرطية جازمة "ننسخ".

نزل حكمها: إما **مع لفظها أو لا**، وفي قراءة: بضم النون من "أنسخ" أي نأمرك أو جبرئيل بنسخها **أَوْ نُنسِهَا** نؤخرها؛ **فلا نزل** حكمها، ونرفع تلاوتها، أو نؤخرها في اللوح المحفوظ، **وفي قراءة بلا همز** من "النسيان" أي ننسكها ونمحها من قلبك وجواب الشرط **نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أنفع للعباد** في **السهولة** أو **كثرة الأجر أَوْ مِثْلِهَآ** في التكليف والثواب **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾** ومنه النسخ والتبديل، **والاستفهام للتقرير**. **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ** يفعل فيهما ما يشاء **وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ** أي غيره **مِن** زائدة **وَلِىٍّ** يحفظكم **وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾** يمنع عذابه عنكم إن أتاكم. ....

(لابن عامر - من الإفعال - نتركها - من المحو)

نزل حكمها: [بضم النون من الإزالة أي نرفع حكمها] رفع حكمها مع تلاوتها، كما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان مما يتلى في كتاب الله "عشر رضعات يحرمن" ثم نسخ بـــ"خمس رضعات يحرمن"، فهو منسوخ الحكم والتلاوة جميعا، وقوله: "أو لا" أي رفع حكمها دون لفظها. **مع لفظها**: نحو عشر رضعات يحرمن.
أو لا: فيرفع الحكم ويبقى التلاوة نحو: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ﴾ (البقرة:١٨٤). (تفسير الكمالين)
أو ننساها: من النسيء وهو التأخير، والمراد تأخير الحكم عن النسخ أي إبقاؤه مع نسخ تلاوة. **فلا نزل**: من الإزالة أي لم نرفع حكمها أي بل نبقيه، وقوله: "ونرفع تلاوتها" مرفوع عطفا على النفي لا المنفي، هذا إشارة إلى ثالث أقسام النسخ وهو نسخ التلاوة دون الحكم كنسخ: "الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة". (حاشية الجمل) **وفي قراءة**: لنافع وابن عامر والكوفيين "ننسها" بضم النون وكسر السين. (تفسير الكمالين)
بلا همز: من تلك المادة وإلا فهو من الإفعال. (تفسير الكمالين) **أنفع للعباد إلخ**: إشارة إلى أن الخيرية باعتبار نفع العباد، لا أن آية خير من آية؛ لأن كلام الله واحد وكله خير ونصه. (معالم التنزيل). **السهولة**: كنسخ وجوب مصابرة الواحد بعشرة بوجوب مصابرة الاثنين.
كثرة الأجر: كنسخ التخيير بين الصوم والفدية بتعيين الصوم، وهذا في النسخ بالبدل الأثقل. (حاشية الجمل بتغيير)
أو مثلها إلخ: كنسخ وجوب استقبال بيت المقدس بوجوب استقبال الكعبة، فهما متساويان في الأجر. (تفسير الجمالين) **والاستفهام للتقرير**: أي إنك تعلم. (معالم التنزيل) **ولي ولا نصير**: الفرق بين الولي والنصير: أن الولي قد يضعف عن النصرة، والنصير قد يكون أجنبيا من المنصور، فبينهما عموم وخصوص من وجه.

ونزل لما سأله أهل مكة أن يوسعها ويجعل الصفا ذهبا: أَمْ بل تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ أي سأله قومه مِن قَبْلُ من قولهم: ﴿أرنا الله جهرة﴾ **وغير ذلك** وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ أي يأخذه بدله بترك النظر في الآيات البينات، **واقتراح غيرها** فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ أخطأ طريق الحق، والسواء في الأصل الوسط **وَدَّ** كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وهم اليهود **لَوْ مصدرية** يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا **مفعول له، كائنا** مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم أي حملتهم عليه أنفسهم الخبيثة ....

ونزل: يرد على هذا أن السورة مدنية، وأيضا سياق الكلام سابقا ولاحقا في شأن اليهود، وأيضا تقدير "أم" بـــ"بل" التي للإضراب الانتقالي مما يبعد هذا؛ فإنه لم يتقدم كلام مع أهل مكة حتى ينتقل منه إلى كلام آخر معهم، فالأظهر إنما هو القول الآخر، وهو أنها في شأن اليهود. (حاشية الجمل) ويمكن الجواب عن الأول: بأن السورة وإن كانت مدنية لكن سؤال أهل مكة ليس بمحال. وعن الثاني: بأنا لا نسلم أن سياق الكلام سابقا في شأن اليهود، وسوقه لاحقا لا يضر، وعن الثالث: بأنا لا نسلم عدم تقديم الكلام مع أهل مكة، وإن سلم فلا ضرورة للإضراب الانتقالي أن يذكر عين منتقل عنه بعده كما تقول: جاءني زيد بل عمرو. اللهم إلا أن يقال: إن جُلّ المفسرين على أنها أنزلت في شأن اليهود، فتأمّل.

وغير ذلك: من قولهم: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ (الأعراف:١٣٨) **واقتراح غيرها:** أي طلب غيرها إلخ، في "المختار": اقترح عليه كذا: سأله إياه من غير رؤية. **سواء السبيل:** من إضافة الصفة إلى الموصوف أي الطريق المستوي.

ود كثير إلخ: سبب نزولها: أن عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما لما رجعا مع رسول الله ﷺ من غزوة أحد، اجتمعا برهط من اليهود، فقالوا لهما: ألم نقل لكما: إن دين اليهودية هو الحق وغيره باطل، فلو كان ما عليه محمد حقا ما قتلت أصحابه مع دعواه أنه يقاتل والله معه، فقال عمار بن ياسر رضي الله عنه: ما حكم نقض العهد عندكم؟ فقالوا: فظيع جدا، فقال: إني عاهدت محمدا على أتباعه إلى أن أموت فلا أنقضه أبدا، فقالوا: قد صبا، فقال حذيفة رضي الله عنه: رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، والكعبة قبلة، والقرآن إماما، والمؤمنين إخوانا، فلما رجعا أخبرا رسول الله ﷺ بذلك، فقال: "أصبتما الخير وأفلحتما"، فنزلت. (حاشية الصاوي) **لو مصدرية:** "لو" من الحروف المصدرية إذا جاءت بعد فعل يفهم معنى منه التمني. (روح البيان)

مفعول له: علة لقوله: "ود"، كأنه قيل: ود كثير من أجل الحسد. (روح البيان) **كائنا إلخ:** يشير إلى أن قوله: "من عند أنفسهم" ظرف مستقر صفة "حسدا"، ويجوز أن يتعلق بـــ"ود" أي تمنوا ذلك من عند أنفسهم لا من قبيل التدين؛ فيكون ظرف لغو.

مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ في التوراة ٱلۡحَقُّۖ في شأن النبي فَٱعۡفُواْ عنهم أي اتركوهم وَٱصۡفَحُواْ أعرضوا **فلا تجازوهم** حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ فيهم من القتال الخاص بهم إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ طاعة كصلاة وصدقة تَجِدُوهُ أي **ثوابه** عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٠﴾ فيجازيكم به. وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا **جمع هائد** أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قال ذلك يهود المدينة، ونصارى **نجران** لما تناظروا بين يدي النبي ﷺ، أي قال اليهود: "لن يدخلها إلا اليهود"، وقال النصارى: "لن يدخلها إلا النصارى" تِلۡكَ **المقولة** أَمَانِيُّهُمۡۗ شهواتهم الباطلة قُلۡ لهم ....

من بعد إلخ: متعلق بـــ"ود"، و"ما" مصدرية أي من بعد تبين الحق لهم، وهذا أبلغ قبح منهم؛ لأنهم عرفوا الحق فلم يهتدوا، ومع ذلك وقعت المراودة لغيرهم على الضلال، فقد ضلّوا وأضلّوا. (حاشية الصاوي)

فاعفوا إلخ: العفو، ترك عقوبة المذنب، وقوله: "واصفحوا" ترك التفزيع باللسان، والاستقصاء في اللوم، يقال: صفحت عن فلان إذا أعرضت عن ذنبه بالكلية. (روح البيان) وفي "المعالم": العفو: المحو، والصفح: الإعراض.

فلا تجازوهم: وفي بعض النسخ: ولا تحاوروهم - بالحاء والراء المهملتين - أي لا تناظروهم، قال البيضاوي: العفو: ترك عقوبة المذنب، والصفح: تثريبه. (تفسير الكمالين) **ثوابه:** بين به المراد؛ لأن عين تلك الأعمال لا تبقى، ولأن وجدان عينها لا يرغب فيه. (روح البيان) **عند الله:** العندية معنوية على حد: لي عند زيد يد، أي مصون ومحفوظ مدّخر. (حاشية الصاوي) **جمع هائد:** [كعائذ وعوذا، يقال: هاد وهودا إذا دخل في اليهودية.] بمعنى تائب، نحو: إنا هدنا إليك أي تبنا، وكأنه كان في الأصل اسم مدح لمن تاب منهم من عبادة العجل، ثم صار بعد نسخ شريعتهم لازما لجماعتهم كالعلم لهم.

نجران: بفتح النون وسكون الجيم، اسم بلد باليمن، وفي وفد نجران نزلت هذه الآية، رواه ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما. (تفسير الكمالين) **المقولة:** [وفي بعض النسخ: القولة، وهي: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى﴾ (البقرة:١١١)] إشارة إلى أن المشار إليه هو تلك المقولة فقط، وإنما جمعت خبرها؛ لأنها محتوية على أماني: لا يدخل الجنة إلا اليهود، أو لا يدخلها النصارى والمسلمون، أو جعلت متعددة لتعدد قائله، فلا حاجة إلى جعلها إشارة إلى الأماني المذكورة، أو تقدير المضاف أي أمثال تلك الأمنية. (تفسير الكمالين)

هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ حجتكم **على ذلك** إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ فيه بَلَىٰ **يدخل** الجنة غيرهم مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ أي انقاد لأمره، وخص **الوجه**؛ لأنه **أشرف الأعضاء** الظاهرة، فغيره أولى، وَهُوَ مُحۡسِنٞ موحد فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ أي ثواب عمله الجنة وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١١٢﴾ **في الآخرة**. وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ معتد به، وكفرت بعيسى عليه السلام، وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ معتد به، وكفرت بموسى عليه السلام وَهُمۡ أي الفريقان يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ المنزل عليهم، وفي كتاب اليهود تصديق عيسى عليه السلام، وفي كتاب النصارى تصديق موسى عليه السلام، والجملة حال كَذَٰلِكَ كما قال **هؤلاء** من الفريقين قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ أي **المشركون** من العرب وغيرهم مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ **بيان** لمعنى ....

هاتوا: أصله "آتوا" قلبت الهمزة هاء، وهو أمر تعجبي أي احضروا كما في "المعالم" وغيره. **برهانكم:** قيل: مأخوذ من "البرهة" أي القطعة؛ لأن به قطع حجة الخصم، وقيل: من البرهن أي البيان، فعلى الأول ممنوع من الصرف وعلى الثاني مصروف. **على ذلك:** على اختصاصكم بدخول الجنة. (من تفسير المدارك)

يدخل: إشارة إلى إثبات ما نفوه من دخول غيرهم الجنة، وأن ذلك مستفاد من "بلى"؛ فإن معناها إيجاب النفي. من "تفسير المدارك والكرخي" يشير إلى أنه تم الرد بقوله: "بلى" وحده، ويحسن الوقف عليه، وما بعده كلام مستأنف. (تفسير الكمالين) **الوجه:** ولأنه موضع السجود، وهو أخص خصائص الإخلاص.

أشرف الأعضاء: من حيث إنه معدن الحواس والفكر والتخيل. **فله أجره إلخ:** الفاء جزائية إن كانت "من" شرطية، وإن كانت موصولة فالفاء داخلة؛ لتضمن المبتدأ معنى الشرط، ويجوز أن يكون "من أسلم" فاعل فعل مقدر، أي بلى يدخلها من أسلم، فعلى هذا يكون قوله: "فله أجره" كلاما معطوفا أي يدخلها من أسلم. (تفسير الكمالين) **في الآخرة إلخ:** أما في الدنيا فالمؤمنون أشد خوفا وحزنا من غيرهم؛ من أجل خوفهم من العاقبة. (حاشية الجمل) **هؤلاء:** يشير إلى أنه صفة مصدر محذوف أي قال المشركون قولا. (تفسير الكمالين)

المشركون إلخ: أي فالمراد من ذلك تسلية النبي ﷺ على ما وقع من المشركين؛ فإن اليهود والنصارى كفروا وضلوا مع علمهم بالحق، فكيف بمن لا علم عنده! فلا يستغرب ذلك منهم. (حاشية الصاوي)

بيان: على أنه بدل منه، وعبارة غيره بيان لمعنى كذلك يعني أن لفظ "مثل" بيان للكاف، ولفظ "قولهم" بيان لاسم الإشارة. (حاشية الجمل) أي تأكيد وتقرير له، فلا تكرار. وقد يقال: المراد من إحدى القولين المصدر، ومن الآخر المقول، والمراد: تشبيه القول بالمقول في المودّى والمحصول، وتشبيه بالقول في الصدور عن محض الهوى. (تفسير الكمالين)

"ذلك" أي قالوا لكل ذي دين: "**ليسوا** على شيء" فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ بين الفرق المذكورة فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ من أمر الدين، فيدخل المحق الجنة والمبطل النار. وَمَنْ أَظْلَمُ أي لا أحد أظلم مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ بالصلاة والتسبيح وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ بالهدم أو التعطيل، نزلت **إخبارا عن الروم** الذين **خربوا** بيت المقدس، . . . قبل بعثة النبي ﷺ

ليسوا: الضمير راجع للكل باعتبار معناه. **ومن أظلم إلخ:** "من" استفهام في محل رفع بالابتداء، و"أظلم" أفعل تفضيل خبره، ومعنى الاستفهام هنا النفي، أي لا أحد أظلم منه، ولما كان المعنى على ذلك أورد بعض الناس سؤالا وهو أن هذه صيغة قد تكررت في القرآن: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى﴾ (الأنعام:٢١)، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ (الكهف:٥٧)، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللهِ﴾ (الزمر:٣٢) وكل واحدة منها تقتضي أن المذكور فيها لا يكون أحد أظلم منه، فكيف يوصف غيره بذلك؟ ولذلك جوابان، أحدهما: أنه أن يخص كل واحد بمعنى صلته كأنه قال: لا أحد من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله، ولا أحد من المفترين أظلم ممن افترى على الله، ولا أحد من الكذابين أظلم ممن كذّب على الله تعالى وهكذا كل ما جاء منه.

الثاني: أن هذا نفي للأظلمية ونفي الأظلمية لا يستدعي نفي الظالمية؛ لأن نفي المقيد لا يدل على نفي المطلق، وإذا لم يدل على نفي الظالمية لا يكون تناقضا؛ لأن فيها إثبات التسوية في الأظلمية، وإذا ثبت التسوية في الأظلمية لم يكن أحد ممن وصف بذلك يزيد على الآخر؛ لأنهم متساوون بذلك، فلا إشكال في تساوي هؤلاء في الأظلمية. (حاشية الجمل)

منع مساجد الله إلخ: فإن قلت: فكيف قيل: "مساجد الله" وكان المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس أو المسجد الحرام؟ قلت: لا بأس أن يجيء الحكم عاما وإن كان السبب خاصا، كما تقول لمن أذى صالحا: ومن أظلم ممن أذى الصالحين. (تفسير الكشاف) جمع مسجد، سمي باسم السجود؛ لأنه أشرف أركان الصلاة؛ لقوله ﷺ: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد"، ولأنه محل غاية الذل والخضوع لله عز وجل. وإن كان القياس فتح عينه في المفرد لكنه لم يسمع إلا الكسر، فالقراءة سنة متبعة. (حاشية الصاوي)

إخبارا عن الروم: أي قبل بعثة الرسول حين توجهت جيوش بخت نصر مع نصارى الروم لتخريب بيت المقدس، وكان بخت نصر مجوسيا من أهل بابل، وذلك حين قتل بنو إسرائيل يحيى بن زكريا عليهما السلام، و لم يزل كذلك حتى بناه المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ. (حاشية الصاوي)

خربوا: قال البغوي: نزلت في طيطروس بن أسيانوس الرومي وأصحابه، قتلوا وسبوا وحرقوا التوراة، وخربوا بيت المقدس، وقذفوا فيه الجيف، وذبحوا فيه الخنازير، وكان خرابا إلى أن بني في أيام عمر ﷺ. (تفسير الكمالين)

أو في المشركين **لما صدّوا النبي** ﷺ **عام الحديبية** عن البيت الكعبة ﴿أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ **خبر** بمعنى الأمر، أي أخيفوهم بالجهاد؛ **فلا يدخلها** أحد آمنا ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ **هوانٌ** بالقتل والسبي والجزية للذمي ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١١٤﴾ هو النار. ونزل **لما طعن** اليهود في نسخ القبلة، أو في **الصلاة النافلة** على الراحلة في السفر حيثما توجهت: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ أي **الأرض كلها**؛ ....

لما صدوا: الصد: المنع. قال عطاء وعبد الرحمن بن زيد: نزلت في شهر مكة. (معالم التنزيل) **النبي** ﷺ: محمدا ﷺ وأصحابه عن أركان الحج. **عام الحديبية:** أي وهو عام ست من الهجرة حين خرج رسول الله ﷺ في ألف وأربعمائة بقصد العمرة، فصده المشركون وهو بالحديبية، فتحلل ورجع. (حاشية الصاوي) [موضع على تسعة أميال من مكة، نزل بها النبي ﷺ.] **ما كان لهم:** أي ما كان ينبغي لهم أن يدخلوها إلا بخشية وخضوع، فضلا عن الاجتراء على تخريبها، هكذا فسر الجمهور من المفسرين.

خبر إلخ: أشار به إلى دفع ما يتوهم من أن الله أخبر بأنهم لا يدخلونها إلا خائفين وقد دخلوها آمنين، وبقي في أيديهم سنين حتى استخلصه السلطان صلاح الدين، وقال في "معالم التنزيل": إن بيت المقدس موضع حج النصارى ومحل زيارتهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "لم يدخلها -يعني بيت المقدس- بعد عمارتها رومي إلا خائفا لو علم به قتل". وقال قتادة ومقاتل: "لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى إلا مستنكرا، لو قدر عليه لعوقب".

فلا يدخلها إلخ: من ذلك اختلفت المذاهب في دخول الكافر المسجد، فمنعه المالكية إلا لحاجة، وفصّل الشافعية فقالوا: إن أذن له مسلم في غير المساجد الثلاثة جاز له وإلا فلا، وجوّزه الحنفية مطلقا.

لهم في الدنيا إلخ: هذه الجملة وما بعدها لا محل لها؛ لاستينافها عما قبلها، ولا يجوز أن تكون حالا؛ لأن خزيهم ثابت على كل حال، لا يقيد بحال دخول المساجد خاصة. **هوان:** بفتح الهاء بالقتل والسبي للحربي.

لما طعن إلخ: أي التي هي بيت المقدس، فإن النبي ﷺ حين قدم المدينة أمر بالصلاة لجهة بيت المقدس؛ تأليفا لليهود، فأشاعوا أن محمدا تابع لهم في دينهم وشريعتهم، ثم بعد مدة أمره الله بالانتقال إلى الكعبة، فقالوا: إن محمدا يفعل على مقتضى هواه وليس مأمورا بشرع، فنزلت الآية. (حاشية الصاوي)

الصلاة النافلة إلخ: أي نزلت في شأن اعتراض اليهود على النبي ﷺ حين شرعت الصلاة النافلة على الدابة في السفر، حيثما توجهت. (حاشية الصاوي) **الأرض كلها إلخ:** جواب عن سؤال مقدر كأنه قيل: ما وجه الاقتصار على المشرق والمغرب؟ ويحتمل أن فيه حذف الواو مع ما عطفت أي وما بينهما.

لأنهما ناحيتاها ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾ وجوهكم في الصلاة بأمره ﴿فَثَمَّ﴾ هناك ﴿وَجْهُ اللَّهِ﴾ قبلته التي رضيها ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ﴾ يسع فضله كل شيء ﴿عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ بتدبير خلقه. ﴿وَقَالُوا﴾ - بواو ودونها - أي اليهود والنصارى، ومن زعم أن الملائكة بنات الله ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ قال تعالى ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيها له عنه ﴿بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكا وخلقا وعبيدا، والملكية تنافي الولادة وعبر بـ "ما" تغليبا لما لا يعقل ﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾ مطيعون، كل بما يراد منه، وفيه تغليب العاقل..............................

فأينما تولوا: "أين" هنا اسم شرط بمعنى "إن"، و"ما" مزيدة عليها، و"تولوا" مجزوم بها، وزيادة "ما" ليست لازمة لها، وقوله: "فثم" خبر مقدم، و"وجه الله" مبتدأ مؤخر، هذه الجملة جواب الشرط، ومعنى الآية: ففي أي مكان فعلتم التولية -يعني تولية وجوهكم شطر القبلة- فثم وجه الله أي جهته التي أمر بها. (تفسير المدارك) قوله: "وجوهكم إلخ": أشار به إلى تقدير مفعول "تولوا". وجوهكم: يشير إلى تقدير مفعول "تولوا" أي صرفوا وجوهكم في الصلاة بأمره و"أينما" ظرف له، أي في أي مكان صرفتم وجوهكم في الصلاة بأمره، وقبله التي رضي بها، فالمراد بـ"الوجه" الجهة أو فثم ذاته؛ لأن الوجه عبارة عن الذات. (تفسير الكمالين)
قبلته: التي رضيها أي جهته التي أمر بها إلخ، هذا المعنى على طريق صنيع الشارح. وعبارة غيره: أنكم إذا منعتم أن تصلوا في المسجد الحرام أو في بيت المقدس فقد جعلت لكم الأرض مسجدا، فصلوا في أي بقعة شئتم من بقاعها، وافعلوا التولية فيها؛ فإن التولية ممكنة في كل مكان. كما في "المدارك" وغيره.
يسع إلخ: أي فصحة الصلاة ليست متوقفة على جهة بيت المقدس فقط كما زعمت اليهود، بل خصنا الله بمزايا على حسب مزيد فضله لم تكن فيهم، فمنها أمر القبلة، ومنها جعل الأرض كلها مسجدا، وتربتها طهورا وغير ذلك. (حاشية الصاوي) وقالوا: هذا من جملة قبائح اليهود والنصارى ومشركي العرب، حيث قالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقال مشركوا العرب: الملائكة بنات الله. (حاشية الصاوي)
ومن زعم: ولم يقل: "ومشركوا العرب"؛ فإن ذلك القول لم يثبت عنهم. (تفسير الكمالين)
ملكا إلخ: ومن جملته الملائكة والمسيح وعزير. (تفسير الكمالين) لا يعقل: لكثرتها، وفي التلويح: أن الأكثر على عموم "ما". (تفسير الكمالين) كل له إلخ: التنوين فيه عوض عن المضاف إليه، أي كل ما في السماوات والأرض، أو كل من جعلوه ولدا لله. مطيعون: مقرون بالربوبية كل بما يراد منه، و"فيه" أي في جمعها جمع المذكر العاقل. (تفسير الكمالين) كل بما يراد منه: كل فرد من أفراد المخلوقات مطلوب لما يراد منه، فالباء بمعنى اللام. (حاشية الجمل)

بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ موجدهما لا على مثال سبق وَإِذَا قَضَىٰٓ أراد أَمْرًا أي إيجاده فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ أي فهو يكون، وفي قراءة بالنصب جوابا للأمر وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ أي كفار مكة للنبي ﷺ لَوْلَا هلا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أنك رسوله أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ مما اقترحناه على صدقك كَذَٰلِكَ كما قال هؤلاء قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم من كفار الأمم الماضية لأنبيائهم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ من التعنت وطلب الآيات تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ في الكفر والعناد، فيه تسلية للنبي ﷺ، قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ يعلمون أنها آيات فيؤمنون بها، فاقتراح آية معها تعنت. إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ يا محمد بِٱلْحَقِّ بالهدى بَشِيرًا من أجاب إليه بالجنة ....

(لابن عامر بنصب "فيكون") (طلبناه) (التشديد والتهكم)

أراد: فيه إشارة إلى بيان المراد بالقضاء هنا، فإن القضاء له معان كثيرة فيكون بمعنى خلق وأمر وقدر وأراد. إيجاده: يشير إلى أن المضاف محذوف والقضاء بمعنى الإرادة. (تفسير الكمالين) وقوله: "فإنما يقول له كن فيكون" ليس المراد أنه إذا تعلقت إرادته بإيجاب أمر أتى بالكاف والنون، بل ذلك كناية عن سرعة الإيجاد، فمراده نافذ ولا يتخلف. فيكون: الجمهور على الرفع عطفا على "يقول" أو على الاستيناف أي فهو يكون، وقرئ بالنصب على جواب لفظ الأمر وهو ضعيف؛ لأن "كن" ليس بأمر على الحقيقة؛ إذ ليس هناك مخاطب به، وإنما المعنى هناك سرعة التكون، يدل على ذلك أن الخطاب بالتكون لا يرد على الموجود؛ لأن الموجود متكون، ولا يرد على المعدوم؛ لأنه ليس بشيء، لا يبقى إلا لفظ الأمر، ولفظ الأمر يرد ولا يراد به حقيقة الأمر، كقوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ (مريم:٣٨). (تفسير أبي البقاء)

كفار مكة: [منهم رافع بل حرملة. (تفسير الكمالين)]تقدم الإشكال بأن السورة مدنية وأن السائل له يهود المدينة، والجواب أنه لا مانع أن كفار مكة أرسلوا ذلك السؤال له وهو بالمدينة. (حاشية الصاوي)

هلا إلخ: أشار إلى أن "لولا" ههنا حرف تحضيض كـ "هلا"، وما نقل عن الخليل: أن "لولا" الواقعة في جميع القرآن بمعنى "هلا" إلا ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ (الصافات:١٤٣) فمعناه لو لم يكن متعقبا بآيات، منها: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ (يوسف:٢٤) فإنها امتناعية، وجوابه لهم بها. (تفسير الجمالين) يكلمنا: بلا واسطة كما يكلم الملائكة. (تفسير الكمالين) من التعنت إلخ: هذا هو وجه المماثلة؛ لأن ما وقع من الأمم الماضية ليس عين ما وقع من كفار مكة. من أجاب إليه إلخ: يشير إلى أن "بشيرا" بمعنى المبشر. (تفسير الكمالين)

وَنَذِيرًاۖ من لم يجب إليه بالنار **وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾** النار أي الكفار، **ما هم** لم يؤمنوا إنما عليك البلاغ، وفي قراءة **بجزم "تسأل"** نهياً. **وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْۗ** دينهم **قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ** الإسلام **هُوَ ٱلْهُدَىٰۗ وما عداه** ضلال **وَلَئِنِ** لام قسم **ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم** التي يدعونك إليها **فرضا بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِۙ الوحي** من الله **مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ** يحفظك **وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾** يمنعك منه. **ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ** مبتدأ **يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ** أي يقرؤونه كما أنزل، والجملة حال، **و"حق"** نصب على المصدر **والخبر أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۗ نزلت في جماعة قدموا** من الحبشة وأسلموا، **وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ** أي بالكتاب المؤتى بأن يحرفه ....

لنافع ويعقوب — خبر "الذين"

ما هم إلخ: هذا صورة السؤال المنفي أي لا يقال لك في القيامة هذا القول، وقوله: "إنما عليك البلاغ" تعليل المنفي المذكور. (حاشية الجمل) **بجزم تسأل:** [مع فتح التاء أي لا تَسأل يا محمد عن صفاقم الشنيعة أو لا تَسأل الشفاعة فيهم.] أي على صيغة الفاعل، وقوله: "نهيا" أي نهيا من الله سبحانه للنبي أي لا تسأل عن حالهم التي تكون لهم في القيامة، فإنها شنيعة (حاشية الجمل) وفي "المدارك": معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب، كما تقول: كيف فلان سائلا عن الواقع في بلية، فيقال لك: لا تسأل عنه. **ولن ترضى إلخ:** هذه مقالة قالها الله له حين قالت اليهود: لا نرضى عنك حتى تتبع ما نحن عليه، وكذلك قالت النصارى. (حاشية الصاوي)

ما عداه: الحصر مستفاد من ضمير الفصل وتعريف المسند. (تفسير الكمالين) **فرضا:** على فرض وقوعه، أو ذلك تخويف لأمته على حد ما قيل: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ (الزمر:٦٥). (حاشية الصاوي)

الوحي: وعبارة غيره بأن دين الله هو الإسلام؛ إذ من الدين المعلوم صحة بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة.

ما لك إلخ: جواب القسم، وجواب الشرط محذوف دل عليه هذا المذكور، تقديره: فما لك من الله؛ وذلك لأن القاعدة أنه إذا اجتمع شرط وقسم يحذف جواب المتأخر منهما. (حاشية الجمل) **وحق إلخ:** لأنها صفة للتلاوة في الأصل؛ لأن التقدير تلاوة حقا، وإذا قدم وصف المصدر وأضيف إليه انتصب نصبَ المصدر، ويجوز أن يكون وصفا لمصدر محذوف. (تفسير أبي البقاء)

والخبر أولئك: وقيل: "يتلونه" و"أولئك" جملة مستأنفة. (تفسير الكمالين) **نزلت في جماعة:** [أربعين نفرا من أصحاب النجاشي (الكمالين)] أي أربعين: اثنان وثلاثون من الحبشة، وثمانية من رهبان الشام، منهم بحيرا الراهب ومقدمهم جعفر بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ. (حاشية الصاوي) قدموا: مع جعفر بن أبي طالب.

فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم. يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ تقدم مثله. وَٱتَّقُوا۟ خافوا يَوْمًا لَّا تَجْزِى تغني نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ فيه شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ فداء وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ يمنعون من عذاب الله. وَ اذكر إِذِ ٱبْتَلَىٰٓ اختبر إِبْرَٰهِـۧمَ وفي قراءة: "إبراهام" رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ بأوامر ونواه **كلفه بها، قيل:** هي مناسك الحج، **وقيل:** المضمضة والاستنشاق، والسواك، **وقص الشارب، وفرق الرأس،** وقلم الأظفار، ونتف الإبط، **وحلق العانة، والختان،** والاستنجاء، ....

يا بني إسرائيل: كرر هذه الآية لمزيد التقبيح عليهم. **لا تجزي نفس:** مؤمنة عن نفس أي كافرة، وقوله: "ولا يقبل منها" أي النفس الكافرة وكذا بقية الضمائر إلخ. والجملة صفة لـــ"يوما" و الرابط محذوف قدره بقوله: "فيه"، وقوله: "شيئا" أي شيئا من الإغناء، أو شيئا من الجزاء. (حاشية الجمل) **بكلمات:** الكلمات قد تطلق على المعاني؛ لشدة الاتصال بينها. (تفسير الكمالين) **كلفه بها:** والمراد التكليف على سبيل الوجوب، فقد كانت هذه العشرة واجبة عليه، وأما في حقنا بعضها سنة وبعضها واجب. **قيل إلخ:** رواه ابن المنذر من طريق التيمي عن ابن عباس رضي الله عنهما. (تفسير الكمالين)

وقيل إلخ: أخرج الحاكم من طريق طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "عشر مما علمهن أبوكم إبراهيم، خمس في الرأس وخمس في الجسد، أما التي في الرأس: فالمضمضة..." (تفسير الكمالين) وأما التي في الجسد: قلم الأظفار إلخ"، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: "كانت تلك الخصال له فرضا ولنا سنة". (تفسير الكمالين)

قص الشارب: أي والسنة تقصير الشارب، فحلقه بدعة كحلق اللحية، وفي الحديث: "جزوا الشوارب و أعفوا اللحى"، الجز والقص والقطع بمعنى. (روح البيان) وفي "الدر المختار" ناقلا عن "المجتبى": حلق الشارب بدعة، وقيل: سنة، وفي "رد المحتار" على قوله: "وقيل: سنة": مشى عليه في "المنتقى". وعبارة "المجتبى" بعد ما رمز للطحاوي: حلقه سنة، ونسبه إلى أبي حنيفة وصاحبيه، والقص منه حتى يوازي الحرف الأعلى من الشفة العليا سنة بالإجماع إلخ، وفي "فتاوى عالمكيري": "ويأخذ من شاربه حتى يصير مثل الحاجب"، كذا في "الفتاوى العتابية". **فرق الرأس:** أي فرق شعره إلى الجانب الأيمن والجانب الأيسر.

حلق العانة: العانة: الشعر تحت السرة. (حاشية الصاوي) **الختان:** فهو قطع الجلد الزائدة من الذكر، والمستحب وقت الختان من اليوم السابع من ولادته إلى عشر سنين، ويكره الترك إلى وقت البلوغ، وتوقف أبو حنيفة في وقته، واستحب العلماء في الرجل الكبير الذي يسلم أن يختتن إن بلغ ثمانين، وعن الحسن: أنه كان يرخص للشيخ =

فَأَتَمَّهُنَّ أدّاهن تامّات قَالَ تعالى له: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قدوة في الدين، قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي أولادي **اجعل** أئمة، قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي بالإمامة ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ الكافرين منهم، دل على أنه ينال غير الظالم وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ الكعبة مَثَابَةً لِّلنَّاسِ مرجعا **يثوبون إليه** من كل جانب وَأَمْنًا مأمنا لهم موضع أمن من الظلم والإغارات الواقعة في غيره، كان الرجل يلقى قاتل أبيه فيه **فلا يهيجه** وَٱتَّخِذُوا أيها الناس مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ هو الحجر الذي قام عليه عند ....

= الذي يسلم أن لا يختن ولا يرى به بأسا، قال ابن عبد البر: "وعامة أهل العلم على هذا". (روح البيان) وفي "الدر المختار": وقيل في ختان الكبير: إذا أمكنه أن يختن نفسه فعل وإلا لم يفعل ، وقال عليه في "رد المحتار": وقيل إلخ: مقابل لقوله: وحجة الختان؛ فإنه مطلق يشمل ختان الكبير والصغير، وهكذا أطلقه في "النهاية" كما قدمناه وأقره الشارح، والظاهر ترجيحه؛ ولذا عبر هنا عن التفصيل بـــ "قيل". **ومن ذريتي:** هذا كعطف التلقين، كما يقال: سأمرك فتقول: وزيدا، و"من" للتبعيض، وتخصيص البعض بذلك؛ لبداهة استحالة إمامة الكل وإن كانوا على الحق. (حاشية الصاوي) **اجعل إلخ:** [إشارة إلى أن الجار متعلق بمحذوف] إشارة إلى حذف المفعول عن قوله: "من ذريتي إلخ"، وعبارة أبي البقاء: المفعولان محذوفان، والتقدير: اجعل فريقا من ذريتي إماما.

الظالمين إلخ: أي لا تصيب الإمامة أهل الظلم من ولدك أي أهل الكفر. أخبر أن إمامة المسلمين لا يثبت لأهل الكفر من أولاد المسلمين والكافرين، قال الله تعالى: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ (الصافات:١١٣) والمحسن: المؤمن، والظالم: الكافر. قالت المعتزلة: هذا دليل على أن الفاسق لا يصلح للإمامة، وقالوا: وكيف يجوز نصب الظالم للإمامة، والإمام إنما هو لكف الظلمة؟ فإذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر: من استرعى الذئب ظلم، ولكنا نقول: المراد بالظالم الكافر ههنا؛ إذ هو الظالم المطلق، وقيل: إنه سأل أن يكون ولده نبيا كما كان هو، فأخبر أن الظالم لا يكون نبيا. (تفسير المدارك) **البيت:** ال في "البيت" للعهد. **يثوبون إليه:** أي يرجعون. **فلا يهيجه:** أي لا يحركه قتله أباه على قتل قاتله حرمة للحرم، وقيل: المعنى لا يؤاخذ الجاني الملتجئ حتى يخرج، وعلى هذا فهو دليل لنا في أن الجاني الملتجئ إلى الحرم لا يؤاخذ به، ويعضد الأول قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ (العنكبوت:٦٧). (تفسير الكمالين) **واتخذوا:** بزنة الأمر لأكثر القراء، عطف على "جعلنا" بتقدير القول، أي وقلنا: اتخذوا أيها الناس. (تفسير الكمالين)

بناء البيت مُصَلًّى مكان صلاة بأن تصلوا خلفه **ركعتي الطواف، وفي قراءة** بفتح الخاء، خبر وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ **أمرناهما** أَن **أي بأن** طَهِّرَا بَيْتِىَ من الأوثان لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ المقيمين فيه وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ جمع راكع وساجد: المصلين. وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا **المكان** بَلَدًا ءَامِنًا **ذا أمن**، وقد أجاب الله دعاءه، فجعله حرما **لا يسفك** فيه دم إنسان، ولا يظلم فيه أحد، ولا يصاد صيده، ولا يختلى **خلاه** وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ وقد فعل ....

بناء البيت: وكان في زمن النبي ﷺ وأبي بكر ﷺ ملصقا بالبيت ثم أخره عمر ﷺ، رواه عبد الرزاق بسند صحيح، أي حوّله إلى موضعه اليوم، ولابن مردويه عن المجاهد أنه ﷺ هو الذي حوله، قال الحافظ: "والأول أصح"، وقيل: هو الحجر الذي فيه أثر قدميه، والأول هو قول الجمهور. (تفسير الكمالين)

ركعتي الطواف: وقيل: صلوا هناك مطلقا، وتشهد للأول ما روي عن جابر: أنه ﷺ لما فرغ من طوافه عمد إلى مقام إبراهيم فصلى فيه ركعتين و قرأ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة:١٢٥)، وهي واجبة عندنا وعند المالكية، وسنة مؤكدة عند الحنابلة والشافعية على أصح القولين. (تفسير الكمالين)

وفي قراءة إلخ: يعني قوله: "اتخذوا"، قرأ نافع وابن عامر: "اتَّخَذوا" فعلا ماضيا على لفظ الخبر، والباقون على لفظ الأمر، وفي "تفسير أبي البقاء": "واتخذوا" يقرأ على لفظ الخبر، والمعطوف عليه محذوف تقديره: فثابوا واتخذوا، ويقرأ على لفظ الأمر، فيكون على هذا مستأنفا.

أمرناهما: العهد الموثق، وإذا عدي بـ"إلى" كان معناه التوصية، كذا في "التاج"، ولما كان هذه التوصية بطريق الأمر فسره بالأمر. (تفسير الكمالين) **أي بأن طهرا:** يشير إلى أنه مجرور بتقدير حرف الجر، و"أن" مصدرية. (تفسير الكمالين) **هذا المكان:** لعله إنما فسره بالمكان دون البلد، إشارة إلى أن الدعاء قبل صيرورته بلدا، والمسؤول البلدية مع الأمن، ولكن يخالفه ما في سورة إبراهيم: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً﴾ (إبراهيم:٣٥)، اللهم إلا أن يجعل الإشارة فيه إلى أمر مقدر في الذهن. (تفسير الكمالين)

ذا أمن: أشار به إلى أن الأمن صفة الأهل لا البلد، فعلى هذا إسناد "آمنا" إلى الحرم على سبيل المجاز.

لا يسفك إلخ: أي ولو قصاصا على مذهب أبي حنيفة ﷺ، فلا يقتص منه فيه عنده بل يضيق عليه بمنع الأكل والشرب حتى يخرج منه، ويقتص منه خارجه، وعند الشافعي: يقتص منه فيه، والخلاف بينهما فيما إذا قتل خارج الحرم ثم دخله ملتجأ إليه، أما إذا قتل فيه فإنه يقتص منه فيه اتفاقا، وقوله: "لا يختلى خلاه" أي لا يقطع ولا يؤخذ حشيشه الرطب. **خلاه:** بفتح المعجمة مقصورا كلأ رطب.

بنقل الطائف اسم بلاد الثقيف من الشام إليه، وكان أقفر **لا زرع** به ولا ماء، مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ بدل من "أهله"، وخصهم بالدعاء لهم موافقة لقوله: لا ينال عهدي الظالمين قَالَ تعالى: وَ **أرزق** مَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ بالتشديد والتخفيف الجمهور من التمتع في الدنيا بالرزق قَلِيلاً **مدة حياته** متعلق بـــ"أمتعه" ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ **ألجئه** من الإلجاء في الآخرة إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ فلا يجد عنها محيصا، وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ المرجع هي. وَاذكر إِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ **الأسس** أو الجدر مِنَ ٱلۡبَيۡتِ يبنيه متعلق بـــ"يرفع"، وَإِسۡمَٰعِيلُ عطف على "إبراهيم" **يقولان:** رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآ **بناءنا** إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ للقول ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ بالفعل، رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ منقادين لَكَ وَ اجعل مِن ذُرِّيَّتِنَآ أولادنا **أُمَّةً جماعة** مُّسۡلِمَةً لَّكَ و"من" للتبعيض، وأتى به؛ لتقدم قوله: "لا ينال عهدي الظالمين" يدل على كون بعض الذرية كفارا ....

بنقل الطائف إلخ: لما دعا إبراهيم عليه السلام هذا الدعاء، أمر الله جبرئيل بنقل قرية من قرى فلسطين كثيرة الثمار إليها، فأتى فقلعها وجاء بها وأطاف حول البيت سبعا، ثم وضعها على ثلاث مراحل من مكة وهي الطائف؛ ولذلك سميت به. (روح البيان) وفي "معالم التنزيل": أن الطائف كان من بلاد الشام بـــ"أردن". **لا زرع:** بيان لقوله: "أقفر".

وأرزق: الظاهر أنه بزنة المتكلم عطف على مقدر، أي أرزق من آمن، وأرزق من كفر، ويمكن أن يقرأ بزنة الأمر بأن يجعل "من كفر" معطوفا على "من آمن" عطفا تقليديا، فيصير التقدير: قل: يا إبراهيم، وارزق من كفر. (تفسير الكمالين)

مدة حياته: يشير إلى أن "قليلا" ظرف، أي زمانا قليلا إلى تمام زمان أجله. (تفسير الكمالين) **ألجئه:** إشارة إلى أن فيه معنى الاستعارة حيث شبه حالة الكافر المذكور بحالة من لا يملك الامتناع مما اضطر إليه، فاستعمل في المشبه ما استعمل في المشبه به. (حاشية الجمل) **الأسس:** أسس جمع أساس بمعنى البناء.

يقولان: قدره المفسر؛ ليصح جعل الجملة حالا من إبراهيم وإسماعيل؛ لأن الجملة الإنشائية لا تقع حالا إلا بتقدير، وعبر بالمضارع في "يرفع" استحضارا للحال الماضية؛ لعظم شأنه كأنه حاصل الآن وهو يحدث عنه.

بناءنا: أشار به إلى أن مفعول "تقبل" محذوف، وترك مفعول "تقبل" مع ذكره في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ﴾ (إبراهيم:٤٠)؛ ليعم الدعاء وغيره من القرب والطاعات التي من جملتها ما هما بصدده من البناء. (أبو السعود)

أمة جماعة: أفاد أن الأمة هنا الجماعة، وتكون واحدا إذا كان يقتدى به، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ (النحل:١٢٠) وقد يطلق الأمة على غير هذا المعنى. (من الكرخي)

وَأَرِنَا **علّمنا** مَنَاسِكَنَا شرائع عبادتنا **أو حجنا** وَتُبْ عَلَيْنَآ مطلقا إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ سألاه التوبة - مع عصمتهما- تواضعا وتعليما لذريتهما، رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ أي **أهل البيت** رَسُولاً مِّنْهُمْ من أنفسهم، وقد أجاب الله دعاءه **بمحمد** ﷺ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ القرآن وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ القرآن وَٱلْحِكْمَةَ أي ما فيه **من الأحكام** وَيُزَكِّيهِمْ يطهرهم من الشرك إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ الغالب ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ في صنعه. وَمَن **أي لا** يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ فيتركها إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ **جهل أنها** مخلوقة لله يجب عليها ....

علمنا: هذا مجاز من رؤية العلم، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ (الفرقان:٤٥)، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ (الفيل:١)، من "التفسير الكبير"، وعبارة "أبي السعود": وأرنا من الرؤية بمعنى الإبصار، أو بمعنى التعريف أي بصّرنا، أو عرّفنا.

أو حجنا: أي خاصة، والمناسك جمع منسك -بفتح السين وكسرها- وهو التعبد في أيّ موضع العبادة، والمراد منها: الشرائع بحذف المضاف، أو تسمية للحال باسم المحل، وشاع في الحج، والنسك مثلثة أو بضمتين. العبادة: كل حق لله عز وجل، والذبح للتقرب. (تفسير الكمالين) **أهل البيت:** أفاد به أن الضمير عائد إلى الذرية بمعنى الأمة؛ إذ لو أعاده إلى لفظها يقال: "فيها". (تفسير الكرخي) **بمحمد** ﷺ: إذ لم يبعث من ذريتهما غير نبينا ﷺ، وإليه يشير ما لأحمد مرفوعا: "أنا دعوة أبي إبراهيم". (تفسير الكمالين)

يتلوا عليهم: في موضع نصب صفة لـــ"رسول"، ويجوز أن يكون حالا من الضمير في "منهم"، والعامل فيه الاستقرار. (تفسير أبي البقاء) **من الأحكام:** اختلفت عبارات المفسرين في تفسير الحكمة، قال قتادة: "هي السنة"، وقال مجاهد: "فهم القرآن"، وقال مالك: "هي الفقه في الدين"، وقيل:"كل صواب من القول"، وقيل: "هي القرآن وكرره تأكيدا"، وقيل: "وضع الأشياء مواضعها". (تفسير الكمالين)

ومن يرغب إلخ: سبب نزولها: أن عبد الله بن سلام أسلم وكان له ابنا أخ، أحدهما: اسمه مهاجر، والثاني: اسمه سلمة، فدعاهما إلى الإسلام، وقال لهما: قد علمتما أن الله قال في التوراة: إني باعث من ولد إسماعيل نبيا اسمه أحمد، من آمن به فقد اهتدى، ومن لم يؤمن به فهو ملعون، فأسلم سلمة وأبى مهاجر، فنزلت الآية، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. (حاشية الصاوي) **أي لا يرغب إلخ:** إشارة إلى أن "من" استفهام بمعنى الإنكار، فهو نفي في المعنى ولذلك جاءت "إلا" بعدها وهي في موضع رفع بالابتداء، و"يرغب" الخبر وفيه ضمير يرجع إلى "من". (تفسير أبي البقاء) **جهل أنها إلخ:** يشير إلى أنه وضع "سفه" موضع "جهل" تعدى تعديته، أو سفه في نفسه، فحذف الجار وأوصل الفعل.

عبادته، **أو استخف بها وامتهنها** وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ اخترناه فِي ٱلدُّنْيَا بالرسالة والخلة وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ الذين لهم الدرجات العلى. واذكر إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ انقد لله، وأخلص له دينك قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ وفي قراءة: أوصى بِهَآ بالملة إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بنيه قال: يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ دين الإسلام **فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴿١٣٢﴾ نهى عن ترك الإسلام، وأمر بالثبات عليه إلى مصادفة الموت. ولما قال اليهود للنبي: "ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية" نزل: أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ والشهيد هو الحاضر حضورا إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ العامل فيهما "شهداء" بدل من "إذ" قبله قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى بعد موتي قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ **وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ** إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ عدُّ إسماعيل من الآباء تغليب، ولأن العم بمنزلة الأب إِلَٰهًا وَٰحِدًا **بدل من "إلهك"** ....

أو استخف بها: أي لأن أصل السفه: الخفة، فمن رغب عما يرغب فيه فقد بالغ في إذلال نفسه وإهانتها. (حاشية الجمل) **امتهنها:** أي جعلها مهانا وذليلا. **فلا تموتن إلخ:** نهي عن الموت في الظاهر وفي الحقيقة عن ترك الإسلام؛ لأن الموت ليس في أيديهم. (تفسير الكشاف) وأجاب به الرازي: بأن المراد بعثهم على الإسلام، وذلك لأن الرجل إذا لم يأمن الموت في كل طرفة عين، ثم إنه أمر بأن يأتي بالشيء قبل الموت، صار مأمورا به في كل حال؛ لأنه يخشى إن لم يبادر إليه أن تعاجله المنية فيفوته الظفر بالنجاة ويخاف الهلاك، فيصير مدخلا نفسه في الخطر والغرور. **وإله آبائك:** أعيد ذكر "الإله"؛ لئلا يعطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار. (تفسير المدارك)

بدل من إلهك: كقوله: "بالناصية"، وهذا أولى من قولهم: بدل من إله آبائك، و"أم" بمعنى همزة الإنكار، والمعنى: ما كنتم حاضرين عند حضور موت يعقوب ووصيته لبنيه، فلم تدّعون اليهودية عليه؟ يعني أن "أم" منقطعة بمعنى "بل" و"الهمزة"، ثم إن ظاهر اللفظ ههنا أنها لمجرد الإنكار لكن المقرر عندهم كما ذكر المفسر نفسه في "الإتقان" أنها لا يفارق الإضراب، ثم تارة تكون له مجردا، وتارة تضمن مع ذلك استفهاما إنكاريا. ومعنى "بل" ههنا الإضراب عن الكلام الأول، وهو بيان لوصية إبراهيم إلى توبيخ اليهود على ادعائهم اليهودية على يعقوب عليه السلام وأبنائه، ففائدتها الانتقال من جملة إلى أخرى أهم من الأولى. وجوز الزمخشري والواحدي كون "أم" متصلة =

وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ و"أم" بمعنى همزة الإنكار، أي لم تحضروه وقت موته، فكيف تنسبون إليه ما لا يليق به؟ تِلْكَ مبتدأ، والإشارة إلى إبراهيم ويعقوب وبنيهما، **وأنّث**؛ لتأنيث خبره أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ سلفت (مضت) لَهَا مَا كَسَبَتْ من العمل أي جزاؤه، **استئناف** وَلَكُم الخطاب لليهود مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ كما لا يسألون عن عملكم، والجملة تأكيد لما قبلها. وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ "أو" للتفصيل، وقائل الأول يهود المدينة، والثاني: نصارى نجران قُلْ لهم بَلْ **نتبع** مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا **حال من "إبراهيم"** مائلا عن الأديان كلها إلى الدين القيم وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ (تعريض لهم بأنهم هم المشركون) قُولُوٓاْ خطاب للمؤمنين ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا من القرآن وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ من **الصحف العشر** ....

= والتقدير: أتدّعون على الأنبياء اليهودية أم كنتم شهداء؟ أو التقدير: أبلغكم ما تنسبون إلى يعقوب من الصابئة باليهودية أم كنتم شهداء؟ (تفسير الكمالين)

ونحن له مسلمون إلخ: حال من فاعل "نعبد"، أو جملة معطوفة على "نعبد"، أو جملة اعتراضية مؤكدة. (تفسير المدارك)

وأم إلخ: أي وحدها، وهذا أحد وجوه ثلاثة، فإنه يجوز في "أم" أن تقدّر بالهمزة وحدها، أو بـــ"بل" وحدها وبهما معا، والغالب في كلامه أن يقدّرها بهما معا. (حاشية الجمل) **وأنث إلخ:** فإنه إذا اختلف المرجع والخبر فمراعاة الخبر أولى. (تفسير الكمالين) **قد خلت:** هذا رد على اليهود من حيث افتخارهم بآبائهم.

لها ماكسبت: على حذف مضاف كما قدره بقوله: "أي جزاؤه". **استيناف:** أي جملة مستأنفة، أو صفة أخرى لازمة، أو حال من الضمير في "خلت" و"ما" موصولة أو موصوفة والعائد إليها محذوف أي لها ما كسبته من الأعمال الصالحة. (تفسير أبي السعود)

وقالوا إلخ: المعنى قالت اليهود: كونوا هودا، وقالت النصارى: كونوا نصارى. **نتبع:** قدره إشارة إلى أن "ملة" معمول لمحذوف، والجملة مقول القول في محل نصب. **حال من إبراهيم:** ويجوز مجيء الحال من المضاف إليه عند صحة إقامته مقام المضاف - كما ههنا - فإنه يصح.[كما في رأيت وجه هند، يستلزم رؤيتها، فالحال هنا تبين هيئة المفعول.]

الصحف العشر: وهي وإن نزلت إلى إبراهيم لكن من بعده حيث كانوا متعبدين بتفاصيلها، داخلين تحت أحكامها جعلت منزلة إليهم كما جعل القرآن منزلا إلينا. (تفسير أبي السعود)

وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ أولاده وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ من التوراة وَعِيسَىٰ من الإنجيل وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ من الكتب والآيات لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض، كاليهود والنصارى وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ أي اليهود والنصارى **بِمِثْلِ مثل زائدة** مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ عن الإيمان به فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ **خلاف** معكم فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ يا محمد شقاقهم وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ لأقوالهم ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ بأحوالهم، وقد كفاه الله إياهم **بقتل قريظة** ونفي النضير، وضرب الجزية عليهم. صِبْغَةَ ٱللَّهِ **مصدر** مؤكد لـ"آمنا"، ونصبه بفعل مقدر أي صبغنا الله، والمراد بها دينه الذي فطر الناس عليه؛ **لظهور أثره** على صاحبه.................

وأنجز وعده

الأسباط: جمع سبط، وهو في الأصل: شجرة لها أغصان كثيرة، والمراد ههنا الأولاد إلخ وقال في "الكشاف": السبط: الحافد أي ولد ولده. **وما أوتي موسى:** [عبر أولا بـ"أنزل" وثانيا بـ"أوتي"؛ تفننا ودفعا للثقل.] قال هنا: "موسى" ولم يقل: "وما أنزل إلى موسى" كما قيل: "وما أنزل إلى إبراهيم"؛ للاحتراز عن كثرة التكرار. (تفسير الكرخي) **مثل زائدة:** دفع لما يرد على ظاهر الآية من أنه لا مثل لما آمن به المسلمون، وهو ذاته تعالى والكتب المنزلة، والمعنى: فإن آمنوا بما آمنتم به، ويشهد له قراءة ابن مسعود: "بما آمنتم به"، و"ما" موصولة، وقيل: الباء مزيدة للتأكيد وما مصدرية، والمعنى: فإن آمنوا بالله إيمانا مثل إيمانكم. (تفسير الكمالين)

خلاف: يسمى الخلاف شقاقا؛ لأن كل واحد من المتخالفين في شق غير شق الآخر. (تفسير الكمالين)

بقتل قريظة: في السنة الخامسة بعد غزوة الأحزاب. (تفسير الكمالين) **صبغة الله:** أي دين الله، هو مصدر مؤكد منتصب على قوله: "آمنا بالله"، وهي فعلة من "صبغ" كالجلسة من "جلس"، وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ، والمعنى: تطهير الله؛ لأن الإيمان يطهر النفوس، والأصل: أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه ماء معمودية، ويقولون: هو تطهير لهم، فإذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال: الآن صار نصرانيا حقا. فأمر المسلمون أن يقولوا لهم: قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالإيمان صبغة، ولم نصبغ صبغتكم، وجيء بلفظ "الصبغة" للمشاكلة كقولك لمن يغرس الأشجار: غرس كما يغرس فلان، وأنت تريد رجلا يصطنع الكرم.

مصدر: أي عطف على "آمنا"، وبعضهم نصبها على الإغراء أو البدل بضمير "قولوا" عطفا على "قولوا آمنا" أو "اتبعوا ملة إبراهيم". (تفسير الكمالين) **لظهور أثره إلخ:** أشار به إلى "أن" للتجوز بصبغة الله عن الفطرة علاقة، وهي ظهور الأثر، فالجامع بينهما التأثير والظهور.

كالصبغ في الثوب ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ تمييز ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾
يشير إلى أن "من" استفهامية للإنكار
قال اليهود للمسلمين: "نحن أهل الكتاب الأول، وقبلتنا أقدم، ولم يكن الأنبياء من
شروع في سبب لنزول الآية
العرب، ولو كان محمد نبيا لكان منا"، فنزل: ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾ تخاصموننا ﴿فِى ٱللَّهِ﴾ أن
بل كانت من بني إسرائيل
اصطفى نبيا من العرب ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ فله أن يصطفي من عباده من يشاء ﴿وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا﴾ نجازى بها ﴿وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ﴾ تجازون بها، فلا يبعد أن يكون في أعمالنا ما نستحق به الإكرام، ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾﴾ الدين والعمل **دونكم**، فنحن أولى بالاصطفاء، **والهمزة للإنكار**، والجمل الثلاث أحوال، ﴿أَمْ﴾ **بل** ﴿تَقُولُونَ﴾ بالتاء **والياء** ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ﴾ لهم ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ﴾ ....

كالصبغ: أشار بذلك إلى أن في الكلام استعارة تصريحية أصلية: حيث شبه آثار الإيمان القائم بالشخص بالصبغ القائم بالثوب، بجامع الملك والظهور في كل، واستعير اسم المشبه به للمشبه، وفي هذه الآية بشرى للمؤمنين عظيمة، وهي أن الإيمان في القلب كالصبغ المتقن في الثوب، فلما لا يزول الصبغ من الثوب كذلك الإيمان لا يزول من القلب؛ لأن صبغة الله لا أحسن منها. (حاشية الصاوي)

دونكم: أي لم تخلصوا له، بل جعلتم له شركاء، ففي الآية إضمار. (تفسير الكرخي) **والهمزة للإنكار:** أي في قوله: "أتحاجوننا" وقوله: "أحوال" أي من الواو في "أتحاجوننا" والعامل فيها "أتحاجوننا". **أم بل:** يعني إن قرئ "أم يقولون" بـ"ياء" الغيبة لا تكون إلا منقطعة للإضراب عن الخطاب إلى الغيبة؛ فإن المتصلة لا يختلف فيها الخطاب. وفي "الكشاف": ومن قرأ بالياء أي "يقولون" لا تكون -أي أم- إلا منقطعة.

وعبارة "المدارك": "أم يقولون" بالتاء شامي وكوفي غير أبي بكر و"أم" على هذا معلولة للهمزة في "أتحاجوننا"، يعني: أيّ الأمرين تأتون المحاجة في حكم الله أم ادعاء اليهودية والنصرانية على الأنبياء، أو منقطعة أي بل أتقولون، وغيرهم بالياء، وعلى هذا لا تكون الهمزة إلا منقطعا. الهمزة للإنكار أيضا، أي لا ينبغي لهم أن يقولوا ما ذكر؛ لأن اليهودية والنصرانية إنما هي من وقت موسى وعيسى وإبراهيم ومن ذكر معه قبلهما، فكيف يقال فيهم: إنهم كانوا هودا أو نصارى. (حاشية الجمل) **بالياء:** لأبي عمرو وابن كثير ونافع. (تفسير الكمالين)

أَمِ ٱللَّهُ أي الله أعلم، وقد برّأ منهما إبراهيم بقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً﴾ (آل عمران: ٦٧) والمذكورون معه تبع له وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ أخفى من الناس شَهَٰدَةً عِندَهُۥ كائنة مِنَ ٱللَّهِ أي لا أحد أظلم منه، وهم اليهود كتموا شهادة الله في التوراة لإبراهيم بالحنيفية ولمحمد بالرسالة وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تهديد لهم. تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ تقدم مثله. سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ الجهال ....

أم الله: مبتدأ والخبر محذوف أي أم الله أعلم؟ و"أم" ههنا المتصلة أي أيكم أعلم؟ وهو استفهام بمعنى الإنكار. (تفسير أبي البقاء) أي الله أعلم: أشار به إلى بيان جواب الاستفهام. أخفى من الناس: أشار به إلى أن "كَتَمَ" يتعدى إلى مفعولين، وقد حذف الأول منهما هنا، تقديره: أخفى الناس شهادة، من "تفسير أبي البقاء". كائنة: قدره؛ ليفيد أنه صفة لـــ"شهادة" بعد صفة؛ لأن "عنده" صفة أولى لـــ"شهادة". (تفسير الكرخي)

من الله: أي كتم شهادة الله التي عنده أنه شهد بها، وهي شهادة الله لإبراهيم بالحنيفية، والمعنى أن أهل الكتاب لا أحد أظلم منهم، كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها، أو أنا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن أحد أظلم منا فلا نكتمها. وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد ﷺ بالنبوة في كتبهم وسائر شهاداته. (تفسير المدارك)

وهم اليهود: قال المفسر: هذا الذي اتفق عليه أهل التفسير، أخرجه ابن جرير عن مجاهد والحسن والربيع وقتادة وابن زيد، لكن ما عدا الأخيرين قالوا: إنهم كتموا شهادة الله في التوراة لإبراهيم بالحنيفية، وقال الأخيران: إنه من كتمهم نعت النبي ﷺ والشهادة له بالنبوة. (تفسير الكمالين) تلك أمة إلخ: كررت للتأكيد، أو لأن المراد بالأول الأنبياء وبالثاني أسلاف اليهود والنصارى. (تفسير المدارك)

سيقول: سيأتي للمفسر أن الآية من الإخبار بالغيب، وحاصل ذلك: أن النبي ﷺ كان يستقبل الكعبة في صلاته وهو بمكة، فلما هاجر إلى المدينة أمر باستقبال بيت المقدس، فأنزل الله هذه الآية؛ ليعلمه أنه سيحوله للكعبة فيعترض عليه، وليكون معجزة له من حيث إخباره بالمغيبات، ثم نزلت آية تحويل القبلة، فمقتضاه أن هذه الآية متقدمة في النزول والتلاوة.

قوله: "سيقول السفهاء" أتى بالسين مع معنى القول المذكور؛ لاستمرارهم عليه بناء على أن الآية متقدمة في نظم القرآن متأخرة في النزول عن آية ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ كما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما وغيره، فمعنى "سيقول السفهاء" أنهم يستمرون على هذا القول وإن كانوا قد قالوه. (حاشية الجمل). وعبارة "المدارك": وفائدة الإخبار بقولهم قبل وقوعه توطين النفس؛ إذ المفاجأة بالمكروه أشد وإعداد الجواب قبل الحاجة إليه أقطع للخصم.

مِنَ ٱلنَّاسِ أي اليهود والمشركين مَا وَلَّىٰهُمۡ أيُّ شيء صرف النبي ﷺ والمؤمنين عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ على استقبالها في الصلاة؟ وهي بيت المقدس، والإتيان بالسين الدالة على الاستقبال من الإخبار بالغيب قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ أي الجهات كلها مملوكة له فيأمر بالتوجه إلى أيّ جهة شاء، لا اعتراض عليه يَهۡدِي مَن يَشَآءُ هدايته إِلَىٰ صِرَٰطٖ طريق مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٤٢﴾ دين الإسلام، أي ومنهم أنتم. دل على هذا، وَكَذَٰلِكَ **كما** هديناكم إليه جَعَلۡنَٰكُمۡ يا أمّة محمد! أُمَّةٗ وَسَطٗا **خياراً** عدولاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ يوم القيامة **أنَّ رسلهم** بلّغتهم وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ أنه بلّغكم وَمَا جَعَلۡنَا صيرنا ٱلۡقِبۡلَةَ لك الآن الجهة ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ **أولاً** وهي الكعبة، وكان ﷺ يصلي إليها، فلما هاجر أُمِرَ باستقبال بيت المقدس تألُّفا لليهود، **فصلى** إليه ستة أو

(بيان للمشهود به) (هذا بيان شهادة الرسول)

من الناس: في موضع نصب على الحال، والعامل فيه "يقول". (تفسير أبي البقاء) **أي شيء إلخ:** أشار به إلى أن ما استفهامية، والجملة التي بعدها خبرها. **كما:** ما مصدرية أي مثل هدايتكم. **خيارا إلخ:** قيل للخيار: وسط؛ لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والأوساط محمية، أو عدولا؛ لأن الوسط عدل بين الأطراف، ليس إلى بعضها أقرب من بعض، أي كما جعلنا قبلتكم متوسطه بين المشرق والمغرب جعلناكم أمة وسطا بين الغلو والتقصير، فإنكم لم تغلوا غلو النصارى أي حيث وصفوا المسيح بالألوهية، ولم تقصروا تقصير اليهود حيث وصفوا مريم بالزنا وعيسى بولد الزنا. (تفسير المدارك)

أن رسلهم إلخ: روى البخاري مرفوعا: "يدعى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك، فيقول: يشهد لي محمد وأمته، فيشهدون له أنه قد بلغ". زاد النسائي: "فقال: وما علمكم؟ فيقولون: أخبرنا نبينا أن الرسل قد بلغوا، فصدقناه"، ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾، فذلك قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾. (تفسير الكمالين)

أولا: أي بمكة، وفيه إشارة إلى حذف الموصوف من الموصول، وهو مفعول ثان لـــ"جعل" المتعدي إلى مفعولين، الأول القبلة. (تفسير الكمالين) **فصلى إلخ:** رواه ابن جرير عن ابن عباس ﵄: فصلى إليها ستة أو سبعة عشر شهرا، هكذا جاء في البخاري ومسلم، ثم حول إلى الكعبة، وقد يفسر الموصول بصخرة بيت المقدس، والمعنى على ذلك: أن أصل أمرك أن تستقبل القبلة، وما جعلنا قبلتك في سابق الزمان بيت المقدس إلا لكذا، فالمخبر به=

سبعة عشر شهراً، ثم **حُوِّلَ** **إِلَّا لِنَعۡلَمَ** **علم ظهور** مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ فيصدقه مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ **أي يرجع إلى الكفر** شكا في الدين وظنا أن النبي ﷺ في حيرة من أمره، وقد ارتد لذلك جماعة وَإِن مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف أي وإنها كَانَتۡ أي التولية إليها لَكَبِيرَةً شاقة على الناس إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ منهم وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ **أي صلاتكم** إلى بيت المقدس، بل يثيبكم عليه؛ لأن **سبب نـــزولها**

= على الأول الجعل الناسخ، وعلى الثاني المنسوخ، واختاره ابن حجر؛ لما أن الأول يستلزم وقوع النسخ مرتين. (تفسير الكمالين) **حول:** أي أمر بالتحول إلى الكعبة. **إلا لنعلم إلخ:** أي وما جعلنا القبلة التي تحب أن تستقبلها الجهة التي كنت عليها أولا بمكة إلا امتحانا للناس وابتلاء؛ لنعلم الثابت على الإسلام، الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه، فيرتد عن الإسلام عند تحويل القبلة. (تفسير المدارك)

علم ظهور: جواب عما يفهم من الآية من حدوث العلم، فأجاب بأن المراد إلا ليظهر علمنا من يتبع إلخ، فالذي يتجدد ويحدث ظهور العلم لا نفسه، هذا مراد الشارح، وفي الحقيقة الذي يحدث متعلق العلم، وهو إيمان بعض وكفر بعض . (حاشية الجمل) **أي يرجع إلى الكفر:** إشارة إلى أنه مجاز، فلا يرد كيف يتصور حقيقة انقلاب الإنسان على عقبيه. (تفسير الكرخي)

أي صلاتكم إلخ: إشارة إلى اندفاع ما يتوهم من أنه لِـــم فسر الإيمان بالصلاة وعدل عن الحقيقة؟ وتفصيله: أن حيي ابن أخطب وأصحابه من اليهود قالوا للمسلمين: أخبرونا عن صلاتكم إلى بيت المقدس إن كانت على هدى فقد تحولتم عنه، وإن كانت على ضلالة فقد أضلكم الله بها مدة، ومن مات عليها فقد مات على ضلالة، فقال المسلمون: إنما الهدى فيما أمر الله به، والضلالة فيما نهى الله عنه، قالوا: فما شهادتكم على هذا؟ فاستفسروا عن رسول الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله! قد صرفك الله إلى ملة إبراهيم، فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس، فأنزل الله تعالى: "وما كان الله ليضيع إيمانكم" يعني صلاتكم إلى بيت المقدس، كما في "المعالم". وفي "المدارك": سميت الصلاة إيمانا؛ لأن وجوبها على أهل الإيمان، وقبولها من أهل الإيمان، وأداؤها في الجماعة دليل الإيمان.

سبب نزولها إلخ: وسبب ذلك شبهة ألقاها حيي بن أخطب للمسلمين، وهي أن استقبالكم لبيت المقدس لا يخلو إما أن يكون هدى فقد انتقلتم الآن إلى ضلال، وإما أن يكون ضلالا فلم أقركم عليه؟ وأيضا من مات قبل التحويل مات على الضلال، وضاعت أعماله. فشق ذلك على أقارب من مات قبل التحويل، فشكوا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت الآية، وتحويل القبلة أول نسخ ورد في الشرع. (حاشية الصاوي)

السؤال عمن مات قبل التحويل. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ﴾ المؤمنين ﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ في عدم إضاعة أعمالهم. و**"الرأفة"** شدّة الرحمة، **وقُدّم الأبلغ؛** للفاصلة. ﴿قَدْ﴾ **للتحقيق** ﴿نَرَىٰ تَقَلُّبَ﴾ **تصرُّف** ﴿وَجْهِكَ فِي﴾ جهة ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ **متطلعا** إلى الوحي، ومتشوّقاً للأمر باستقبال الكعبة، وكان يودّ ذلك؛ لأنها قبلة إبراهيم، ولأنه أدْعَى إلى إسلام العرب ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾ نحوّلنّك ﴿قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ تحبها ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ استقبل في الصلاة ﴿شَطْرَ﴾ نحو ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ **أي الكعبة** ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾ من الأرض وأردتم الصلاة خطاب للأمة ﴿فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ﴾ في الصلاة ﴿شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أي التولي إلى الكعبة ﴿ٱلْحَقُّ﴾ الثابت ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾ لما في كتبهم

والرأفة إلخ: المناسبة المعنوية فيه: أن الرأفة مبالغة في رحمة خاصة وهو دفع الضرر، والرحمة أعم منه ومن الإفضال، ولما كان الأول أهم قدم الرءوف على الرحيم في كل القرآن. (تفسير الكمالين) وقدم الأبلغ: أي مع أن العادة العكس، فيكون للأبلغ بعد غيره فائدة، فيقال: عالم نحرير، ولا يقال: نحرير عالم، وقوله: "للفاصلة" أي لأنها على الميم، والفاصلة: هي الكلمة آخر الآية كقافية الشعر، وهي هنا قوله سابقا: "على صراط مستقيم"، وهنا "رءوف رحيم". (من تفسير الكرخي)

للتحقيق: وإنما لم يحمله على التقليل؛ لأن من رفع بصره إلى السماء مرة واحدة، لا يقال له: تقلب بصره إلى السماء. تصرف وجهك: في الصحيحين من حديث البراء رضي الله عنه: "وكان يعجبه أن يكون قبلته قبلة البيت"، وللنسائي: "كان يحب أن يصلي نحو الكعبة، وكان يرفع رأسه إلى السماء". ولابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما: "كان ﷺ يحب قبلة إبراهيم، فكان يدعو إليه وينظر إلى السماء". (تفسير الكمالين) متطلعا: نظر إلى طلعته وتطلع إلى قدومه، أي رفع بصره ينظر إليه. شطر المسجد إلخ: الشطر: يكون بمعنى النصف من الشيء والجزء منه، ويكون بمعنى الجهة والنحو. (حاشية الجمل)

أي الكعبة: تسمية للمحاط باسم المحيط. وقال الزمخشري: "ذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على أن الواجب على البعيد مراعاة الجهة دون العين"، وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد رحمهما الله، ووجه الشافعية وقد رجحه في "الإحياء"، وأما القريب فيجب عليه إصابة العين، وفي "شرح السنة": إنهم اختلفوا في المراد من المسجد الحرام، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: البيت قبلة لأهل المسجد، والمسجد قبلة لأهل الحرم، والحرم قبلة لأهل المشرق والمغرب، وقال آخرون: القبلة هي الكعبة بحديث الصحيحين: أنه ﷺ صلى ركعتين في قبل الكعبة، وقال: "هذه القبلة"، وقيل: المسجد الحرام كله، وقيل: الحرم كله.

من نعت النبي ﷺ من أنه يتحول إليها ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ١٤٤﴾ بالتاء، **أيها المؤمنون** من امتثال أمره، وبالياء أي اليهود من إنكار أمر القبلة. ﴿وَلَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾ على صدقك **في أمر القبلة** ﴿مَّا تَبِعُوا۟﴾ أي لا يتبعون ﴿قِبْلَتَكَ﴾ عناداً ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ **قطع لطمعه** في إسلامهم وطمعهم في عوده إليها ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ **أي اليهود** قبلة النصارى وبالعكس ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ التي يدعونك إليها ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ الوحي ﴿إِنَّكَ إِذًا﴾ إن اتبعتهم فرضاً ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٥ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾ أي محمداً (وقيل: الضمير يعود إلى القرآن) ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ بنعته في كتابهم، قال ابن سلام: "لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني، ومعرفتي لمحمد أشدّ" رواه البخاري. ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ نعته ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٤٦﴾ هذا الذي أنت عليه ﴿ٱلْحَقُّ﴾ (مبتدأ) كائناً ﴿مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ١٤٧﴾ الشاكّين فيه . . .

أيها المؤمنون: وفيه تسلية للنبي ﷺ ووعد حسن وبشرى. **ولئن:** وهذا أيضا تسلية للنبي ﷺ. **ولئن أتيت إلخ:** ولو جئت الذين أوتوا الكتاب بكل معجزة وآية ما تبعوا هذه القبلة. وهذا في حق قوم معين في علم الله أنهم لا يؤمنون، فإن منهم من آمن وتبع القبلة. **في أمر القبلة:** في أن تحولك إلى الكعبة بأمر من الله.

قطع لطمعه إلخ: يعني أن هذا على التوزيع، فقوله: "قطع لطمعه" راجع إلى "ما تبعوا قبلتك"، وقوله: "وطمعهم إلخ" راجع إلى قوله: "وما أنت بتابع قبلتهم" فهو لف ونشر مرتب. **أي اليهود:** فإن اليهود كانوا يستقبلون الصخرة والنصارى مطلع الشمس. (تفسير الكمالين)

ولئن اتبعت إلخ: بعد وضوح البرهان والإحاطة بأن القبلة هي الكعبة، وأن الدين هو الإسلام. **لمن الظالمين:** لمن المرتكبين الظلم الفاحش. وفي ذلك لطف للسامعين، وتهييج للثبات على الحق، وتحذير لمن يترك الدليل بعد إنارته ويتبع الهوى. وقيل: الخطاب في الظاهر للنبي ﷺ، والمراد أمته. (مدارك التنزيل)

كما يعرفون أبناءهم: يعرفون أنهم منهم وأنهم من نسلهم، والكاف في محل نصب، إما على كونها نعتا لمصدر محذوف أي معرفة كائنة مثل معرفة أبناءهم، أو في موضع نصب على الحال من ضمير ذلك المصدر المعرفة المحذوف، والتقدير: يعرفونه المعرفة مماثلة لمعرفاتهم أبنائهم، وهذا مذهب سيبويه. و"ما" مصدرية؛ لأنه ينسبك منها ومما بعدها مصدر، والتقدير: كمعرفتهم أبناءهم. (حاشية الجمل)

أي **من هذا النوع** فهو أبلغ من "لا تَمْتَر" لا تشك. ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من **الأمم** ﴿وِجْهَةٌ﴾ **قبلة** ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ وجهه في صلاته، وفي قراءة: **"مُوَلَّاهَا"**. ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ بادروا إلى الطاعات وقبولها ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ يجمعكم يوم القيامة فيجازيكم بأعمالكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٤٨ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ **لسفر** ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝١٤٩﴾ بالتاء والياء، **تقدم مثله**، وكرره؛ لبيان تساوي حكم السفر وغيره. ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ كرّره؛ **للتأكيد** ﴿لِئَلَّا يَكُونَ﴾ علة لقوله: "فولوا" ﴿لِلنَّاسِ﴾ **اليهود أو المشركين** ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ ....

من هذا النوع: أي لا تكن من نوع الشاكين. (تفسير الكمالين) **ولكل:** هذا كالنتيجة لما قبله كأنه قال: فلما تفرقوا صار لكل وجهة. **من الأمم:** أي المختلفة في الدين. (تفسير الكمالين) **وجهة:** قال أبو البقاء: جاء على الأصل، وقياسه جهة، وهو مصدر بمعنى التوجه إليه، وقيل: اسم للمكان المتوجه إليه، فثبوت الواو ليس بشاذ. (تفسير الكمالين) **قبلة:** أشار بذلك إلى أن "وجهة" اسم للمكان فثبوت الواو قياسي، وأما إن أريد بها المعنى المصدري فثبوت الواو غير قياسي على حد عدة ورقة، وإنما ثبتت الواو تنبيها على الأصل. (حاشية الصاوي)

مولاها: بزنة المجهول، أي مصروف إليها. (تفسير الكمالين) **فاستبقوا الخيرات:** منصوب بنزع الخافض، كما أشار إليه الشارح. **يأت بكم إلخ:** أي يوم القيامة، فيفصل بين المحق والمبطل، أو المعنى: ولكل منكم يا أمة محمد ﷺ وجهة يصلي إليها جنوبية أو شمالية أو شرقية أو غربية، فاستبقوا الفاضلات من الجهات، وهي الجهات المسامتة للكعبة، وإن اختلفت، أينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم كأنها إلى جهة واحدة، وكأنكم تصلون حاضري المسجد الحرام. (تفسير المدارك)

لسفر: أي من أي مكان خرجت للسفر. (تفسير الكمالين) **وإنه:** أي المأمور به، وهو التوجه إلى الكعبة.

تقدم مثله: أي مثل هذا القول، وهو قوله سابقا: "فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام".

ومن حيث خرجت: أي ومن أي بلد خرجت للسفر. (تفسير المدارك) **للتأكيد:** لأنه أول نسخ وقع في الإسلام على ما نص عليه ابن عباس رضي الله عنهما وغيره، والنسخ من مظان الفتنة والشبهة، فبالحري أن يؤكد أمرها ويعاد ذكرها مرة بعد أخرى. (تفسير الكمالين) **اليهود أو المشركين:** أشار به إلى أن اللام للعهد.

أي مجادلة في التولي إلى غيرها أي لتنتفي مجادلتهم لكم من قول اليهود: "يجحد ديننا ويتبع قبلتنا" وقول المشركين: "يدَّعي ملة إبراهيم ويخالف قبلته" إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ بالعناد فإنهم يقولون: "ما تحوّل إليها إلا **ميلاً** إلى دين آبائه"، **والاستثناء متصل**، والمعنى: لا يكون لأحد عليكم كلام إلا كلام هؤلاء، فَلَا تَخْشَوْهُمْ تخافوا جدالهم في التولي إليها وَٱخْشَوْنِى بامتثال أمري وَلِأُتِمَّ عطف على "**لئلا يكون**" نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ بالهداية إلى معالم دينكم وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ إلى الحق. كَمَآ أَرْسَلْنَا متعلق بـــ"أتم"، أي إتماما كإتمامها بإرسالنا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ محمداً ﷺ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا القرآن وَيُزَكِّيكُمْ يطهركم من الشرك وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ القرآن وَٱلْحِكْمَةَ ما فيه مـــن الأحكام وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ **بالصلاة والتسبيح** ونحوه

(الكعبة) (المعاني التي لا تحصى)

أي مجادلة: يشير إلى أنه ليس بحجة في الواقع، وإنما يسمى حجة؛ لأنهم يسوقونها مساقها. (تفسير الكمالين)
ميلا إلخ: وحبا لبلده، ولو كان على الحق للزم قبلة الأنبياء. (تفسير الكمالين) **والاستثناء متصل:** أي من الناس إلخ، (تفسير المدارك) أي لئلا يكون حجة لأحد من اليهود إلا الذين ظلموا منهم.
لئلا يكون: أي أمرتكم بذلك لأجمع لكم خير الدارين، أما دنيا فلظهور سلطانكم على المخالفين، وأما عقبى فلإتمامكم الثواب.وقيل: المعطوف عليه محذوف أي وأمرتكم لإتمام النعمة عليكم، وقيل: عطف على علة مقدرة أي اخشوني لحفظكم عنهم ولأتم، وإنما آثر المفسر الأول؛ لعدم الحذف فيه. (تفسير الكمالين)
كما أرسلنا إلخ: الكاف في "كما أرسلنا" إما متعلق بما قبله أي ولأتم نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب كما أتممتها عليكم في الدنيا بإرسال الرسول، أو بما بعده أي كما ذكرتكم بإرسال الرسول فاذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب، فعلى هذا يوقف على تهتدون وعلى الأول لا. (تفسير المدارك) **والحكمة:** أي السنة والفقه (تفسير المدارك). وعلى ما جرى عليه الشارح يكون من ذكر الخاص بعد العام وهو كثير، بخلاف عكسه.
فاذكروني: بالمعذرة أذكركم بالمغفرة، أو بالثناء والعطاء، أو بالسؤال والنوال، أو بالتوبة وعفو الحوبة، أو بالإخلاص والخلاص، أو بالمناجات والنجاة. (تفسير المدارك) **بالصلاة والتسبيح:** وأكثر المفسرين على أن المراد هنا بالذكر هو الطاعة، فهي أعم من صنيع الشارح؛ لقوله ﷺ: "من أطاع الله فقد ذكر الله، وإن قلت صلاته وصيامه وقراءته القرآن، ومن عصى الله فقد نسي الله وإن كثرت صلاته وصيامه وقراءته للقرآن". (روح البيان) وأطلق على هذا المعنى الذكر الذي هو إدراك مسبوق بالنسيان، والله تعالى منزه عن النسيان، بطريق المشاكلة.

أَذْكُرْكُمْ قيل: معناه أجازيكم، وفي الحديث عن الله: "من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من **ملئه**" وَٱشْكُرُواْ لِى نعمتي بالطاعة وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ بالمعصية. يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ على الآخرة بِٱلصَّبْرِ على الطاعة والبلاء وَٱلصَّلَوٰةِ خصها بالذكر؛ لتكرُّرها وعظمها إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ **بالعون**. وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ **هم** أَمْوَٰتٌۢ بَلْ **هم** أَحْيَآءٌ أرواحهم في **حواصل طيور** خُضْرٍ تسرح في الجنة حيث شاءت؛ **لحديث بذلك**، وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ **تعلمون** ما هم فيه. وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ للعدوّ وَٱلْجُوعِ القحط

(عند الشيخين — وقيل: على الذكر والشكر — كالصلاة والصوم المصيبة — ثقلها على النفس — ترعى)

ملئه: وهو يدل على أن الذكر يبقى على أصله. بالعون: أي لأن المعية على قسمين، أحدهما: معية عامة، وهي المعية بالعلم والقدرة، والثاني: معية خاصة، وهي المعية بالعون والنصر، وهذه خاصة بالمتقين والمحسنين والصابرين. (تفسير الكرخي) ولا تقولوا إلخ: هذه الآية نزلت في قتلى بدر، وكان المقتول من المسلمين أربعة عشر: ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار، وقال المشركون والمنافقون: هؤلاء قد ماتوا، وضيعوا على أنفسهم الحياة الدنيا ولذاتها، وقد ادعوا أنهم ماتوا في مرضاة محمد ﷺ، فنزلت هذه الآية.

هم أموات: أشار به إلى أن "أموات" مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هم أموات، وكذلك قوله: "هم أحياء"، كما نصه في "تفسير أبي البقاء". هم أحياء: أي حياة أخروية بالجسم والروح، ليست كحياة أهل الدنيا، لا يشاهدها إلا أهل الآخرة، ومن خصه الله تعالى بالإطلاع عليها، هذا هو التحقيق. (حاشية الصاوي)

حواصل طيور: أي في أجوافهم، حواصل جمع حوصلة بمجتمع الثُفْل، كذا في "الصراح"، قيل: إيداعها في أجواف تلك الطيور كوضع الدر في الصناديق، تكريما وتشريفا لها، وإدخالها في الجنة بهذه الصورة لا متعلقة بهذه الأبدان مدبرة فيها تدبير الأرواح في الأبدان الدنياوية، فإنها تبيت في الجنة تجد ما فيها من الروائح، ويشاهد ما فيها من الأنوار، ويتلذذ بها. وقيل: لعل أرواح الشهداء لما استكملت تمثلت بأمر الله سبحانه بصور طير خضر، وخلصت لها تلك الهيئة كتمثل الملك بشرا. (ملخصا من اللمعات). لحديث: كما رواه في مسلم والمشكاة وغيرهما.

بذلك: رواه مسلم، فهذا لوقوعه في الحديث الصحيح أولى من قول البيضاوي: إن المراد بالحياة بقاء الأرواح، وتخصيص الشهداء؛ لاختصاصهم بالقرب ومزيد البهجة والكرامة. (تفسير الكمالين)

تعلمون إلخ: أي كيف حالهم في حياتهم. (كشاف)، وسيأتي إن شاء الله لهذا مزيد بيان في "آل عمران".

وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ بالهلاك وَٱلْأَنفُسِ بالقتل والأمراض والموت وَٱلثَّمَرَٰتِ **بالجوائح** بموت المواشي والسرق والحرق
أي **لنختبرنكم** فننظر أتصبرون أم لا؟ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ على البلاء بالجنة. **هم** ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم **مُّصِيبَةٌ** بلاء **قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ** ملكاً وعبيداً يفعل بنا **ما يشاء** وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ في الآخرة فيجازينا، وفي الحديث: "من استرجع عند المصيبة آجره الله عند مسلم عن أم سلمة بقصر الهمزة
فيها، وأخلف الله عليه خيراً" وفيه: أن مصباح النبي ﷺ طَفِئ، فاسترجع، فقالت مما فاته في الحديث
عائشة رضي الله عنها: إنما هذا مصباح، فقال: "كل ما ساء المؤمن فهو مصيبة" رواه أبو داود في **مراسيله**. أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مغفرة مِّن رَّبِّهِمْ **وَرَحْمَةٌ** نعمة وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ إلى **الصواب**. ....

بالجوائح: جمع جائحة، وهي آفة تعرض للثمر من دود وغيره. (تفسير الكمالين) **لنختبرنكم:** الاختبار، والابتلاء من الله؛ لإظهار المطيع من العاصي، لا ليعلم شيئا مما لم يكن عالما به. (معالم التنزيل) **هم الذين:** أشار بتقدير المبتدأ إلى أنه مرفوع على المدح وليس بنعت، حتى تكون التبشير مختصا بالقائلين بتلك القول. (تفسير الكمالين)
الذين إلخ: فيه أربعة أوجه، أحدها: أن يكون منصوبا على النعت للصابرين، وهو الأصح. الثاني: أن يكون منصوبا على المدح. الثالث: أن يكون مرفوعا على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين، وحينئذ يحتمل أن يكون على القطع، وأن يكون على الاستيناف. الرابع: أن يكون مبتدأ، والجملة الشرطية من "إذا" وجوابها صلته، وخبره ما بعده، وهو قوله: "أولئك عليهم صلوات". (تفسير السمين)
مصيبة: أي مكروه، اسم فاعل من أصابته شدة أي لحقته، ولا وقف على مصيبة؛ لأن "قالوا" جواب "إذا" و"إذا" مع جوابها صلة "الذين". (تفسير المدارك) **قالوا إلخ:** أي باللسان والقلب لا باللسان فقط، فإن التلفظ بذلك مع الجزع قبيح وسخط للقضاء، وذلك بأن يتصور ما خلق لأجله، وإنه رجع إلى ربه، ويتذكر نعم الله تعالى عليه؛ ليرى أن ما أبقى الله عليه أضعاف ما استرده منه، فيهون عليه ويستسلم. (مختصر من حاشية الجمل)
ما يشاء: أي من إعطاء نعمته مرة وإصابة مكروه أخرى؛ لإرادة خيرية. (تفسير الكمالين) **مراسيله:** اسم كتاب له غير السنن، جمع فيه الأخبار المرسلة والمنقطعة. (تفسير الكمالين) وهكذا رواه في "المشكاة".
ورحمة: الرحمة في الأصل رقة القلب كما مر، وقد استعمل في القرآن لأربعة عشر معان كما في "الإتقان"، والمراد ههنا النعمة. (تفسير الكمالين) **الصواب:** حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله تعالى. (تفسير الكمالين)

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾ جبلان بمكة ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ من أمور دين الله أعلام دينه، جمع شعيرة وهي العلامة ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ﴾ أي تلبس بالحج أو العمرة، وأصلهما القصد والزيارة ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ إثم ﴿عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الطاء ﴿بِهِمَا﴾ بأن يسعى بينهما سبعاً، نزلت لما كره المسلمون ذلك؛ لأنّ أهل الجاهلية كانوا يطوفون بهما، وعليهما على الصفا والمروة صنمان يمسحوهما، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنّ السعي غير فرض؛ وهو رواية عن أحمد لما أفاده رفع الإثم من التخيير، وقال الشافعي وغيره: كمالك وأحمد في رواية ركن، وبيّن ﷺ وجوبه وفي نسخة: فريضته بقوله: "إن الله كتب . . .

الصفا والمروة إلخ: وسمي الصفا؛ لأنه جلس عليه آدم صفي الله، وسمي المروة؛ لأنها جلست عليه امرأة آدم حواء عليهما السلام (روح البيان) قيل: وجه ارتباط الآية بما قبله هو: الجمع بين الحج والجهاد؛ لأن فيهما شق الأنفس وإنفاق الأموال. **أعلام دينه:** أشار به إلى تقدير مضاف في الآية أي من شعائر دين الله، والمراد بالشعائر: المواضع التي يقام فيها الدين. (حاشية الجمل)

وأصلهما: أي معناهما الأصلي أي اللغوي، وفي كلامه لف ونشر مرتب "الجمل" والعمرة بالضم أحد أركان الحج. **فلا جناح إلخ:** الظاهر أن "عليه" خبر "لا"، وأجازوا بعد ذلك أوجها ضعيفة، منها: أن يكون الكلام قد تم عند قوله: "فلا جناح"، على أن يكون خبر "لا" محذوفا، وقدره أبو البقاء: فلا جناح في الحج، ومبتدأ لقوله: "عليه" "أن يطوف" فيكون "عليه" خبرا مقدما، و"أن يطوف" في تأويل مصدر مرفوع بالابتداء فإن الطواف واجب، والجيد أن يكون "عليه" في هذا الوجه خبرا و"أن يطوف" مبتدأ. (تفسير الكرخي)

يمسحوهما: أي أسافا ونائلة، فلما جاء الإسلام وكسرت الأوثان كره المسلمون الطواف بينهما؛ لأجل فعل الجاهلية، فرفع عنهم الجناح بقوله: "فلا جناح"، وهو دليل على أنه ليس بركن كما قال مالك والشافعي. وكذا قوله: "ومن تطوع خيرا" أي الطواف بهما، مشعر بأنه ليس بركن. (تفسر المدارك)

وعن ابن عباس إلخ: اعلم أن الإجماع على أن السعي بين الصفا والمروة مشروع في الحج والعمرة، وإنما الخلاف في وجوبه، فعن أحمد: إنه سنة، وبه قال أنس وابن عباس رضي الله عنهم؛ لقوله تعالى: ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾، فإنه يفهم منه التخيير. قال البيضاوي: وهو ضعيف؛ لأن نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه وعن أبي حنيفة رحمه الله: إنه واجب، يجبر بدم، وعن مالك والشافعي رحمهما الله: إنه ركن؛ لقوله ﷺ: اسعوا فإن الله تعالى كتب عليكم السعي. رواه البيهقي وغيره، وقال ﷺ: ابدؤوا بما بدأ الله به يعني الصفا. رواه مسلم، كذا في "السراج المنير".

رفع: المستفاد من قولهم فلا جناح عليه. (تفسير الكمالين)

عليكم السعي" رواه البيهقي **وغيره** وقال: "ابدؤوا بما بدأ الله به" يعني الصفا. رواه مسلم، وَمَن تَطَوَّعَ وفي قراءة بالتحتانية وتشديد الطاء مجزوماً، وفيه إدغام التاء فيها (حمزة والكسائي: يطوع) خَيْرًا أي **بخير** أي فعل ما لم يجب عليه من طواف وغيره فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ لعمله **بالإثابة عليه** عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ به. ونزل في اليهود إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ (ككعب بن أشرف) **الناس** مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ **كآية الرجم** ونعت محمد ﷺ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ التوراة أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ يبعدهم من رحمته وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ الملائكة والمؤمنون أو كل شيء بالدعاء عليهم باللعنة، إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ رجعوا عن ذلك وَأَصْلَحُوا۟ عملهم وَبَيَّنُوا۟ ما كتموه فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ أقبل توبتهم وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ بالمؤمنين.

وغيره: أي أحمد والشافعي، وقال إمامنا أبو حنيفة رحمه الله: إنه واجب، يجبر بالدم للحديث المذكور، ولكنه لكونه خبر آحاد لا يثبت به الركن. (تفسير الكمالين) **بخير:** أشار بذلك إلى أن "خيرا" منصوب بنزع الخافض، ويؤيده قراءة ابن عباس رضي الله عنهما.

بالإثابة عليه: إشارة إلى أن معنى الشاكر في حق الله تعالى المجاز على الطاعة بالثواب، ففي التعبير به مبالغة في الإحسان إلى العباد، ومعلوم أن الشاكر في اللغة هو المظهر للإنعام عليه، وذلك في حق الله محال، وقوله: "عليم به" أي بأحواله فلا ينقص من أجره شيئا، وهذا علة لجواب الشرط قائم مقامه، فكأنه قال: ومن تطوع خيرا جاز وأثابه، فإن الله شاكر عليم، وفيه إشارة إلى الوثوق بوعده. (تفسير الكرخي)

الناس: قدره المفسر إشارة إلى أنه مفعول "يكتمون" الثاني، والمعنى: يكتمون الحق على الناس بحيث يظهرون الباطل، ويخفون الحق من نعت محمد ﷺ وغيره.

كآية الرجم إلخ: أشار إلى أن المراد بالكتم هنا: إزالة ما أنزل الله ووضع غيره في موضعه، فإنهم محوا آية الرجم ونعته ﷺ، وكتبوا مكان ذلك ما يخالفه. ومعلوم أن الكتم والكتمان ترك إظهار الشيء قصدا مع مسيس الحاجة إليه، وتحقق الداعي إلى إظهاره؛ لأنه متى لم يكن كذلك لا يعد من الكتمان، وذلك قد يكون بمجرد ستره وإخفائه، وقد يكون بإزالته ووضع شيء آخر في موضعه، وهو الذي فعله هؤلاء كما مرت الإشارة إليه. وهذه الآية تدل على أن من أمكنه بيان أصول الدين بالدلائل العقلية لمن كان محتاجا إليها ثم تركها، أو كتم شيئا من أحكام الشرع مع الحاجة إليه، لحقه هذا الوعيد. (تفسير الجمالين)

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ حال أُوْلَٰٓئِكَ جملة حالية عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٦١﴾ أي **هم مستحقون** ذلك في الدنيا والآخرة، **والناس**: قيل: عام، وقيل: المؤمنون، خَٰلِدِينَ فِيهَا حال من "هم" في "عليهم" أي اللعنة أو النار المدلول بها **عليها** لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ طرفة عين وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ من الإنظار بمعنى الإمهال ﴿١٦٢﴾ يمهلون لتوبة أو معذرة. **ونزل** لما **قالوا**: صف لنا ربك وَإِلَٰهُكُمۡ **المستحق للعبادة** منكم إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ لا نظير له في ذاته ولا في صفاته لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ هو ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ وطلبوا آية على ذلك فنزل إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وما فيهما من العجائب وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ بالذهاب والمجيء والزيادة والنقصان وَٱلۡفُلۡكِ السفن ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ ....

للناس: من الجن والإنس كما يدل عليه التعبير بصيغة العقلاء. (تفسير الكمالين) إلا الذين إلخ: استثناء متصل، أفاد به أن اللعنة معلقة. هم مستحقون إلخ: أشار به إلى دفع التكرار، فالمراد باللعن فيما سبق حصوله بالفعل، والمراد به هنا استحقاقه. (حاشية الجمل) وعبارة أبي السعود: وهذا بيان لدوامها الثبوتي بعد بيان دوامها التجددي، وقيل: الأول لعنتهم أحياء، وهذا لعنتهم أمواتا.

والناس: قيل: عام؛ لأن الكفار يوم القيامة يلعن بعضهم بعضا، وقيل: المؤمنون؛ لأنهم هم الناس في الحقيقة؛ لانتفاعهم بالإنسانية، وأما الكفار فهم كالأنعام وأضل سبيلا، فلا اعتداد بهم عند الله، وهذا القول ما اختاره صاحب "الكشاف" وغيره. عليها: أي باللعنة على النار، فإن استقرار الطرد عن الرحمة يستلزم دخول النار. (تفسير الكمالين) ونزل: أي بمكة؛ لأن هذه الآية وما بعدها مكية وإن كانت السورة مدنية.

لما قالوا: أي مشركوا العرب، وكانوا إذ ذاك يعبدون ثلاث مائة وستين صنما حول الكعبة، ونزلت سورة الإخلاص أيضا ردا عليهم. المستحق للعبادة: إشارة إلى توجيه الحكم بالوحدة مع تعدد الآلهة.

المستحق إلخ: أما المعبود باعتبار الوقوع فكثير. (تفسير الكمالين)

إله واحد: "إله" خبر المبتدأ و"واحد" صفة له، وقوله: "إلا" هو المستثنى في موضع رفع بدلا من موضع "لا إله"؛ لأن موضع "لا" وما عملت فيه رفع بالابتداء. وقوله: "الرحمان" بدل من "هو" أو خبر مبتدأ محذوف، كما قدره الشارح.

إن في خلق إلخ: وجمع السماوات لما هو المشهور من أنها طبقات متخالفة الحقائق دون الأرض، (تفسير أبي السعود) و لأن الأرض تبصر واحدة، وهي الأرض الفوق فقط لا غيرها بخلاف السماوات.

ولا ترسب مؤقرة بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ **من التجارات** والحمل وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ مطر فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بالنبات بَعْدَ مَوْتِهَا يُبْسها وَبَثَّ فرّق من التفريق **ونشر به** فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ لأنهم ينمون من النمو **بالخِصب** الكائن عنه عن الماء المنزل وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ تقليبها جنوباً وشمالاً، بيان لموضع هبوبها حارة وباردة وَٱلسَّحَابِ الغيم ٱلْمُسَخَّرِ المذلل بأمر الله تعالى يسير إلى حيث شاء الله بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ **بلا علاقة** لَءَايَٰتٍ دالات على وحدانيته تعالى لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ بيان لأحوالها **يتدبرون.** وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أي غيره أَندَادًا أصناماً يُحِبُّونَهُمْ بالتعظيم والخضوع كَحُبِّ ٱللَّهِ **أي كحبهم** له وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ من حبهم للأنداد؛ لأنهم لا يعدلون عنه بحال ما، والكفار يعدلون في الشدّة إلى الله عن أندادهم وَلَوْ تَرَى **تبصر** يا محمد! أو كل مخاطب ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ باتخاذ الأنداد إِذْ ظرف يَرَوْنَ بالبناء للفاعل للأكثر والمفعول لابن عامر يبصرون...

ولا ترسب: بضم السين أي بما لا تنهبط إلى أسفل حال كونها مؤقرة بالقاف أي مثقلة بالمتاع مع أن الثقل يقتضي الرسوب أي النزول إلى أسفل. (تفسير الكمالين) **من التجارات:** يشير إلى أن "ما" موصولة، والباء للملابسة، وقيل: "ما" مصدرية. (تفسير الكمالين) **ونشر به:** أشار بقوله "به" إلى أن قوله: "وبث" معطوف على "أحيا" فتكون على تقدير العائد.

بالخصب: الخصب بالكسر رغد العيش. **بلا علاقة:** متعلق بـــ"المسخر"، وهي بكسر العين في المحسوسات كما هنا كعلاقة السيف والسوط ونحوهما، وبالفتح في المعاني كعلاقة الحب والخصومة ونحوهما إلخ. (المختار)

يتدبرون: أي ويستدلون بهذه الأشياء على قدرة موجدها، وحكمة مبدعها، ووحدانية منشئها، وفي الحديث: "ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها"، أي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها. (تفسر المدارك)

ومن الناس إلخ: هذه الآية وردت؛ لاستعظام ما وقع من بعض بني آدم من الكفر بعد ثبوت البراهين القطعية كأن الله يقول: أعجبوا بكفر بعض العبيد مع ثبوت الأدلة على وحدانيته تعالى.

أي كحبهم: أي يحبون الأصنام كما يحبون الله، يعني يسوون بينهم وبينه في محبتهم؛ لأنهم كانوا يقرون بالله، ويتقربون إليه، وقيل: يحبونهم كحب المؤمنين الله. (تفسير المدارك) **تبصر:** يشير إلى أن متن التفسير "ترى" بالفوقية كما هو قراءة عامر ونافع. (تفسير الكمالين) **إذ يرون:** "إذ" بمعنى "إذا"؛ لأن "إذ" وضعها ليدل على الماضي، دخل ههنا على المستقبل الذي وضع له "إذا"؛ لأن إخباره تعالى على المستقبل باعتبار تحقيق وقوعه كالماضي. (تفسير الكمالين)

ٱلۡعَذَابَ لرأيت أمراً عظيماً "وإذ" بمعنى "إذا" أَنَّ أي لأن ٱلۡقُوَّةَ القدرة والغلبة لِلَّهِ جَمِيعًا حال وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ وفي قراءة: "يرى" بالتحتانية والفاعل فيه قيل: ضمير السامع، وقيل: "الذين ظلموا" فهي بمعنى يعلم. وأن وما بعدها سدت مسدّ المفعولين وجواب "لو" محذوف، والمعنى: لو علموا في الدنيا شدّة عذاب الله، وأن القدرة لله وحده وقت معاينتهم له وهو يوم القيامة، لما اتخذوا من دونه أنداداً، إِذۡ بدل من "إذ" قبله تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ أي الرؤساء مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ أي أنكروا إضلالهم وَ قد رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ عطف على "تبرأ" بِهِمُ عنهم ٱلۡأَسۡبَابُ ﴿١٦٦﴾ الوصل

(حواشي بين السطور: فيفزعون إليه - كائنة - في "يرى" - للكوفيين وأبي عمرو وابن كثير - عن الضمير في متعلق لله - لكونه بمعنى الجملة - يتعدى إلى المفعولين - أي كلمة يرى - لـ"يرى" - فرعون ونمروذ - للحال أي رائين)

لرأيت إلخ: هذا جواب "لو" في قوله تعالى: "ولو ترى" بالتاء الفوقانية. نافع والشامي على أن الخطاب للرسول ﷺ، أو لكل مخاطب، أي ولو ترى ذلك لرأيت أمرا عظيما، كما في المدارك وأبي السعود. لأن: تعليل الجواب المحذوف الذي قدره بقوله: "لرأيت أمرا عظيما". (حاشية الجمل)

حال: أي من الضمير المستكن في الجار والمجرور الواقع خبرا؛ لأن تقديره: أن القوة كائنة لله جميعا. (تفسير الكرخي)

لما اتخذوا إلخ: قدر الجواب على قراءة الياء التحتانية مؤخرا عن قوله: "أن القوة" إلخ، وقدره على قراءة الفوقانية مقدما عليه. والمناسبة ظاهرة؛ لأنه على قراءة الياء التحتانية معمول لـ"يرى" فهو من تمامه، فالمناسب تقدير الجواب بعده، وعلى قراءة التاء الفوقانية تعليل للجواب المحذوف، فالمناسب تقديره قبله، تأمل.

إذ قبله: يعني "إذ يرون العذاب" وهو ظرف كما أشرنا إليه، ولو جعل بدلا من المفعول لا يصح الإبدال عنه؛ لأنه لم يعهد الإبدال من البدل كذا قيل، وفيه خلاف، وكلام المصنف في مواضع يدل على جوازه، وإنما ساغ الفصل بين المبدل منه والبدل بالجواب ومتعلقه لطول البدل. (تفسير الكمالين)

أنكروا إضلالهم: تفسير لقوله: "إذ تبرأ الذين" إلخ، أي قالوا: ما أضللناكم، قال تعالى: "قالت أخراهم لأولاهم" الآية، إذ تخلص المتبوعون في الكفر من التابعين ورأوا العذاب وتقطعت بينهم الروابط. وقد رأوا: الضمير فيه للفريقين: التابعين والمتبوعين، ونصه في "تفسير العباسي" وغيره، وفي تقدير "قد" إشارة إلى أن "ورأوا العذاب" حال من الذين، والعامل تبرأ، أي "تبرؤوا" في حال رؤيتهم بمعنى رائين له، وهو حال من الأتباع والمتبوعين لا معطوفة.

عنهم: يشير إلى أن الباء بمعنى عن، وقيل: للسببية أي انقطعت بسبب كفرهم أسباب النجاة، أو للملابسة أي انقطعت الأسباب موصولة بهم، أو للتعدية أي قطعت بهم الأسباب. (تفسير الكمالين) الوصل: وصل بضم الواو وفتح الصاد، وصلة بمعنى الاتصال.

التي كانت بينهم في الدنيا من الأرحام والمودة. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ **رجعة** إلى الدنيا ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ﴾ أي المتبوعين ﴿كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا﴾ اليوم، و "لو" للتمني و "فنتبرأ" **جوابه** ﴿كَذَٰلِكَ﴾ **كما أراهم** شدّة عذابه وتَبَرّي بعضهم من بعض ﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ السيئة ﴿حَسَرَٰتٍ﴾ **حال ندامات** ﴿عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ بعد دخولها. ونزل فيمن حرّم **السوائب** ونحوها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلًا﴾ **حال** ﴿طَيِّبًا﴾ صفة **مؤكدة** أو **مستلذاً** ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ﴾ طرق ﴿ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ أي **تزيينه** ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ **بيِّن العداوة**، ﴿إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ الإثم ﴿وَٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ القبيح . . .

(وفي نسخة: تبرأ)

رجعة: في "أبي البقاء": كرة مصدر كر يكر إذا رجع. **جوابه:** أي جواب التمني والمعنى: ليت لنا كرة فنتبرأ منهم. (تفسير الكمالين) **كما إلخ:** "ما" فيه مصدرية يريد أن قوله "كذلك" وقع موقع المفعول المطلق من "يريهم"، والمشار إليه الإراءة. (تفسير الكمالين) **حال:** أي من "أعمالهم" لأنه من رؤية البصر، وإن أريد به رؤية القلب فهي ثالث مفاعيل "يرى"، يعني أن الرؤية هنا تحتمل وجهين، أحدهما: أن تكون بصرية فتعدى لاثنين، والثاني: أن تكون قلبية فتعدى لثلاثة، ثالثها: "حسرات".

ندامات: ندامات شديدة، فإن الحسرة شدة الندم والكمد، وهي تألم القلب. (تفسير أبي السعود) **السوائب:** جمع سائبة، وهي ناقة كانت تسيب في الجاهلية لنذر للصنم، فلا يشرب لبنها ولا يؤكل لحمها، قوله: ونحوها كالبحائر والوصائل والحوامي، قال ابن عباس: نزلت الآية في الذين حرموا السوائب والوصائل والبحائر، وهم قوم بني ثقيف وبني عامر بن صعصعة وخزاعة وبني مدلج. (التفسير الكبير)

يا أيها الناس: هذا خطاب لأهل مكة، ولا ينافيه كون السورة مدنية، فإن ذلك من حيث النزول. **مما:** مفعول به لـ"كلوا" ومن للتبعيض؛ إذ لا يؤكل كل ما في الأرض. (تفسير الكمالين) **حال:** أي عن "ما في الأرض" وقد يجعل "حلالا" مفعولا به، وقوله: "مما في الأرض" حال من "حلالا" قدم عليه لتنكيره. (تفسير الكمالين)

مؤكدة: أي لقوله: "حلالا" إن فسر بما يستطيبه الشرع أو عرف العرب. (تفسير الكمالين) **مستلذا:** بيناء المفعول أي ما يستلذه الناس فعلى هذا يكون صفة مقيدة أو حالا. (تفسير الكمالين) **خطوات:** من الخطوة والمعنى آثاره. (تفسير الكمالين) **تزيينه:** كأنه إشارة إلى تقدير مضاف أي طرق تزيينه، وتزيينه وسواسه.

بين العداوة: يعني أنه من "أبان" اللازم لا المتعدي، وقد جاء بالمعنيين؛ لأنه المناسب بمقام التعليل للنهي عن الاتباع. (تفسير الكمالين)

شرعاً ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ﴿١٦٩﴾ من تحريم ما لم يحرَّم **وغيره**. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ أي الكفار ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من التوحيد وتحليل الطيبات ﴿قَالُوا۟﴾ لا ﴿بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا﴾ وجدنا ﴿عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ﴾ من عبادة الأصنام وتحريم السوائب **والبحائر**، قال تعالى: **أ يتبعونهم** ﴿وَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـًٔا﴾ من أمر الدين ﴿وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ ﴿١٧٠﴾ إلى الحق، **والهمزة للإنكار**. ﴿وَمَثَلُ﴾ صفة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ **ومن يدعوهم** إلى **الهدى** ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ﴾ يصوّت ﴿بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ أي صوتاً لا يفهم معناه أي هم في سماع الموعظة وعدم تدبرها كالبهائم تسمع صوت راعيها ولا تفهمه، هم ﴿صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٌ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ ﴿١٧١﴾ الموعظة. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ﴾ حلالات ﴿مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُوا۟ لِلَّهِ﴾ على ما أحل لكم ﴿إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ ﴿١٧٢﴾

(بيان لما الموصولة)

وغيره: أي من اتخاذ الأنداد وتحريم الطيبات. **لهم:** أي للمشركين بدلالة قوله: من عبادة الأصنام، وتحريم السوائب والبحائر. (تفسير الكمالين) **والبحائر:** جمع بحيرة، وهي التي يمنع لبنها للأصنام، وسميت بها؛ لأنهم يتبحرون أذنها أي يشقونها، وسيأتي تفسيرها في المائدة. (تفسير الكمالين)

أيتبعونهم: يشير بتقدير الفعل إلى أن قوله: "ولوكان" حال من مفعوله، أي أيتبعونهم في حال فرضهم غير عاقلين ولا مهتدين، و"الهمزة للإنكار" أي الرد والتعجب. (تفسير الكمالين) **والهمزة للإنكار:** أي لا ينبغي ولا يليق أن يتبعوهم، وهم جهلة لا يعقلون شيئا ولا يهتدون. **ومن يدعوهم:** لما لم يصح تمثيل الكافرين بالذي ينعق، وإنما هو مثل داعيه قدروا لأجل ذلك المضاف في المشبه أو المشبه به، أي مثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق، أو مثل الكفرة كمثل بهائم الذي ينعق، وقدر المفسر المعطوف على المشبه. (تفسير الكمالين)

الهدى: وهو محمد ﷺ، فأشار الشارح إلى أن المشبه فيه محذوف، تقديره: ومثل من يدعو الذين كفروا إلى الهدى كمثل الذي ينعق، فصار الناعق الذي هو الراعي بمنزلة الداعي إلى الهدى، وهو الرسول عليه السلام وسائر الدعاة إلى الهدى، وصار الكفار بمنزلة الغنم المنعوق بها، كما في "التفسير الكبير" مستندا إلى الأخفش والزجاج وابن قتيبه.

يا أيها الذين آمنوا: جرت عادة الله في كتابه غالبا مناداة أهل مكة بـــ"يا أيها الناس"، ومناداة أهل المدينة بـــ"يا أيها الذين آمنوا".

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ أي **أكلها**؛ إذ الكلام فيه وكذا ما بعدها، وهي ما لم تذكَّ شرعاً، وأُلحِقَ **بها** بالسنة **ما أبين** من حيّ، **وخُصَّ منها** (من الميتة) السمك والجراد **وَٱلدَّمَ** أي المسفوح كما في "**الأنعام**" **وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ** خص **اللحم**؛ لأنه معظم المقصود وغيره **تبع** له **وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ** أي ذبح على اسم غيره تعلى "**والإهلال**" رفع الصوت، وكانوا يرفعونه عند الذبح لآلهتهم، (بيان للحاصل) **فَمَنِ ٱضْطُرَّ** أي ألجأته الضرورة إلى أكل شيء مما ذكر **فأكله** **غَيْرَ بَاغٍ** خارج **على المسلمين** **وَلَا عَادٍ** متعدّ عليهم بقطع الطريق **فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ**

إنما حرم إلخ: المقصود من هذا الحصر الرد على من حرم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وعلى من أحل بعض المحرمات، فالحصر إضافي. **أكلها:** إنما قدر المضاف؛ لأن الحرمة لا يتعلق بالأعيان؛ لأن الأحكام من صفات فعل المكلف خلافا لفخر الإسلام، وقد بسط في محله، وكذا ما بعدها يقدر فيه الأكل. (تفسير الكمالين)

بها: أي بالميتة بحديث رواه الحاكم عن أبي سعيد الخدري ، وصححه على شرطهما. (تفسير الكمالين)

ما أبين: بضم الهمزة وكسر الموحدة، العضو الذي قطع من حي وأفصل منه، فهو ميت. (تفسير الكمالين)

وخص منها: السمك والجراد، أي أخرج بما رواه ابن ماجه والحاكم عن ابن عمر مرفوعا: "أحلت لنا ميتتان: السمك والجراد، ودمان: الكبد والطحال"، وبه أخذ الأئمة الأربعة والجمهور، والحديث من قبيل المشهور، ولهذا جازت الزيادة به على الكتاب عند علمائنا بخلاف قوله ﷺ: "ذكاة الجنين ذكاة أمه"؛ فإنه من الآحاد، كذا قالوا، وفيه أن العام بعد تخصيصه بالمشهور يجوز تخصيصه بالآحاد، فتأمل. (تفسير الكمالين)

الأنعام: من قوله: ﴿أَوْ دَماً مَسْفُوحاً﴾ (الأنعام:١٤٥). **اللحم:** خص بالذكر مع حرمة سائر أجزائه. (تفسير الكمالين) **تبع:** محركة التابع، يكون واحدا وجمعا. (القاموس) **و ما أهل به:** يعني ما ذبح للأصنام، وهو قول مجاهد والضحاك وقتادة، وقال الربيع بن أنس وابن زيد: يعني ما ذكر عليه غير اسم الله، وهذا القول أولى؛ لأنه أشد مطابقة للفظ، قال العلماء: لو أن مسلما ذبح ذبيحة، وقصد بذبحها التقرب إلى غير الله صار مرتدا، وذبيحته ذبيحة مرتد، وهذا الحكم في غير ذبائح أهل الكتاب، أما ذبائح أهل الكتاب فتحل لنا؛ لقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ (المائدة:٥) (التفسير الكبير)

والإهلال: أي فقد سمي الشيء باسم صاحبه، ولذلك يقال: استهل المولود بمعنى صاح عند الولادة، وسمي الهلال بذلك؛ لرفع الصوت عند رؤيته. (حاشية الصاوي) **فأكله:** يشير إلى أن الجملة المعطوفة المترتبة على قوله: "اضطر" محذوفة بدلالة السياق. (تفسير الكمالين) **على المسلمين:** كذا أخرج سعيد بن منصور عن مجاهد في تفسير هذه الآية غير باغ على المسلمين ولا متعد عليهم. (تفسير الكمالين)

في أكله إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ لأوليائه رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ بأهل طاعته **حيث وسع** لهم في ذلك، وخرج الباغي والعادي، ويلحق بهما كل عاص بسفره كالآبق **والمكّاس** فلا يحل لهم أكل شيء من ذلك ما لم يتوبوا، وعليه الشافعي. إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ المشتمل على نعت محمد ﷺ، وهم اليهود، وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا من الدنيا يأخذونه بدله من **سفلتهم**، فلا يظهرونه خوف فوته عليهم أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ لأنها **مآلهم** وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ **غضبا عليهم** وَلَا يُزَكِّيهِمۡ يطهرهم من دنس الذنوب وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ مؤلم، هو النار.

بدل الكتمان — النعت — لأجل خوف الثمن عليهم
النار — وفي نسخة: مآله
بفتح النون: وسخها

حيث وسع: لهم في ذلك أي فأباح لهم أكلها، والشبع منها حيث كانت المخمصة دائمة، وأجمعت الأمة على ذلك، واختلفوا إذا لم تدم المخمصة فأباح مالك رحمه الله الشبع والتزود، وذكر غيره قولين، وعلى كل فإذا استغنى عنها طرحها، ويقدم الميتة وما أهل به لغير الله في الأكل على لحم الخنزير. (حاشية الصاوي)

والمكّاس: بتشديد الكاف، أي آخذ العشر من التجار على وجه الظلم، وعليه الشافعي رحمه الله حيث قال: سفر المعصية يمنع الرخصة وهو قول أحمد، وقال أبو حنيفة رحمه الله والجمهور: المعصية العارضة لا يمنع الرخصة. والبغي: هو طلب أن يؤثر نفسه على مضطر آخر بأن يتفرد بتناوله فيهلك الآخر. والعدو: هو التعدي والتجاوز عن قدر الحاجة وهو سد الرمق. (تفسير الكمالين)

إن الذين إلخ: نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم، وذلك: أنهم كانوا يأخذون من سفلتهم الهدايا والمآكل، وكانوا يرجون أن النبي آخر الزمان يكون منهم، فلما بعث محمد ﷺ من غيرهم خافوا على ذهاب مآكلهم، وزوال رياستهم بسبب ظهوره ﷺ، فغيروا صفته ﷺ، وصفة أصحابه وبلده حرصا على الرياسة، وعلى ما كانوا يأخذونه من سفلتهم، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ...﴾ (البقرة: ١٧٤) أي في الكتاب من صفة النبي ﷺ ونعته، ووقت نبوته، هذا قول المفسرين. (تفسير الخازن) **سفلتهم:** بالتحريك، جمع سافل وهو الأدنى. (تفسير الكمالين)

مآلهم: أي مرجعهم يرجعون إليه، سمي ما يأخذونه من العوض الحقير نارا؛ لأنه السبب الموصل إليها يوم القيامة. (تفسير الكمالين) **غضبا عليهم:** أشار إلى أنه استعارة عن الغضب؛ لأن عادة الملوك أنهم يعرضون عن المغضوب عليهم.

ولهم عذاب أليم: هذا بيان حالهم في الآخرة، وهو عدم كلام الله لهم المترتب على كتمانهم، وعدم طهارة الله لهم المترتب على اشترائهم ثمنا قليلا، والعذاب الأليم المترتب على أكلهم سبب النار. وقوله: "أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا إلخ" بيان لحالهم في الدنيا.

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ أخذوها بدله في الدنيا وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ المعدّة صفة للمغفرة لهم في الآخرة لو لم يكتموا فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ أي ما أشدّ صبرهم! وهو تعجيب **للمؤمنين** من ارتكاهم موجباتها من غير مبالاة، وإلا فأيُّ صبر لهم؟ ذَٰلِكَ الذي ذُكِرَ من أكلهم النار وما بعده بِأَنَّ بسبب أنّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ التوراة بِٱلۡحَقِّۗ متعلق بـــ"نزل" **فاختلفوا** فيه حيث آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه بكتمه وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ **بذلك** وهم اليهود، وقيل: المشركون في القرآن حيث قال بعضهم: شعر، وبعضهم: سحر، وبعضهم: كهانة لَفِي شِقَاقِۭ خلاف بَعِيدٖ ﴿١٧٦﴾ عن الحق. لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ في الصلاة قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ نزل ردًّا على اليهود والنصارى **حيث زعموا ذلك** وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ أي ذا البر، وقرئ بفتح الباء أي البار مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ ....

فما أصبرهم: فعل تعجب، وضع لإنشاء التعجب، وأصله كما ذكره البيضاوي: أن "ما" تامة مرفوعة بالابتداء، وتخصيصها للتعظيم كما قيل في شر أهر ذا ناب، أو استفهامية، وما بعدها الخبر، أو موصولة، وما بعدها صلة، والخبر محذوف أي شيء عظيم. (تفسير الكمالين)

للمؤمنين: بأن التعجب ههنا راجع إلى العباد، وأن حالهم جدير بالتعجب منها؛ لأن التعجب منشؤه الجهل بالسبب فلا يجوز عليه تعالى. (تفسير الكمالين) **فاختلفوا:** يشير إلى تقدير الجملة بدلالة السياق. (تفسير الكمالين)

بذلك: أي بالإيمان بالبعض والكفر بالبعض، والمراد بالكتاب: التوراة.

ليس البر إلخ: أي ليس البر أن تصلوا ولا تعملوا بعد ذلك شيئا كما هو في أول الإسلام، فهذا حين نزول الفرائض، أو قبلة اليهود المغرب وقبلة النصارى المشرق، فأنزل الله أو لما تحولت القبلة شق ذلك على أهل الكتاب وبعض المؤمنين، فهذه الآية بيان حكمته، وهو أن المراد امتثال أوامر الله وهو البر، وليس في لزوم التوجه من مشرق أو مغرب بر إن لم يكن عن أمر الله. (جامع البيان) قال الصاوي: هذا ابتداء نصف السورة الثاني، وهو متعلق بتبيين غالب أحكام الدين، وأما النصف الأول فهو متعلق بأصول الدين وقبائح اليهود.

حيث زعموا ذلك: فقد زعم النصارى أن البر في استقبال جهة طلوع الشمس، وزعم اليهود أن البر في استقبال بيت المقدس.

أي الكتب ﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ﴾ مع ﴿حُبِّهِۦ﴾ له ﴿ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ القرابة ﴿وَٱلۡيَتَـٰمَىٰ وَٱلۡمَسَـٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ المسافر ﴿وَٱلسَّآئِلِينَ﴾ الطالبين ﴿وَفِي﴾ فك ﴿ٱلرِّقَابِ﴾ المكاتبين والأسرى ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ المفروضة، **وما قبله** في التطوّع ﴿وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَـٰهَدُواْ﴾ الله أو الناس ﴿وَٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ **نصب على المدح** ﴿فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ﴾ شدّة الفقر ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ المرض ﴿وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِ﴾ وقت شدّة القتال في سبيل الله ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ في إيمانهم أو ادّعاء البر ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧﴾ الله. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ﴾ **فرض** ﴿عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ﴾ المماثلة ﴿فِي ٱلۡقَتۡلَى﴾ ....

(سمي به لملازمة السبيل — يعني وآتى المال إلخ — فلا تكرار — في الأنفس)

أي الكتب: يشير إلى أن اللام في الكتاب للجنس. (تفسير الكمالين) **له:** أي للمال، وقيل: الضمير لله أو الإيتاء. (تفسير الكمالين) **وما قبله إلخ:** قدم على الفريضة مبالغة في الحث عليه. (تفسير أبي السعود)

الموفون: عطف على "من آمن" وتغير الأسلوب للدلالة على ملازمة الإيفاء ودوامهم عليه. (تفسير الكمالين)

نصب على المدح: معناه تقدير ما يدل على المدح مثل: أمدح وأخص الصابرين؛ لمزية الصبر، وحينئذ يكون عطف الجملة على الجملة، وحذف هذا المقدر واجب، ومن ههنا يعلم النصب على المدح في المعطوف كهو في الصفات المقطوعة. (تفسير الكمالين) **البأساء:** عن الأزهري "البأساء" في الأموال كالفقر. (تفسير الكمالين)

فرض عليكم: وأصل الكتابة الخط، كني به عن الإلزام بقرينة "على". (تفسير الكمالين) وسبب نزول الآية: أن رسول الله ﷺ لما دخل المدينة وجد الأوس والخزرج يتفاخرون على بعضهم، فصاروا يقتلون الاثنين بالواحد، والحر بالعبد منهم، فنزلت هذه الآية، فآمنوا وأسلموا.

القصاص: مأخوذ من قص الأثر، فكأن القاتل سلك طريقا في القتل يقتص أثره فيها أي يتبع، ويمشي على سبيله في ذلك، ومنه سمي قصة؛ لأن القصة الحكاية يساوي المحكي؛ ولتضمنه معنى المماثلة عدي بـــ"في"، وقيل: "في" للسببية أي بسبب قتل، "القتلى" جمع قتيل. (تفسير الكمالين)

وصفاً وفعلاً ﴿ٱلْحُرُّ﴾ يقتل ﴿بِٱلْحُرِّ﴾ **ولا يقتل بالعبد** ﴿وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ **وبينت** متعلق بالمماثلة **السنة** أنّ الذكر يقتل بها، وأنه تعتبر المماثلة في الدين، **فلا يقتل** مسلم ولو عبداً بكافر ولو حرّاً، ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ﴾ من القاتلين ﴿مِنْ﴾ **دم** ﴿أَخِيهِ﴾ **المقتول** ﴿شَيْءٌ﴾ **بأن ترك** كان الكافر **القصاص** منه. وتنكير "شيء" يفيد سقوط القصاص بالعفو ....

وصفا وفعلا: أما المماثلة في الوصف فبأن لا يكون متفاوتا إلى زيادة كالحر بالعبد، وأما في الفعل فبأن يفعل به مثل ما فعل من الإغراق والرض بين الحجرين، فإن مات وإلا يجز رقبته، وهذا كله قول الشافعي ومالك وأحمد ﷾، وأما عند أبي حنيفة ﵀: فلا قود إلا بالسيف، وهو رواية عن أحمد ﵀. (تفسير الكمالين)

ولا يقتل بالعبد: بدليل المفهوم المخالف، وإنما لم يعتبر في قوله "العبد بالعبد"؛ لأن المفهوم الموافق أو القياس يدل على وجوب القصاص في العبد بالحر، وهو أنه لما قتل العبد بالعبد فلأن يقتل بالحر أولى، والقياس مقدم على المفهوم المخالف عندهم، وكذا لم يعتبر في قوله: "الأنثى بالأنثى" للإجماع، على أنه يقتل الأنثى بالذكر.

قال البيضاوي: لا دلالة في الآية على أن لا يقتل الحر بالعبد كما لا يدل على عكسه؛ لأن المفهوم إنما يعتبر حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم، وقد بينا ما كان الغرض وهو: أن نزول هذه الآية في حيين من أحياء العرب بينهما دماء، وكان لأحدهما طول على الآخر بعضهم من بعض حتى أسلموا فأقسموا: ليقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالأنثى، فنزلت الآية ردا لما قالوه، ومروا أن يتباؤوا أي يتكافؤوا، قال: وإنما منع مالك والشافعي ﵄ قتل الحر بالعبد لحديث "لا يقتل حر بعبد" رواه الدار قطني، وبالقياس على الأطراف، وعندنا: يجري القياس بين الحر والعبد؛ لقوله تعالى: "إن النفس بالنفس" كما بين الذكر والأنثى، وبقوله ﵇: "المسلمون تتكافأ دماؤهم." (تفسير الكمالين)

وبينت السنة: يريد بها ما في الصحيحين: أنه ﷺ قتل يهوديا بامرأة. (تفسير الكمالين) **فلا يقتل إلخ:** هذا عند الشافعية، وعندنا: يقتل المسلم بالذمي، وله قوله ﵇: "لا يقتل مؤمن بكافر "، ولنا ما روي "أن النبي ﵇ قتل مسلما بذمي" والمراد بما روى الشافعي: الحربي؛ لسياق الحديث: "ولا ذو عهد في عهده" والعطف للمغايرة كما في "الهداية"، ولا يقتل المسلم بالمستأمن؛ لأنه غير محقون الدم على التأبيد.

دم أخيه: أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. **المقتول:** يعني أن المراد بالأخ: المقتول، والمضاف محذوف، وهذا هو الذي اختاره الواحدي، وقال الزمخشري: المراد بالأخ: ولي الدم. (تفسير الكمالين)

بأن ترك القصاص: يشير إلى أن "عفي" بمعنى ترك و"شيء" مفعول به، في "شمس العلوم": يقال: عفوت الشيء، إذا تركته حتى يطول، وقال الزمخشري: لم يثبت عفا الشيء بمعنى تركه بل أعفاه، فقوله: "شيء" مفعول مطلق أي شيء من العضو؛ لأن "عفا" لازم. (تفسير الكمالين)

عن بعضه ومن بعض الورثة، وفي ذكر "أخيه" تعطُّف داع إلى العفو، وإيذان بأنّ القتل لا يقطع أخوّة الإيمان، و"مَن" مبتدأ شرطية أو موصولة، والخبر: فَٱتِّبَاعٌۢ أي فعلى العافي اتباع القاتل بِٱلۡمَعۡرُوفِ بأن يطالبه بالدية **بلا عنف**، وترتيب الاتباع على العفو يفيد أنّ الواجب أحدهما (وفي نسخة: للقاتل) وهو أحد قولي الشافعي، والثاني الواجب القصاص، والدية بدل عنه، فلو عفا ولم يسمها فلا شيء **ورُجِّحَ**، وَ على القاتل أَدَآءٌ للدية إِلَيۡهِ أي إلى العافي وهو الوارث بِإِحۡسَٰنٖ **بلا مطل** ولا بخس ذَٰلِكَ الحكم المذكور من جواز القصاص، والعفو عنه على الدية تَخۡفِيفٌ (مهلة) تسهيل مِّن رَّبِّكُمۡ (بلا نقصان) عليكم وَرَحۡمَةٞۗ بكم حيث وسع في ذلك، **ولم يحتم** واحداً منهما كما حتم على اليهود القصاص وعلى النصارى **الدية** (فقط ولم تكن فيهم الدية) فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ (ألزم) ظلم القاتل بأن قتله بَعۡدَ ذَٰلِكَ أي العفو فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٨﴾ مؤلم في الآخرة بالنار أو في الدنيا **بالقتل**. وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ (هذا هو حكمة القصاص) أي بقاء عظيم (العظم مستفاد من التنكير) ...

عن بعضه: أي عن بعض الدم، وترتيب الاتباع يفيد أن الواجب أحدهما، إذ لو كان الواجب القصاص عينا لم يترتب الأمر بأدائها على مطلق العفو، بل شرط رضا القاتل أيضا. (تفسير الكمالين)

بلا عنف: العنف بالضم: الشدة، ضد الرفق.

ورجح: أي القول الثاني؛ لأن النصوص صريحة في إيجاب القصاص على التعيين، ثم تجويز العفو. (تفسير الكمالين)

بلا مطل إلخ: المطل: التأخير في الدفع، والوعد به مرة بعد أخرى، والبخس: النقص. **ولم يحتم:** أي لم يلزم واحدا منهما أي من القصاص والدية. (تفسير الكمالين) **الدية:** فقط دون القصاص، وقيل: فرض عليهم العفو أو الأرش دون القصاص، أي العفو وأخذ الدية. (تفسير الكمالين)

بالقتل: وفي حديث أبي داود: "لا أعافي أحدا قتل بعد أخذ الدية." (تفسير الكمالين)

ولكم في القصاص إلخ: في "أبي السعود": "ولكم في القصاص حياة" بيان لمحاسن الحكم على وجه بديع، لا تنال غايته حيث جعل الشيء - وهو القصاص - محلا لضده - وهو الحياة - ونكر الحياة؛ ليدل على أن في هذا الجنس نوعا من الحياة عظيما لا يبلغه الوصف، وذلك؛ لأنهم كانوا يقتلون الجماعة بالواحد، فتنتشر الفتنة بينهم، ففي شرع القصاص سلامة من هذا كله. وعبارة "الخازن": وهذا الحكم غير مختص بالقصاص الذي هو القتل، بل يدخل فيه جميع الجروح والشجاج وغير ذلك؛ لأن الجارح إذا علم أنه إذا جَرح جُرح لم يجرح، فيصير سببا لبقاء الجارح والمجروح، وربما أفضت الجراحة إلى الموت، فيقتص من الجارح. (حاشية الجمل)

يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ذوي العقول؛ لأنّ القاتل إذا علم أنه يقتل ارتدع، **فأحيا نفسه، ومن** امتنع عن قتل غيره **أراد** قتله **فشرع** لكم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ القتل مخافة القَوَد. كُتِبَ فرض عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ أي أسبابه إِن تَرَكَ خَيْرًا **مالاً** ٱلْوَصِيَّةُ مرفوع بِــ"كُتِبَ" تذكير فعلها للفصل **ومتعلق بــ"إذا"** إن كانت ظرفية، ودال على جوابها إن كانت **شرطية، وجواب "إن"** محذوف، أي **فليوص** لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ **بالعدل** بأن لا يزيد على الثلث إن كانت له ورثة

فأحيا نفسه إلخ: أي إذا ارتدع عن قتل غيره سلم غيره من القتل، وسلم هو من القود، وكان القصاص سبب حياة نفسين، فلأجل هذا شرع لكم . من "الكشاف" و"المدارك". **ومن أراد:** أي وأحيا من أراد قتله. **فشرع:** أشار به إلى أمرين: إلى أن المراد مشروعية القصاص، وإلى أن قوله "لعلكم" إلخ، متعلق بهذا المقدر.

إذا حضر إلخ: أي ظهرت عليه أماراته كالمرض المخوف، فالكلام على حذف مضاف كما أشار إليه الشارح إلخ. (حاشية الجمل) **مالا:** أي قليلا أو كثيرا، وإليه ذهب الزهري، وهو الشايع في استعمال القرآن في قوله: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ (البقرة:٢٧٢) ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ (البقرة:٢١٥) ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (العاديات:٨) وقيل: مالا كثيرا؛ لما روى ابن أبي شيبة عن علي رضي الله عنه: أن مولى له أراد أن يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه، وقد قال الله تعالى: "إن ترك خيرا" والخير هو المال الكثير، وعن عائشة رضي الله عنها فيمن ترك عيالا كثيرا وترك ثلاثة آلاف: ليس هذا المال كثيرا، فظهر أنه تختلف بالأشخاص والأحوال. (تفسير الكمالين)

ومتعلق بــ"إذا": العامل فيها، وقوله: "إن كانت ظرفية" أي محضة غير متضمنة معنى الشرط، أي كتب عليكم أن يوصي أحدكم وقت حضور الموت له، وقوله: "إن كانت شرطية" أي ظرفية متضمنة معنى الشرط، فيكون قد اجتمع شرطان، وجواب كل محذوف، دل عليه لفظ الوصية، وتقدير المحذوف فيهما مضارع مقرون بلام الأمر، فقوله: "فليوص" بيان لكل من جواب "إذا" وجواب "إن"، فقد أخبر الشارح عن "الوصية" بأمور ثلاثة: الرفع بــ"كتب"، وعملها في "إذا" إن لم تكن شرطية، ودلالتها على جوابها إن كانت شرطية، وعلى جواب "إن". (حاشية الجمل) **شرطية:** والتقدير إذا حضر أحدكم الموت فليوص. (تفسير الكمالين)

وجواب إن: بالجر أي ودال على جواب "إن". **فليوص:** مجموع الشرطين معترضة بين "كتب" وفاعله؛ لبيان كيفية الإيصاء. (تفسير الكمالين) **بالعدل:** بيان للحاصل، فإن معنى المعروف: المعلوم عادة، وهو العدل. (تفسير الكمالين)

ولا يفضل **الغني** حَقًّا مصدر مؤكد **لمضمون الجملة قبله** عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ الله، **وهذا منسوخ بآية الميراث**، وبحديث "لا وصية لوارث" **رواه الترمذي**. فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ أي **الإيصاء** من شاهد ووصي بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ علمه فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ أي **الإيصاء المبدل** عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ لقول الموصي عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ بفعل الوصي، فمجاز عليه. فَمَنْ خَافَ مِن **مُّوصٍ** مخففاً ومثقلاً **جَنَفًا** ....

الغني: أي على الفقير، ولا القريب الغير الوارث على الأقرب. **لمضمون الجملة قبله:** وهي: "كتب عليكم" فإنه لا محتمل له غيره أي حق ذلك حقا لك، قال أبو حيان: هذا يأباه النحو؛ لأن "على المتقين" متعلق بـــ"حقا"، أو صفة له، فلا يكون مؤكدا؛ لأن المصدر المؤكد لا يعمل، وأيضا يتخصص بالمعمول أو الصفة، فلا يكون مؤكدا، وأجيب بأنه يتعلق بمقدر غير صفة. (تفسير الكمالين) **هذا منسوخ:** أي الحكم لا التلاوة، فحكمها حكم القرآن، وقوله: "بآية الميراث" أي قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ (النساء:١١)

بآية الميراث: يعني:﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ يفيده ما للبخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:"كان المال للولد والوصية للوالدين، فنسخ الله من ذلك ما أحب، وجعل عز وجل للذكر مثل حظ الأنثيين"، وهكذا روى الدارمي عن الحسن وعكرمة وقتادة: "أن آية الوصية منسوخة بآية الميراث"، وتعقب بأن الآية لا يعارضه؛ لأن مفاد الآية: أن للورثة من التركة منها ما مقدرة بعد الوصية، وهو لا ينفي الحقوق الثابتة بالوصية، ثم وقد يوجه النسخ بأنه تعالى فوض الوصية إلى العباد أولا بآية الوصية، ثم تولى بنفسه في آية الميراث وقصره على سهام معلومة، فانتهى حكم تلك الوصية كمن وكل غيره بإعتاق عبده، ثم تولى بنفسه، ينتهي به حكم الوكالة. (تفسير الكمالين)

رواه الترمذي: وقال حسن وأبو داود عن أبي أمامة قال: سمعته ﷺ يقول ذلك في خطبة حجة الوداع، وفي الباب عن عمر بن خارجة عند الترمذي والنسائي، وعن أنس عند ابن ماجه، وعن جابر وعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عند الدار قطني، قال الشافعي: إن هذا المتن متواتر، وعن صاحب "الكشف": أنه في قوة المتواتر من حيث ظهور العمل. **الإيصاء:** أو للوصية بالإيصاء؛ ليصح تذكير الضمير. (تفسير الكمالين)

الإيصاء المبدل: جعل مرجع الضمير الإيصاء رعاية لجانب اللفظ ورعاية لجانب المعنى، كي يتحد مرجع الضمائر، وحينئذ يجب تقييده بالمبدل وإلا فالظاهر بحسب المعنى رجوعه على التبديل. (تفسير الكمالين)

موص: من الإيصاء للأكثر ومن الثقيل لحمزة والكسائي وأبي بكر. (تفسير الكمالين) **جنفا:** الجنف في اللغة: الميل مطلقا، أريد به ههنا الميل خطأ بقرينة مقابله، فإنه إنما يكون بالقصد. (تفسير الكمالين)

ميلاً عن الحق خطأ أَوْ إِثْمًا بأن تعمَّد ذلك **بالزيادة** على الثلث أو **تخصيص غنيّ مثلاً** فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ بين الموصي والموصى له **بالأمر** بالعدل فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ في ذلك إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ فرض عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ **من الأمم** لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ المعاصي، فإنه يكسر الشهوة التي هي مبدؤها. أَيَّامًا نُصِبَ بالصيام أو بـــ "صوموا" مقدّراً مَّعْدُودَٰتٍ أي **قلائل**، أو مؤقتات بعدد معلوم وهي رمضان كما سيأتي وقلّله تسهيلاً (وإن كان كثيرا) على المكلفين فَمَن كَانَ مِنكُم حين شهوده مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أي مسافرا سفر القصر، وأجهده الصوم **في الحالين**، فأفطر فَعِدَّةٌ فعليه عدد ما أفطر مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يصومها بدله **وَعَلَى ٱلَّذِينَ**

بالزيادة: الباء متعلق بقوله: "جنفا". (تفسير الكمالين) **أو تخصيص غني إلخ:** بأن أوصى للأغنياء فقط، وكانوا يوصون بأموالهم للأغنياء، وللأجانب بالرياء والسمعة، ويحرمون الوالدين والأقربين. (التفسير الأحمدي)

مثلا: يشير إلى أن الميل لا ينحصر في النوعين المذكورين، بل يكون بغير ذلك كتفضيل القريب الغير الوارث على الأقرب. (تفسير الكمالين) **بالأمر:** متعلق بـــ"أصلح" أي يأمر الموصي بالعدل في الإيصاء بأن لا يزيد على الثلث. (تفسير الكمالين)

من الأمم: بيان لمن قبلكم، والمعنى صومكم كصومهم في عدد الأيام، روى ابن أبي حاتم عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا: "صيام رمضان كتبه الله على الأمم من قبلكم" أو المراد مطلق الصيام دون وقته وقدره، فالتشبيه واقع على نفس الصوم، فكتب على آدم عليه السلام أيام البيض، وعلى قوم موسى عليه السلام عاشوراء. (تفسير الكمالين) قال الصاوي: وحكمة ذكر التشبيه التأكيد في الأمر، والتسلي بمن قبلنا؛ لأن في الصوم نوع صعوبة.

قلائل: فإن القليل من المال يعد عدا والكثير يوزن. (تفسير الكمالين) **في الحالين:** أي حال المرض وحال السفر، وفيه نظر بالنسبة للسفر؛ إذ لا يشترط فيه المشقة، فهو مبيح مطلق إلخ (حاشية الجمل) وفي "التفسير الأحمدي": وإنما رخص له الإفطار بسبب كثرة مشقة قطع المسافة، ولكن حكم الرخصة باق لكل مسافر، سواء وجد فيه العلة أو لا.

وعلى الذين إلخ: واعلم أن عند أكثر المفسرين فيه قولان، أحدهما: أن المراد بالذين يطيقونه الأصحاء المقيمون، خيرهم في ابتداء الإسلام بين الأمرين: بين أن يصوموا، وبين أن يفطروا ويفدوا؛ لئلا يشق عليهم؛ لأنهم كانوا لم يتعودوا، ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (البقرة:١٨٥). وثانيهما: أن يكون "لا" محذوفا =

لا يُطِيقُونَهُۥ لكبر أو مرض لا يُرجى برؤه فِدْيَةٌ هي طَعَامُ مِسْكِينٍ أي قدر ما يأكله في يومه، وهو **مدّ** من غالب قوت البلد لكل يوم، وفي قراءة بإضافة "فدية" وهي للبيان، **وقيل**: "لا" غير مقدرة، وكانوا مخيرين في صدر الإسلام بين الصوم والفدية، **ثم نسخ** بتعيين الصوم بقوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ **فَلْيَصُمْهُ**﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: "إلا الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفاً على الولد"، فإنها باقية بلا نسخ في حقهما فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا بالزيادة على القدر المذكور في الفدية فَهُوَ أي التطوع خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ مبتدأ، وخبره خَيْرٌ لَّكُمْ من الإفطار والفدية إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ أنه خير لكم، فافعلوه تلك الأيام. شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ **من اللوح** المحفوظ إلى السماء الدنيا في **ليلة القدر** ....

(لابن عامر ونافع) (أو الخير خير له) (جواب الشرط) (مبتدأ) (خبر)

= وهو واقع في كثير من استعمال الفصحاء كما في قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ (النساء:١٧٦)، وكان المعنى: "وعلى الذين لا يطيقونه فدية طعام مسكين" وقد قرأ به حفص أيضا، فكان الآية في حق الشيخ الفاني، وفي حق الحامل و المرضع أيضا عند الشافعي على ما هو مذهبه.

لا: أضمر "لا" لقراءة حفص كذلك. يطيقونه: قال في تفسير الشيخ: يطيق من أطاق فلان إذا زالت طاقته، والهمزة للسلب أي لا يقدرون على الصوم، وهم الذين قدروا عليه في حال الشباب، ثم عجزوا في حال الكبر. (روح البيان) ويؤيده ما في التفسير الأحمدي ناقلا عن شمس الأئمة: أن قوله تعالى: "يطيقونه" من الإطاقة، وماضيه أطاق، والهمزة فيه للسلب أي الذين أزالهم الطاقة. مد: أي عند مالك والشافعي ونصف صاع من بر أو صاع من غيره عند أبي حنيفة رحمه الله. وقيل إلخ: أي لفظ لا غير مقدرة، وإليه ذهب الزمخشري وغيره.

ثم نسخ إلخ: روى البخاري عن ابن عمر وسلمة بن الأكوع رضي الله عنهم أنها منسوخة، وهو قول الجمهور. (تفسير الكمالين) فليصمه: أي فليصم فيه، والمراد بالشاهد العاقل البالغ الصحيح؛ لأن كل واحد من الصبي والمجنون يشهد موضع الإقامة في الشهر مع أنه لا يجب عليهما الصوم. من اللوح إلخ: ثم نزل نجما نجما آية آية سورة سورة إلى الأرض بحسب الحوائج. (تفسير الأحمدي) ليلة القدر: أي فقد حوى رمضان مزيتين: نزول القرآن فيه، ووجود ليلة القدر به، وليلة القدر هي المعنية بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ (الدخان:٣). والحاصل: أن جبرئيل تلقاه من اللوح المحفوظ، ونزل به إلى السماء الدنيا فأملاه للسفرة وكتبته في الصحف على هذا الترتيب، =

هُدًى حال هادياً من الضلالة لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ آيات واضحات مِّنَ ٱلْهُدَىٰ مما يهدي إلى الحق من الأحكام وَ من ٱلْفُرْقَانِ مما يفرق بين الحق والباطل فَمَن شَهِدَ حضر مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ تقدّم مثله وكرره؛ لئلا يتوهم نسخه بتعميم **"من شهد"** يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ولذا أباح لكم الفطر في المرض والسفر، ولكون ذلك في معنى العلة أيضا للأمر بالصوم عطف عليه وَلِتُكْمِلُوا۟ بالتخفيف والتشديد كما في المتن ٱلْعِدَّةَ أي عدّة صوم رمضان وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ **عند إكمالها** عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ أرشدكم لمعالم دينه وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ الله على ذلك.

= ومقرها بيت العزة في سماء الدنيا، ثم نزل به على النبي ﷺ في ثلاث وعشرين سنة مفرقا على حسب الوقائع. (حاشية الصاوي) هدى إلخ: حالان من القرآن. (تفسير أبي السعود) وقوله: "من الهدى والفرقان" الجار والمجرور صفة لقوله: "هدى وبينات"، فمحله النصب بمحذوف، أي إن كون القرآن هدى وبينات هو من جملة هدى الله وبيناته. (حاشية الجمل) من شهد: بتعميم أي للمقيم والمسافر والمريض والصحيح، ولكون ذلك أي لكون قوله: "يريد الله بكم اليسر" في معنى العلة للأمر بالصوم كما أنه علة للترخص. (تفسير الكمالين)

يريد الله إلخ: هذا في المعنى تعليل لأمرين مقدرين، دل عليهما قوله: "ومن كان مريضا" إلخ، وهما جواز إفطارهما، والتوسعة في القضاء، حيث لم يوجب فيه خصوص تتابع، أو تفريق أو مبادرة أو تراخ، فإن قوله: "فعدة من أيام أخر" صادق بهذا كله، وهذا مستفاد من تقرير كلام الشارح، فأشار للأول بقوله: "ولذا أباح إلخ"، وللثاني بقوله: "ولكون ذلك إلخ". (تفسير الجمالين)

ولتكملوا: يعني أمر الشاهد بالصوم إرادة لليسر ولإكمال العدة إلخ، ولتكملوا العدة من صوم رمضان من الهلال إلى الهلال كاملة إذا كان خطابا لكل من عليه الصوم، أو تكملوا عدة قضائه إذا كان خطابا للمسافر والمريض خاصة. (التفسير الأحمدي)

عند إكمالها: إن كان المراد إكمالها بالقضاء، كان المراد بالتكبير الثناء على الله، وكان قوله: "ولتكبروا الله" علة ثالثة للأمر بالقضاء، وإن كان المراد إكمالها حال الأداء كان المراد بالتكبير تكبير العيد، وكان هذا علة لقوله: "فمن شهد إلخ". تأمل. (حاشية الجمل) وعدي التكبير بـــ "على"؛ لتضمنه معنى الحمد، كأنه قيل: لتكبروا الله أي لتعظموه حامدين على ما هداكم إليه. (تفسير المدارك)

وسأل جماعة النبي ﷺ أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فنزل: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ منهم **بعلمي، فأخبرهم** بذلك أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ **بإنالته ما سأل** فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي **دعائي بالطاعة** وَلْيُؤْمِنُوا يديموا **على الإيمان** بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ يهتدون. أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ **بمعنى الإفضاء**..................

(إشارة إلى سبب نزول الآية - كما أخرجه ابن جرير - أجيب بإعطاء مسؤوله - أجيبوا دعوتي بطاعتي)

بعلمي: أشار به إلى أنه ليس المراد من هذا القرب القرب بالجهة والمكان، بل المراد من القرب العلم والحفظ، وعليه جمهور المفسرين، وللصوفية الكرام في هذا المقام مسلك آخر غير هذا التحقيق، فيقولون: إن قرب الله تعالى مع عباده حق، وليس بمكاني، وفي "شرح فقه الأكبر": فالتحقيق في مقام التوفيق أن مختار الإمام أن قرب الحق من الخلق، وقرب الخلق من الحق وصفت بلا كيف، وثبتت بلا كشف إلخ، فيفيد أن مراده حق، ولا يشغل ببيانه وكيفيته، وللتفصيل موضع آخر. **فأخبرهم:** أي فقل لهم: إني قريب، ولا بد من تقدير ذلك، فإنه لا يترتب عليه الإخبار بكونه قريبا. (تفسير الكمالين)

بإنالته ما سأل: فإن قلت: إنا نرى الداعي قد يبالغ في الدعوات والتضرع فلا يجاب، قلت: إن هذه الآية مطلقة، والمطلق يحمل على المقيد، وهو قوله تعالى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾ (الأنعام: ٤١). فالمعنى: أجيب دعوة الداع إذا دعاني إن شئت، أو إذا وافق القضاء، أو كانت الإجابة خيرا له، وأيضا للدعاء شرائط وآداب، وهي أسباب الإجابة، فمن استكملها كان من أهل الإجابة. (روح البيان) أو لأن استجابة الدعاء قد يكون بقبول ذلك الدعاء بعينه، وقد يكون برد بلية كانت عليه في الدنيا عوضه، وقد يكون برفع الدرجة في الآخرة عوضه، كما جاء في الخبر الصحيح.

دعائي بالطاعة: أي أمري لهم بالطاعة أي فليمتثلوا أوامري. (حاشية الجمل) وتقديمها على الإيمان يدل على أن العبد لا يصل إلى نور الإيمان وقوته إلا بتقديم الطاعات والعبادات. (روح البيان)

على الإيمان: إشارة إلى الجواب عما يتوهم: كيف جمع بين الاستجابة والإيمان، وأحدهما مغن عن الآخر، فإنه لا يكون مستجيبا له تعالى من لا يكون مؤمنا، ولا مؤمنا من لا يكون مستجيبا؟ وقد يقال: إنه من قبيل ذكر الخاص بعد العام؛ للتنبيه على فضله وشرفه. (تفسير الكمالين)

الرفث: ضمنه معنى الإفضاء، فعداه بـ"إلى" وإلا فهو يتعدى بـ"الباء" أو بـ"في"، وهو في الأصل الكلام الذي يستقبح ذكره الواقع عند الجماع، فأطلق وأريد منه الجماع على سبيل الكناية؛ لاستقباح ذكره.

بمعنى الإفضاء: هو في الأصل: أن لا يكون بينك وبين الشيء حائل، وليس مرادا هنا، بل المراد به هنا إفضاء خاص بالجماع، ولذا قال المفسر: "بمعنى الإفضاء إلى نسائكم".

إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ بالجماع، نزل نسخاً لما كان في صدر الإسلام من تحريمه، وتحريم الأكل والشرب **بعد العشاء** هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ **كناية عن** تعانقهما، أو **احتياج كل منهما** إلى صاحبه عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ تخونون أَنفُسَكُمْ بالجماع ليلة الصيام **وقع ذلك لعمر** ﷺ وغيره، واعتذروا إلى النبي ﷺ فَتَابَ عَلَيْكُمْ قبل توبتكم وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٔـٰنَ إذا أُحل لكم بَـٰشِرُوهُنَّ جامعوهن وَٱبْتَغُوا۟ اطلبوا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ أي أباحه من الجماع، أو قدره **من الولد** وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟..........

متعلق بتخونون

بعد العشاء: روى أبو داود عن ابن عباس ﷺ: كانوا على عهده ﷺ إذا صلوا العشاء حرم عليهم الطعام والشراب والنساء، وفي "البخاري" عن البراء ﷺ: كون المنع مقيدا بالنوم، قال الحافظ: يحتمل أن يكون التقييد بالحقيقة إنما هو بالنوم، وذكر صلاة العشاء؛ لكون ما بعدها مظنة النوم غالبا. (تفسير الكمالين)

هن لباس إلخ: قدم هذه على الأخرى؛ لأن ملابسة الزوج وتعانقه مع الزوجة أسبق وأكثر.

كناية عن إلخ: يعني أنه شبه كل واحد من الزوجين؛ لاشتماله على صاحبه في العناق والضم باللباس المشتمل على لابسه أي كالفراش واللحاف، وحاصله: أنه تمثيل لصعوبة اجتنابهن وشدة ملابستهن. (الجمل عن الكرخي)

احتياج كل منهما إلخ: أي في منعه من الفجور كما يحتاج إلى اللباس، وفي الحديث: أنه ﷺ قال: "لا خير في النساء ولا صبر عنهن، يغلبن كريما ويغلبهن لئيم، فأحب أن أكون كريما مغلوبا، ولا أحب أن أكون لئيما غالبا." (حاشية الجمل)

وقع ذلك لعمر ﷺ: وحاصله: أنه بعد أن صلى العشاء، وجد بأهله رائحة طيبة، فواقع أهله حينئذ، ثم لما أصبح جاء رسول الله ﷺ وأخبره الخبر، فقال: يا رسول الله، إني أعتذر إلى الله وإليك مما وقع مني، فقام جماعة فقالوا مثل ما قال عمر ﷺ، فنزلت الآية نسخا للتحريم الواقع بالسنة.

فالآن: الآن حقيقة الوقت الذي أنت فيه، وقد يقع على الماضي القريب منك، وعلى المستقبل القريب تنزيلا للقريب منزلة الحاضر وهو المراد هنا. (حاشية الجمل) **باشروهن:** والمباشرة إلصاق البشرة بالبشرة، كنى به عن الجماع. (تفسير البيضاوي) **من الولد:** والمعنى: أن المباشر ينبغي أن يكون غرضه الولد، فإنه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطء. (تفسير الكمالين)

وكلوا واشربوا إلخ: نزلت في صرمة بن قيس وكان عاملا في أرض له وهو صائم، فحين جاء المساء رجع لأهله، فلم يجد طعاما، فغلبته عيناه من التعب، فلما حضر الطعام استيقظ، فكره أن يأكل خوفا من الله، فبات طاويا، فما انتصف النهار حتى غشي عليه، فلما أفاق، أخبر النبي ﷺ بذلك فنزلت الآية.

الليل كله ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ﴾ يظهر ﴿لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾ أي الصادق بيان للخيط الأبيض، وبيان الأسود محذوف، أي **من الليل** شُبِهَ ما يبدو **من البياض** وما يمتد معه **من الغبش** بخيطين: أبيض وأسود في الامتداد ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ﴾ من الفجر ﴿إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾ أي إلى **دخوله** بغروب الشمس ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ﴾ أي نساءكم ﴿وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ﴾ مقيمون بنيّة الاعتكاف ﴿فِي ٱلۡمَسَٰجِدِ﴾ متعلق بـ"عاكفون" نهيٌ لمن **كان يخرج** وهو معتكف، فيجامع امرأته ويعود، ﴿تِلۡكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ حدّها لعباده؛ ليقفوا عندها ﴿فَلَا تَقۡرَبُوهَا﴾ أبلغ من "لا تعتدوها" المعبر به في آية أخرى ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بيّن لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ محارمه. ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم﴾ **أي لا يأكل** بعضكم مال بعض ﴿بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ الحرام شرعاً كالسرقة والغصب ﴿وَ﴾ **لا** ﴿تُدۡلُواْ﴾ تلقوا ﴿بِهَآ﴾ أي ....

(متعلق بشبه — وفي نسخة: الغلس — لا بقوله: ولا تباشروهن)

الليل: أي بعد أن كنتم ممنوعين عنها بعد النوم في رمضان. (تفسير الكمالين) **من الليل:** لأن بيان الخيط الأبيض بقوله: "من الفجر" يدل على أن الأسود هي الليل. (تفسير الكمالين) **من البياض:** والكلام تشبيه لا استعارة لذكر طرفي التشبيه فيه. قالوا: وفي تجويز المباشرة إلى الصبح دليل على جواز تأخير الغسل إلى الفجر، وعلى أن الجنابة لا تنافي الصوم، وفي قوله: "ثم أتموا الصيام إلى الليل" دليل على نفي الوصال، وعلى جواز نية النهار. (تفسير الكمالين) **من الغبش:** بفتح الغين المعجمة والموحدة وشين معجمة: بقية الليل، وقيل: ظلمة آخر الليل.

دخوله: إشارة إلى أن الغاية غير داخلة في المغيا. (حاشية الصاوي) **كان يخرج:** قال الضحاك: كان الرجل إذا اعتكف فخرج من المسجد، جامع إن شاء، حتى نزلت هذه الآية، وفي عموم المساجد دليل على أن الاعتكاف لا يختص بمسجد دون مسجد. (تفسير الكمالين)

فلا تقربوها: فإنه نهي عن القرب عن حدود الله التي هي الأحكام؛ لكونها حاجزة بين الحق والباطل، فيكون نهيا عن القرب عن الباطل كناية؛ لكون الأول لازما للثاني، وذلك نهي عن الوقوع إلى الباطل بطريق الصريح. (تفسير الكمالين) **أي لا يأكل إلخ:** أشار إلى أنه ليس من مقابلة الجمع بالجمع كما اركبوا دونكم، بل نهي كل عن أكل مال الآخر. (حاشية الجمل) **ولا تدلوا:** إلقاء الدلو في البير للاستسقاء، استعير للتوصل بالشيء إلى الشيء، فيجعل الباء صلة له، وصار تجوزا عن الإلقاء. (تفسير الكمالين)

بحكومتها، أو بالأموال رشوة إِلَى ٱلْحُكَّامِ (بالرفع إلى الحكام) لِتَأْكُلُوا۟ بالتحاكم فَرِيقًا طائفة مِّنْ أَمْوَٰلِ (بحذف المضاف) ٱلنَّاسِ **متلبسين** بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ أنكم مبطلون. يَسْـَٔلُونَكَ يا محمد عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ **جمع "هلال"** **لِم تبدو** دقيقة، ثم تزيد حتى تمتلئ نوراً، ثم تعود كما بدت، ولا تكون على حالة واحدة كالشمس؟ قُلْ لهم هِىَ مَوَٰقِيتُ **جمع ميقات** لِلنَّاسِ يعلمون بها أوقات زرعهم **ومتاجرهم**، وعدد نسائهم وصيامهم وإفطارهم وَٱلْحَجِّ عطف على "الناس" أي يعلم بها وقته، فلو استمرت على حالة لم يعرف ذلك. وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ ....

بحكومتها: فالآية على حذف مضاف، والإلقاء: الإسراع، أي لا تسرعوا بالخصومة في الأموال إلى الحكام؛ ليعينوكم على إبطال حق أو تحقيق باطل، وأما الإسراع بها لتحقيق الحق فليس بمذموم. **متلبسين:** فيه إشارة إلى أن الجار والمجرور حال من فاعل "تأكلوا". (تفسير الكمالين) **جمع هلال:** وسمي به؛ لرفع الناس أصواتهم عند رؤيته، كما في "المدارك". لما سأل معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم رضي الله عنهما فقالا: ما بال الهلال يبدأ رقيقا كالخيط، ثم يزيد حتى يستوي، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ، فنزلت هذه الآية كما في "أبي السعود" وغيره.

لم تبدو: أي لأيّ غرض، ولأيّ حكمة تظهر دقيقة إلى آخر ما ذكر، وأخرج ابن جرير عن أبي العالية: بلغنا أنهم قالوا: يا رسول الله! لم خلقت الأهلة؟ فنزلت، قال: هذا صريح في أنهم سألوا عن حكمة ذلك لا عن كيفيته. (تفسير الكمالين) **قل إلخ:** قال السكاكي: كان اللائق أن يسألوا عن حكمتها، فلهذا أجاب الله تعالى من أمر مناسب، كما نقله في "مختصر المعاني". لكن الذي قرره أبو السعود وغيره: أن الجواب مطابق للسؤال، ونص أنه قد سألوه عليه السلام عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل أمره، فأمره الله العزيز الحكيم أن يجيبهم بأن الحكمة الظاهرة في ذلك أن تكون معالم للناس في عباداتهم لا سيما الحج.

جمع ميقات: [صيغة آلة أي ما يعرف به الوقت.] من الوقت، وهو الزمان المفروض لأمر، والزمان: مدة مقسومة إلى الماضي والحال والمستقبل، والمدة: امتداد حركة الفلك من مبدئها إلى منتهاها.

ومتاجرهم: جمع متجر، مصدر لا ظرف زمان، فإنه معطوف على زرعهم، كقوله: "وعِدد نسائهم" أي أوقات تجارتهم و"عدد نسائهم" بكسر العين جمع عدة. (تفسير الكمالين)

وليس البر: الحكمة في ذكر هذه الآية بعد ما تقدم: أنهم سألوا عن ذلك أيضا، وصورة سؤالهم: هل من البر إتيان البيوت من ظهورها؟ فأجابهم الله: بأنه ليس من البر، ويتعين رفع البر هنا؛ لأن ما بعد الباء يتعين جعله خبرا لـــ"ليس"، فإن الباء إنما تدخل على الخبر لا على الاسم.

بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا في الإحرام بأن تنقبوا فيها **نقبا** تدخلون منه، وتخرجون وتتركوا الباب، **وكانوا يفعلون** ذلك، ويزعمونه براً وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ أي ذا البر مَنِ ٱتَّقَىٰۗ الله بترك مخالفته وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ في الإحرام كغيره وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ تفوزون. ولما صُدّ ﷺ **عن البيت عام الحديبية**، وصالح الكفار على أن يعود العام القابل، **ويُخلوا** له مكة ثلاثة أيام، **وتجهز** لعمرة القضاء،

قريشا السنة الآتية النبي ﷺ

وخافوا أن لا تفي قريش ويقاتلوهم، وكره المسلمون قتالهم في الحرم والإحرام،

ما وعدوا من إخلاء البيت

والشهر الحرام نزل: وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أي لإعلاء دينه ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ الكفار وَلَا

جواب لما

تَعۡتَدُوٓاْۚ عليهم بالابتداء بالقتال إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ المتجاوزين ما...

نقبا: النقب: الثقب في أي شيء كان. **وكانوا يفعلون:** روى البخاري عن البراء ﷺ: كانت الأنصار إذا حجوا وجاؤوا لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم، لكن من ظهورها، وجاء رجل فدخل من قبل بابه، فكأنه غير بذلك، فنزلت "ولكن البر". (تفسير الكمالين) **ولكن البر:** فإن قلت: ما وجه اتصاله بما قبله؟ قلت: كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن أهلة وعن الحكمة في نقصانها وتمامها: معلوم أن كل ما يفعله الله تعالى لا يكون إلا حكمة بالغة، ومصلحة لعباده، فدعوا السؤال عنه، وانظروا في واحدة تفعلونها أنتم مما ليس من البر في شيء، وأنتم تحسبونها برا. (تفسير الكشاف) **عن البيت:** أي عن الكعبة منعه المشركون عنه لما جاء معتمرا إليه. (تفسير الكمالين)

عام الحديبية: وهو موضع قريب من مكة، ووقع هذا الأمر في السنة السادسة إذا خرج النبي ﷺ مع أصحابه للعمرة، وقوله: "أن يعود" أي رسول الله ﷺ، وقوله: "للعام القابل" أي السنة الآتية. **ويخلوا:** من الإخلاء أو التخلية، منصوب معطوف على "يعود" أي يفرغوا له ﷺ مكة في العام القابل. (تفسير الكمالين)

تجهز إلخ: أي تهيأ واستعد للخروج لها، والمراد بعمرة القضاء العمرة التي وقع عليها القضاء، أي المقاضاة والصلح، وكانت في السابعة ؛ من "حاشية الجمل". وعبارة "الكمالين": وسميت بها؛ لأنه وقع قضاء لعمرة الحديبية، أو لأنه وقع عليه الصلح، والقضاء بمعنى الصلح. **وخافوا إلخ:** أي خاف المسلمون أن لا يفوا قسم قريش بمقتضى العهد والصلح، ويقاتلوهم في الحرم في الشهر الحرام أي في ذي القعدة. **وقاتلوا إلخ:** في "البخاري" مرفوعا: "المقاتل في سبيل الله من قاتل؛ لتكون كلمة الله هي العليا." (تفسير الكمالين)

حدّ لهم، وهذا منسوخ **بآية "براءة"**، وبقوله: وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وجدتموهم في حل أو حرم وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ أي من مكة، وقد فعل بهم **ذلك** عام الفتح وَٱلْفِتْنَةُ **الشرك منهم** أَشَدُّ أعظم مِنَ ٱلْقَتْلِ لهم في الحرم والإحرام، الذي استعظمتموه وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أي في **الحرم** حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فيه فَٱقْتُلُوهُمْ **فيه**، وفي قراءة بلا ألف في **الأفعال الثلاثة** كَذَٰلِكَ **القتل** والإخراج جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ عن الكفر وأسلموا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ لهم رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ بهم. وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ توجد فِتْنَةٌ شرك وَيَكُونَ ٱلدِّينُ العبادة لِلَّهِ **وحده** لا يعبد سواه، فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ عن الشرك **فلا تعتدوا** عليهم، دل **على هذا** فَلَا عُدْوَٰنَ اعتداء بقتل أو غيره إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ومن انتهى فليس بظالم، فلا عدوان عليه.

(حواشٍ بين السطور: النهي عن الابتداء بالقتال - تفسير حيث - صفة للقتل وفي نسخة: استعظموه - بدؤوكم بالقتال في الحرم - لحمزة والكسائي)

بآية براءة: وهي: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ (التوبة:٥). (تفسير الكمالين)
ذلك: أي المذكور من القتل وإخراج عام الفتح ثامن الهجرة في رمضان، فأخرج بعضهم وقتل بعضهم. (تفسير الكمالين) **الشرك منهم:** سمي الشرك فتنة؛ لأنه فساد في الأرض يؤدي إلى الظلم، وإنما جعل أشد أي أعظم من القتل؛ لأنه يؤدي إلى الخلود في النار، والقتل ليس كذلك. (تفسير الخازن) الحرام: فإن المسجد الحرام يقع على الحرم كله. **فيه:** وعموم الأمكنة في قوله "واقتلوهم حيث ثقفتموهم" خص منه الحرم إلا عند البداية منهم بهذه الآية، كذا في "المدارك"، وعن قتادة: أنه يحل ابتداؤهم بالقتال ولو في الحرم، والآية منسوخة بقوله: "واقتلوهم حيث وجدتموهم." (تفسير الكمالين) **الأفعال الثلاثة:** أي "ولا تقتلوهم، حتى يقتلوكم، فإن قتلوكم"، والمعنى: حتى يقتلوا بعضكم. (تفسير الكمالين) **القتل:** بتأويل المذكور مثل ذلك جزاؤهم، يفعل بهم مثل ما فعلوا.
فإن انتهوا: متعلق الانتهاء محذوف، قدره الشارح بقوله: "عن الكفر".
وحده إلخ: هذا الاختصاص علم من اللام في "لله"، ولهذا فسر الفتنة بالشرك؛ لأنه وقع مقابلا له.
فإن انتهوا إلخ: أي رجعوا عن الكفر وأسلموا. قوله: "فلا عدوان إلخ" هذا خبر في صورة الأمر مبالغة، أي فلا تنتقموا ولا تقتلوا إلا الظالمين، والمعنى: لا يجازي على عدوانه إلا الظالمون؛ لأن العدوان واقع من الكفار بكفرهم وقتالهم للمسلمين، لا من المسلمين بقتالهم لهم. (حاشية الصاوي) **فلا تعتدوا:** يعني أن الجزاء محذوف، أقيم "فلا عدوان" مقامه. (تفسير الكمالين) **على هذا:** أي على الجزاء قوله تعالى: "فلا عدوان". (تفسير الكمالين)

ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ المحرّم مقابل بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ فكما **قاتلوكم** فيه **فاقتلوهم** في مثله، ردّ لاستعظام المسلمين ذلك وَٱلۡحُرُمَٰتُ جمع "حرمة" ما يجب احترامه قِصَاصٌۚ أي يقتص بمثلها إذا **انتهكت** فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ بالقتال في الحرم، أو الإحرام أو الشهر الحرام فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ **سمي مقابلته** اعتداء لشبهها بالمقابَل به في **الصورة** وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ في الانتصار **وترك الاعتداء** وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ بالعون والنصر. وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ طاعته بالجهاد وغيره وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ أي **أنفسكم** ....

مثل ذلك الشهر

الشهر الحرام إلخ: هذا نزل أيضا زيادة طمأنينة للمسلمين؛ لأنه كان يشق عليهم القتال فيها تعظيما لها، وقيل: إنها نزلت ردا على الكفار والمنافقين، المعترضين في قولهم: إن الأشهر الحرم والحرم معظمة قديما، ويزعم محمد: أنه يحكم بالعدل، وهو ينتهك حرمة الشهر الحرام والحرم، فرد الله عليهم بقوله: "الشهر الحرام" أي الذي نقاتلكم فيه في مقابلة الشهر الحرام أي الذي صددتمونا فيه عن العمرة والدخول، وقاتلنا سفهاؤكم، ولا يسمى انتهاكا، ولا عدم تعظيم للحرم؛ لأنه لما كان بأمر الله اندفع ذلك كله. (حاشية الصاوي)

قاتلوكم: عام الحديبية بالرمي بالسهام والحجارة. (تفسير الكمالين) **فاقتلوهم:** أي في الشهر الحرام وكان ذا القعدة.

والحرمات: أي متى حصل انتهاك من أحد لحرمة آخر سقطت حرمته، فيقتص له منه. (حاشية الصاوي)

انتهكت: أي انتقضت الحرمة، في "الصراح": انتهاك الحرمة: تناولها بما لا يحل. **سمي مقابلته إلخ:** لما كان هنا مظنة أن يقال: إن جزاء الاعتداء لا يكون اعتداء، فكيف يصح قوله: "فاعتدوا "، بل ينبغي أن يقال: فقابلوه وجازوه، فدفع بأن تسمية المقابلة بالاعتداء للمشاكلة والمشابهة الصورية. (محمد عبد الرحمن)

الصورة: وإن لم يكن اعتداء حقيقة. (تفسير الكمالين) **وترك الاعتداء:** أي تركه في الانتصار مما لم يرخص له فيه.(تفسير الكمالين) **وأنفقوا:** أي ابذلوا أنفسكم وأموالكم في طاعته ومراضيه، سواء الجهاد وغيره كصلة الرحم ومراعاة الضعفاء والفقراء من عباد الله. (حاشية الصاوي)

ولا تلقوا إلخ: هذا مرتبط بقوله: "واقتلوهم حيث ثقفتموهم"، وبقوله: "وأنفقوا في سبيل الله". عبر بالأيدي عن الأنفس اكتفاء بالجزء الأهم من النفس، كقوله: في آية أخرى﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي أنفسكم. (الشورى:٣٠). (حاشية الصاوي) **أنفسكم:** أي المراد بالأيدي الأنفس بذكر الجزء وإرادة الكل؛ لمزيد اختصاص لها باليد بناء على أن أكثر ظهور أفعال الناس بها. (تفسير الكمالين)

والباء زائدة ﴿إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ الهلاك بالإمساك عن النفقة في الجهاد أو تركه؛ **لأنه يقوي** العدو عليكم ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْ﴾ بالنفقة وغيرها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ أي **يثيبهم**. ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِ﴾ أدوهما بحقوقهما ﴿فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ﴾ منعتم عن إتمامهما ....

والباء إلخ: أي في المفعول به؛ لأن "ألقى" يتعدى بنفسه، قال تعالى: ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ﴾ (الشعراء:٤٥) وقيل: "غير" زائدة، والمفعول محذوف أي ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم، يقال: أهلك فلان نفسه إذا تسبب لهلاكها. (تفسير الكمالين) **التهلكة:** قال المارزنجي: لا أعلم في كلام العرب مصدرا على تفعلة بضم العين إلا هذا، قال أبو علي: قد حكي سيبويه: التنصرة والتسترة. (التفسير الكبير)

لأنه يقوي إلخ: [الكف عن الغزو أو الإنفاق فيه.] ويسلطهم على إهلاككم، وقيل: نهى عن الإسراف في النفقة حتى يفتقر نفسه ويضيع عياله، أو عن تضييع وجه المعاش، ويؤيد ما في الكتاب ما رواه البخاري عن حذيفة: نزلت في النفقة في سبيل الله.

أي يثيبهم: فسر المحبة في حق الله بالإثابة؛ لأن حقيقتها -وهي: ميل القلب للمحبوب- مستحيلة في حق الله تعالى، والإثابة لازمة لذلك، والقاعدة: أن كل ما استحال على الله باعتبار مبدئه وورد يطلق ويراد لازمه وغايته. (حاشية الصاوي)

وأتموا إلخ: اعلم أن الحج فرضه: الإحرام، والوقوف بعرفة، وطواف الزيارة. وواجبه: وقوف المزدلفة، والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار، وطواف الرجوع للآفاقي، والحلق، وغيرهما سنن وآداب. والعمرة ركنها: الطواف والسعي، وشرطها: الإحرام والحلق، وهذا باب طويل مذكور في الفقه. فإن قيل: أليس عندكم أن الحج فرض والعمرة سنة، فكيف يستقيم قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا﴾ لأنه إذا كان للوجوب فينبغي أن يكون العمرة كالحج واجبة، وإذا كان للندب ينبغي أن يكون الحج كالعمرة، وهو خلاف المذاهب، قلت: يمكن أن يجاب عنه: أنه للندب على أن الحج والعمرة كانا مندوبين في بدء الإسلام، ثم ثبت فرضيته بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ (آل عمران: ٩٧)، وبقيت العمرة على حالها كما هو المذكور في الزاهدي. قوله: "أدوهما بحقوقهما" فيه إشارة إلى رد قول المخالف، لا دلالة في الآية على وجوبهما؛ لأن الأمر بالإتمام لا يدل على الأمر بأصل الفعل الذي أمر بإتمامه. (تفسير الكرخي)

وقال الشيخ سليمان الجمل: وظاهره وجوبهما؛ لأنه أمر بإتمامهما مطلقا بلا تقييد بالشروع، فيكون واجبا؛ لأن مقدمة الواجب واجبة على أنه قرئ "وأقيموا الحج والعمرة"، فإنها صريحة في ذلك، والمعنى أدوهما تامين كاملين بأركانهما وشرطهما. قلت: لا يلزم من الأمر بالإتمام الوجوب في الأصل كالصلاة النافة وغيرها من النوافل لا تلزم إلا بالشروع، فإتمامها واجب بعد الشروع دون أصل النوافل. وقوله: "بلا تقييد بالشروع" ليس بجيد: لأن التقييد بالشروع وإن لم يكن مذكورا في الآية صراحة، لكن هو مفهوم من دلالة النص، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا﴾ =

بعدوٍّ أو نحوه ﴿فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ﴾ **تيسر** ﴿مِنَ ٱلۡهَدۡيِ﴾ عليكم، وهو شاة ﴿وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ﴾ أي **لا تتحللوا** ﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ﴾ المذكور ﴿مَحِلَّهُۥ﴾ حيث يحل ذبحه، وهو **مكان الإحصار عند الشافعي** رحمه الله، فيذبح فيه بنية التحلل، ويفرق على مساكينه، .....

أدناه شاة

= فإن الإتمام مغاير لأصل الفعل في الحكم في بعض المواضع، وليس بمتحدان كلية، ومدعاكم يثبت إذا ثبت الاتحاد بينهما في كل المواضع. وفي "المدارك": ولا تمسك للشافعي رحمه الله بالآية على لزوم العمرة؛ لأنه أمر بإتمامها، وقد يؤمر بالإتمام للوجوب والتطوع.

وفي "أبي السعود": قوله تعالى: "وأتموا الحج إلخ" بيان لوجوب إتمام أفعالهما عند التصدي لأدائهما من غير تعرض لحالهما في أنفسهما من الوجوب وعدمه كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ (البقرة: ١٨٧)؛ فإنه بيان لوجوب مد الصيام إلى الليل من غير تعرض لوجوب أصله، وإنما هو بقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ (البقرة: ١٨٣) الآية، وادعاء أن الأمر بإتمامهما أمر بإنشائهما تامين كاملين حسبما تقتضيه قراءة "وأقيموا الحج والعمرة" مما لا سداد له ضرورة أن ليس البيان مقصورا على أفعال الحج المفروض، حتى يتصور ذلك على أن هذه القراءة شاذة جارية مجرى خبر الواحد.

وفي "تفسير الأحمدي": ويمكن الجواب أيضا بأن المراد: الأمر بأداء الحج والعمرة بمراعاة الشروط المفروضة والأحكام المكتوبة فيهما؛ لأن نفس العمرة سنة، والأحكام فيها مفروضة، كما أن القراءة مفروضة في صلاة التطوع، وهذا كله إذا قرأ العمرة بالنصب كما هو المعروف، وقد صرح في "الكشاف" بأنه قرأ علي وابن مسعود والشعبي "والعمرة" بالرفع كأنهم قصدوا بذلك إخراجها عن حكم الحج، وهو الوجوب، قلت: وإن كانت هذه القراءة أيضا شاذة، كما صرح به الرازي لكن تكفي في المقابلة للقراءة الشاذة التي ذكرها صاحب الجمل.

بعدو إلخ: هذا عند الشافعي رحمه الله، وهو قول مالك رحمه الله اختص بخوف العدو، وأما عندنا: فالإحصار أعم من أن يكون بسبب مرض، أو خوف عدو، أو نحو ذلك، لقوله ﷺ: "من كسر أو عرج فقد حل، فعليه الحج من قابل". كما في "تفسير الأحمدي". **تيسر:** أشار به إلى أن "استيسر" بمعنى تيسر، والسين ليست للاستدعاء هنا كما صرح به أبو البقاء. **لا تتحللوا:** يشير إلى أن حلق الرأس كناية عن التحلل، والحلق به يحصل التحلل لا بالذبح، وأما عند أبي حنيفة رحمه الله: لا يجب الحلق والتقصير للمحصر، بل يحصل التحلل بمجرد الذبح. (تفسير الكمالين)

مكان الإحصار: حلا كان أو حرما، فإن استعمال بلوغ الشيء في محله في وصوله إلى ما يقصد به شائع، والمعنى عند أبي حنيفة رحمه الله: لا تحلوا حتى تعلموا أن الهدي الذي بعثتموها إلى الحرم بلغ محله، أي مكانه الذي يجب أن ينحر فيه وهو الحرم، واحتج الأولون بأنه ﷺ نحر بالحديبية وهو من الحل، وأجيب: بأن الحديبية بعضه من الحرم. (تفسير الكمالين) **عند الشافعي** رحمه الله: وأما عند أبي حنيفة رحمه الله: فيبعث به إلى الحرم، ويجعل للمبعوث على يده يوم ذبحه علامة، فإذا جاء اليوم، وظن أنه ذبح تحلل، كما في "روح البيان".

ويحلق، وبه يحصل التحلل ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ كقمل
بالمذكور من الأمرين
وصداع، فحلق في الإحرام ﴿فَفِدْيَةٌ﴾ عليه ﴿مِّن صِيَامٍ﴾ لثلاثة أيام ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾ بثلاثة آصُع
وفي نسخة: أو وفي نسخة: بثلاثة
من غالب قوت البلد على **ستة مساكين** ﴿أَوْ نُسُكٍ﴾ أي ذبح شاة و**"أو" للتخيير**، وألحق
به **من** حلق لغير عذر؛ لأنه أولى بالكفارة، وكذا من استمتع بغير الحلق كالطيب
بالحصر
واللبس والدهن لعذر أو غيره ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ العدو بأن ذهب أو لم يكن ﴿فَمَن تَمَتَّعَ﴾
استمتع ﴿بِٱلْعُمْرَةِ﴾ أي **بسبب فراغه** منها بمحظورات الإحرام ﴿إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ أي إلى الإحرام
به بأن يكون أحرم بها في أشهره ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ﴾ تيسر ﴿مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ عليه **وهو شاة** يذبحها
الباء متعلق بقوله: تمتع
بعد الإحرام به، والأفضل **يوم النحر** ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ الهدي لفقده، أو فقد ثمنه ﴿فَصِيَامُ﴾
أي فعليه صيام ﴿ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ﴾ أي في حال إحرامه به **فيجب** حينئذ أن يحرم قبل
بالتمتع
السابع من ذي الحجة، والأفضل قبل السادس؛ **لكراهة** ....

وصداع: بالضم وجع في الرأس. **ففدية:** مبتدأ خبره محذوف، قدره الشارح بقوله: "عليه"، وقوله: "قوت البلد" أي مكة. **ستة مساكين:** أي لكل مسكين نصف صاع من بر، أو صاع من تمر أو شعير، فصارت ثلاثة أصوع.

ويحلق: يشير إلى أن قوله: "ولا تحلقوا" عطف على قوله: "فما استيسر" لقربه. (تفسير الكمالين)

"أو" للتخيير: أي إنشاء ذبح أو صام أو تصدق، وذلك باتفاق الأئمة الأربع. (تفسير الكمالين)

من: مفعول ما لم يسم فاعله لقوله: "ألحق". **بسبب فراغه:** يشير إلى أن الباء في قوله: "بالعمرة" للسببية ومتعلق التمتع محذوف، أعني بمحظورات الإحرام، وقيل: المعنى لمن استمتع وانتفع بالتقرب بها إلى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في أشهره، وعلى هذا فالباء صلة التمتع. (تفسير الكمالين)

هو شاة إلخ: والحاصل: أن من أدى الحج والعمرة حال كونه آمنا يجب عليه ما استيسر من الهدي من إبل أو بقر أو شاة أداء للحق شكرا للتمتع والتوفيق باجتماع الحج والعمرة، وهذا الهدي دم نسك يؤكل منه، ويذبح يوم النحر، كالأضحية ولم تنب الأضحية عنه. **فيجب إلخ:** أي كي يقع الصيام في خلال الحج، والأفضل: أن يحرم بالحج قبل اليوم السادس، كما يشرع في الصيام من السادس ويتمها إلى الثامن. (تفسير الكمالين)

لكراهة إلخ: أي بعرفة، فروى أبو داود: أنه ﷺ نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة، وهذا عند الشافعي رحمه الله، وأما عند أبي حنيفة رحمه الله: فالنهي محمول على من يضعفه الصوم عن الوقوف وغيره. (تفسير الكمالين)

صوم يوم عرفة، **ولا يجوز صومها** أيام التشريق على أصح قولي الشافعي وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ إلى وطنكم مكة أو غيرها، **وقيل**: إذا فرغتم من أعمال الحج، وفيه التفات عن الغيبة إلى الخطاب تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ جملة تأكيد لما قبلها، ذَٰلِكَ **الحكم** المذكور من وجوب الهدي أو الصيام على من تمتع لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ بأن لم يكونوا **على مرحلتين** من الحرم عند الشافعي رحمه الله.

فإن كان فلا دم عليه ولا صيام وإن تمتع، وفي ذكر "الأهل" إشعار باشتراط الاستيطان، فلو أقام قبل أشهر الحج ولم يستوطن وتمتع فعليه ذلك، وهو أحد الوجهين عند الشافعي، والثاني لا، والأهل: كناية .... وجوب الهدي أو الصيام

ولا يجوز صومها: لأنه ﷺ نهى عن صيام أيام التشريق، وهو قول إمامنا أبي حنيفة، وروى الدارقطني عن ابن عمر رضي الله عنه: رخص النبي ﷺ للمتمتع إذا لم يجد هديا أن يصوم أيام التشريق، وبه أخذ مالك والشافعي في القديم وأحمد وإسحاق، ورجحه النووي في الروضة، وكذا ابن حجر لعموم الآية، قالوا: وتخصيص الآحاد بالمتواتر أولى من عكسه، قلنا: لا نسلم كون أيام التشريق من أيام الحج. (تفسير الكمالين)

وقيل إلخ: اختلف في تفسير الرجوع إلى وطنه ومصره، وهو الصحيح من قولي الشافعي، وهو المأثور عن ابن عباس رضي الله عنهما، ثم اختلف على ذلك، فقال الجمهور: إن المراد الفراغ من الرجوع بالوصول إلى الأهل، فلا يجوز صومها في الطريق، وقيل: يجوز؛ لأن ابتداء السير أول الرجوع، وهو قول إسحاق، وقيل: المعن: إذا فرغتم من أعمال الحج بالرجوع إلى منى، وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله، وقول الشافعي رحمه الله: فيصوم بعد حجته إن شاء بمكة أو في الطريق. (تفسير الكمالين)

الحكم: جعل المشار إليه الحكم، وهو قول الشافعي رحمه الله، فلا دم على المتمتع الحكمي، وجعل أبو حنيفة ومالك رحمهما الله الإشارة إلى التمتع، فلا متعة ولا قران عندهما للمكي، ومن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية، قال أبو حنيفة رحمه الله: لو كانت الإشارة راجعة إلى الدم يقال: على من . (تفسير الكمالين)

على مرحلتين إلخ: اختلفوا في المراد بحاضريه، فقال مالك: هم أهل مكة بعينها، واختاره الطحاوي، وقال: طاوس هم أهل الحرم، وقال أبو حنيفة رحمه الله: هم أهل الميقات فمن دونه إلى مكة، وقال الشافعي رحمه الله: هم من كان على مكة دون مسافة القصر، وهي مرحلتان عنده. (تفسير الكمالين)

عن النفس، وألحق بالمتمتع فيما ذكر بالسنة القارن، وهو من يحرم بالعمرة والحج معاً، أو يدخل الحج عليها **قبل الطواف**، وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ فيما يأمركم به وينهاكم عنه وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ لمن خالفه. ٱلۡحَجُّ وقته أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ شوّال، وذو القعدة وعشر ليال **من ذي الحجة**، وقيل: **كله** فَمَن فَرَضَ على نفسه فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ **بالإحرام به** فَلَا رَفَثَ جماع فيه وَلَا فُسُوقَ معاص وَلَا جِدَالَ خصام فِي ٱلۡحَجِّۗ وفي قراءة بفتح الأولين، والمراد في الثلاثة **النهي** وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ كصدقة يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ **فيجازيكم** به، ونزل في أهل اليمن، وكانوا يحجون بلا زاد، فيكونون **كَلاًّ** على الناس: وَتَزَوَّدُواْ ما يبلغكم لسفركم فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ ما يُتَّقى به سؤال الناس وغيره وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ذوي العقول. لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ ....

[كقولهم البرد شهران] [لمن عدا ابن كثير وأبي عمرو] [أخرجه البخاري] [شيئا يوصلكم] [إلى مكة] [يجتنب به عن السؤال]

عن النفس: أي نفس المحرم، فعلى هذا يكون معنى الآية: ذلك لمن أي لمحرم لم يكن أهله أي نفسه حاضر المسجد الحرام، وهذا معنى سخيف، فالأولى أن يقال: المراد بالأهل: الزوجة والأولاد الذين تحت حجره دون الآباء والإخوة. (حاشية الجمل بتغيير يسير) **قبل الطواف:** طواف العمرة، فإن كان الإحرام بالحج بعد الطواف فهو تمتع. (تفسير الكمالين)

من ذي الحجة: وهو قول الشافعي رحمه الله، وقال أبو حنيفة رحمه الله: عشرة أيام منها، ومبنى الأول على أن المراد بوقته: وقت إحرامه، ومبنى الثاني على أن المراد بوقته: وقت أعماله أو مناسكه، وفائدة التوقيت عند الشافعي رحمه الله: أنه لا يصح إحرامه في غير تلك الأشهر، وعند أبي حنيفة رحمه الله: أنه إن صح إجراؤه في غيرها مع الكراهة، لكنه لا يصح أعماله قبلها مقدما عليها، فلو طاف لقدومه، ثم سعى بين الصفا والمروة في رمضان لا يجزئه عن السعي الواجب، بل يجب استئناف السعي في الأشهر، ومعنى التوقيت عنده: عدم جواز التقديم عليها لا التأخير، فلا يرد: أنه يجوز عنده تأخير طواف الزيارة في جميع أشهر. (تفسير الكمالين)

كله: أي كل الشهر قائله مالك رحمه الله فيجوز عنده تأخير طواف الركن إلى آخر الشهر. (تفسير الكمالين)

بالإحرام به: وهو يتحقق بالنية عند الشافعي رحمه الله، وبالتلبية أو سوق الهدي عند أبي حنيفة رحمه الله. (تفسير الكمالين)

النهي: فعبر عنه بالنهي للمبالغة فالمقصود ولا ترفثوا. (تفسير الكمالين) **فيجازيكم:** الفاء للتعقيب فإن العلم سبب المجازاة. (تفسير الكمالين) **كلاً:** بفتح الكاف وتشديد اللام أي ثقلا.

في **أن تَبْتَغُواْ** تطلبوا فَضْلاً رزقاً مِّن رَّبِّكُمْ **بالتجارة في الحج**، نزل **رداً لكراهتهم** ذلك فَإِذَآ أَفَضْتُم **دفعتم** مِّنْ عَرَفَٰتٍ بعد الوقوف بها فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ بعد المبيت بمزدلفة بالتلبية والتهليل والدعاء عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ هو جبل في آخر المزدلفة، يقال له: **قُزَح**، وفي الحديث: "أنه ﷺ وقف به يذكر الله ويدعو، **حتى أسفر جداً**" رواه مسلم. وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ لمعالم دينه ومناسك حجه، **والكاف للتعليل**، وَإِن مخففة كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ قبل هداه لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ **ثُمَّ أَفِيضُواْ** يا قريش مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ أي من عرفة بأن تقفوا بها معهم، وكانوا يقفون بالمزدلفة ....

الباء للسببية — متعلق بتبتغوا — في نسخة: بعد الوقوف بها — متعلق بقوله: واذكروا — هذا جري على مذهب الشافعي — صلے — أي بعرفة — لا من مزدلفة — وكانوا لا يقفون بعرفات

في أن تبتغوا: إشارة إلى أنه ظرف بحذف حرف الجر قياسا في "أن"، و"أن" متعلق بـــ"جناح". (تفسير الكمالين)
بالتجارة في الحج إلخ: اتفقوا على أن التجارة إن أوقعت نقصا في الطاعة لم تكن مباحة، وإن لم توقع نقصا فيها كانت مباحة، وتركها أولى؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (البينة: ٥) والإخلاص: هو أن لا يكون له حامل على الفعل سوى كونه عبادة، والحاصل: أن الإذن في هذه التجارة جار مجرى الرخص كذا في "الكرخي"، والذي تلخص في كتب الفروع في هذه المسألة أي التشريك بين العبادة وغيرها ثلاثة طرق، قال ابن عبد السلام: إنه لا أجر فيه مطلقا أي سواء تساوى القصدان أم اختلفا، وقد اختار الغزالي فيما إذا اشترك بالعبادة غيرها من أمر دنيوي اعتبار الباعث على العمل، فإن كان القصد الدنيوي هو الأغلب لم يكن فيه أجر، وإن كان القصد الديني أغلب فله بقدره، وإن تساويا تساقطا، وقال ابن حجر في "شرح المنهاج": والأوجه: إن قصد العبادات يثاب عليه بقدره، وإن انضم إليه غيره مساويا أو راجحا ،وخالفه الرملي فاعتمد طريقة الغزالي. (حاشية الجمل)
ردا لكراهتهم: روى البخاري عن ابن عباس قال: "كانت عكاظ وذو المجاز ومجنة أسواقا في الجاهلية، فتأملوا أن يتجروا في الموسم" فنزلت. (تفسير الكمالين) **دفعتم:** إشارة إلى أن الإفاضة: هو الدفع ههنا، وأصله: أفضتم أنفسكم، فترك ذكر المفعول، كما في "البيضاوي" وغيره. **قزح:** كـــ"عمر" غير منصرف للعدل والعلمية.
حتى أسفر جدا: أي ظهر بياض النهار. **والكاف للتعليل:** أي و"ما" مصدرية أي واذكروه لأجل هدايته إياكم، ولا يخفى حسن موقعه من جعله للتشبيه، كما قاله غيره، انتهى ما في "الكمالين". قلت: هكذا ذكره عبد الله بن أحمد بن محمود أبو البركات في "تفسير المدارك" حيث قال: "ما" مصدرية، أو كافة، أي اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة. **ثم أفيضوا إلخ:** ثم اندفعوا من حيث يندفع الناس جميعا.

ترفعاً عن **الوقوف معهم**، و"ثم" **للترتيب** في الذكر وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ من ذنوبكم إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ للمؤمنين رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ بهم. فَإِذَا قَضَيْتُم أديتم مَّنَٰسِكَكُمْ عبادات حجكم بأن رميتم **جمرة العقبة وحلقتم** وطفتم واستقررتم بمنى فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ بالتكبير والثناء كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ كما كنتم تذكروهم عند فراغ حجكم **بالمفاخرة** أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا من ذكركم إياهم، **ونُصِبَ "أشدّ"** على الحال من "ذكراً" المنصوب بـ"اذكروا"؛ إذ لو تأخر عنه **لكان صفة له** فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا نصيبنا فِى ٱلدُّنْيَا فيؤتاه فيها وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ نصيب. وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً **نعمة** وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً ....

(يعني قريشا)

ترفعا: أي استكبارا، وقوله: "معهم" أي مع الناس. (حاشية الجمل) **عن الوقوف:** وقالوا: نحن قطان حرمه فلا نخرج. (تفسير الكمالين) **وثم للترتيب إلخ:** أي لا للتراخي في الوقوع، حتى يرد عليه أنه يستلزم تراخي الدفع من عرفة عن الذكر بالمزدلفة مع أن الأمر بالعكس لو عطف على الجزاء، وتراخي المشي عن نفسه لو عطف على مجموع الشرط والجزاء. (تفسير الكمالين) **جمرة العقبة:** هي حجر صغير وجمعه جمار، وبها سمي الموضع الذي يرمي فيه، كذا في "النهاية".

بالمفاخرة: جمع مفخرة بمعنى المجد. **نصب أشد إلخ:** يعني نصب "أشد" من جهة أنه حال من قوله: "ذكرا" مقدم عليه، وهو المنصوب بـ"اذكروا"، ولو تأخر لكان صفة له، فيكون التركيب أو ذكرا أشد، وحسن تأخير ذكرا؛ لأنه كالفاصلة لزوال قلق التكرار؛ إذ لو تقدم لكان التركيب "فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو ذكرا أشد".

لكان صفة له: فلما تقدم انتصب على الحال، ألا ترى أنه لو تأخر لكان التركيب أو ذكرا أشد أي من ذكركم لآبائكم، وحسن تأخير ذكرا؛ لأنه كالفاصلة لزوال قلق التكرار؛ إذ لو تقدم لكان التركيب فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو ذكرا أشد، قال أبو حيان: وفيه أن المطلوب الذكر الموصوف بالأشدية، لا طلبه حال الأشدية. (تفسير الكمالين)

فمن الناس إلخ: من يقول ربنا آتنا في الدنيا أي من الناس يشهدون الحج ويسأل الله حظوظ الدنيا. **نعمة:** أي بركة وخيرا، وذلك كالعافية والزوجة الحسنة والدار الواسعة وغير ذلك مما يعين على الدار الآخرة، فكل أمر في الدنيا يوافق الطبع، ويعين على الدار الآخرة فهو من حسنات الدنيا. (حاشية الصاوي)

هي الجنة وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ بعدم دخولها. وهذا بيان لما كان عليه المشركون من عطف اللازم على الملزوم
ولحال المؤمنين، والقصد به: الحث على طلب خير الدارين كما وعد بالثواب عليه
بقوله: أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ ثواب مِّنْ أجل مِّمَّا كَسَبُواْ عملوا من الحج والدعاء وَٱللَّهُ الداعون بالحسنتين أو من جنس
سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ يحاسب الخلق كلهم **في قدر** نصف نهار من أيام الدنيا **لحديث**
بذلك. وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ بالتكبير **عند رمي الجمرات** فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ أي أيام التشريق
الثلاثة، فَمَن تَعَجَّلَ أي استعجل بالنفر من منى فِى يَوْمَيْنِ أي **في ثاني** أيام التشريق **بعد رمي جماره**

هي الجنة: أي دخولها بسلام بحيث يموت على الإسلام، ولا يلحقه حساب ولا عذاب ويرى وجه الله الكريم، وهذا أحسن ما فسر به حسنة الدنيا والآخرة، وهو معنى قوله ﷺ في الحديث لعائشة ﵂: "سلي العافية في الدارين". (حاشية الصاوي)

في قدر إلخ: بل قد ورد: أنه في مقدار ساعة، بل ورد أيضا: أنه كلمح البصر، وذلك كناية عن عظيم قدرته، فمن كان هذا وصفه ينبغي أن يتقى ويخشى، وما من أحد من المحاسبين إلا ويرى أنه لا محاسب غيره، وذلك بعد انقضاض الموقف الذي تدنوا الشمس فيه من الرؤوس، يسيل العرق في الأرض سبعين ذراعا، وتكون النار حول الخلائق، وتحيط الملائكة بالمخلوقات، فيكونون سبع صفوف يحولون بينهم وبين النار، وهو يختلف باختلاف الناس، فنسأل الله السلامة من أهواله. (حاشية الصاوي)

لحديث بذلك: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس ﵄: قال: إنما الحساب ضحوة؛ ليقيل الأولياء مع الحور، والأعداء مع الشياطين مقرنين. (تفسير الكمالين) **عند رمي الجمرات:** أي وفي أيام التشريق إدبار الصلوات المفروضة، لكن التكبير عند كل رمي سنة، والتكبير التشريق إدبار الصلوات واجب على من صلى بجماعة من فجر عرفة إلى عصر آخر أيام التشريق على قول الصاحبين، وبه يفتى. من "الأحمدي".

الثلاثة: يوم الحادي عشر واليومين بعده. (تفسير الكمالين) **في ثاني إلخ:** يشير به إلى أن الكلام على حذف المضاف دفعا لما يوهمه ظاهر النظم من أن النفر واقع في كل من اليومين، وليس مرادا. (حاشية الجمل)

بعد رمي جماره: وأصل مشروعية الرمي عند أمر إبراهيم الخليل بذبح ولده، فلما توجه لمنى تعرض له الشيطان عند المسجد، فرماه بسبع حصيات، ثم تعرض له عند الوسطى، فرماه أيضا بسبع، ثم تعرض له عند العقبة، فرماه أيضا بسبع، فهو مما زال سببه وبقي حكمه.

﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾ بالتعجيل ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ بها حتى بات ليلة الثالث، ورمى جماره ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ﴾ بذلك أي **هم مخيرون في ذلك، ونفي الإثم** ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ الله في حجه؛ لأنه الحاج على الحقيقة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٠٣﴾ في الآخرة، فيجازيكم بأعمالكم. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾، ولا يعجبك في الآخرة؛ لمخالفته لاعتقاده ﴿وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ﴾ **أنه موافق** لقوله ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤﴾ **شديد الخصومة** لك ولأتباعك؛ لعداوته لك، وهو: ....

ومن تأخر بها: أي بمنى عند الوسطى أي استقر وبقي فيها أي من تأخر في النفر من يومين وقام بمنى، حتى بات، ورمى في يوم الثالث بعد النحر أيضا، فلا إثم عليه لمن اتقى. **هم مخيرون إلخ:** أشار به أن قوله ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾ خبر مبتدأ محذوف، تقديره هكذا، ونصه أبو السعود.

في ذلك: يعني أن معنى نفي الإثم: التخير والرد على المستعجل، أو المتأخر من أهل الجاهلية، والتأخر وإن كان أفضل لكنه يجوز لتخيير بين الفاضل والأفضل، كما خير المسافر بين الصوم والإفطار.

ونفي الإثم: إشارة لتقدير المبتدأ بقوله ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾، وهذا أولى من تقدير التخيير أو الأحكام، واللام في "لمن اتقى" للاختصاص أو للتعليل كما قاله الطيبي، أو للبيان كما قاله التفتازاني. (تفسير الكمالين)

ومن الناس إلخ: معطوف على قوله: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا﴾ الآية، فقد قسم الله الناس على أربعة أقسام، الأول: من يطلب الدنيا لا غير، ومنهم: من يطلب الدنيا والآخرة، ومنهم: من يظهر أنه من أهل الآخرة مع أنه في الواقع من أهل النار، ومنهم: من هو مؤمن ظاهرا وباطنا، وذكرهم على هذا الترتيب. (حاشية الصاوي)

الحياة الدنيا: "في" يتعلق بالقول أي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا؛ لأنه يطلب بادعاء المحبة حظ الدنيا، ولا يريد به الآخرة، أو بـ "يعجبك" أي يعجبك حلو كلامه في الدنيا لا في الآخرة؛ لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة. (تفسير المدارك) **أنه موافق:** يدل على ما في قلبه أي شهد الله على أن ما في قلبه موافق قوله. (تفسير الكمالين)

شديد الخصومة: يشير إلى أن "ألد" أفعل صفة بدليل جمعه على لداد ومجيء مؤنثه لداء، لا أفعل تفضيل، وإلى أن الإضافة إضافة الصفة إلى فاعله على الإسناد المجازي كجد جده؛ لأن الألد المخاصم، وجعل الزمخشري الإضافة بمعنى "في"، وهو الأخنس - بالخاء المعجمة ثم النون والسين المهملة - ابن شريق - بفتح الشين المعجمة والقاف في آخره - الثقفي، حليف زهرة واسمه دريد، سمي الأخنس؛ لأنه خنس بثلاث مائة رجل من زهرة، أخرج ابن جرير عن السدي: أن الآية نزلت فيه، وقيل: في المنافقين كلهم أخرجه ابن جرير أيضا عن السدي. (تفسير الكمالين)

الأَخْنَسُ بن شريق، كان منافقا، حلو الكلام للنبي ﷺ، يحلف أنه مؤمن به، ومحبّ له، **فَيدْني** مَجلِسهُ، فأكذبه الله في ذلك، ومر بزرع وحُمُرٍ لبعض المسلمين، فأحرقه **وعقرها ليلا** كما قال تعالى: وَإِذَا تَوَلَّىٰ انصرف عنك سَعَىٰ مشى فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ **من جملة الفساد** وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ أي لا يرضى به. وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ في فعلك أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ حملته **الأَنَفَةُ** والحمية على العمل بِٱلْإِثْمِ الذي أمر **باتقائه** فَحَسْبُهُۥ كافيه جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ الفراش **هي**. وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي **يبيع** نَفْسَهُ أي يبذلها في طاعة الله ٱبْتِغَآءَ طلب مَرْضَاتِ ٱللَّهِ رضاه، وهو "صهيب" لما آذاه المشركون هاجر إلى المدينة، **وترك لهم ماله** وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ حيث أرشدهم لِمَا فيه رضاه. ....

(أي يقرب — يعني محبته عبارة عن رضائه — في الإفساد والهلاك — يصرفها ابتغاء مرضات الله — مصغرا صحابي قديم الإسلام)

الأخنس بن شريق إلخ: هذا لقبه واسمه: أبي، ولقب بالأخنس؛ لأنه خنس يوم بدر أي تأخر عن القتال مع رسول الله ﷺ، وكان معه ثلاث مائة رجل من المنافقين من بني زهرة فتأخر بهم عن القتال. وقال: إن محمدا ابن أختكم، فإن يك كاذبا كفاكموه الناس، وإن يك صادقا كنتم أسعد الناس به، قالوا له: نعم ما رأيت. قال: إني سأخنس بكم فاتبعوني، فسمي الأخنس لذلك. (حاشية الجمل عن الخازن)

فيدني: وفي نسخة: فيدانيه النبي ﷺ في مجلسه. **وعقرها ليلا:** أي قطع قوائم الحمر، العقر: ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف. **ويهلك الحرث إلخ:** هذه الجملة عطف على قوله تعالى: ﴿لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾، من عطف الخاص على العام، فإن الفساد أعم من ذلك، فيشمل سفك الدماء ونهب الأموال وغير ذلك.

من جملة الفساد: خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هذا من جملة الفساد. **الأنفة:** الاستكبار، أشار به إلى أن العزة - وهي خلاف الذل - مجاز عن سببه الذي هو الأنفة، وقوله: الحمية بالتشديد الغيرة. **بالإثم:** الباء للملابسة، والإتيان بقوله: "بالإثم" يسمى عند علماء البديع تتميما؛ لأنه ربما يتوهم: أن المراد عزة ممدوحة.

باتقائه: يشير إلى أنه مأخوذ من قولهم: "أخذته بكذا" إذا حملته عليه، وألزمته إياه. (تفسير الكمالين)

هي: أشار به إلى أن المخصوص بالذم محذوف، وهو "هي". **يبيع:** يعني الشراء بمعنى البيع، مجاز عن البذل في الجهاد وغيره. **وترك لهم ماله:** أخرجه عكرمة، وورد من طريق آخر: أنها نزلت حين هاجروا وتركوه فافتدى منهم، قالوا: وعلى هذا فيشري بمعنى يشتري، لا بمعنى يبيع. (تفسير الكمالين)

ونزل في عبد الله بن سلام **وأصحابه لما عظموا السبت،** وكرهوا الإبل بعد الإسلام ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ﴾ بفتح السين وكسرها الإسلام ﴿كَآفَّةً﴾ **حال من "السلم"** أي في جميع شرائعه ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ﴾ طرق ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ **أي تزيينه** بالتفريق ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿٢٠٨﴾ بيِّن العداوة ﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾ ملتم عن الدخول في جميعه ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ الحجج الظاهرة على أنه حق ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء عن انتقامه منكم ﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿٢٠٩﴾ في صنعه. ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يَنظُرُونَ﴾ ينتظرون التاركون الدخول فيه ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ **أي أمره** كقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ (النحل: ٣٣) أي عذابه ﴿فِي ظُلَلٍ﴾ **جمع "ظلة"** ﴿مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ السحاب ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ **تمّ أمر** هلاكهم، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ ﴿٢١٠﴾

(لابن كثير ونافع — للباقين — أي عدلتم)

ونزل في إلخ: أي نزل القول الآتي كما رواه ابن جرير عن عكرمة. (تفسير الكمالين) **وأصحابه:** ثعلبة بن يأمين وأسد وأسيد وسعيد بن عمر وكلهم من اليهود. (تفسير الكمالين) **لما عظموا السبت:** فقالوا: يا رسول الله! كنا نعظمه فدعنا نسبت، وإن التوراة كتاب الله فدعنا فلنقم به الليل. (تفسير الكمالين) **يا أيها الذين آمنوا:** الخطاب لأهل الكتاب؛ لأنهم آمنوا بنبيهم وكتابهم، أو للمنافقين؛ لأنهم آمنوا بألسنتهم. (تفسير المدارك) **السلم:** والسلم في الأصل الاستسلام، أطلق على الإسلام ههنا؛ لما فيه من الانقياد. (تفسير الكمالين)

حال من السلم: وهي تؤنث كالحرب، وفيه إشارة إلى أنه لا يختص بمن يعقل، كما قاله ابن هشام، وتعقب على الزمخشري في جعله حالا من السلم. (تفسير الكمالين) **أي تزيينه:** ليس مراده تفسير الطريق بالتزيين، بل المراد أن الكلام على حذف مضاف، والتقدير: طرق تزيين الشيطان، وتزيينه: وسوسته، وطرقها آثارها كتحريم الإبل وتعظيم السبت. (حاشية الجمل) **هل ينظرون:** استفهام في معنى النفي، ولذلك جاز بعده إلا. (التفسيرالبيضاوي) **أي أمره:** يعني أن الإسناد مجازي كما يفسره قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ (النحل: ٣٣). (تفسير الكمالين) **في ظلل:** ظرف للإتيان المذكور، والمعنى: أن الله يرسل عليهم العذاب في صورة الرحمة، وذلك؛ لأن شأن السحاب الرقيق أن تأتي بالأمطار التي يكون فيها منافع لهم، وذلك مكر عظيم من الله بهم. **جمع ظلة:** كقلة وقلل، وهي: ما أظلك من السحاب، وإنما يأتيهم العذاب، كأن الأمر أفزع وأهول. (تفسير الكمالين) **تم أمر إلخ:** فالقضاء بمعنى الإتمام، واللام في الأمر للعهد. (تفسير الكمالين)

بالبناء للمفعول والفاعل، في الآخرة **فيجازي**. سَلْ يا محمد بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ **تبكيتاً** كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم "كم" استفهامية **معلقة** لـ"سل" من **المفعول الثاني**، وهي ثاني مفعولي "آتينا"، **ومميزها** مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ظاهرة كفلق البحر **وإنزال المنّ** والسلوى، **فبدّلوها** كفراً وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ أي ما أنعم به عليه من الآيات؛ **لأنها سبب الهداية** مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ **كفراً** ....

(كم، أي مميز"كم"، علامة، أي شقه)

بالبناء للمفعول: يعني من الرجع وهو الرد، وقوله: و"الفاعل" يعني من الرجوع، فـ"رجع" يستعمل لازما ومتعديا، فالمبني للمفعول من المتعدي، ومصدره الرجع كالضرب، والمبني للفاعل من اللازم، ومصدره الرجوع، وقوله: "في الآخرة" متعلق بـ"ترجع" على كل من القرائتين. (الجمل) **فيجازي:** أي عليها، وأشار بذلك إلى جواب سؤال، تقريره: أن من المعلوم أن كل أمر لا يرجع إلا إلى الله، فما وجه هذا التنبيه؟ ومحصل الجواب: أن المراد من هذا إعلام الخلق أنه المجازي على الأعمال بالثواب والعقاب. (تفسير الخازن)

سل: أصله اسأل، نقلت فتحة الهمزة إلى السين بعد حذفها، واستغني عن همزة الوصل فصار سل، وهو أمر للرسول ﷺ أو لكل واحد، وهو سؤال تفريع كما تسأل الكفرة يوم القيامة. (تفسير المدارك) **تبكيتا:** أي تفريعا وتوبيخا لا للاستفهام منهم، وهذا تسلية لرسول الله ﷺ أي فلا غرابة في عدم إيمانهم بك، فإننا آتيناهم آيات بينات على يد موسى، فلم يؤمنوا و لم ينقادوا.

معلقة: [من التعليق هو إبطال العمل لفظاً لا معنى] وذلك: لأن السؤال وإن لم يكن من أفعال القلوب، لكنه لما كان سببا للعلم الذي هو منها، أعطي حكمه من نصب المفعولين وصحة التعليق، ومعنى معلقة: أنها مانعة له عن العمل في اللفظ مع بقاء العمل في المحل، فهذا حقيقة التعليق، فجملة ﴿كَمْ آتَيْنَاهُمْ﴾ في محل نصب بـ"سل" سادة مسد المفعول الثاني، وقوله: "وهي ثاني إلخ" التقدير: آتيناهم أي عددا كثيرا. (حاشية الجمل)

المفعول الثاني: فالجملة في موضع المفعول الثاني، أو في موضع المصدر أي سلهم عن السؤال، أو الحال أي سلهم قائلا: كم آتيناهم. (تفسير الكمالين)

ومميزها إلخ: وإذا فصل بين "كم" و"مميزها" حسن أن يؤتى بـ"من" للفصل بين المفعول والتمييز سواء كانت خبرية أو استفهامية، وإنكار الرضي زيادة "من" في الاستفهامية إنما هو عند عدم الفصل. (تفسير الكمالين)

فبدلوها: أي بدلوا موجبها، وهو الإيمان بها، و"الهاء" مفعول أول و"كفرا" مفعول ثان أي أخذوا بدلها الكفر.

إنزال المن: وهم في التيه حين أمروا بقتال الجبارين. **لأنها سبب إلخ:** إنما كانت الآيات نعمة؛ لأنها سبب الهداية التي هي أجل النعم. (تفسير الكمالين) **كفرا:** هذا هو المفعول الثاني للتبديل.

فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ **له.** زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ من **أهل مكة** ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا **بالتمويه** فأحبوها وَ **هم** يَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لفقرهم كعمار وبلال وصهيب ﷺ أي يستهزؤون بهم، ويتعالون عليهم بالمال وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ الشرك **وهم هؤلاء** فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ أي رزقاً واسعاً في الآخرة، أو الدنيا بأن يُمَلِّك المسخور منهم أموال الساخرين ورقابهم. كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً **على الإيمان فاختلفوا** بأن آمن بعض وكفر بعض، فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ إليهم مُبَشِّرِينَ من آمن بالجنة وَمُنذِرِينَ من كفر بالنار وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ **بمعنى الكتب** بِٱلْحَقِّ متعلق **بـــ"أنزل"** لِيَحْكُمَ به بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ من الدين وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ أي الدين

(متعلق بـــ"يسخرون") (يرفعون عليهم بسبب المال)

له: قدره الشارح؛ ليكون خبرا لـــ"من"، وعبارة أبي البقاء: و"من يبدل" في موضع رفع بالابتداء، والعائد الضمير في "يبدل"، وقيل: العائد محذوف، تقديره: شديد العقاب له. **زين:** المزين هو الشيطان، زين لهم الدنيا وحسنها في أعينهم بوساوسه، فلا يريدون غيرها، أو الله زين بخلق الشهوات فيهم؛ لأن جميع الكائنات منه. (تفسير الكمالين)
أهل مكة: تخصيص بحسب السبب وإلا فكل كذلك. **بالتمويه:** الباء سببية أي بسبب التمويه أي الزخرفة والبهجة. **وهم:** يشير بتقدير المبتدأ إلى أن الجملة حال. (تفسير الكمالين) **وهم هؤلاء:** يعني عمارا وغيره فوقهم؛ لأنهم في عليين، وهم في أسفل السافلين. (تفسير الكمالين)
أمة واحدة إلخ: أي جماعة وحدة متفقين على الإيمان من وقت آدم إلى مبعث نوح عليه السلام، وكان بينهما عشرة قرون، كل قرن ثمانون سنة كما عند الأكثر. (روح البيان) **على الإيمان:** بعد الطوفان؛ إذ فيما بين آدم وإدريس عليهما السلام موحدين متمسكين بدينه إلا جمع قليل من قابيل ومتابعيه إلى زمن إدريس عليه السلام. (تفسير الكمالين)
فاختلفوا: وإنما حذف؛ لدلالة قوله: "فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ" عليه، وقراءة ابن مسعود: "كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين"، رواه الحاكم وصححه، وقيل: كان الناس أمة واحدة كفارا، فبعث الله النبيين فاختلفوا، والأول أوجه قاله الزمخشري، ويؤيد الأول ما في قراءة ابن مسعود من تقديم الاختلاف على البعث، وعدم ثبوت اتفاق الناس على الكفر في زمان من الأزمنة. (تفسير الكمالين) **بمعنى الكتب:** أشار به إلى أن الألف واللام للجنس أو مفرد في موضع الجمع. **بـــ أنزل:** يشير إلى أنه ظرف لغو، وقد يجعل حالا من الكتاب أي متلبسا بالحق أي الدين. (تفسير الكمالين)

إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ أي الكتاب فآمن بعض وكفر بعض، مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ الحجج الظاهرة على التوحيد و"من" أي من بعد متعلقة بـــ"اختلف" **وهي** وما بعدها مقدّم على الاستثناء في المعنى بَغۡيَۢا من الكافرين بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ للبيان ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ بإرادته وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ هدايته إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ طريق الحق. **ونزل** في جَهْدٍ أصاب المسلمين أَمۡ **بل** أ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا لم يَأۡتِكُم مَّثَلُ شبه ما أتى ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ من المؤمنين **من المحن**، فتصبروا كما

وهي: أي مع مدخولها، وقوله: "وما بعدها" وهو قوله: "بَغْياً بَيْنَهُمْ"، وهو منصوب على المفعول من أجله، أو على الحال، و"بينهم" صفة لـــ"بغيا"، أو حال، وقوله: "مقدم على الاستثناء"، وإنما احتيج لذلك؛ لأن الاستثناء المفرغ لا يتعدد، ولو لا دعوى التقدم لكان متعددا، فالتقدير: "وما اختلف فيه من بعد ما جاءهم البينات بغيا بينهم إلا الذين أوتوه".

بإذنه: حال من "الذين آمنوا" أي مأذونا لهم، ويجوز أن يكون مفعولا لـــ"هدى" أي هداهم بأمره إلخ. (تفسير أبي البقاء) وزاد في "السمين": في وجه الثاني أن يكون متعلقا بـــ"هدى" مفعولا به أي هداهم بأمره.

ونزل إلخ: قيل: كان ذلك في غزوة أحزاب حين حاصر الكفار المدينة، وأحاطوا بها، وقطعوا عنها الوارد، ولم يكن بينهم وبين دخولها إلا الخندق، وكانوا إذ ذاك عشرة آلاف مقاتل، فاشتد الكرب والخوف على المسلمين سيما مع وجود ثلاث مائة منافق بين أظهرهم فنزلت، وقيل: في يوم أحد، وقيل: تسلية للمهاجرين حين تركوا ديارهم وأموالهم بأيدي المشركين، وقيل: تسلية للمسلمين حين عذبهم المشركون بمكة، وشكوا ذلك إلى النبي ﷺ، ولهذا الاختلاف لم يعين المفسر الجهة. (تفسير الكمالين)

أم بل إلخ: أشار به إلى أن "أم" منقطعة، وأنها مقدرة بـــ "بل". **ولما يأتكم:** الواو للحال، و"لما" بمعنى "لم" أي والحال أنه لم يأتكم مثلهم بعد، ولم تبتلوا بما ابتلوا به من الأهوال الهائلة التي هي مثل في الفظاعة والشدة، وهو متوقع منتظر. (تفسير أبي السعود) **مثل الذين خلوا:** فيه حذف بين "مثل" و"الذين"، يدل عليه سياق الكلام، وقد قدره الجلال بقوله: "شبه ما أتى"، فـــ"شبه" تفسير لـــ"مثل"، و"ما أتى" هو المقدر، وقول الجلال: "من المؤمنين" بيان لـــ"الذين"، وقوله: "من المحن" بيان لـــ"ما أتى الذين" قدره، وقوله: "فتصبروا" معطوف على مدخول "لما"، فهو مجزوم بحذف النون، فهو في حيز النفي، أي لم يأتكم مثل ما أتاهم ولم تصبروا. (حاشية الجمل)

من المحن: جمع محنة، بيان للمثل، وكان يؤخذ الرجل منهم، فيحفر له في الأرض، ثم يؤتى بالمنشار فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه. رواه البخاري. (تفسير الكمالين)

صبروا ﴿مَّسَّتۡهُمُ﴾ **جملة مستأنفة** مبينة لما قبلها (وفي نسخة ما قبلها) ﴿ٱلۡبَأۡسَآءُ﴾ شدّة الفقر ﴿وَٱلضَّرَّآءُ﴾ المرض ﴿وَزُلۡزِلُواْ﴾ **أزعجوا** بأنواع البلاء ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ﴾ **بالنصب** (للأكثر) والرفع (لنافع) **أي قال** (تفسير على تقدير الرفع) ﴿ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ استبطاء للنصر؛ لتناهي الشدّة عليهم ﴿مَتَىٰ﴾ يأتي ﴿نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ الذي وُعِدناه فأجيبوا من قبل الله ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ ﴿٢١٤﴾ إتيانه. ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ﴾ يا محمد! ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ **أي الذي**، والسائل عمرو بن **الجموح**، وكان شيخا ذا مال، فسأل النبي ﷺ عما ينفق، وعلى **من ينفق**؟

جملة مستأنفة: أي كأنه قيل: ما مثل الذين خلوا وما حالهم؟ فقيل: مستهم إلخ، وقوله: "مبينة لما قبلها" وهو "مثل الذين"، وفيه مسامحة على صنيعه أولا حيث قدر بعد مثل "ما أتى"، فحينئذ هذا في المعنى بيان لـــ"ما أتى الذين خلوا" لا لمثله؛ إذ مثله هو ما أصاب المؤمنين، والمذكور في الآية هو ما أصاب الذين خلوا. (حاشية الجمل)
أزعجوا: الإزعاج: القلع من المكان.
حتى يقول: اعلم أن ما بعد "حتى" إن كان حالا رفع، نحو: مرض فلان حتى لا يرجونه، وإن كان مستقبلا نصب، نحو: سرت حتى أدخل البلد، وأنت لم تدخل، وإن كان ماضيا كما ههنا فإن نظر إلى كون القول المذكور مستقبلا بالنظر إلى ما قبله نصب، وإن نظر إلى أنه حكاية حال ماض رفع. (تفسير الكمالين) **بالنصب:** على أن "حتى" بمعنى "إلى"، و"أن" مضمرة، أي إلى أن يقول، فهي غاية لما تقدم من المس والزلزال. (تفسير الجمالين)
أي قال: قال أبو البقاء: والفعل هنا مستقبل حكيت به حالهم، والمعنى على المضي، والتقدير: "إلى أن قال الرسول"، هذا على تقدير نصب "يقول"، وبقراءة الرفع يكون التقدير: وزلزلوا فقال الرسول، فالزلزلة سبب القول، وكلا الفعلين ماض، فلم تعمل فيه "حتى". **متى نصر الله:** "متى" منصوب على الظرف، وهو في موضع رفع خبر مقدم، و"نصر" مبتدأ مؤخر، و"متى" ظرف زمان لا يتصرف إلا بجره بحرف. (تفسير السمين) والجلال جرى على أن "نصر الله" فاعل فعل محذوف. (حاشية الجمل)
أي الذي: أشار به إلى أن "ذا" اسم موصول بمعنى "الذي"، والعائد محذوف، وأن "ما" على أصلها من الاستفهام؛ ولذلك لم يعمل فيها "يسألونك"، وهي مبتدأ، و"ذا" خبره، والجملة محلها نصب بـــ"يسألون"، والتقدير: يسألونك أي الشيء الذي ينفقونه. (تفسير الكرخي)
الجموح: بفتح الجيم، أخرجه ابن المنذر عن مقاتل. (تفسير الكمالين) **من ينفق:** يعلم من هذا أن في الآية حذفا لبعض المسؤول عنه، وأن السؤال عن أمرين: عن المنفق من المال، وعن مصرفه، وبهذا الاعتبار تحصل المطابقة بين الجواب والسؤال، وقوله: "قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ" جواب عن السؤال المصرح به في الآية؛ إذ محصل هذا الجواب تجويز الإنفاق، والتصدق بسائر أنواع الأموال قليلها وكثيرها، وقوله: "لِلْوَالِدَيْنِ" إلخ، جواب عن المحذوف من =

قُلْ لهم مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ بيان لـــ"ما"، شامل للقليل والكثير، **وفيه** بيان الْمُنْفَق الذي هو أحد شقي السؤال، وأجاب عن المصرف الذي هو الشق الآخر بقوله: فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ أي هم أولى به وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ إنفاق وغيره فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ فمجاز عليه. كُتِبَ فرض عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ للكفار وَهُوَ كُرْهٌ مكروه لَّكُمْ طبعاً لمشقته وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ لميل النفس إلى الشهوات الموجبة لهلاكها، ونفورها عن التكليفات الموجبة لسعادتها، فلعل لكم في القتال - وإن كرهتموه- خيراً؛ لأن فيه إما الظفر والغنيمة، أو الشهادة والأجر، وفي تركه - وإن أحببتموه- شراً؛ لأن فيه الذل والفقر وحرمان الأجر، وَٱللَّهُ يَعْلَمُ **ما هو** خير لكم وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ذلك، فبادروا إلى ما يأمركم به. **وأرسل النبي ﷺ أوّل سراياه،** ....

= السؤال، وهو السؤال عن المصرف، فقول الشارح: "الذي هو الشق الآخر" المراد به الشق الآخر المقدر في السؤال كما أشار لتقديره. (حاشية الجمل) **وفيه إلخ:** لما لم يطابق الجواب السؤال أجابوا عنه بوجهين، أحدهما: ما ذكره المفسر، وملخصه: أنهم سألوا عنهما، وقالوا: ما ننفق؟ وعلى من ننفق؟ لكن حذف في حكاية السؤال أحدهما إيجازا، فأجاب عن أحد جزئية الأهم صريحا، وعن الآخر بالإشارة في وصف المنفق بالخير، كأنه قيل: المنفق هو الخير المتناول للقليل والكثير، والمنفق عليهم هم هؤلاء. وثانيهما: ما ذكره غيره، وهو أنه سأل عن المنفق، فأجيب ببيان المصرف؛ لأنه أهم، فإن اعتداد النفقة باعتباره. (تفسير الكمالين)

شيئا: وهو جميع ما كلفوا من الأمور الشاقة التي من جملتها القتال، وقوله: ﴿عَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا﴾ وهو جميع ما نهوا عنه من الأمور المستلذة من جملتها القعود عن الغزو. **كره:** فعل بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز أو مصدر نعت به للمبالغة. (تفسير الكمالين) **ما هو:** يعني أن المفعول مراد في المعنى، محذوف في اللفظ إيجازا، لا متروك منزل فعله منزلة اللازم. (تفسير الكمالين) **وأرسل النبي:** هذا بيان لسبب نزول هذه الآيات من هنا إلى آخر الربع. **أول سراياه:** أخرجه ابن جرير، السرايا جمع سرية -بفتح السين المهملة - قطعة من الجيش، تخرج وترجع، وشاع في اصطلاح أهل السير على جماعة أرسلها النبي ﷺ ولم يخرج معهم، فإن خرج هو بنفسه تسمى غزوة، قوله: سراياه، سرايا جمع سرية، وهي خمسة إلى ثلاث مائة، وقيل: إلى أربع مائة، كما في القاموس.

وأمّر عليها عبد الله بن جحش، فقاتلوا المشركين، **وقتلوا** ابن **الحضرمي** في آخر يوم
مشركي قريش
من جمادى الآخرة، **والتبس** عليهم برجب، **فعيرهم** الكفار باستحلاله، فنزل:
يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ **المحرم** قِتَالٍ فِيهِ **بدل اشتمال** قُلْ لهم قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ عظيم
سؤال اعتراض
وزرا **مبتدأ** وخبر وَصَدٌّ مبتدأ منع للناس عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ دينه وَكُفْرٌ بِهِۦ بالله وَ **وصدّ عن**

وأمر: بتشديد الميم أي جعل أميرا على السرية. (تفسير الكمالين) **وقتلوا:** أي واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف. (تفسير الكمالين) **الحضرمي:** منسوب إلى حضر موت، واسمه عمرو، واسم أبيه عبد الله بن عباد، كذا في "حاشية الجمل". **والتبس:** أي اشتبه عليهم الهلال برجب، وقال الزمخشري: إنه كان ذلك غرة رجب، وهم يظنونه من جمادى الآخرة، وفي "سيرة ابن سيد الناس" كما نقله الخفاجي: أنه في رجب، وأنه لم يرسلهم لقتال، وأنه بعثهم؛ ليعلم أنه قريش، وأنهم لقوا لهؤلاء في آخر يوم من رجب، وقالوا: لإن تركناهم لقد دخلوا الحرم، وإن قاتلناهم هتكنا حرمة الشهر، ثم عزموا على القتل لهم ففعلوا ما فعلوا. (تفسير الكمالين)

فعيرهم: أي عير المسلمين الذين كانوا بمكة كفار قريش بمكة، وقالوا لهم: قد استحللتم القتل في الأشهر الحرم، وقوله: "فنزل إلخ" أي فعظم ذلك على أهل السرية، وأخر النبي ﷺ قسمة الغنيمة إلى نزول الوحي فنزلت الآية.

المحرم: أي رجب، سمي به؛ لتحريم القتال فيه. (روح البيان) **بدل اشتمال:** أي عن "الشهر الحرام"، لما أن الأول غير واف بالمقصود، منسوب إلى الثاني ملابس له غير الكلية والجزئية، ولما كانت النكرة موصوفة صح إبداله من المعرفة على أن وجوب التوصيف إنما هو في بدل الكل، نص عليه الرضي. (تفسير الكمالين)

فيه: الجار والمجرور متعلق بـــ"قتال"، ويجوز كونه ظرف مستقر صفة له، وقوله: "كبير" أي إن كان عمدا، فإن كان خطأ كفعل السرية فلا إثم عليه، وبعد ذلك فهذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ (التوبة:٥) أي في الأشهر الحرم وغيرها. **مبتدأ:** أي "قتال" مبتدأ، و"كبير" خبره، وجاز الابتداء بالنكرة؛ لأنها وصفت بـــ"فيه".

وصد إلخ: تبع الزمخشري في جعله معطوفا على سبيل الله أي وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وما أورد عليه أن عطف قوله: و"كفر به" على "وصد" مانع منه؛ إذ لا يقدم العطف على الموصول على العطف على الصلة بناء على أن المعطوف على الصلة من تتمة الموصول، ولا يجوز العطف على الشيء قبل الفراغ منه، فأجاب عنه الزمخشري في الحاشية: بأن كفرا بالله متحد مع الصد، فاتحادهما مسوغ ذلك، كأنه لا فصل، وبأن موضع "وكفر به" عقب قوله: "المسجد الحرام" إلا أنه لفرط العناية قدم عليه، وفي نسخة: و"صد المسجد الحرام" من غير لفظة "عن"، وهي تطابق ما ذكره البيضاوي، وأنه من باب حذف المضاف، وإبقاء المضاف إليه بحاله، وقال الفراء: إنه معطوف على الهاء في "به" أي كفر به والمسجد الحرام، وأجاز الكوفيون والأخفش ويونس وأبو يعلى العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار، وسيأتي في النساء. (تفسير الكمالين)

ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أي مكة وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ وهم النبي ﷺ والمؤمنون، وخبر المبتدأ أَكۡبَرُ أعظم وزراً عِندَ ٱللَّهِۚ **من القتال فيه** وَٱلۡفِتۡنَةُ الشرك منكم أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ لكم فيه وَلَا يَزَالُونَ أي الكفار يُقَٰتِلُونَكُمۡ أيها المؤمنون، حَتَّىٰ كي يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إلى الكفر إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ بَطَلَتْ أَعۡمَٰلُهُمۡ الصالحة فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ فلا اعتداد بها، ولا ثواب عليها، والتقييد بالموت عليها يفيد أنه لو رجع إلى الإسلام **لم يبطل عمله**، فيثاب عليه، ولا يعيده **كالحج مثلاً، وعليه الشافعي** وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ولما **ظن السرية**: أنهم إن أسلموا من الإثم، فلا يحصل لهم أجر نزل: إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فارقوا أوطانهم وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ....

وهم عبد الله بن جحش ومن معه

من القتال فيه: أي إذا كان عمدا، كما مر. **أكبر:** أي أفظع من قتل الحضرمي في الشهر الحرام، كذا في "روح البيان".

إن استطاعوا: متعلق بـــ "يردوكم"، كما تقتضيه "حتى". (تفسير أبي السعود) وجواب الشرط محذوف، تقديره: فيردوكم.

لم يبطل عمله: وقال أبو حنيفة رحمه الله: إن مجرد الارتداد محبط للعمل عملا لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ (المائدة: ٥)، وإنما لم يحمل المطلق على المقيد مع كونهما في حادثة واحدة؛ لكونهما في السبب دون الحكم، وأجاب: عنه في الدر المختار: أنه أفاد الآية عملين وجزاءين: الإحباط والخلود، فالأول بالردة، والثاني بالموت عليها. ومن ثمرات الخلاف أنه من صلى، ثم ارتد ثم أسلم والوقت باق يلزمه عند أبي حنيفة قضاء الصلاة، خلافا للشافعي رحمه الله. (تفسير الكمالين)

كالحج مثلا إلخ: إن المسلم إذا صلى وارتد - والعياذ بالله - ثم أسلم، فلا يعيد الحج خلافا لأبي حنيفة رحمه الله، فإنه قال: يلزمه قضاء ما أدى، وكذا الكلام في الحج. (روح البيان)

وعليه الشافعي: لكنه ضعيف، والمعتمد عنده: يرجع له عمله مجردا عن الثواب، وأما عند مالك وأبي حنيفة رحمهما الله: فهو كالكافر الأصلي إذا أسلم فلا يرجع له شيء من أعماله، ولا يؤمر بالقضاء ترغيبا له في الإسلام إلا ما أسلم في وقته، فيفعله. **ظن السرية:** [أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن أبي حاتم عن جندب ابن عبد الله. (تفسير الكمالين)] المصرح به في الخازن: أنهم سألوا بالفعل وقالوا: "يارسول الله! هل توجر على سفرنا هذا ونطمع أن يكون لنا غزو؟" (حاشية الجمل)

لإعلاء دينه أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ ثوابه وَٱللَّهُ غَفُورٞ للمؤمنين رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾ بهم. يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِۖ القمار ما حكمهما؟ قُلْ لهم فِيهِمَآ أي في تعاطيهما إِثْمٞ كَبِيرٞ عظيم، وفي قراءة "كثير" **بالمثلثة**، لما يحصل **بسببهما** من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ **باللذة والفرح** في الخمر، وإصابة المال **بلا كدّ** في الميسر وَإِثْمُهُمَآ أي ما ينشأ عنهما من المفاسد أَكْبَرُ أعظم مِن نَّفْعِهِمَاۗ ولما نزلت شربها قوم، **وامتنع** ....

حمزة والكسائي

وقالوا: نشرب منها ما ينفعنا

لإعلاء دينه: أشار به إلى أن "في" بمعنى لام التعليل، والسبيل بمعنى الدين، وأن في الكلام حذف مضاف.

يسئلونك عن: السائل عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وجماعة من الصحابة. (حاشية الصاوي)

والميسر: مصدر ميمي من يسر كالموعد والمرجع، يقال: يسرته إذا قمرته، واشتقاقه إما من اليسر؛ لأنه أخذ المال بيسر من غير كد وتعب، وإما من اليسار؛ لأنه سلب يساره، قيل: إنه كانت له عشرة أقداح هي الأزلام والأقلام: الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل، والمعلى والمنيح والسفيح والوغد، لكل منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها، ويجزؤونها عشرة أجزاء، وقيل: ثمانية وعشرين إلا الثلاثة، هي المنيح والسفيح والوغد، للفذ سهم، وللتوأم سهمان، وللرقيب ثلاثة، وللحلس أربعة، وللنافس خمسة، وللمسبل ستة، وللمعلى سبعة، يجعلونها في الربابة، وهي خريطة يضعونها على يدي عدل، ثم يجلجلها ويدخل يده، فيخرج باسم رجل رجل قدحا قدحا، فمن خرج له قدح من ذوات الأنصباء أخذ النصيب المعين لها، ومن خرج له من تلك الثلاثة غرم ثمن الجزور مع حرمانه، وكانوا يدفعون تلك الأنصباء إلى الفقراء، ولا يأكلون منها، ويفتخرون بذلك، ويذمون من لا يدخل فيه، ويسمونه البرم، كذا قال صاحب "الكشاف"، وفي حكمه جميع أنواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما. (محمد عبد الرحمن ﵀)

بالمثلثة: أي قرأ حمزة والكسائي "كثير" بالثاء كما في البيضاوي. **بسببهما:** أي ليس الإثم في أنفسهما، بل من حيث إنهما يؤديان إلى ارتكاب المحظور، ولذا لم ينتبه الصحابة ﷺ من شرب الخمر بهذه الآية. (تفسير الكمالين)

باللذة والفرح: وفي تفسير المنفعة بهما إشارة إلى أنه ليس فيه شفاء ولا دواء، ويدل على ذلك حديث مسلم أنها ليست بدواء ولكنه داء، وحديث أبي داود: إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم؛ ولذا كان الأصح عند الشافعي ﵀ تحريم التداوي بها، وعند أبي حنيفة ﵀: تحريم التداوي بالحرام مطلقا، وقال السبكي: كان المنافع قبل التحريم مطلقا، فلما حرمت سلبت. (تفسير الكمالين) **بلا كد:** أي بلا جهد ومشقة.

وامتنع إلخ: للاحتياط وعدم الوثوق على أنفسهم من الآثام لما رأوا أنهم يخرجون في السكر عن الاعتدال. (تفسير الكمالين)

آخرون إلى أن حرمتهما **آية المائدة** ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ أي **ما قدره**؟ ﴿قُلِ﴾ أنفقوا ﴿ٱلْعَفْوَ﴾ أي **الفاضل** عن الحاجة، ولا تنفقوا ما تحتاجون إليه، وتضيعوا أنفسكم، وفي قراءة **بالرفع** بتقدير "هو" ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي كما بُيِّنَ لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى﴾ **أمر** ﴿ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ فتأخذون بالأصلح لكم فيهما.

وفي نسخة: حرمتها

آية المائدة: وهي: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ (المائدة: ٩٠) إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩١). فالحاصل: أن الخمر كانت حلالا أولا، ثم جعلها إثما، ثم جعلها حراما وقت الصلاة، ثم جعلها حراما مطلقا، فلا يثبت من هذه الآية إلا كونها إثما، والحرمة ثابتة بآية المائدة، فسبحان ما ألطف بعباده حيث لم يحرم الخمر بمرة، ولكن حرم درجة درجة حتى لا يشق عليهم الانقلاع عنها بواحد، فإنهم اعتادوا شربها واعتقدوا منافعها، فحرم عليهم حالا بعد حال حتى تيسر لهم الايتمار.

ولكن لقائل أن يقول: إنها إذا كانت إثما فكل إثم حرام، فما الاحتياج إلى آية المائدة؟ ويمكن أن يقال: إنها كانت حينئذ حلالا بنفسها، ولا بأس بأن يكون إثميتها عارضية؛ لأجل معنى، وهو إضاعة الوقت والمال، وكون شربها سببا لزوال العقل. (التفسير الكبير والتفسير الأحمدي) **ويسئلونك:** السائل عمرو بن الجموح وأضرابه، سألوا عن المنفق بعد أن سألوا فيما سبق عن جنسه. كذا في "أبي السعود" وغيره.

ما ذا ينفقون: "ما" مع "ذا" ركبا، وجعلا اسما واحدا مستفهما به في محل نصب مفعول مقدم أي أيّ قدر ينفقونه، وهذا على قراءة النصب، وأما على قراءة الرفع فـ"ما" وحدها اسم استفهام مبتدأ، و"ذا" اسم موصول خبر، و"ينفقون" صلته. (حاشية الجمل) **ما قدره:** يريد دفع التكرار، فإن السؤال الأول كان من جنس المنفق، والثاني عن قدره.

الفاضل: روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس: "أنفقوا ما فضل عن الأهل". العفو: نقيض الجهد، ومنه يقال للأرض السهلة: العفو، وهو أن ينفق ما تيسر له بذله، ولا يبلغ منه الجهد، وفي "المدارك" و"الزاهدي": أنفقوا ما فضل عن قدر الحاجة، ولا تنفقوا ما تحتاجون إليه، ولا تمسكوا سوى قدره في البيوت شيئا، فإذا كان الرجل صاحب زرع أمسك قوت سنة، وإذا كان صانعا أمسك قوت يومه، وتصدق بالفضل، وكان التصدق عن القوت في أول الإسلام فرضا، ثم نسخ بآية الزكاة، يشهد له ما روى ابن أبي حاتم من طريق محذر بن طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه كان هذا قبل أن يفرض الصدقة المفروضة، رواه ابن أبي حاتم. (تفسير الكمالين)

بالرفع: لأبي عمرو، وقرأ الباقون بالنصب، فمن نصبه جعل "ما ذا" اسما واحدا في موضع النصب على المفعولية لـ"ينفقون"، والتقدير: أنفقوا العفو، ومن رفعه جعل "ما" مبتدأ، وخبره "ذا" مع صلته، و"ذا" بمعنى "الذي"، و"ينفقون" صلته، أي بالذي ينفقونه، فأجيب: هو العفو، فإعراب الجواب كإعراب السؤال. (تفسير الكمالين)

كذلك: الكاف في موضع النصب، صفة لمصدر محذوف، أي تبيينا مثل هذا التبيين. (تفسير الكمالين)

في أمر: قال الزمخشري: متعلق بـ"يتفكرون" أو بـ"يبين". (تفسير الكمالين)

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ وما يلقونه من الحرج في شأنهم، فإن واكلوهم **يأثموا**، وإن عزلوا ما لهم من أموالهم، وصنعوا لهم طعاماً وحدهم **فحرج** **قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ** في أموالهم **بتنميتها** ومداخلتكم **خَيْرٌ** من ترك ذلك **وَإِن تُخَالِطُوهُمْ** أي تخالطوا نفقتهم بنفقتكم **فَإِخْوَٰنُكُمْ** أي فهم إخوانكم في الدين، ومن شأن الأخ أن يخالط أخاه أي فلكم ذلك **وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ** لأموالهم بمخالطته **مِنَ ٱلْمُصْلِحِ** لها، فيجازي كلاًّ منهما **وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ** لضيق عليكم بتحريم المخالطة **إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ** غالب على أمره **حَكِيمٌ** ﴿٢٢٠﴾ في صنعه. **وَلَا تَنكِحُوا۟** تتزوّجوا أيها المسلمون **ٱلْمُشْرِكَـٰتِ** **أي الكافرات** **حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ** حرّة؛ لأنّ سبب نزولها العيب على من تزوّج أمة مؤمنة، وترغيب في نكاح حرّة مشركة **وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ** لجمالها ومالها،

(أيجلونه / بيان لوجه السؤال / لغة في "آكلوا" / فهو حرج / وقيل أراد بالمخالطة: المصاهرة / هذا كالتعليق لما قبله / مفروضا إعجابكم لهن)

ويسألونك إلخ: روى أبو داود والنسائي: لما نزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى﴾ (النساء: ١٠) اعتزلوا اليتامى وتركوا مخالطتهم، فشق ذلك عليهم، فنزلت. (تفسير الكمالين) **يأثموا:** أي فإن شاركوا اليتامى في الأكل صاروا آثمين. (تفسير الكمالين) **فحرج:** أي على الأولياء من حيث المشقة، وعلى اليتامى من حيث ضياع ما يفضل من طعامهم وفساده. (حاشية الجمل)

بتنميتها: أي جعلها نامية بالتجارة كما ورد في الحديث: "ايتجروا في أموال اليتامى، لا تأكلها الزكوة" (تفسير الكمالين)

ولا تنكحوا: وقرئ في الشاذ للأعمش بالضم أي ولا تزوجوهن بمسلمين، يقال: نكح إذا تزوج، وأنكح غيره إذا زوجه. (تفسير الكمالين) **أي الكافرات:** تعم الكتابية، لأن أهل الكتاب مشركون لقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ﴾ (التوبة: ٣٠) إلى قوله: ﴿سُبْحَانَ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣١) لكنها خصصت بقوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ (المائدة: ٥). (تفسير البيضاوي) كما قال الشارح أيضا في قوله الآتي.

ولو أعجبتكم: الواو للحال أي ولأمة مؤمنة خير من مشركة حال كونها قد أعجبتكم، و"لو" هنا بمعنى "إن"، وكذا كل موضع وليها الفعل الماضي كقوله: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ (المائدة: ١٠٠) و"أعطوا السائل ولو جاء على فرس" ويطر، وحذف كان، واسمها بعدها، والمعنى: وإن كانت المشركة تعجبكم، فالمؤمنة خير. (تفسير الكرخي)

وهذا مخصوص بغير الكتابيات بآيةِ المائدة ﴿والمحصنات مِنَ الذين أُوتُواْ الكتاب﴾ وَلَا تُنكِحُواْ تزوجوا ٱلْمُشْرِكِينَ أي **الكفار المؤمنات** وهو باق على عمومه حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ لماله وجماله أُوْلَـٰٓئِكَ أي أهل الشرك يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ بدعائهم إلى العمل الموجب لها، فلا تليق مناكحتهم وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ على لسان رسله إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ أي العمل الموجب لهما بِإِذْنِهِۦ بإرادته، فتجب إجابته **بتزويج أوليائه** وَيُبَيِّنُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ يتعظون. وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ أي **الحيض أو مكانه**، ماذا يُفعل بالنساء فيه؟ قُلْ هُوَ أَذًى **قذر أو محله** لف ونشر مرتب فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ اتركوا وطأهنّ فِى ٱلْمَحِيضِ **أي وقته** أو مكانه وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ بالجماع حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ للأكثر بسكون الطاء، وتشديدها والهاء، وفيه إدغام التاء في الأصل في الطاء لحمزة وعلى ....

وهذا مخصوص: أي النهي عن تزوج المشركات مع عمومه باعتبار لفظه بالكتابيات، فإنهن مشركات، وإنما لم يجعل العام ناسخا للخاص للإطباق على أن سورة المائدة لم ينسخ منها شيء. (تفسير الكمالين)

الكفار المؤمنات: [يشير إلى حذف المفعول الثاني لقوله: "لا تنكحوا" (تفسير الكمالين)] يعني لا يحل تزويجها من الكافر البتة على اختلاف أنواع الكفرة. (تفسير الكبير) **بتزويج أوليائه:** وهم المسلمون، وهذا راجع لقوله: ﴿وَلا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ وكان عليه أن يقول: و"بالتزوج من أوليائه"؛ ليرجع للآية الأولى. (حاشية الجمل)

ويسألونك إلخ: السائل أبو الدحداح وجماعة من الصحابة ﷺ، وسبب ذلك: أن اليهود كانوا يعتزلون النساء في المحيض بالمرة، حتى أنه لا يبيت في مكان فيه حائض، ولا تصنع له حاجة أبدا، ثم اقتدت بهم الجاهلية، وأما النصارى فبخلاف ذلك، فإنهم كانوا لا يفرقون بين كونها حائضا أو لا، فبين الله أن شرعنا بين ذلك قواما.

عن المحيض: مصدر ميمي يصلح للحدث والزمان والمكان، فقوله: الحيض أي سيلان الدم، فإن الحيض في اللغة معناه سيلان الدم وهو المصدر. (حاشية الجمل) **الحيض أو مكانه:** أشار به إلى أن المحيض مصدر، أو ظرف مكان، وبقي عليه أن يقول أو زمانه؛ لأنه يصح إرادته هنا أيضا بدليل قوله: "أي وقته" بعد قوله: "في المحيض".

قذر أو محله: هذا لف ونشر مرتب، فقوله: "قذر" راجع للتفسير الأول، وقوله: "محله" راجع للثاني في قوله: "أي الحيض أو مكانه". (حاشية الجمل) **أي وقته إلخ:** يشير إلى أن المحيض ههنا ظرف زمان أو مكان على تقدير المضاف لا على تقدير كونه مصدرا.

أي يغتسلن بعد انقطاعه ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾ للجماع ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ بتجنبه في الحيض، وهو القُبُل، ولا تعدوه إلى غيره ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ﴾ يثيب ويكرم ﴿التَّوَّابِينَ﴾ من الذنوب ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ من الأقذار. ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ أي **محل زرعكم** للولد ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ﴾ أي محله وهو القبل ﴿أَنَّى﴾ أي كيف ﴿شِئْتُمْ﴾ من قيام وقعود واضطجاع وإقبال وإدبار. نزل ردًّا لقول اليهود: "من أتى امرأته في قبلها من جهة دبرها جاء الولد **أحول**" (رواه البخاري عن جابر) ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ العمل الصالح **كالتسمية** عند الجماع ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أمره ونهيه ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ﴾ بالبعث، فيجازيكم بأعمالكم (مطلقا) ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾ (بالثواب يا محمد) الذين اتقوه بالجنة.

أي يغتسلن: وذهب أبو حنيفة رحمه الله إلى أن له أن يقربها إذا كانت أيامها عشرة بعد انقطاع الدم وإن لم تغتسل، وفي أقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل، أو يمضي عليها وقت صلاة. (روح البيان) **من حيث:** أي من موضع أمركم الله بالاجتناب عن ذلك الموضع في زمن الحيض وهو القبل. (تفسير الكمالين)

محل زرعكم: يشير إلى أن المضاف محذوف، قال الزمخشري: وهذا مجاز، شبههن بالمحارث؛ لما يلقى في أرحامهن من النطف، ولما لم يكن ههنا لفظ مستعمل في غير الموضوع له، - وقد ذكر طرفي التشبيه - استشكل جعله مجازا، فوجه له بأنه مجاز من إطلاق الحرث على موضعه، أو باعتبار تغير الإعراب من جهة حذف المضاف، أو باعتبار حمل المشبه به على المشبه بعد حذف الأداة، وكثيرا ما يطلق عليه المجاز وإن لم يكن استعارة، أو بجعلها استعارة بالكناية؛ لأن في جعل النساء محارث دلالة على أن النطف بذور.

أنى: ترد استفهامية بمعنى: "كيف"، نحو: ﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ﴾ (البقرة: ٢٥٩) وبمعنى "أين" نحو: ﴿أَنَّى لَكِ هَذَا﴾ (آل عمران: ٣٧) وبمعنى "متى"، وقد فسرت الآية بكل منها، فأخرج ابن جرير الأول عن ابن عباس، والثاني عن الربيع بن أنس، والثالث عن الضحاك، وأخرج ابن عمر وغيره أنها بمعنى "حيث"، وتمام الكلام في هذا المقام يطلب من فتح الباري. (تفسير الكمالين)

أحول: ذهاب حدقتها قبل مؤخرها، كذا في "القاموس". **كالتسمية:** يشير بزيادة الكاف إلى أن من قيد بالتسمية كما رواه ابن جرير عن ابن عباس، فأراد على سبيل المثال لا على الانحصار. (تفسير الكمالين)

وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ أي الحلف به **عُرْضَةً** **علة مانعة** **لِّأَيْمَـٰنِكُمْ** أي **نُصْباً** لها **بأن تكثروا** الحلف به **أَن لا تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ** فتُكْرَه اليمين **على ذلك**، ويسن **فيه الحنث** ويكفّر، بخلافها على فعل البر ونحوه، فهي طاعة، المعنى: لا تمتنعوا من فعل ما ذكر من البر ونحوه إذا حلفتم عليه، بل ائتوه وكفروا؛ لأن سبب نزولها الامتناع من ذلك **وَٱللَّهُ سَمِيعٌ** لأقوالكم **عَلِيمٌ** ﴿٢٢٤﴾ بأحوالكم. **لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ** الكائن **فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ** ....

ولا تجعلوا إلخ: سبب نزول هذه الآية: أن عبد الله بن رواحة كان بينه وبين ختنه أي نسيبه، وهو النعمان بن بشير شيء، فحلف أنه لا يواصله أبدا، فنزلت، وقيل: نزلت في حق الصديق حين حلف على مسطح لما تكلم في الإفك أن لا يصله. والعرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة، وهي اسم ما تعرضه دون الشيء.

نصبا: النصب بسكون الصاد وفتحها: العلم المنصوب، كذا في "القاموس"، فالحالف يجعل اسم الله كالعلم المنصوب من حيث الاعتماد عليه في التوصل إلى مطلوبه. (حاشية الجمل) **بأن تكثروا:** هذا تفسير آخر للآية، فكان المناسب للمصنف أن يأتي بـــ "أو".

أن لا تبروا إلخ: أي لا تفعلوا البر كالتصدق وصلة الرحم، وتتقوا تصلحوا أي أن لا تتقوا ولا تصلحوا، فالمراد بالبر هنا الأمر المستحسن شرعا إلخ، من "الجمل". وأكثر المفسرين على أن "لا" في قوله: "أن تبروا" ليس بمقدر، وهذا أجود وأحسن من تقدير "لا"، ودلائله نترك للاختصار، فحاصل المعنى: لا تجعلوا اسم الله معرضا لأيمانكم بكثرة القسم إرادة أن تبروا وتتقوا وتصلحوا، وسبب نزولها أن عبد الله بن رواحة قد حدثت العداوة بين أخته وبين زوج أخته بشير بن نعمان فقسم بالله الأعظم أن لا يتكلم ولا يحسن في حقه ولا يصلح بينه وبين خصمائه فنـــزلت هذه الآية.

على ذلك: أي المذكور من الأمور المشهورة في تفسير الآية: أن العرضة اسم لما يعرض دون الشيء، والمعنى: لا تجعلوا الله حاجزا للأمور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والإصلاح، فالمراد بالأيمان الأمور المحلوفة، و"أن" مع صلتها عطف بيان لها، والذي رواه ابن جرير أنها نزلت في أبي بكر الصديق ﵁ لما حلف أن لا ينفق على مسطح؛ لقذفه عائشة ﵂، ينطبق على الوجهين. (تفسير الكمالين) **فيه الحنث:** لحديث مسلم: إذا حلفت على يمين، ورأيت غيرها خيرا منها، فأت الذي هو خير، وكفر عن يمينك. (تفسير الكمالين)

وهو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف، نحو "لا والله" و"بلى والله"، فلا إثم فيه، ولا كفارة، وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ أي **قصدته من الأيمان** إذا حنثتم وَاللَّهُ غَفُورٌ لما كان من اللغو حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ بتأخير العقوبة عن مستحقها. لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ أي **يحلفون** أن **لا يجامعوهن** تَرَبُّصُ انتظار أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُو رجعوا فيها، في المدة المذكورة أو بعدها **عن اليمين** إلى الوطء فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لهم ما أتوه من ضرر المرأة بالحلف ....

وهو ما يسبق إليه إلخ: [على عجلة، سواء كان في الماضي أو المستقبل كما يقال: ألا تأتينا، فيقال: بلى والله. (تفسير الكمالين)] هذا عند الشافعي رحمه الله، وأما عند أبي حنيفة رحمه الله: فالمراد من اللغو أن يحلف على أمر ماض، وهو يظن أنه حق، وفي الواقع خلافه، كما في "القدوري" وغيره، وزاد في "الدر المختار" زمان الحال أيضا، وصرح بخروج الاستقبال في "رد المحتار".

قصدته من الأيمان: فيجب الكفارة عند الشافعي في اليمين الغموس، فإن المؤاخذة في هذه الآية مبنية بالكفارة في آية المائدة، وقالت الثلاثة الباقية رحمهم الله: لا كفارة في الغموس، وليس فيه إلا التوبة والاستغفار، وحكى الحافظ ابن حجر عن ابن عبد البر وغيره: أن الصحابة رضي الله عنهم اتفقوا على ذلك، وروى أحمد بإسناد جيد عن أبي هريرة مرفوعا: خمس ليس فيهن كفارة، وعد منها الغموس. قالوا: المؤاخذة ههنا مطلقة، وهي في دار الجزاء، والمؤاخذة في آية المائدة مقيدة بدار الابتلاء، فلا يصلح حمل بعضها على بعض. (تفسير الكمالين)

يؤلون: الإيلاء في اللغة: عبارة عن اليمين، وفي الشريعة: عبارة عن منع النفس عن قربان المنكوحة أربعة أشهر فصاعدا منعا مؤكدا باليمين، كما في "العناية". **يحلفون:** أشار به إلى أن الإيلاء هو الحلف، إلا أن مدة الإيلاء أربعة أشهر، إن كانت المنكوحة حرة، وإن كانت أمة تبين بمضي شهرين، ولو حلف على أن لا يطأ أقل من أربعة أشهر لا يكون موليا، بل هو حالف. (روح البيان) **لا يجامعوهن:** أي مطلقا، أو أربعة أشهر، أو مدة تزيد على أربعة أشهر، كما هو مفاد "روح البيان".

عن اليمين: واليمين بالله أو باسم من أسمائه أو صفة بصفاته، ومن حلف بغير الله مثل أن قال: والكعبة، وبيت الله، ونبي الله، أو حلف بأبيه ونحوه فلا يكون يمينا، ولا تجب به الكفارة إذا حالف وهي يمين مكروهة، قال الشافعي رحمه الله: وأخشى أن تكون معصية، وفي الحديث: من حلف بغير الله فقد أشرك بالله، معناه: من حلف بغير الله تعالى معتقدا تعظيم ذلك الغير قد أشرك المحلوف به مع الله في التعظيم المختص به، ولو لم يكن على قصد التعظيم، ولا اعتقاد به فلا بأس به، كقوله: لا وأبي، ونحو ذلك، كما جرت به العادة، قال علي الرازي: أخاف الكفر على من قال: بحياتي وبحياتك، وما أشبهه: ولو لا أن العامة يقولونه، ولا يعلمونه لقلت: إنه شرك. (روح البيان)

رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ بهم. وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَـٰقَ **أي عليه** بأن لم يفيؤوا فليوقعوه فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ **لقولهم** عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ بعزمهم. المعنى: ليس لهم بعد تربص ما ذكر إلا الفيئة أو الطلاق. وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ أي **لينتظرن** بِأَنفُسِهِنَّ عن النكاح ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ تمضي من حين الطلاق، جمع قرء بفتح القاف، وهو الطهر أو الحيض **قولان**، وهذا في المدخول بهن، أما غيرهن فلا عدّة عليهن؛ لقوله: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ (الأحزاب: ٤٩) **وفي غير الآيسة**

أي عليه: فإن العزم إنما يتعدى بـ"على". (تفسير الكمالين) **لقولهم:** أي النطق بالطلاق، هذا كله على مذهب الشافعي ومالك وأحمد حيث قالوا: لا يقع الطلاق بعد مضي الأشهر حتى يحبس، فإما أن يطلق أو يفيء؛ عملا لفاء التعقيب في "فإن فاءوا"، فإنه يقتضي جواز الفيء بعد المدة، ولأن قوله: "سميع عليم" يشعر بمسموع، وهو النطق بالطلاق، ومضي المدة ليس بمسموع. وعند أبي حنيفة رحمه الله: لا يكون الفيء إلا في المدة لا بعده، بل يقع الطلاق من غير احتياج إلى التطليق، والفاء للتعقيب الذكري الذي يدخل الجمل؛ لتفصيل مجمل ما قبلها، والمعنى: فإن رجعوا عما استمروا عليه في المدة، فإنه غفور لقراءة ابن مسعود رضي الله عنه: "فإن فاءوا فيهن"، والمعنى: سميع لإيلائه عليهم بقصده الإضرار. (تفسير الكمالين)

لينتظرن: أشار به إلى أن هذا الخبر في معنى الأمر جيء به؛ للمبالغة في الايتمار على ما عرف في علم المعاني. (التفسير الأحمدي) **ثلاثة قروء:** وجاء المميز، يعني القروء على جمع الكثرة دون القلة التي هي الإقراء؛ لاتساعهما في الجمعية، ولعل القروء كانت أكثر استعمالا في جمع قرء من الأقراء، فأوثر القروء على الأقراء تنزيلا لقليل الاستعمال منزلة المهمل، يعني لما كان استعمال الأقراء جمع قرء قليل الاستعمال، فجعل بمنزلة المهمل كما في المدارك. وانتصاب ثلاثة على المفعولية بتقدير مضاف، أي يتربصن مضي ثلاثة قروء، أو على الظرفية، أي يتربصن مدة ثلاثة قروء، كما في "أبي السعود". **قولان:** الطهر قول مالك والشافعي رحمهما الله، والحيض وهو قول أبي حنيفة وأحمد في الأصح، والأدلة من الطرفين ذكرناها في "الموطأ". (تفسير الكمالين)

وفي غير الآيسة إلخ: عطف على قوله: "المدخول بهن"، وقوله: و"الصغيرة" عطف على "الآيسة"، وقوله: "فعدتهن" مرجع الضمير الآيسة، والصغيرة في معناها، وهذا في غير المدخول بهن، وفي غير الآيسة وغير الصغيرة وغير الحوامل وغير الإماء، الآيسة والصغيرة فعدتهن ثلاثة أشهر، قوله: "والحوامل فعدتهن إلخ"، وتفصيله كما في "الكبير": أن المرأة التي كان الحيض في حقها غير ممكن، فإن امتنع الحيض في حقها، إما للصغر المفرط، أو للكبر المفرط كانت عدتها بالأشهر لا بالأقراء، وأما إذا كان الحيض في حقها ممكنا، فإما أن تكون أمة، وإما أن تكون حرة، فإن كانت أمة كانت عدتها بقرءين لا بثلاثة، وأما إذا كانت المرأة حرة، وكانت غير حامل، وكانت من ذوات الحيض، وكانت مطلقة بعد الدخول فكانت عدتها بالأقراء.

والصغيرة فعدّتهن **ثلاثة أشهر**، والحوامل فعدّتهن أن يضعن حملهن كما في سورة الطلاق، والإماء فعدّتهن قرءان **بالسنة** وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ من **الولد أو الحيض** إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أزواجهن أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ أي بمراجعتهن، **ولو أبين** فِى ذَٰلِكَ أي في زمن التربص إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَـٰحًا ۚ بينهما لإضرار المرأة، وهو تحريض على قصده لا شرط لجواز الرجعة، وهذا في الطلاق الرجعي، و"**أحق**": لا تفضيل فيه؛ إذ لا حق لغيرهم في نكاحهن في العدّة وَلَهُنَّ على الأزواج مِثْلُ ٱلَّذِى لهم عَلَيْهِنَّ من الحقوق بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ شرعاً من حسن العشرة وترك الضرار، ونحو ذلك وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ فضيلة في الحق من وجوب طاعتهن لهم؛ لما ساقوه من المهر والإنفاق (علة لثبوت الدرجة) وَٱللَّهُ عَزِيزٌ في ملكه حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ فيما دبره لخلقه. ٱلطَّلَـٰقُ أي التطليق الذي يراجع بعده مَرَّتَانِ ۖ أي اثنتان، فَإِمْسَاكٌۢ أي فعليكم ....

ثلاثة أشهر: كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ (الطلاق:٤). **بالسنة:** وهو قوله ﷺ: طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان، رواه أبو داود، وهذا مما يستدل به علماؤنا على أن القرء الحيض. (تفسير الكمالين) **الولد أو الحيض:** أي من الولد إن كانت حاملا، ومن الحيض إن كانت حائضا، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر في الآية: لا يحل لها أن تكتم حملها إن كانت حاملا، ولا يحل لها إن كانت حائضا أن تكتم حيضها. (تفسير الكمالين)

وبعولتهن: فالضمير للمطلقات طلاقا رجعيا، فهو راجع إلى بعض أفراد المطلقات، وقرينته هذا التقييد قوله الآتي: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ (البقرة: ٢٢٩). (حاشية الجمل) **ولو أبين:** أي النساء عن الرجعة، وهذا في الرجعي للآية التي يتلوها، فالضمير أخص من المرجوع إليه، ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه، كذا في "الإتقان". (تفسير الكمالين) **وأحق إلخ:** أي بل هو من باب: "الشتاء أبرد من الصيف"؛ إذ لا حق لغيرهن في نكاحهن في العدة، بل يحرم ذلك بالنص والإجماع، وقال الزمخشري: المعنى أن الرجل إذا أراد الرجعة، وأبتها المرأة وجب إيثار قوله على قولها، وكان هو أحق منها لا أن لها حقا في الرجعة. (تفسير الكمالين)

مرتان إلخ: سبب نزولها: أنه كان في صدر الإسلام إذا طلق الرجل امرأته طلاقا رجعيا، وراجعها في العدة، كان له ذلك ولو طلق ألف مرة، فطلق رجل امرأته طلقة رجعية، ثم راجعها قبل انقضاء عدتها بشيء يسير، فقال: والله، لا آويك ولا تحلين لغيري أبدا، فنزلت الآية، فاستأنف الناس الطلاق وألغوا ما مضى. (حاشية الصاوي)

إمساكهن بعده بأن تراجعوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير ضرار ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ﴾ إرسال لهن ﴿بِإِحْسَانٍ﴾ ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ أيها الأزواج! ﴿أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهور ﴿شَيْـًٔا﴾ إذا طلقتموهن ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾ أي الزوجان ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ أي لا يأتيا بما حدّه لهما من الحقوق، وفي قراءة: "يُخافا" بالبناء للمفعول، فـ"أن لا يقيما" بدل اشتمال من الضمير فيه، وقرئ بالفوقانية في الفعلين ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ **نفسها** من المال؛ ليطلقها أي لا حرج على الزوج في أخذه، ولا الزوجة في بذله ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (٢٢٩)

بيان لما — حمزة ويعقوب — قوله: أن لا يقيما — وهو ألف التثنية

إلا أن يخافا: فمعنى الآية: لا يحل لكم أن تأخذوا وتعيدوا مما أعطيتموه شيئا أي مما من المهور، "إلا أن يخافا"، أي في وقت من الأوقات، إلا وقت إخافة عدم إقامة حدود الله، وهو عدم الموافقة بينهما بأن يحدث من المرأة النشوز وسوء الخلق، وترك الأدب للزوج، ومن الزوج الضرب والشتم بغير حق وغير ذلك، فلا جناح عليهما في مال افتدت المرأة بذلك المال للزوج، وتخلصت به نفسها منه، ويسمى هذا خلعا. (التفسير الأحمدي)

أن لا يقيما إلخ: سبب نزولها: أن امرأة اسمها - جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول - كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس، فشكت للنبي ﷺ حيث قالت: يا رسول الله! إني لا أعيبه في دين، ولا في خلق غير أني وجدته مقبلا في جماعة فرأيته أشدهم سوادا وقصرا، وأقبحهم وجها، لا يجمع رأسي ورأسه شيء، وإني لأكره الكفر في الإسلام، فلما نزلت هذه الآية أمرها رسول الله ﷺ بالفداء، فأخذ ما كان أعطاه لها وطلقها، وكان قد أمهرها حديقة. (حاشية الصاوي)

فإن خفتم: الظاهر من صنع المفسر، حيث أهمل هنا بيان المخاطبين أنه جعل المخاطبين في ذالك القول، هم المخاطبون فيما قبله يعني الأزواج، واختار الزمخشري: أن الخطاب ههنا للحكام قطعا، ولو كان الخطاب فيما قبله للأزواج جاز أن يكون أوله للأزواج، وآخره لغيرهم، ونحو ذلك كثير في القرآن وغيره. (تفسير الكمالين)

نفسها: مفعول افتدت، وقوله: "ليطلقها" مفعول له. (تفسير الكمالين) **ومن يتعد:** ذكر هذا الوعيد بعد النهي عن تعديها للمبالغة في التهديد، وقوله: "الظالمون" أي لأنفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعقابه.

فَإِن طَلَّقَهَا الزوج بعد الثنتين **فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ** بعد الطلقة الثالثة **حَتَّىٰ تَنكِحَ** تتزوّج **زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ** **ويطؤها** كما **في الحديث، رواه الشيخان** **فَإِن طَلَّقَهَا** الزوج الثاني **فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ** أي الزوجة والزوج الأول **أَن يَتَرَاجَعَآ** إلى النكاح بعد انقضاء العدة **إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ** **وَتِلۡكَ** المذكورات **حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ** ﴿٢٣٠﴾ يتدبرون. **وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ** **قاربن** انقضاء عدّهن **فَأَمۡسِكُوهُنَّ** بأن تراجعوهن **بِمَعۡرُوفٍ** من غير ضرار **أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ** اتركوهن حتى تنقضي عدّهن **وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ** بالرجعة **ضِرَارٗا** مفعول له ....

أو حال أي مضارين

فإن طلقها: أي طلقه ثالثة، سواء وقع الاثنتان في مرة أو مرتين، والمعنى: فإن ثبت طلاقها ثلاثا في مرة أو مرات فلا تحل إلخ، كما إذا قال لها: أنت طالق ثلاثا، أو البتة، وهذا هو المجمع عليه، وأما القول بأن الطلاق الثلاث في مرة واحدة لا يقع إلا طلقة، فلم يعرف إلا لابن تيمية من الحنابلة، وقد رد عليه أئمة مذهبه، حتى قال العلماء: إنه الضال المضل، ونسبتها إلى الإمام أشهب من أئمة المالكية باطلة. (حاشية الصاوي)

ويطؤها: عند الأئمة الأربعة والجمهور، وخلاف ابن المسيب وابن جبير لا يعبأ به، بل لا بد من الإصابة. (تفسير الكمالين)

في الحديث: عن عائشة قالت: جاءت امرأة رفاعة القرظي - واسمها تميمة، وقيل: عائشة بنت عبد الرحمان بن عتيك القرظي - وكانت تحت ابن عمها رفاعة بن وهب بن عتيك القرظي، فطلقها، فجاءت النبي ﷺ، وقالت: إني كنت عند رفاعة، فطلقني، فبت طلاقي، وتزوجت بعده عبد الرحمان بن الزبير بفتح الزاي ، وإنما معه مثل هدبة الثوب، فتبسم النبي ﷺ، وقال: "أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة، لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته"، كذا في "الخازن"، والعسيلة: مجاز عن قليل الجماع؛ إذ يكفي قليل الانتشار، شبهت تلك اللذة بالعسل، وصغرت بالتاء؛ لأن الغالب على العسل التأنيث، كذا في "أبي السعود". (حاشية الجمل)

رواه الشيخان: والآية مطلقة قيدها السنة المشهورة، قال النيشافوري: مذهب الجمهور أن النكاح ههنا بمعنى الوطء؛ لأن زوجا يدل على العقد، وإسناد الوطء إلى الزوجة باعتبار تمكينها ههنا.(تفسير الكمالين)

أن يتراجعا: أي يرجع كل منهما على الآخر بالتزوج. (تفسير الكمالين) **لقوم إلخ:** خصهم بالذكر، لأنهم المنتفعون بتلك الأحكام. (حاشية الصاوي) **قاربن إلخ:** يشير إلى أن المراد بالبلوغ ههنا: هو الدنو من الوصول على الاتساع؛ ليصح أن يترتب عليه "فأمسكوهن"؛ إذ لا إمساك بعد انقضاء الأجل. (تفسير الكمالين)

ضرارا: كان المطلق يترك المعتدة، حتى إذا شارفت انقضاء الأجل، ثم يراجعها لا لرغبة فيها، بل؛ ليطول عليها العدة، فنهى عنه بعدما أمر بضده. (أبو السعود)

لِّتَعۡتَدُواْۚ عليهن بالإلجاء إلى الافتداء أو التطليق، وتطويل الحبس وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ بتعريضها إلى عذاب الله تعالى وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ **مهزوءاً بها بمخالفتها** وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ بالإسلام وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ القرآن وَٱلۡحِكۡمَةِ ما فيه من الأحكام **يَعِظُكُم بِهِۦۚ** بأن تشكروها بالعمل بِهِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٣١﴾ لا يخفى عليه شيء. وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ **انقضت عدتهن** فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ **خطاب للأولياء** أي لا تمنعوهن من أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ المطلقين لهن؛ لأن **سبب نزولها**: أن أخت معقل بن يسار طلقها زوجها، فأراد أن يراجعها، فمنعها معقل بن يسار، كما رواه الحاكم إِذَا تَرَٰضَوۡاْ أي الأزواج والنساء بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ شرعاً ذَٰلِكَ النهي عن العضل يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ....

(عطف على نعمت الله) (متعلق بقوله: واذكروا)

مهزوءا بها: يشير إلى أن الهزء مصدر بمعنى المفعول. **بمخالفتها:** متعلق بـــ"تتخذوا"، أي بسبب مخالفتها، وعبارة "البيضاوي": "ولا تتخذوا آيات الله هزوا" بالإعراض عنها، والتهاون بالعمل بما فيها من قولهم لمن لم يجدّ في الأمر: إنما أنت هازئ، كأنه نهى عن الهزو، وأراد به الأمر بضده. (حاشية الجمل)

يعظكم: حال من الضمير المستتر في "أنزل". (تفسير الكمالين) **انقضت عدتهن:** أشار به إلى أن بلوغ الأجل على الحقيقة محمول على انتهاء الغاية، لا على المجاز كما في الآية السابقة؛ لأن الإمساك بعد مضي الأجل لا وجه له، فيحمل على المجاز بخلاف ههنا؛ لأن النهي عن العضل إنما يكون بعد انقضاء العدة؛ لأن التمكن من النكاح إنما يكون حينئذ. (تفسير الكرخي)

خطاب للأولياء: أي وأما الخطاب في "طلقتم" فهو خطاب للأزواج، ويصح أن يكون خطابا للأولياء أيضا، والمعنى: إذا رفعن أمرهن إليكم أيها الأولياء، وتسببتم في طلاقهن من أزواجهن، ثم زال ما في النفوس، وأرادوا العقد على أزواجهم، فلا يكن منكم عضل لهن من ذلك . (حاشية الصاوي)

سبب نزولها إلخ: علة لكونها خطابا للأولياء، قال الحافظ: اتفق أهل التفسير على أن المخاطب بها الأولياء، ذكره ابن جرير وغيره، وروى ابن المنذر عن ابن عباس: هو الرجل يطلق امرأته، فينقضي عدتها، فيبدو له أن يراجعها، وتريد المرأة ذلك، ويمنعها وليها. (تفسير الكمالين)

لأنه المنتفع به ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي ترك العَضْل ﴿أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ **لكم وهم**؛ لما يُخْشَى على الزوجين من الريبة بسبب العلاقة بينهما ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما فيه المصلحة ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾ ذلك، فاتبعوا أمره. ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ﴾ أي **ليرضعن** ﴿أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾ عامين ﴿كَامِلَيْنِ﴾ **صفة مؤكّدة**، ذلك ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ **ولا زيادة عليه** ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾ أي الأب ﴿رِزْقُهُنَّ﴾ إطعام الوالدات ﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ على الإرضاع **إذا كن** مطلقات ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ ......

التهمة، وفي نسخة: الزينة

يشير إلى أن اللام للبيان

لأنه إلخ: جواب عما يقال: لم خص المؤمنين؟ **لكم وهم:** أي للأولياء والأزواج كليهما.

والوالدات إلخ: أي ولو مطلقات، فإن الإرضاع من خصائص الولادة لا من خصائص الزوجية، ولهذا ورد في الحديث: إنما أحق بها ما لم تتزوج. (حاشية الجمل) **ليرضعن إلخ:** أي فالآية خبر بمعنى الأمر، وهذا الأمر للندب وللوجوب، فالأول عند استجماع ثلاثة شروط: قدرة الأب على الاستيجار، ووجود غير الأم، وقبول الولد لبن الغير، وللوجوب عند فقد واحد منها. (حاشية الجمل)

صفة مؤكدة: أي لأنه مما يتسامح فيه، فإنك تقول: أقمت عند فلان حولين و لم يستكملهما. (تفسير الكمالين)

ولا زيادة عليه: يعني أن أقصى مدة الإرضاع حولان، ولا عبرة به بعدهما، وأنه يجوز أن ينقص عنه، وهو قول الشافعي وأحمد وأبي يوسف ومحمد والجمهور رحمهم الله. وقال أبو حنيفة رحمه الله: مدة الرضاع ثلاثون شهرا. قال: ولا يقتضي الآية أن انتهاء مدة الرضاع مطلقا بحولين، بل مدة استحقاق الأجرة بالإرضاع، بناء على أن المراد بـــ"الوالدات" المطلقات بقرينة و"على المولود له رزقهن"، فإن الفائدة على جعل نفقتها للإرضاع أولى منها من اعتباره إيجاب نفقة الزوجية؛ لأن ذلك معلوم من الضرورة قبل البعث، ولأن نفقتها لا يختص بكونها والدة مرضعة لزوجية، واللام في "لمن أراد" على هذا متعلق بـــ "يرضعن" أي يرضعن للآباء الذين أرادوا إتمام الرضاعة، وعليهم رزقهن وكسوتهن أجرة لهن في الحولين، وإذا كان الواو في "وعلى المولود له" للحال من فاعل "يتم" كان أظهر في تقييد الأجرة المستحقة على الآباء بحولين. (تفسير الكمالين)

وعلى المولود له: إنما قيل "المولود له" دون الوالد؛ ليعلم أن الوالدات إنما ولدن لهم؛ إذ الأولاد للآباء، كما في "المدارك".

إذا كن إلخ: أما إذا كانت المرضعة زوجة، أو معتدة فلا يجب لها الأجر، بل لا يجوز الاستيجار عند أبي حنيفة رحمه الله، وإنما تجب لها النفقة؛ لأجل الزوجية. قال الصاوي: قوله: "إذا كن مطلقات" أي بائنا، أما الرجعيات واللاتي في العصمة فلا يلزمه أجرة على الرضاع عند الشافعي رحمه الله، وكذا عند مالك رحمه الله في غير من شأنها عدم الإرضاع بنفسها، كنساء الملوك، وأما هي فلها أن تأخذ الأجرة على ذلك، هكذا حمله المفسر على غير الزوجة، وبعضهم حمله على ما يعم الزوجة بمعنى أن الزوجة تأخذ الأجرة على الرضاع ولو ناشزا، ولا يجري على حكم نفقة الزوجية.

بقدر طاقته لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا طاقتها لَا تُضَآرَّ وَالِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا أي بسببه **بأن** حسبما يراه الحاكم **تُكْرَهَ** على إرضاعه إذا امتنعت وَلَا يضار مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ أي بسببه بأن يكلف فوق طاقته وإضافة "الولد" إلى كل منهما في الموضعين للاستعطاف وَعَلَى ٱلْوَارِثِ أي وارث الأب وهو الصبي أي **على وليه** في ماله مِثْلُ ذَٰلِكَ الذي على الأب للوالدة من الرزق والكسوة فَإِنْ أَرَادَا أي الوالدان فِصَالاً **فطاماً له** قبل الحولين، صادراً عَن تَرَاضٍ اتفاق مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ بينهما؛ لتظهر مصلحة الصبي فيه فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا في ذلك وَإِنْ أَرَدتُّمْ **خطاب للآباء** أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ **مراضع** جمع مرضعة غير الوالدات فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فيه ....

بأن تكره: على إرضاعه أي بغير أجرة، أو بأجرة دون أجرة المثل حيث طلبتها. **وعلى الوارث:** عطف على قوله: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ وما بينهما اعتراض تفسيرا للمعروف أي على وارث الأب، وهو الصبي أي على وليه إذا مات الأب، مثل ذلك الذي على الأب من الرزق والكسوة. والحاصل: أنه يعطي الأم الأجرة من مال الصبي إذا كان له مال، بهذا فسر الضحاك، واختاره ابن جرير، وهو قول مالك والشافعي، فإن لم يكن له مال فعلى الأم، ولا نفقة عندهما فيما عدا الولاد، وقيل: المراد به الباقي من الوالدين، وقيل: وارث الصبي من كان من الرجال والنساء بقدر الإرث، ولو لم يرث الصبي منه، وإليه ذهب ابن أبي ليلى وأحمد وإسحاق، وعندنا: من كان ذا رحم محرم منه؛ لقراءة ابن مسعود: "وعلى الوارث ذي الرحم المحرم مثل ذلك".

على وليه إلخ: أي ولي الصبي إن كان له مال، وإلا أجبرت الأم على إرضاعه عنه مجانا، هذا عند الشافعي رحمه الله، وأما عند أبي حنيفة رحمه الله: فالمراد به وارث الصبي ممن كان ذا رحم محرم منه، لا كل الوارث، سواء كان ذا رحم محرم منه أو لم يكن، مثل ابن العم والمولى. (تفسير أبي السعود وغيره)

فطاما له: الفطام بالكسر قطع المرضع الصبي عن الرضاعة. **وتشاور:** من المشورة وهي استخراج الرأي من شرت العسل إذا استخرجته. **خطاب للآباء:** زاد غيره "للأمهات" وفيه خروج من الغيبة إلى الخطاب. (حاشية الجمل)

مراضع: مفعول أول لـــ"تسترضعوا" مؤخر، ﴿وَأَوْلادَكُمْ﴾ مفعول ثان مقدم على حذف الجار أي إن أردتم أن تطلبوا مراضع لأولادكم؛ لأن "أفعل" إذا كان متعديا إلى مفعول واحد، وزيدت فيه السين للطلب، أو النسبة تصير متعديا إلى مفعولين، كما قال الزمخشري، والجمهور على أنه إنما يتعدى للثاني بحرف الجر، وتقديره هنا: لأولادكم، كذا في "الجمل".

إِذَا سَلَّمْتُم إليهن مَّآ ءَاتَيْتُم أي أردتم إيتاءه لهن من الأجرة بِٱلْمَعْرُوفِ بالجميل كطيب النفس وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ لا يخفى عليه شيء منه. وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ يموتون مِنكُمْ وَيَذَرُونَ يتركون أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ أي ليتربصن بِأَنفُسِهِنَّ بعدهم عن النكاح أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا من الليالي، وهذا في غير الحوامل، أما الحوامل: فعدّتهن أن يضعن حملهن بآية "الطلاق"، والأمَةُ على النصف من ذلك بالسُّنَّة فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ انقضت عدة تربصهن فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أيها الأولياء! فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ من التزين والتعرض للخطّاب بِٱلْمَعْرُوفِ شرعا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ عالم بباطنه كظاهره. وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم لوّحتم بِهِۦ...................

وهي عدتها حيضتان

متعلق بفعلن

إذا سلمتم: ليس شرطا لصحة الإجارة، بل هو بيان للأكمل؛ لأن التعجيل أطيب لنفوسهن.

أي أردتم: إنما أوله بذلك؛ لأن تسليم ما أوتي لا يتصور. (تفسير الكمالين) **بالمعروف:** متعلق بـــ"سلمتم" أي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا، وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه، وليست التسليم بشرط للصحة والجواز، بل هو ندب إلى ما هو الأليق والأولى، فإن المراضع إذا أعطين ما قدر لهن ناجزا يدا بيد كان ذلك أدخل في استصلاح شؤون الأطفال. (إرشاد)

يموتون: المناسب: تقبض أرواحهم؛ ليناسبه الفعل المبني للمفعول. **منكم:** في محل نصب على الحال من مرفوع "يتوفون"، والعامل فيه محذوف، تقديره: حال كونهم منكم، و"من" تحتمل التبعيض وبيان الجنس. (حاشية الجمل)

أي ليتربصن: أشار بذالك إلى أن المراد من الآية الأمر وإن كان ظاهرها الخبر. **من الليالي:** ولهذا أنث العشر والأيام داخلة معها. (تفسير الكمالين) **بآية الطلاق:** وهي قوله تعالى: ﴿وَأُولاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ (الطلاق: ٤)، فهي مطلقة تشتمل للمتوفى عنها زوجها وغيرها، كذا يعلم من "الهداية"، فالآية التي في سورة الطلاق ناسخة. قوله: "على النصف من ذلك" أي فعدتها شهران وخمس ليال. واعلم أن ذلك تعبد أمرنا به الشارع، و لم نعقل له معنى، ولذا أمرت بتلك العدة الصغيرة وزوجة الصغير، وما قيل: إنه معلل بوجود حركة الحمل بعد الأربعة أشهر؛ فغير مطرد في الأمة والصغيرة وزوجة الصغير. (حاشية الصاوي)

لوحتم به: الظاهر أن المراد بالتعريض في الآية خلاف التصريح، وهو مرادف التلويح. والتعريض في اصطلاح أهل البيان: أن تذكر شيئا مقصودا في الجملة بلفظه الحقيقي أو المجازي أو الكنائي؛ ليدل بذلك الشيء على شيء آخر لم يذكر في الكلام، وبينه وبين الكناية عموم من وجه، والتلويح: التعريض، وقول السكاكي: التلويح: اسم للكناية البعيدة لكثرة الوسائل مثل: "كثير الرماد" اصطلاح جديد، كذا نقله الخفاجي عن التفتازاني. (تفسير الكمالين)

مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ المتوفى عنهن أزواجهن في العدّة كقول الإنسان مثلاً: إنك لجميلة، ومن يجد مثلك؟ ورُبَّ راغب فيك، أَوْ أَكْنَنتُمْ أضمرتم فِيٓ أَنفُسِكُمْ من قصد نكاحهن عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ بالخطبة، ولا تصبرون عنهن، فأباح لكم التعريض، وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا أي نكاحاً إِلَّآ لكن أَن تَقُولُواْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً أي ما عرف شرعاً من التعريض، فلكم ذلك وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ أي على عقده حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أي المكتوب من العدّة أَجَلَهُۥ بأن ينتهي، وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ من العزم وغيره فَٱحْذَرُوهُ أن يعاقبكم إذا عزمتم وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ لمن يحذره حَلِيمٌ (٢٣٥) بتأخيره العقوبة عن مستحقها. لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ وفي قراءة: "تُماسُّوهُنَّ" أي تجامعوهن أَوْ لم تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً .....

(متعلق بالخطبة)

خطبة النساء: بيان لـ"ما"، والخطبة بكسر الخاء كالقعدة والجلسة: ما يفعله الخاطب من الطلب، والاستلطاف بالقول والفعل، فقيل: هي مأخوذة من الخطب أي الشأن الذي له خطر؛ لما أنها شأن من الشؤون، ونوع من الخطوب، وقيل: من الخطاب؛ لأنها نوع مخاطبة تجري بين جانب الرجل وجانب المرأة. (تفسير أبي السعود)

ولكن إلخ: استدراك على محذوف دل عليه "ستذكروهن" أي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا. (حاشية الجمل) **سرا:** هوفي الأصل ضد الجهر، أطلق و أريد منه الوطء؛ لأنه لا يكون إلا كذلك، ثم أطلق وأريد منه العقد لأنه سببه، فهو مجاز على مجاز.

إلا أن تقولوا: وهذا يقتضي حمل الشارح الاستثناء على الانقطاع حيث فسر "إلا" بـ "لكن"، وهذا هو شأن المنقطع يفسره بـ "لكن"، ووجه الانقطاع: أن القول المعروف هو التعريض كما قال الشارح، والمستثنى منه المراد به التصريح. (حاشية الجمل) وفي "التفسير الأحمدي": ولا يجوز أن يكون استثناء منقطعا من قوله تعالى: "سرا"؛ لأنه يؤدي إلى قوله تعالى: ﴿لا تُوَاعِدُوهُنَّ﴾ إلا التعريض، والتعريض غير موعود، بل واقع، وعلى كل حال فالقول المعروف هو التعريض. **لا جناح عليكم إلخ:** سبب نزولها: أن رجلا من الأنصار تزوج امرأة تفويضا، ثم طلقها قبل الدخول، فرفعته لرسول الله ﷺ، فنزلت، فقال له رسول الله ﷺ: أمتعها ولو بقلنسوتك.

وفي قراءة: لحمزة والكسائي وكذا كل ما جاء من هذا الفعل في القرآن فيه هاتان القراءتان. (حاشية الجمل)

أو لم: يشير بتقدير "لم" إلى أنه مجزوم للعطف على "تمسوهن"، و"ما" مصدرية ظرفية أي في مدة عدم المس. (تفسير الكمالين)

مهراً و "ما" مصدرية ظرفية أي **لا تَبِعَة** عليكم في الطلاق- زمن عدم المسيس والفرض- بإثم، ولا مهر، **فطلقوهن** وَمَتِّعُوهُنَّ أي **أعطوهن ما** يتمتعن به عَلَى ٱلْمُوسِعِ الغني منكم قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ الضيق الرزق قَدَرُهُۥ يفيد أنه لا نظر إلى قدر الزوجة مَتَٰعًا **تمتيعاً** بِٱلْمَعْرُوفِ شرعاً صفة "متاعا" حَقًّا صفة ثانية، ....

لا تبعة:[التبعة وزان كلمة ما تطلبه من ظلامة ونحوها. (حاشية الجمل)] أي لا حق، والمعنى أنه لا تبعة على المطلق من مطالبته المهر إذا كانت المطلقة غير ممسوسة، وقيل: لا وزر؛ لأنه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس ، من "البيضاوي"، وفي "الأحمدي": معنى ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ لا تبعة عليكم من إيجاب مهر، ويؤيده مقابلة قوله تعالى: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ يعني لا وجوب مهر إن طلقتم النساء مالم تمسوهن، حتى تفرضوا لهن مهرا، أو إلا أن تفرضوا، أو لم تفرضوا أي لا يجب المهر إن كانت المطلقة غير ممسوسة، ولم يسم لها مهر؛ إذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى، أو مهر المثل أو عشرة دراهم، ولو كانت ممسوسة وقد سمي لها مهر، فلها نصف المسمى كما في كتب الفقه، وظاهر عبارة الآية يقتضي عدم وجوب المهر عند عدم المساس وعدم التقدير، ويلزم منه وجوبه عند وجود المساس، ولهذا اعترض: هل على من طلقت امرأته بعد المسيس جناح حتى ينفي عنه قبله؟ فجوابه؛ أن في الطلاق قطع الوصلة، وفي الحديث: "أبغض الحلال إلى الله الطلاق"، فنفى الله عنه الجناح إذا كان الطلاق أروج من الإمساك، وقيل في الجواب: المراد من الآية: لا جناح عليكم في تطليقهن قبل المسيس في أي وقت شئتم، حائضا كانت المرأة أو طاهرة؛ لأنها لا سنة في طلاقها قبل الدخول ولا بدعة، كذا قرره في الخازن. و أجيب أيضا بأن المراد من الجناح تبعة وجوب المهر؛ إذ الجناح بالضم إثم، وأطلق في الآية على المهر تشبيها له بالإثم في كونه حملا وثقيلا على الزوج كالإثم تكملة، وقوله: و"الفرض" عطف على "المسيس"، وقوله: "باسم" متعلق بـــ"لا تبعة"، وقوله: "ولا مهر" عطف على "لا تبعة".

فطلقوهن: يشير إلى تقدير المعطوف عليه بقوله: "متعوهن". (تفسير الكمالين) **أعطوهن ما إلخ:** وهو المتعة أي إذا طلقها قبل الدخول بها، ولم يسم لها مهرها فلها المتعة، وتقديرها مفوض إلى رأي الحاكم، هذا عند الشافعي، وعندنا: هي درع وخمار وملحفة البتة، لكن يعتبر في قيمتها من الجودة والرداءة حال الرجل من كونه موسعا، أو مقترا في الصحيح، وإليها يصرف قوله تعالى: ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾ (البقرة: ٢٣٦). (التفسير الأحمدي والتفسير البيضاوي)

وعلى المقتر: من الإقتار: الضيق، فيفيد أن لا نظر إلى قدر الزوجة في اليسار والإعسار، بل إلى قدره فقط، ففيه حجة على من اعتبر حالها، وإليه يشير قول القدوري من كسوة مثلها، وهو قول الكرخي. (تفسير الكمالين) **تمتيعا:** فاسم المصدر بمعنى المصدر، واسم المصدر يجري مجراه. (أبو البقاء) وقوله: "صفة متاعا" أي الجار والمجرور صفة "متاعا".

أو **مصدر مؤكّد** عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ المطيعين. وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ يجب لهن، ويرجع لكم النصف إِلَّآ **لكن** أَن يَعْفُونَ أي الزوجات، فيتركنه أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ **وهو الزوج،** فيترك لها الكل، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الولي إذا كانت محجورة فلا حرج في ذلك، وَأَن تَعْفُوٓاْ مبتدأ خبره أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ أي أن يتفضل بعضكم على بعض إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ فيجازيكم به. حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ الخمس بأدائها في أوقاتها وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ **هي العصر** كما في الحديث رواه الشيخان، أو **الصبح،** ....

(المطلقات) (بقدر تفضلكم)

مصدر مؤكد: أي لمضمون الجملة قبله، فعامله محذوف وجوبا، تقديره: "حق ذلك حقا".

وقد فرضتم إلخ: أي سميتم في العقد مهرا، وهذا في غير المفوضة، وأما في المفوضة فالمراد فيها بالفرض: التقدير الحاصل بعد العقد، وقوله: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ (البقرة: ٢٣٧) أي ودفعتموه لهن؛ لأجل قول الشارح: "ويرجع لكم النصف"، أو المراد الأعم من دفعه وعدمه، ويكون المراد بالرجوع رجوع الاستحقاق. (حاشية الجمل)

لكن: أشار به إلى أن الاستثناء منقطع؛ لأن عفوهن عن النصف، وسقوطه ليس من جنس استحقاقهن له.

وهو الزوج: كذا فسره علي وابن عباس وسعيد بن المسيب وابن جبير، وروى الطبراني بسند لا بأس به من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه ﷺ قال: الذي بيده عقدة النكاح الزوج، وهو قول أبي حنيفة والشافعي في الجديد وأحمد، وهذا؛ لأن الطلاق بيده، فكان إبقاء العقدة بيده، وقال ابن عباس في رواية، والحسن وعلقمة وطاوس، والشعبي والنخعي والزهري: هو الولي، وبه أخذ مالك والشافعي في القديم، والمعنى على هذا: إلا أن يعفو المرأة بترك نصيبها إلى الزوج إن كانت ثيبا، ويعفو وليها إن كانت بكرا. (تفسير الكمالين)

و لا تنسوا الفضل: ليس المراد منه النهي عن النسيان؛ لأن ذلك ليس في الوسع، بل المراد منه الترك، والمعنى: لا تتركوا الفضل والإفضال بينكم. (روح البيان) **حافظوا:** المفاعلة هنا بمعنى المجرد كعاقبت اللص، ولما ضمن معنى المواظبة قدرها بـــ"على"، وعلى بابها من كونهما بين الاثنين، وهما العبد والرب، أوالعبد والصلاة. (تفسير الكمالين)

هي العصر: روي أنه ﷺ قال يوم الأحزاب: "حبسونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر حتى غابت الشمس"، رواه الشيخان عن علي رضي الله عنه، وبه قال أبو حنيفة وأحمد رحمهما الله، وصححه الأكثر. (تفسير الكمالين) **الصبح:** رواه مالك في موطئه عن علي وابن عباس، وهو مذهب مالك، ونص عليه الشافعي محتجا بقوله: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾، والقنوت عنده في الصبح. (تفسير الكمالين)

أو **الظهر**، أو غيرها أقوال، **وأفردها** بالذكر؛ لفضلها، وَقُومُواْ لِلَّهِ في **الصلاة** قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ قيل: مطيعين؛ لقوله ﷺ: "كل قنوت في القرآن فهو طاعة" رواه أحمد وغيره، **وقيل: ساكتين**؛ لحديث زيد بن أرقم رضي الله عنه: "كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت، وقوموا لله قانتين فأمرنا بالسكوت، ونهينا عن الكلام" رواه الشيخان. فَإِنْ خِفْتُمْ من عدو أو سيل أو سبع فَرِجَالًا جمع "راجل" أي **مشاة صلّوا** أَوْ رُكْبَانًا جمع "راكب" أي كيف أمكن فصلوا مستقبلي القبلة و غيرها، ويومئ بالركوع والسجود فَإِذَآ أَمِنتُمْ من الخوف فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ أي صلّوا كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ قبل تعليمه من فرائضها...

الظهر: رواه مالك والترمذي عن زيد بن ثابت وعائشة، واختاره الشيخ المفسر، وقد بسطه في "حاشية البيضاوي".
وأفردها: أي الوسطى بالذكر مع اشتراك سائر الصلوات لها في الافتراض. قوله: "لفضلها" أي لأنها مجتمع ملائكة الليل والنهار، ووقت الاشتغال بالأعمال، وأشار بذلك لنكتة عطفها على الصلوات؛ لأن عطف الخاص على العام يحتاج لنكتة. **في الصلاة:** أشار به إلى أن "لله" متعلق بـــ"قوموا"، وأن المراد به قيام الصلاة، لا أنه متعلق بـــ "قانتين"، وإلا لقال: "قوموا في الصلاة لله قانتين"، وإنما لم يجعل متعلقا به؛ لأن الأصل تقدم العامل على المعمول. (تفسير الكرخي)

وقيل ساكتين: وهو قول ابن مسعود وزيد بن أرقم، قال ابن أرقم: كنا نتكلم في الصلاة، فيسلم الرجل، فيردون عليه، ويسألهم: كم صليتم؟ كفعل أهل الكتاب، فنزل قوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾، فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام. (التفسير الكبير) **فرجالا:** حال من الواو في "صلوا" الذي قدره الشارح مؤخرا عنهما، كما صرح به أبو البقاء. **مشاة صلوا:** وعبر عن الصلاة بالذكر؛ لاشتمالها عليه. (حاشية الجمل) وفي "أبي السعود": عبر عنها بالذكر؛ لأنه معظم أركانها.

ركبانا: جمع راكب، قال القاضي: وفيه دليل لوجوب الصلاة حال المسابقة، وإليه ذهب الشافعي، وقال أبو حنيفة: لا يصلي حال المشي والمسابقة ما لم يمكن الوقوف، واستدل أبو حنيفة بأنه ﷺ تركها في الأحزاب، ولو جاز مع القتال لما جاز تركها، وفيه نظر؛ لأن صلاة الخوف إنما شرعت في الصحيح بعد الخندق، وهو قول ابن إسحاق. (تفسير الكمالين) **كما علمكم:** المراد بالتشبيه أن تكون الصلاة المؤداة موافقة لما علمه الله، وإيرادها بذلك العنوان؛ لتذكير النعمة. **والكاف إلخ:** في موضع النصب صفة لمصدر محذوف، "وما" موصولة أو مصدرية أي اذكروا ذكرا كالذي علمكم، أو كتعليمكم.

وحقوقها، **والكاف** بمعنى "مثل"، و "ما" موصولة أو مصدرية. ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾ يتركون زوجات **فليوصوا** ﴿وَصِيَّةً﴾، وفي قراءة بالرفع، للباقين **أي عليهم** ﴿لِّأَزْوَٰجِهِم﴾ **ويعطوهن** ﴿مَّتَٰعًا﴾ ما يتمتعن به من النفقة والكسوة ﴿إِلَى﴾ تمام ﴿ٱلْحَوْلِ﴾ من زمان وفاتهم من موقم، الواجب عليهن **تربصه** ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ حال، أي غير مخرجات من مسكنهن ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ **بأنفسهن** ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يا أولياء الميت ﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾ شرعاً كالتزين، **وترك الإحداد**، وقطع النفقة عنها ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ (٢٤٠) في صنعه. والوصية المذكورة منسوخة بآية الميراث، **وتربص الحول** بآية ﴿أربعة أشهر وعشر﴾ **السابقة**، ....

والذين يتوفون: أي يموتون، ويسمى المشارف إلى الوفات متوفيا؛ تسمية للشيء باسم ما يؤول إليه، وقرينة المجاز امتناع الوصية بعد الوفاة. (روح البيان) **فليوصوا وصية:** أي فيجب عليهم أن يوصوا لزوجاتهم بثلاثة أشياء: النفقة، والكسوة، والسكنى.

أي عليهم: [أو خبر حذف مبتدؤه أي وصيتهم وحكمهم. (تفسير الكمالين)]حاصله: أنه كان في صدر الإسلام يجب على الرجل إذا حضرته الوفاة أن يوصي بالنفقة والكسوة والسكنى لزوجته سنة؛ لأنها عدتها، ولا ينقطع عنها ذلك إلا لخروجها من نفسها، ثم نسخ ذلك. **ويعطوهن:** يشير إلى أن "متاعا" منصوب بفعل مقدر. (تفسير الكمالين) **تربصه:** أي تربص الحول، وقوله: "الواجب" مجرور على أنه صفة "الحول" أي متاعا منتهيا إلى الحول، فـــ"إلى الحول" صفة متاعا. (تفسير الكمالين)

بأنفسهن: يشير إلى أنهن مخيرات بين الملازمة وأخذ النفقة، وبين الخروج وتركها، وهو قول الشافعي. وقال أبو حنيفة: تجب عليها السكون في المنزل الذي هي فيه عند الموت، والطلاق من غير تخيير، ومعنى الآية: فإن خرجن بعد الحول فلا جناح فيما فعلن في أنفسهن من التزيين والتعرض للخطاب. (تفسير الكمالين)

وترك الإحداد: امتناع عن الزينة، في "الصراح": أحدت المرأة أي امتنعت من الزينة والخضاب بعد وفاة زوجها.

وتربص الحول: أي المدلول في الآية منسوخة بآية ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ (البقرة:٢٣٤). (تفسير الكمالين)

السابقة: أي في التلاوة ورسم المصحف. وهذا جواب عن إيراد حاصله: أن يقال: شرط الناسخ أن يكون متأخرا عن المنسوخ، وأما هنا فبالعكس، وحاصل الجواب: أن الناسخ متأخر في النزول وإن كان متقدما في التلاوة ورسم المصحف، ومدار صحة كونه ناسخا على تأخره في النزول لا في التلاوة. (حاشية الجمل)

المتأخرة في النزول، والسكنى ثابتة عند الشافعي رحمه الله ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ﴾ يُعْطَيْنَه (وفي نسخة: يعطونه) ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ (على حسب حاله) بقدر الإمكان ﴿حَقًّا﴾ (حق حقا) نُصِبَ بفعله المقدر ﴿عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٤١﴾ الله، كرره؛ (مع تقدمه سابقا) ليعم الممسوسة أيضا؛ إذ الآية السابقة في غيرها. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما يبين لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ (من أحكام الطلاق والعدة) ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢٤٢﴾ تتدبرون. ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ استفهام تعجيب وتشويق إلى استماع ما بعده أي لم ينته علمك ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ أربعة أو ثمانية أو عشرة أو ثلاثون أو أربعون أو سبعون ألفا ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ مفعول له، وهم قوم من بني إسرائيل، وقع الطاعون (هو الوباء والمرض العام) ببلادهم، ففروا ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟﴾ فماتوا ﴿ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾ بعد ثمانية أيام أو أكثر بدعاء نبيهم حزقيل - بكسر المهملة والقاف .....

على المتقين: إنما قال هنا ذلك، وقال فيما تقدم: "على المحسنين"؛ لأن بعض الأعراب حين نزلت الآية الأولى طلق زوجته و لم يمتعها، وقال: إن أردت أحسنت، وإن أردت لم أحسن، فنزلت: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾

كرره: أي كرر قوله: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ ...﴾. **في غيرها:** أي في غير الممسوسة، وقال البيضاوي: وإفراد بعض العام بالحكم لا يخصصه إلا إذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم، فيجب عند الشافعي لكل مطلقة إلا لغير المدخولة المفروض لها، قال مالك: يستحب لكل إلا لهذه، وقال أبو حنيفة وأحمد في رواية: يستحب للمدخولة مطلقا، ويجب لغير المدخولة التي لم تسم لها، فإذا سمي لم يشرع في حقها هذا، وفسر صاحب المدارك المتاع بنفقة العدة، فلا تكرار. (تفسير الكمالين)

استفهام تعجيب: أي إيقاع المخاطب في أمر عجيب غريب أي في التعجيب منه، فعلى هذا يستفاد من الآية: أن المخاطب لم يسبق له علم بتلك القصة قبل نزول الآية، وقيل: استفهام تقرير، فعليه يكون المخاطب عالما بالقصة، والمقصود تقريره بها. (حاشية الجمل) **لم ينته:** لم يصل علمك، فيه إشارة إلى أن الرؤية علمية، وضمن الفعل معنى الانتهاء؛ ليصح تعديته بـــ "إلى"، كما صرح به أبو البقاء. **أربعة إلخ:** أخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس أنهم أربعة آلاف. (تفسير الكمالين)

وهم قوم إلخ: رواه ابن حاتم عن ابن عباس. **ثم أحياهم:** عطف على مقدر يستدعيه المقام أي فماتوا، كما أفاده، وإنما حذف؛ للاستغناء عن ذكره؛ لاستحالة تخلف مراده تعالى عن إرادته.

حزقيل: ويقال له: ذا الكفل؛ لأنه تكفل سبعين نبيا، ونبي حزقيل بعد كالب، وهو بعد يوشع فتى موسى عليهم الصلاة والسلام، وفي القصة لما أصابهم بكى حزقيل، فقال: يا رب! بقيت وحيدا، فأوحى إليه أني قد جعلت حياتهم إليك، فقال: أحيوا بإذن الله. (تفسير الكمالين)

وسكون الزاي - فعاشوا دهراً، عليهم **أثر الموت** لا يلبسون ثوباً إلا عاد **كالكفن، واستمرت** أي من الصفرة في أسباطهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ ومنه إحياء هؤلاء ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَشۡكُرُونَ﴾ نسلهم ﴿٢٤٣﴾ والقصد من ذكر خبر هؤلاء تشجيع المؤمنين على القتال، ولذا عطف عليه ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي لإعلاء دينه ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٞ﴾ ﴿٢٤٤﴾ بأحوالكم فيجازيكم. ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ﴾ بإنفاق ماله في سبيل الله ﴿قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ بأن ينفقه لله تعالى عن طيب قلب ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ وفي قراءة: "فيضعّفه" بالتشديد ﴿لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ﴾ من عشر إلى **أكثر** من سبعمائة، **كما سيأتي** ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ﴾ يمسك الرزق عمن يشاء **ابتلاء** ﴿وَيَبۡصُۜطُ﴾ يوسعه لمن يشاء امتحاناً ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ ﴿٢٤٥﴾ في الآخرة بالبعث، فيجازيكم بأعمالكم. ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ﴾ الجماعة ﴿مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ﴾ **موت** ﴿مُوسَىٰٓ﴾ أي إلى قصتهم وخبرهم ﴿إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ﴾ اللام للجنس أو العهد **هو شمويل**.............

أثر الموت: أي في ذواتهم وملبسهم، وهو الصفرة. **كالكفن:** أي في التغير كتغير أكفان الموتى. **واستمرت:** أي الصفرة في أسباطهم أي في قبائلهم كما هو مشاهد الآن في بعض اليهود. (حاشية الجمل) **قرضا:** مفعول مطلق كما يشير له قول الشارح في تفسير نعته بأن ينفقه. **أكثر إلخ:** وهذه الكثرة لا يعلمها إلا الله. (تفسير الكمالين)

كما سيأتي: أي في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٦١) إلى أن قال: ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ﴾ أكثر من ذلك إلى سبعمائة لمن يشاء. ملخصا. **والله يقبض:** هذا كالدليل لما قبله أي أن الإنفاق لا يقبض الرزق، وعدمه لا يبسطه، بل القابض والباسط هو الله. (حاشية الجمل)

ابتلاء: أي اختبارا هل يصبر أم لا؟ وقوله: "امتحانا" أي هل يشكر أم لا؟ **الملأ:** هو جماعة يجتمعون للتشاور، وقيل: الملأ الأشراف؛ لأنهم يملؤون القلوب جلالة والعيون مهابة، وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه، ويجمع على أملاء. مختصرا. **موت موسى:** فالمضاف مقدر وكلمة "من" للابتداء. (تفسير الكمالين)

هو شمويل: بفتح الشين المعجمة أي ملفا، وفي نسخة بزيادة الهمزة في أوله، ومعناه: إسماعيل، وإيل الله يعني اسمع يا الله! دعائي، وهو من بني إسرائيل، ولم يكن بينه وبين يوشع نبي، كذا في المعارف. وقيل: كان بعد حزقيل وإلياس واليسع عليهم السلام. (تفسير الكمالين)

ٱبْعَثْ أقم لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ معه فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ تنتظم به كلمتنا، ونرجع إليه قَالَ النبي لهم هَلْ عَسَيْتُمْ بالفتح والكسر إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَ لَّا تُقَٰتِلُوا۟ خبر "عسى"، والاستفهام **لتقرير التوقع** بها قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا **بسببهم** وقتلهم، وقد فَعَلَ بهم **ذلك** قوم **جالوت** أي لا مانع لنا منه مع وجود مقتضيه، قال تعالى: فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ عنه وجبنوا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وهم الذين **عبروا النهر** مع طالوت كما سيأتي وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ **فيجازيهم**. وسأل النبي ربه **إرسال** مَلِكٍ، فأجابه إلى إرسال طالوت. وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ **كيف** يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ **لأنه ليس** من سبط المملكة ....

(للأكثر) (لنافع) (أعرضوا) (وهو شمويل) (أبناء ملوكهم)

لا تقاتلوا: فصل بينه وبين خبره بالشرط. (تفسير الكمالين) **لتقرير التوقع:** المراد بالتقرير هنا: التحقيق والتثبيت، والتوقع مستفاد من "عسى"، والمعنى: أن توقع عدم قتالكم محقق عندي. **وقد أخرجنا:** الواو للحال، وذلك أن قوم جالوت كانوا يسكنون بين مصر وفلسطين، فأسروا من أبناء ملوكهم أربع مائة وأربعين، يعنون إذا بلغ الأمر منا هذا المبلغ فلا بد من الجهاد. (تفسير المدارك)

بسببهم: إضافة المصدر فيها إلى المفعول، ويشير بذلك إلى كيفية الإخراج من الأبناء. (تفسير الكمالين)

ذلك: أي ما ذكر من إخراجهم عن أوطانهم وسبي أولادهم. (تفسير الكمالين) **جالوت:** وهو رأس العمالقة وملكهم، وهو جبار من أولاد عمليق بن عاد، كان هو ومن معه من العمالقة يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين، كما في "أبي السعود". **فلما كتب إلخ:** مرتب على محذوف، تقديره: فدعا شمويل ربه بذلك، فبعث لهم ملكا، وكتب عليهم القتال، فلما كتب عليهم القتال إلخ.

عبروا النهر إلخ: واكتفوا على الغرفة، وهم ثلاث مائة وثلاثة عشر بعدد أهل بدر. **فيجازيهم:** هو وعيد على ظلمهم بترك الجهاد. (تفسير الكمالين) **إرسال إلخ:** روي أنه لما دعا الله أن يملكهم أتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم، فلم يساوها إلا طالوت. **كيف:** أي من أين، وهو إنكار تملكه عليهم استبعادا له. (تفسير الكمالين)

لأنه ليس إلخ: أي لكونه لم يكن من ذرية يهودا بن يعقوب. وقوله: "ولا النبوة" أي لكونه لم يكن من ذرية لاوى بن يعقوب، بل هو من ذرية بنيامين أصغر أولاد يعقوب وكانت ذريته، لا نبوة فيهم ولا مملكة، بل أقيموا في الحرف الدنيئة من أجل معاصيهم. (حاشية الصاوي)

ولا النبوة، وكان **دباغاً** أو راعياً (أو ساقيا) وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ يستعين بها على **إقامة الملك** قَالَ النبي لهم: إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ اختاره للملك عَلَيْكُمْ (وهو أعلم بالمصالح منكم) وَزَادَهُۥ بَسْطَةً سعة فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ **وكان أعلم** بني إسرائيل يومئذ وأجملهم وأتمهم خَلْقاً وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ إيتاءه لا اعتراض عليه وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ **فضله** عَلِيمٌ (٢٤٧) بمن هو أهل له (للملك ذي نسب أو غيره). وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ لما طلبوا منه آية على ملكه إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ (علامة سلطنته) أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ **الصندوق**، كان فيه **صور الأنبياء**، أنزله الله تعالى على آدم، واستمر إليهم، فغلبتهم العمالقة عليه وأخذوه، وكانوا **يستفتحون به** على عدوّهم، ويقدّمونه في القتال، ويسكنون إليه كما قال تعالى: فِيهِ سَكِينَةٌ ....

ولا النبوة: وكان سبط النبوة هلكوا كلهم إلا حبلى، فولدت غلاما، فسمته بالشمويل، وتعلم التوراة بعد كبره من شيخ، ثم بعثه الله نبيا، فلبثوا أربعين سنة بأحسن حال، ثم قال له قومه: "وابعث لنا ملكا". (تفسير الكمالين)

دباغا: الذي يصلح الجلود ويدبغها. **إقامة الملك:** لأنه لا بد للملك من مال يعتضد به. (تفسير المدارك)

وكان أعلم إلخ: [فيكون أعظم خطرا في القلوب وأقوى على مقاومة العدو] أي فكان يحفظ التوراة، وقيل: ورد: أنه لما دعا شمويل ربه أن يبعث لهم ملكا أعطاه الله قرنا فيه طيب - ويسمى طيب القدس - وعصا، وأوحى إليه إذا دخل عليك رجل اسمه طالوت فانظر في القرن، فإذا فار فادهن رأسه به، وقسه بالعصا، فإذا جاء طولها فهو الملك، فلما دخل عليه فعل به كما أمر، فإذا هو طولها، ثم دهن رأسه بذلك الدهن، وقال له: إن الله جعلك ملكا على بني إسرائيل، وقال له: الله يؤتي ملكه من يشاء.

من يشاء: يتمكن به من معرفة أمور السياسة. (تفسير المدارك) **فضله:** أي فيوسع على الفقير ويغنيه. (تفسير الكمالين)

الصندوق: بضم الصاد يريد به صندوق التوراة، وكان من عود الشمشاد مموه بالذهب نحوا من ثلاثة أذرع في عشرة أذرع. (تفسير الكمالين)

صور الأنبياء: وفيه بيوت بعدد الرسل، وآخر البيوت بيت محمد ﷺ من ياقوت، أنزل على آدم فاستمر إليهم أي فاستمر من آدم إلى أن بلغ إلى إبراهيم، ثم إلى موسى، ثم إلى شمويل، فغلبت العمالقة عليه، وهم أولاد عمليق بن عاد بن شداد. (تفسير الكمالين) **يستفتحون به:** أي ينصرون على عدوهم إذا كان معهم، وقوله: "يسكنون إليه" أي يطمئنون بسببه ويجتمعون إليه. (من الجمل)

طمأنينة لقلوبكم ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ **أي تركاه** هما، وهي نعلا موسى وعصاه، وعمامة هارون، وقفيز من المنّ الذي كان ينزل عليهم، **رُضاض** الألواح ﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ حال من فاعل "يأتيكم" ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لَّكُمْ﴾ على ملكه ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾ فحملته الملائكة بين السماء والأرض، وهم ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت، فأقرّوا بملكه، وتسارعوا إلى الجهاد، فاختار من شبابهم سبعين ألفاً. ﴿فَلَمَّا فَصَلَ﴾ **خرج** ﴿طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ﴾ من بيت المقدس، وكان حرّاً شديداً، وطلبوا منه الماء ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم﴾ **مختبركم** ﴿بِنَهَرٍ﴾ ليظهر المطيع منكم والعاصي، **وهو بين الأردن** وفلسطين ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ﴾ أي من مائه ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أي من أتباعي ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ **يذقه** ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾ بالفتح والضم ﴿بِيَدِهِۦ﴾ ....

طمأنينة إلخ: وعلى هذا التفسير فمعنى كون السكينة فيه أنها مرتبطة به أي مسببة عن حضوره ووجوده عندهم، وعبارة "البيضاوي": ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ الضمير للإتيان أي في إتيانه سكون لكم وطمأنينة، أو للتابوت أي مودع ما تسكنون إليه وهو التوراة، وكان موسى عليه السلام إذا قاتل قدمه، فتسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرون، وقيل: صورة كانت في من زبرجد أو ياقوت، لها رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها، وجناحان فتئن، ويسير التابوت بسرعة نحو العدو وهم يتبعونه، فإذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر، وقيل: صور الأنبياء إلى محمد عليه السلام. (حاشية الجمل) **أي تركاه:** يشير به إلى أن المراد بآلهما أنفسهما، والآل مفخم لتفخيم شأنهما. (تفسير المدارك)

رضاض: رضاض بالضم أي قطع ألواح التوراة. **خرج:** قال القاضي: أصله فصل نفسه عنه، لكن لما كثر حذف مفعوله فصار كاللازم. (تفسير الكمالين) **إن الله مبتليكم:** أي قال طالوت بإخبار النبي شمويل.

مختبركم: أي يعاملكم معاملة المختبر، خرج إلى ما بين الأردن وفلسطين. (تفسير الكمالين)

وهو بين إلخ: وهما موضعان قريب من بيت المقدس. **الأردن:** بفتح الهمزة وسكون الراء وضم الدال وتشديد النون موضع قريب من بيت المقدس، وقوله: "وفلسطين" بفتح الفاء وكسرها وفتح اللام لا غير، قال :بعضهم إنه عدة قرى قرب بيت المقدس. (حاشية الصاوي)

يذقه: من طعم الشيء إذا أذاقه مأكولا ومشروبا. (تفسير الكمالين) **غرفة:** بالفتح لابن عامر والكوفيين، وبالضم لأبي عمرو وابن كثير ونافع، وهو بالفتح مصدر، وبالضم ملء اليد. (تفسير الكمالين)

فاكتفى بها، ولم يزد عليها، **فإنه مني**، فَشَرِبُواْ مِنْهُ **لما وافوه** بكثرة **إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ** فاقتصروا على الغرفة، روي أنها كفتهم لشربهم ودوابهم، وكانوا ثلاثمائة **وبضعة عشر** رجلاً فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ هم الذين اقتصروا على الغرفة قَالُواْ أي الذين شربوا لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ أي بقتالهم، وجُبنوا (من الجبن ضد الشجاعة) **ولم يجاوزوه** قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ **يوقنون** أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ بالبعث، وهم الذين جاوزوه كَم **خبرية** (وموضعها الرفع) بمعنى "كثير" مِّن فِئَةٍ **جماعة** قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ بإرادته وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ بالنصر وبالعون.

وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ أي **ظهروا** (خرجوا) **لقتالهم**، ....

فإنه مني: أشار به إلى أن الاستثناء من قوله: ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾. **لما وافوه:** أي وصلوا إليه، وقوله: "بكثرة" متعلق بقوله تعالى: ﴿فَشَرِبُوا﴾. **إلا قليلا منهم:** وهو المذكور في الاستثناء السابق في قوله: ﴿تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ﴾. **إلا قليلا منهم:** استثناء من قوله: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ المقيد بالكثرة، فالمعنى إلا قليلا شربوا منه بقلة فيؤخذ منه أن الجميع شربوا، لكن أكثرهم شرب بكثرة وأقلهم شرب منه بقلة. (حاشية الصاوي)

وبضعة عشر: المشهور: أن البضعة تقال للثلاثة إلى التسعة، لكن المراد ههنا ثلاثة عشر، كما في أكثر التفاسير.

وجنوده: قيل: عدتهم مائة ألف شاكي السلاح، وقيل: أكثر، وكان طول جالوت ميلا وخودته التي على رأسه ثلاث مائة رطل من الحديد. **ولم يجاوزوه:** أي لم يجاوزوا النهر، وإنما رجعوا قبل المجاوزة. (روح البيان)

يظنون إلخ: استشكل بأن من شرب كثيرا مؤمنون أيضا، وأجيب بأنه سلب إيمانهم بكثرة شربهم.

يوقنون إلخ: أي قالوا ذلك ردا على المتخلفين، فإن قلت: المؤمنون كلهم يتيقنون أنهم ملاقوا الله؛ لأن تيقن الآخرة واجب داخل في الإيمان، فلا وجه لتخصيصه بالبعض من المؤمنين المذكورين، قلنا: لعل هذا على تقدير أن يكون المراد الذين تيقنوا أنهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله، كما صرح به القاضي. (حاشية الجمل)

كم خبرية: ولا يحتمل كونها استفهامية كما قاله القاضي؛ لمنع دخول "من" في تميز الاستفهامية عند عدم الفصل. (تفسير الكمالين) **جماعة:** قال القاضي: الفئة: الفرقة من الناس من فأوت رأسه إذا شققته أو من فاء إذا رجع، فوزنها: فعة أو فلة. (تفسير الكمالين) **والله مع إلخ:** قيل: من كلامهم، وقيل: من كلام الله.

ولما برزوا: أي ظهر طالوت ومن معه من المؤمنين. **ظهروا لقتالهم:** أي فلم يبق بينهم حجاب أبدا، بل خرجوا في البراز الذي هو صحراء الأرض. (حاشية الصاوي)

وتصافّوا ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ﴾ اصبب ﴿عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا﴾ بتقوية قلوبنا على الجهاد على القتال ﴿وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠ فَهَزَمُوهُم﴾ كسروهم ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ﴾ **وكان** في عسكر طالوت ﴿جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ﴾ أي داود ﴿ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ﴾ في بني إسرائيل ﴿وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ والنبوّة بعد موت شمويل وطالوت، لم يجتمعا لأحد قبله الملك والنبوة ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ **كصنعة الدروع** ومنطق الطير، ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم﴾ مفعول بدل بعض من "الناس" ﴿بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ بغلبة المشركين، وقتل المسلمين، وتخريب المساجد ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٥١﴾ فدفع بعضهم ببعض. ﴿تِلۡكَ﴾ مبتدأ هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ خبر ﴿نَتۡلُوهَا﴾ نقصها ﴿عَلَيۡكَ﴾ يا محمد ﴿بِٱلۡحَقِّۚ﴾ بالصدق ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٥٢﴾ التأكيد بـ"إنّ" وغيرها ردّا لقول الكفار له "لست مرسلاً".

وكان: أي كان إيشا أبو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه، وكان داود سابعهم، وهو صغير يرعى الغنم، فأوحي إلى نبيهم: أن داود هو الذي يقتل جالوت، فطلبه من أبيه، فجاء داود وقد كلمه في الطريق ثلاثة أحجار، وقالت له: إنك تقتل بنا جالوت، فحملها في مخلاته، ورمى بها جالوت، فقتله، وزوجه طالوت بنته، ثم حسده وأراد قتله، ثم مات تائبا. (تفسير الكمالين)

جالوت: وكان جبارا عظيما كبير الجسد، وكان طوله ميلا، وعلى رأسه بيضة حديد قدر ثلاث مائة رطل.

كصنعة الدروع إلخ: أي من الحديد، وكان يلين في يده، وينسجه كنسج الغزل، وقوله: "ومنطق الطير" أي فهم منطق الطير أي نطقه أي فهم أصواته، وكذا البهائم. (تفسير الجمالين) **على العالمين:** يعني أن دفع الفساد على هذا الوجه بطريق إنعام الله وتفضله، فعم الناس كلهم، ومن المعلوم: أن "لولا" حرف امتناع لوجود، فالمعنى: امتنع فساد الأرض؛ لأجل وجود دفع الناس بعضهم عن بعض. وهذه الآية كالدليل لما ذكر في القصة من مشروعية القتال، ونصر داود على جالوت. **نتلوها:** حال من "آيات الله"، والعامل فيه معنى الإشارة، أو "آيات" بدل من "تلك"، و"يتلوها" الخبر. (تفسير المدارك) **بالحق إلخ:** يجوز فيه أن يكون حالا من مفعول "نتلوها" أي متلبسة بالحق، أو من فاعله أي نتلوها متلبسين بالحق، أو من مجرور عليك أي متلبسا أنت بالحق. (تفسير السمين)

تِلْكَ مبتدأ ٱلرُّسُلُ صفة **والخبر** فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ بتخصيصه **بمنقبة** ليست لغيره، مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ كموسى وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ أي محمداً ﷺ دَرَجَٰتٍ على غيره **بعموم** الدعوة، وختم النبوّة به، وتفضيل أمته على سائر الأمم والمعجزات المتكاثرة والخصائص العديدة، وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ قوّيناه بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ **جبريل** يسير معه حيث سار وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ **هدى الناس** جميعاً مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم بعد الرسل أي أممهم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ **لاختلافهم** وتضليل بعضهم بعضاً وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ لمشيئته ذلك فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ ثبت على إيمانه وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ كالنصارى بعد المسيح وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ **توكيد** وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾

(بيان للتفضيل — بلا واسطة — مفعول أول — تفسير الذين — ثم بين الاختلاف فقال:)

والخبر: أي خبر المبتدأ ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (التفسير الكبير) و"تلك" إشارة إلى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في هذه السورة من آدم إلى داود، والتي ثبت علمها عند رسول الله ﷺ. كما في "تفسير المدارك".

بمنقبة إلخ: المنقبة: بفتح الميم المفخرة أي الوصف الذي يفتخر به. (حاشية الجمل) **من كلم الله:** أي كلمه الله حذف العائد من الصلة، يعني منهم من فضله الله بأن كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام. (تفسير المدارك)

درجات: أي بدرجات أو إلى درجات، يعني ومنهم من رفعه على سائر الأنبياء، فكان بعد تفاوتهم في الفضل منهم بدرجات كثيرة، وهو محمد ﷺ. (تفسير المدارك) **بعموم الدعوة:** أي إلى الجن والإنس، وكان النبي قبله يبعث إلى قومه خاصة. والخصائص العديدة من إيتاء الشفاعة العظمى وجوامع الكلم، وإحلال الغنائم، وجعل الأرض له مسجدا وطهورا وإلى غير ذلك من فضائل الدارين وقد ذكر أبو سعيد النيشافوري في "شرف المصطفى" أن عدد الذي خص ﷺ ستون خصلة. (تفسير الكمالين)

البينات: كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص. (حاشية الصاوي) **جبريل:** والذي يدل على أن روح القدس جبريل عليه السلام قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ (النحل:١٠٢). (التفسير الكبير) **هدى الناس إلخ:** أشار به إلى أن مفعول المشيئة محذوف، وفيه أنه ليس بذلك اللازم، فالأولى أن يقال في تقديره: فلو شاء الله عدم اقتتالهم ما اقتتلوا بأن جعلهم متفقين على اتباع الرسل المتفقة على كلمة الحق، كما صرح في "تفسير أبي السعود".

لاختلافهم: متعلق بـ"اقتتل"، وقد يفسر اقتتل بـ"اختلف"؛ لأنه سببه. (تفسير الكمالين) **توكيد:** يعني تكرير الآية توكيد أي لو شئت أن لا يقتتلوا لم يقتتلوا؛ إذ لا يجري في ملكي إلا ما يوافق مشيئتي، وهذا يبطل قول المعتزلة؛ لأنه أخبر أنه لو شاء أن لا يقتتلوا لم يقتتلوا وهم يقولون: شاء أن لا يقتتلوا فاقتتلوا. (تفسير المدارك)

من توفيق من شاء وخذلان من شاء. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾ **زكاته** ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ﴾ **فداء** ﴿فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ﴾ **صداقة** تنفع ﴿وَلَا شَفَٰعَةٞۗ﴾ **بغير إذنه** وهو يوم القيامة، وفي قراءة برفع الثلاثة، ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ **بالله** أو بما فرض عليهم ﴿هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤﴾ لوضعهم أمر الله تعالى في غير محله. ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ﴾ أي لا معبود بحق في الوجود ﴿إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ﴾ الدائم البقاء ﴿ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ المبالغ في القيام بتدبير خلقه، ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ﴾ **نعاس** ﴿وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ ....

خذلان: ضد التوفيق

زكاته: أشار به إلى أن المراد به الإنفاق الواجب بدلالة ما بعده من الوعيد. **فداء:** [فسر البيع بالفداء؛ لأنه سببه.] إنما سمي الفداء بيعا؛ لأن الفداء اشتراء النفس من الهلاك والمعنى: لا تجارة فيه فيكتسب الإنسان ما يفتدي به نفسه من العذاب. (تفسير الخازن) **صداقة:** لأن الخلة لا تنفع يوم القيامة بين الأخلاء إلا بين المتقين لقوله تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف:٦٧).

بغير إذنه إلخ: هو جواب سؤال كيف يصح نفي الشفاعة على سبيل الاستغراق، وقد ثبتت شفاعة الأنبياء يوم القيامة بالأحاديث، كحديث أنس: سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة فقال: "أنا فاعل"، حسنه الترمذي وإيضاحه: أن الآية مقيدة بآية: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾ (طـه:١٠٩)، والنبي مأذون له، أو يستأذن فيؤذن له "تفسيركرخي". (حاشية الجمل) **بالله:** بما فرض عليهم إشارة إلى صحة أن يراد الكفر الحقيقي، وذلك على الأول وأن يراد المجازي، وذلك على الثاني فيكون المراد بالكافر تارك الزكاة، كما عبر به أبو السعود. والتعبير عنه بالكفر للتغليظ والتهديد وإشارة إلى أن تركها من صفات الكفار.

الله إلخ: هذه الآية تسمى آية الكرسي وهي أفضل آي القرآن؛ لأن التوحيد الذي استفيد منها لم يستفد من آية سواها لأن الشيء يشرف بشرف موضوعه. **الحي القيوم:** قال في "التأويلات النجمية": إنما أشير في معنى الاسم الأعظم إلى هذين الاسمين، وهما الحي والقيوم. **نعاس:** [وهو ما يتقدم النوم من الفتور (تفسير المدارك)] عن المفصل: السنة: ثقل في الرأس، والنعاس في العين، والنون في القلب، وهو تأكيد للقيوم؛ لأن من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيوما، وقد أوحي إلى موسى: قل لهؤلاء: إني أمسك السماوات والأرض بقدرتي فلو أخذني نوم أو نعاس لزالتا. (تفسير المدارك)

له ما في السماوات إلخ: ذلك رد على الكفار حيث أثبتوا له شريكا فكأن الله يقول لهم: ما أشركتموه لا يخرج عن السماوات والأرض، وشأن الشريك أن يكون مستقلا خارجا عن مملكة الشريك الآخر.

ملكاً وخلقاً وعبيداً مَن ذَا ٱلَّذِي أي **لا أحد** يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ له فيها، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ في الشفاعة أي الخلق وَمَا خَلْفَهُمْۖ أي أمر الدنيا والآخرة وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ أي **لا يعلمون** شيئاً من معلوماته إِلَّا بِمَا شَآءَۚ أن يُعَلِّمَهُم به منها بإخبار الرسل وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ قيل: **أحاط علمه** بهما، وقيل ملكه، وقيل: الكرسي بعينه مشتمل عليهما لعظمته؛ لحديث "ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في **ترس**" وَلَا يَـُٔودُهُۥ **يثقله** حِفْظُهُمَاۚ أي السموات والأرض وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ فوق خلقه بالقهر ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ الكبير. لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِۖ على الدخول فيه

ملكا: بضم الميم، وهو أحسن من كسرها؛ لئلا يتكرر مع قوله: "عبيدا". (حاشية الجمل) **لا أحد:** إشارة إلى أن "من" وإن كان لفظها استفهاما فمعناه النفي؛ ولذا دخلت "إلا" في قوله: "إلا بإذنه".

لا يعلمون: [دفع بذلك ما يتوهم أن علم الله يتجزأ مع أنه ليس كذلك. (حاشية الصاوي)] إشارة إلى أن العلم هنا بمعنى المعلوم؛ لأن علمه تعالى الذي هو صفة قائمة بذاته المقدسة لا يتبعض، ومن ثم صح دخول التبعيض والاستثناء عليه، ومعلوم أن المفعول يسمى باسم المصدر كثيرا. (تفسير الكرخي)

أحاط علمه: إشارة إلى أن كرسيه مجاز عن علمه أو ملكه، بأن يذكر الكرسي ويراد به العلم؛ للمناسبة بينه وبين العمل في الإحاطة، أو من قبيل ذكر المحل وإرادة الحال؛ فإن الكرسي محل العالم، والملك الذي هو محل العلم والملك. فائدة: قال عليه الصلاة والسلام: "إن أعظم آية في القرآن آية الكرسي من قرأها بعث الله ملكا يكتب من حسناته، ويمحو من سيئاته إلى الغد من تلك الساعة"، وقال عليه الصلاة والسلام: "ما قرأت هذه الآية في دار إلا هجرتها الشياطين ثلاثين يوما، ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة"، وقال ﷺ: يا علي، علمها ولدك وأهلك وجيرانك، فما نزلت آية أعظم منها". وقال عليه الصلاة والسلام: "من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت، ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد، ومن قرأها إذا أخذ مضجعه أمنه الله تعالى على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله". كذا في "تفسير أبي السعود" و"روح البيان".

ترس: بالضم الجفن. **يثقله:** يقال: آدني هذا الأمر ثقلني، والأود والأيد: القوة. (تفسير الكمالين)

لا إكراه إلخ: أي لا إجبار على الدين الحق، وهو الإسلام، وقيل: هو إخبار في معنى النهي، وروي أنه كان لأنصاري ابنان فتنصرا، فلزمهما أبوهما، وقال: والله لا أدعكما حتى تسلما، فأبيا، فاختصموا إلى رسول الله ﷺ، فقال الأنصاري: يا رسول الله! أيدخل بعضي النار، وأنا أنظر إليه، فنزل فخلاهما، قال ابن مسعود وجماعة: كان هذا في الابتداء، ثم نسخ بالأمر بالقتال. (تفسير المدارك)

قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ أي ظهر بالآيات البينات أن الإيمان رشد والكفر غيّ، نزلت **فيمن كان** له من الأنصار أولاد، أراد أن يكرههم على الإسلام، فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ الشيطان أو الأصنام، وهو **يُطْلَق** على المف رد والجمع، وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ **تمسك** بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ بالعقد المحكم لَا ٱنفِصَامَ انقطاع لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ لما يقال عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ بما يفعل. ٱللَّهُ وَلِيُّ ناصر ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ **الكفر** إِلَى ٱلنُّورِ الإيمان وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ **ذِكْرُ الإخراج** (هذا كالدليل لما قبله)....................................

فيمن كان إلخ: [رواه ابن جرير عن السدي (تفسير المدارك)] أي وهو أبو الحصين كان له ابنان تنصرا قبل بعثة النبي ﷺ ثم قدما المدينة بتجارة زيت، فلقيهما أبوهما، وأحب أن يكرههما على الإسلام، فارتفع معهما إلى النبي ﷺ، فقال أبوهما: يا رسول الله! أيدخل بعضي النار، وأنا أنظر إليه، فنزلت هذه الآية، ويحتمل أنها منسوخة بآيات القتال، أو محكمة، وتحمل على من ضرب عليهم الجزية.

بالطاغوت: فعلوت من الطغيان، قلبت عينه ولامه قلبا مكانيا. (تفسير الكمالين) **وهو يطلق إلخ:** ولهذا وقع خبر الأولياء في قوله: "أولياؤهم الطاغوت". (تفسير الكمالين) **تمسك:** يريد أن السين ليس للطلب، بل الاستفعال بمعنى التفعل، وقيل: طلب الإمساك من نفسه. (تفسير الكمالين) **بالعروة الوثقى:** فيه استعارة تصريحية أصلية حيث شبه دين الإسلام بالعروة الوثقى، وهي موضع المسك من الحبل بجامع أن كلا لا يخشى منه الخلل، واستعير اسم المشبه به، وهو العروة الوثقى للمشبه، وهو دين الإسلام، والاستمساك وعدم الانفصام ترشيحان؛ لأنه من ملائمات المشبه به.

الكفر: قال الواقدي: كل ما في القرآن من الظلمات والنور فالمراد به الكفر والإيمان إلا في سورة الأنعام، فالمراد به ظلمة الليل ونور النهار. قيل: المراد بـــ"الذين آمنوا" من أراد إيمانه، أو أرادوا أن يؤمنوا؛ لأن المخرج من الكفر إلى الإيمان لا يكون مؤمنا حالة الإخراج، وتركه الشيخ المفسر على ظاهره؛ فإن الظاهر أنه لا حاجة إلى ذلك على تقدير كون الجملة مستأنفة، أو خبرا بعد خبر، نعم لا بد من تلك التأويل لو جعلت حالا.

ذكر الإخراج إلخ: جواب سؤال مقدر، حاصله: أن الكفار لم يكونوا في نور، فأخرجوا منه إلى الظلمات، كيف ذلك؟ أجاب المفسر بجوابين: الأول: أنه مشاكلة لما قبله، والمراد منعهم من أصل النور، والثاني: أنه إخراج حقيقي، وهو في كل من آمن بالنبي قبل مبعثه، ثم ارتد بعد ذلك، وفي هذه الآية وعد من الله بالأمن للمؤمنين من المخاف في الدنيا والآخرة.

إما في مقابلة قوله: "يُخرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ" (البقرة:٢٥٧)، **أو في كل** من آمن بالنبي ﷺ قبل بعثته من اليهود ثم كفر به ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٥٧ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ﴾ جادل ﴿إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ﴾ لـ ﴿أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ﴾ أي حمله **بطره بنعمة** الله على ذلك وهو **"نمروذ"** بضم النون والذال المعجمة ﴿إِذۡ﴾ **بدل** من "حاجَّ" ﴿قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ﴾ لإبراهيم لما قال له نمروذ: **من ربك** الذي تدعونا إليه؟ ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ أي يخلق الحياة والموت في الأجساد ﴿قَالَ﴾ هو ﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ﴾ بالقتل والعفو عنه، ودعا برجلين فقتل أحدهما وترك الآخر، فلما رآه غبياً، ﴿قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ﴾ منتقلاً إلى حجة أوضح منها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا﴾ أنت ﴿مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ﴾ تحيَّر ودَهشَ، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٥٨﴾ بالكفر إلى **مَحجَّة** الاحتجاج.

أو في كل: عطف على قوله: "إما في مقابلة إلخ" (تفسير الكمالين) **ألم تر إلى:** قال المفسر في "الإكليل": هذه الآية أصل في علوم الجدل والمناظرة. قال العلماء: ولما وصف إبراهيم ربه بما هو صفة له من الإحياء والإماتة، لكنه أمر له حقيقة ومجاز، وقصد الخليل الحقيقة، فراغ نمروذ إلى المجاز تمويها على قومه حيث قتل نفسا وأطلق نفسا، فسلم له إبراهيم بتسليم الجدل، فانتقل معه في المثال، وجاءه بأمر لا مجاز فيه، فبهت وانقطع، ولم يمكنه أن يقول: أنا الآتي بها من المشرق، لأن ذوي الأسنان يكذبونه، وقال الكياالهراسي: في الآية جواز المحاجة في الدين، وتسمية الكافر ملكا.

بطره بنعمة: أي الطغيان عند النعمة وطول الغنى. **وهو نمروذ:** أي ابن كنعان وكان ابن زنا، وهو أول من وضع التاج على رأسه، وتجبر في الأرض، وادعى الربوبية، وملك الأرض كلها، وجملة من ملكها كلها أربعة: اثنان مؤمنان، واثنان كافران، فالمؤمنان: سليمان وذو القرنين، والكافران: نمروذ وبخت نصر، "تفسير الخازن". (حاشية الجمل) **بدل إلخ:** يريد أن الظرف مع متعلقه، وهو "قال أنا أحيي وأميت" بدل من "حاج". (تفسير الكمالين)

من ربك: روي أنه عليه السلام لما كسر الأصنام سجنه، ثم أخرجه فقال: من ربك الذي تدعونا إليه؟ قال: ربي الذي يحيي ويميت. (تفسير أبي السعود) **فبهت الذي كفر:** هذا الفعل من جملة الأفعال التي جاءت على صورة المبني للمفعول، والمعنى فيها على البناء للفاعل، فلذلك فسر الشارح بقوله: أي تحير ودهش، "فالذي كفر" فاعل لا نائب فاعل. (حاشية الجمل)

محجة: المحجة بفتح الميم والحاء المشددة: الطريق الواسع، فالمراد به ههنا أي إلى طريق الاستدلال. (تفسير الكمالين)

أَوْ **رأيت** كَٱلَّذِى الكاف زائدة مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ هي بيت المقدس راكباً على حمار ومعه **سلة** تين وقدح عصير، وهو **عزير** عليه السلام وَهِىَ خَاوِيَةٌ ساقطة عَلَىٰ عُرُوشِهَا **سقوفها** لما خرَّبها بخت نصر، قَالَ أَنَّىٰ كيف يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ استعظاماً لقدرة الله تعالى فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ **وألبثه** مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ أحياه ليريه كيفية ذلك قَالَ تعالى له: كَمْ لَبِثْتَ ۖ مكثت هنا؟ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ لأنه نام أول النهار فقُبِضَ وأُحيي عند الغروب فظن أنه يوم النوم قَالَ بَل (بمعنى بل للإضراب) لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ التين وَشَرَابِكَ الْعَصِير لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ يتغير مع طول الـــزمان، و**"الهاء"** قيل: أصل من **"سانَهْتُ"** ....

رأيت: يشير إلى أنه معطوف بتقدير الفعل على جملة "ألم تر"، فهو من عطف الجملة على الجملة، وإنما قدر "أرأيت"؛ لأن معنى "ألم تر" أرأيت؛ لأن "لم" يجعل المضارع بمعنى الماضي، وأنها لم يجعله عطفا على "الذي حاج" حتى يستغني عن التقدير؛ لامتناع دخول "إلى" على الكاف. (تفسير الكمالين) **ومعه سلة:** [بكسر السين وبشد اللام وعاء معروف.] السلة بالفتح: وعاء تحمل فيه الفاكهة، كذا في "المصباح". وقوله: "تين" فاكهة مشهورة. وقوله: "عصير" ما تحلب من الشيء المعصور. وقوله: "عزير" وهو ابن شرخيا، كذا في "تفسير أبي السعود".

عزير: أو أرميا من سبط هارون، أو هو الخضر أو حزقيل. (تفسير الكمالين) **سقوفها:** بأن سقط السقف أولا، ثم سقط الجدران عليه لما خربها بخت نصر عند قتلهم شعيا، وكان ذلك قبل مولد عيسى ويحي بأزيد من أربع مائة سنة. (تفسير الكمالين) **وألبثه:** قدر ذلك؛ لأن الإماتة لا يصح بأن يكون مقدرا بالساعات فضلا عن الأعوام؛ لأنها إخراج الروح، وهو يقع في أدنى زمان. (تفسير الكمالين)

كم لبثت: منصوبة على الظرفية، ومميزها محذوف، تقديره: "كم يوما أو وقتا"، والناصب له "لبثت"، والجملة في محل نصب بالقول. **يوما أو بعض يوم:** وفي التفسير: إن إماتته كانت في أول النهار، فقال: "يوما" ثم لما نظر إلى ضوء الشمس باقيا على رؤوس الجدران فقال: "أو بعض يوم". (التفسير الكبير)

والهاء إلخ: أي الهاء في "لم يتسنه" إن كانت أصلية، فهو من السنة التي أصلها "سنة" بدليل أنه يقال في تصغيرها: سنيهة، ويقال: سانهت النخلة بمعنى آدمت، وإن كانت هاء سكت فهو من السنة التي أصلها سنوة، واستعمال "لم يتسنه" في معنى "لم يتغير" من قبيل استعمال اللفظ في لازم معناه؛ لأن المعنى الأصلي لقولنا: "تسنه أو تسنى" مرت عليه السنون والأعوام، ويلزمه التغير. روح البيان. وإنما أفرد الضمير؛ لأن الطعام والشراب كالجنس الواحد، من "البيضاوي". **سانهت:** عاملت فلانا السنة، على هذا هاء أصلية أصله سنة. (تفسير الكمالين)

وقيل: للسكت من "سَانَيتُ"، وفي قراءة **بحذفها** وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ كيف هو؟ فرآه ميتاً وعظامه بيض **تلوح**، فعلنا ذلك لتعلم وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةً على البعث لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ من حمارك كَيۡفَ نُنشِزُهَا **نحييها** بضم النون، وقرئ بفتحها **من "أنشز" و"نشز"** لغتان، وفي قراءة بضمها والزاي نُحَرِّكُها ونَرْفَعُها ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ **فنظر إليها** وقد تركبت وكسيت لحما ونفخ فيه الروح **ونهق**،..................

حمزة والكسائي / في الشواذ / لف ونشر مرتب / بمعنى واحد / لأهل الكوفة

بحذفها: أي لم يتسن بحذف الهاء في الوصل. **تلوح:** أي تلمع مع طول الزمان عليها.

ولنجعلك إلخ: معطوف على محذوف قدره الشارح بقوله: "لتعلم كيفية إحياء الأموات، أو لتعلم تمام قدرتنا على إحياء الموتى وغيره"، وهذا المعطوف عليه المحذوف متعلق بفعل آخر محذوف دل عليه السياق، وهو ما ذكره المفسر بقوله: "فعلنا ذلك". (حاشية الجمل) **كيف ننشزها:** [من أنشز الله الموتى أي أحياها. (تفسير الكمالين)] أي كيف نحييها، يعني أريد بالإنشاز الإحياء اللازم له، أو يراد به الحقيقة أي نحركها ونرفعها، وفي قراءة: "كيف ننشرها" أي بالراء من أنشر الله الموتى أي أحياه، وهو قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو ويعقوب.

نحييها: هذا التفسير لا يتم مع قوله: "ثم نكسوها لحما"، فإن الإحياء بعده لا قبله، ولكن أن يراد بالإحياء جمعها، وضم بعضها إلى بعض الذي هو معنى قراءة الزاي المعجمة. (حاشية الجمل) **من أنشز ونشز:** لغتان بمعنى واحد، وهو الارتفاع، يقال: أنشزته فنشز أي رفعته فارتفع. (التفسير الكبير). وفي بعض النسخ: من أنشر ونشر، وهما أيضا بمعنى واحد وهو الإحياء، يقال: أنشر الله الميت ونشره، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ (عبس:٢٢). كما في "الكبير".

ثم نكسوها: أي نسترها به، كما يستر الجسد باللباس. (تفسير أبي السعود) **فنظر إليها:** قال السدي: فترفت عظام حمار حوله يمينا وشمالا، فنظر إليها، وهي تلوح من بياضها، فبعث الله ريحا فجمعت، ثم ركبت كل عظم في موضعه، حتى صار قائما من عظام لا لحم عليها، ثم كساه الله لحما وعصبا وعروقا وجلدا، وبعث ملكا، فنفخ في منخريه، فنهق بإذن الله تعالى. (تفسير الكمالين)

ونهق: أي صوّت، نهاق الحمار: صوته، كذا في "المختار". وروي أنه سمع صوتا من السماء: أيتها لعظام البالية المتفرقة! إن الله يأمرك أن ينضم بعضك إلى بعض كما كان، وتكسي لحما وجلدا، فالتصق كل عظم بآخر على وجه الذي كان عليه أولا، وارتبط بعضها ببعض بأعصاب وعروق، ثم انبسط اللحم عليه، ثم انبسط الجلد عليه، ثم خرجت الشعور من الجلد، ثم نفخ فيه الروح، فإذا هو قائم ينهق، كما في "روح البيان".

فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ ذلك بالمشاهدة قَالَ أَعْلَمُ علم مشاهدة أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ كيفية إحياء الموتى
وفي قراءة: "اعْلَمْ" أمْرٌ من الله له. وَ اذكر إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ حمزة والكسائي بزنة الأمر أو هو خاطب نفسه
قَالَ تعالى له أَوَلَمْ تُؤْمِن بقدرتي على الإحياء؟ سأله مع علمه بإيمانه بذلك ليجيب بما وفي نسخة: ليجيبه
قال له فيعلم السامعون غرضه قَالَ بَلَىٰ آمنت وَلَٰكِن سألتك لِّيَطْمَئِنَّ يسكن قَلْبِى ..... وفي نسخة: سأله

فلما تبين له: الفاء عاطفة على مقدر يستدعيه المقام، كأنه قيل: فأنشزها الله تعالى، وكساها لحما، فنظر إليها، فتبين له كيفية الإحياء، "فلما تبين له ذلك" أي اتضح اتضاحا تاما، من "تفسير أبي السعود".

قال أعلم إلخ: [أي بعد العلم اليقيني الحاصل بالفطرة والأدلة العقلية (حاشية الجمل)] روي: أن العزير لما أحيي ورأسه ولحيته إذ ذاك سوداوان، وهو ابن أربعين سنة ركب حمارا، وأتى محلته، فأنكره الناس، وأنكر هو الناس والمنازل، فانطلق على وهم منه، حتى أتى منزله، فإذا هو بعجوز عمياء مقعدة، قد أدركت زمن عزير، فقال لها عزير: يا هذه، هذا منزل عزير؟ قالت: نعم، وأين ذكرى عزير، قد فقدناه منذ كذا وكذا، فبكت بكاءا شديدا، قال: فإني عزير، قالت: سبحان الله، أنى يكون ذلك؟ قال: قد أماتني الله مائة عام ثم بعثني، قالت: إن عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوات، فادع الله لي أن يرد علي بصري حتى أراك، فدعا ربه، ومسح بيده عينيها فصحتا، فأخذ بيدها، فقال لها: قومي بإذن الله، فقامت صحيحة كأنما نشطت من عقال، فنظرت إليه فقالت: أشهد أنك عزير، فانطلقت إلى محلة بني إسرائيل وهم في أنديتهم، وكان في المجلس ابن لعزير، قد بلغ مائة وثماني عشرة سنة، وبنو بنيه شيوخ، فنادت: هذا عزير قد جاءكم، فكذبوها، فقالت: انظروا فإني بدعائه رجعت إلى هذه الحالة، فنهض الناس فأقبلوا إليه، فقال ابنه: كان لأبي شامة سوداء بين كتفيه مثل الهلال، فكشف فإذا هو كذلك، وقد كان قتل بخت نصر ببيت المقدس من قراء التوراة أربعين ألف رجل، ولم يكن يومئذ بينهم نسخة من التوراة، ولا أحد يعرف التوراة، فقرأها عليهم عن ظهر قلبه من غير أن يخل منها بحرف، فقال رجل من أولاد المسبيين ممن ورد بيت المقدس بعد مهلك بخت نصر: حدثني أبي عن جدي: أنه دفن التوراة يوم سبينا في خابية في كرم، فإن أريتموني كرم جدي أخرجتها لك فذهبوا إلى كرم جده، ففتشوا، فوجدوها فعارضوها بما أملى عليهم عزير عمن ظهر القلب، فما اختلفا في حرف واحد، فعند ذلك قالوا: هو ابن الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. (أبو السعود)

آمنت: قدره إشارة إلى أن قوله: "ولكن ليطمئن قلبي" مرتب عليه، وهناك محذوف آخر، تقديره: "وليس سؤالي لعدم إيمان مني، ولكن إلخ". **ليطمئن:** قال مجاهد والنخعي: أي لأزداد إيمانا مع إيماني، وأورد هذه الصورة في باب التحقيق. (الإكليل)

بالمعاينة **المضمومة** إلى الاستدلال ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ بكسر الصاد لحمزة ويعقوب وضمها **أملهن** إليك، وقطعهن، واخلط لحمهن وريشهن ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ﴾ من جبال أرضك ﴿مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ﴾ إليك ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ **سريعا** ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمٌ ۝٢٦٠﴾ في صنعه فأخذ **طاؤوسا** ونسرا وغرابا وديكا وفعل بهن ما ذكر وأمسك رؤوسهن عنده ودعاهن فتطايرت الأجزاء إلى بعضها حتى تكاملت ثم أقبلت إلى رؤوسها.

(ما يكسو الطائر) (طائر حاد البصر)

المضمومة: أي ليطمئن قلبي عيانا كما اطمأن برهانا، فبالمشاهدة يحصل اطمئنان لا يكون مع العلم اليقيني لما فيه من الإحساس الذي قلما يقع فيه شك. (كرخي) **قال:** وناهيك بالقصة دليلا على فضل الخليل وحسن الأدب في السؤال حيث أراه ما سأل في الحال وأرى العزير ما أراه بعد إماتة مائة عام. (تفسير أبي السعود) **فخذ:** الفاء جواب شرط محذوف أي إن أرادت ذلك فخذ. (كرخي)

أربعة من الطير: أي طاؤوسا وديكا وغرابا وحمامة وقيل: نسرا، كما سيأتي من الشارح أيضا، وفيه إيماء إلى أن إحياء النفس بالحياة الأبدية إنما يتأتى بإماتة حب الشهوات والزخارف التي هي صفة الطاؤوس، والصولة المشهور بها الديك، وخسة النفس وبعد الأمل المتصف بهما الغراب، والترفع والمسارعة إلى الهوى الموسوم بهما الحمام، وإنما خص الطير؛ لأنه أقرب إلى الإنسان وأجمع لخواص الحيوان. (البيضاوي) **أمهلن:** تفسير للفعل على كل من القراءتين. (حاشية الجمل) **ضمها:** للباقين من صاره يصوره.

سريعا: مصدر في موضع الحال، أي ساعيات مسرعات في طيرانهن، أو في مشيهن على أرجلهن. وإنما أمره بضمها إلى نفسه بعد أخذها؛ ليتأملها ويعرف أشكالها وهيئاتها وحلاها؛ لئلا يلتبس عليه بعد الإحياء، ولا يتوهم أنها غير ذلك، وروي أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها، ويفرق أجزاءها، ويخلط ريشها ودماءها ولحومها، وأن يمسك رؤوسها، ثم أمر أن يجعل أجزاءها على الجبال، على كل جبل ربعا من كل طائر، ثم يصيح بها: "تعالين بإذن الله تعالى"، فجعل كل جزء يطير إلى الآخر، حتى صارت جثثا، ثم أقبلن، فانضممن إلى رؤوسهن، كل جثة إلى رأسها. (تفسير المدارك)

طاؤوسا إلخ: الحكمة في اختيار هذه الطيور الأربعة شبهها بالإنسان؛ فإن في الطاؤوس الخيلاء والعجب، وفي النسر: شهوة الأكل والشرب، وفي الغراب الحرص، وفي الديك شهوة النكاح، وذلك كله في الإنسان. وفي الاقتصار عليها إشارة إلى أن الإنسان إذا ترك هذه الشهوات الذميمة لحق بأعلى الدرجات.

مَثَلُ صفة نفقات ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أي طاعته كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ فكذلك نفقاتهم تتضاعَف بسبعمائة ضعف وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ أكثر من ذلك لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ فضله عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ بمن يستحق المضاعفة. ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا على المنفق عليه بقولهم مثلاً: قد أحسنت إليه وجبرت حاله وَلَآ أَذًى له بذكر ذلك إلى من لا يحب وقوفه عليه ونحو ذلك لَّهُمْ أَجْرُهُمْ ثواب إنفاقهم عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ من بخس الأجر وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ من فوت ﴿٢٦٢﴾ في الآخرة. قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ تفسير لقول كلام حسن تفسير لمعروف وردٌّ على السائل جميل وَمَغْفِرَةٌ له في إلحاحه مبالغة في السؤال

مثل إلخ: لما برهن على قدرته على الإحياء حث على الإنفاق في سبيل الله، فله في نفقته أجر عظيم، وهو قادر عليه، فقال: "مثل الذين إلخ". (تفسير المدارك) **صفة نفقات:** أي قدر في الكلام حذف؛ لأن الذين ينفقون لا يشبهون الحبة؛ لأنه لا يشبه الحيوان بالجماد، بل نفقاتهم تشبه الحبة. (روح البيان)

طاعته: وهذا يعم الجهاد والحج كذا روي عن ابن عباس. (تفسير الكمالين) **أنبتت:** المنبت هو الله، ولكن الحبة لما كانت سببا أسند إليها الإنبات، كما يسند إلى الأرض وإلى الماء، ومعنى إنباتها سبع سنابل: أن تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب، لكل واحدة سنبلة. وهذا التمثيل تصوير للأضعاف، كأنها ماثلة بين عيني الناظر أن التمثيل يصح وإن لم يوجد على سبيل الفرض، والتقدير: "ووضع سنابل موضع سنبلات" كوضع قروء موضع أقراء. (تفسير المدارك) **سنبلة:** فنعلة بضم الفاء والعين، والسنبل مثله. (حاشية الجمل) **لمن يشاء:** أي لا لكل منفق؛ لتفاوت أحوال المنفقين أو يزيد على سبع مائة لمن يشاء. (تفسير المدارك)

الذين ينفقون إلخ: نزلت هذه الآية في حق عثمان بن عفان وعبد الرحمان بن عوف في غزوة تبوك، حيث جهز عثمان ألف بعير، وأتى عبد الرحمن ألف دينار. **ثم:** ومعنى "ثم" إظهار التفاوت بين الإنفاق، وترك المن والأذى، وأن تركهما خير من نفس الإنفاق، كما جعل الاستقامة على الإيمان خيرا من الدخول فيه بقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ (فصلت:٣٠). (تفسير المدارك) **وجبرت:** الجبر: الإحسان. **لهم أجرهم:** وإنما قال هنا: "لهم أجرهم" وفيما بعد: "فلهم أجرهم"؛ لأن الموصول هنا لم يضمن معنى الشرط وضمنه ثم. (تفسير المدارك)

ومغفرة له: أي تستر لما وقع من السائل من الإلحاح في المسألة، وغيره مما يثقل على المسؤول، وصفح عنه. (تفسير أبي السعود) وقوله: "في إلحاحه" يقال: ألح في السؤال أي بالغ.

﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ بالمن **وتعيير** له بالسؤال ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن صدقة العباد ﴿حَلِيمٌ ۝٢٦٣﴾ **بتأخير العقوبة** عن **المانّ** والمؤذي. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم﴾ أي أجورها ﴿بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ إبطالاً ﴿كَٱلَّذِى﴾ أي **كإبطال** نفقة الذي ﴿يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ مفعول له مرائياً لهم ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ وهو المنافق ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ في الإنفاق ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ ....

خير من: وصح الإخبار عن المبتدأ النكرة؛ كذا لاختصاصه بالصفة. (تفسير المدارك) **وتعيير:** [بالجر عطف على المن. (تفسير المدارك)] التعيير تقبيح الفعل والنسبة إلى العار. (الصراح) **بتأخير العقوبة:** و هذا وعيد له، ثم أكد ذلك بقوله: "يا أيها الذي إلخ". (تفسير المدارك) **المان:** بتشديد النون اسم فاعل من المن. (تفسير الكمالين)

يا أيها الذين إلخ: قال النووي في "شرح المهذب": يحرم المن بالصدقة، فلو من بطل بها ثوابه للآية. واستشكل ذلك ابن عطية بأن العقيدة أن السيئات لا تبطل الحسنات، وقال غيره: تمسك المعتزلة بهذه الآية في أصلهم: أن السيئة تبطل الحسنة، واستنبط العالم العراقي من هذه الآية دليلا لقاعدة أن المانع الطارئ كالمقارن؛ لأنه تعالى جعل طريان المن والأذى بعد الصدقة كمقارنة الرياء في الابتداء.

قال: ثم إن الله ضرب مثالين: أحدهما: للمقارن المبطل في الابتداء بقوله: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾، فهذا فيه أن الوابل الذي نزل قارنه الصفوان، وهو الحجر الصلد، وعليه التراب اليسير، فأذهبه الوابل، فلم يبق محل يقبل النبات وينتفع بهذا الوابل، فكذلك الرياء وعدم الإيمان إذا قارن إنفاق المال، والثاني: الطارئ في الدوام، وأنه يفسد الشيء من أصله بقوله: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾ (البقرة:٢٦٦) فمعناها: أن هذه الجنة كما تعطل النفع بها بالاحتراق عند كبر صاحبها وضعفه وضعف ذريته، وهو أحوج ما يكون إليها، فكذلك طريان المن والأذى يحبطان أجر المتصدق أحوج ما يكون إليه يوم فقره وفاقته. (الإكليل للمفسر)

كإبطال: يشير إلى أن الكاف في محل النصب على المصدر وحذف المضافين بعده. (تفسير الكمالين)

فمثله إلخ: مبتدأ وخبر، قال أبو البقاء: ودخلت الفاء لترتبط الجملة بما قبلها، وقد تقدم مثله، فالهاء في "فمثله" فيها قولان، أظهرها: أنها تعود على الذي ينفق رئاء الناس؛ لأنه أقرب مذكور، والثاني: أنها تعود على المان المعطي، كأنه تعالى شبهه بشيئين: بالذي ينفق رئاء وبصفوان عليه تراب، ويكون قد عدل من خطاب إلى غيبة، ومن جمع إلى فرد، والصفوان: حجر كبير أملس، وفيه لغتان أشهرهما: سكون الفاء، والثانية: فتحها، و بها قرأ ابن المسيب والزهري، وهي شاذة. (تفسير السمين) وهو اسم جنس واحده صفوانة، شيخنا. (حاشية الجمل)

كمثل: الكاف في محل النصب على الحال أي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق. (تفسير المدارك)

حجر أملس عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ مطر شديد فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا صلباً أملس **لا شيء عليه** لَّا يَقْدِرُونَ استئناف لبيان مثل المنافق المنفق رياء، وجُمعَ الضمير باعتبار معنى "الذي" عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا عملوا أي لا يجدون له ثواباً في الآخرة، كما لا يوجد على الصفوان شيء من التراب الذي كان عليه؛ لإذهاب المطر له وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ نفقات ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ طلب مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ أي تحقيقاً للثواب عليه، بخلاف المنافقين الذين لا يرجونه؛ لإنكارهم له، و"من" **ابتدائية** كَمَثَلِ جَنَّةٍ بستان بِرَبْوَةٍ بضم الراء وفتحها، مكان مرتفع مستو أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أعطت أُكُلَهَا بضم الكاف وسكونها ثمرها ضِعْفَيْنِ مثلي ما يثمر غيرها فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ مطر خفيف يصيبها ويكفيها لارتفاعها، المعنى: تثمر وتزكو كَثُر المطر أم قل، فكذلك نفقات من ذكر تزكو عند الله **كَثُرَت أم قلت**، وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ فيجازيكم به..............................

(يعني ضمير يقدرون) (لعاصم وابن عامر) (للأكثر) (من رياء وإخلاص)

حجر أملس: أملس: لين الملمس، ضد الخشونة. **لا شيء عليه:** يعني من التراب، فكذلك نفقة المرائي والمشرك لا يبقى له ثواب، وجمع في قوله: "لا يقدرون" باعتبار معنى "الذي"، وأفرد في قوله: "ينفق" باعتبار لفظه، أو باعتبار الجنس، أو الفريق. (تفسير الكمالين)

لا يهدي: أي ما داموا مختارين الكفر. (تفسير المدارك) **من أنفسهم:** أي تحقيقا للجزاء من أصل أنفسهم؛ لأنه إذا أنفق المسلم ماله في سبيل الله علم أن تصديقه وإيمانه بالثواب من أصل نفسه، ومن إخلاص قلبه. (تفسير المدارك)

ومن ابتدائية: فالمعنى أن التحقيق والاعتقاد المذكور مبتدئ ناشئ من قبل أنفسهم لا من جهة أخرى. (حاشية الجمل) **فآتت:** مفعوله الأول محذوف أي صاحبها، و"ضعفين" حال من "أكلها".

فطل: مبتدأ محذوف الخبر، كما قرره بقوله: "يصيبها ويكفيها". **كثرت أم قلت:** أي فحيث حسن باطنه بالإخلاص، فقليل عمله ككثيره في رضا الله عنه، قال العارف:

وبعد الفنا في الله كن كيف ما تشأ   فعلمك لا جهل وفعلك لا وزر

أَيَوَدُّ أيحب أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ بستان مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن
الهمزة للإنكار
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا ثمر مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَ قد أَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ فضعف عن الكسب
لكبر السن
وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ أولاد صغار لا يقدرون عليه فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ ريح شديدة فِيهِ نَارٌ
فَٱحْتَرَقَتْ ففقدها أحوج ما كان إليها، وبقي هو وأولاده عجزة متحيرين لا حيلة
لهم، وهذا تمثيل لنفقة المرائي والمانّ في ذهابها وعدم نفعها أحوج ما يكون إليها في
الآخرة، والاستفهام بمعنى النفي. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هو لرجل عمل بالطاعات ثم
رواه البخاري
بُعث له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله ....
سلط عليه

أيود أحدكم: شروع في ذكر مثال آخر للمرائي والمان، والاستفهام إنكاري بمعنى النفي، ومصبه قوله: "فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ" وقوله: "أيحب" تفسير لـ"يود"، فالمودة هي المحبة لكن مع تمني اللقاء. (حاشية الصاوي)
جنة إلخ: تقدم أنها تطلق على الأشجار، وعلى الأرض المشتملة عليها، والأول أنسب بقوله: "تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ" فقوله: "جنة" أي فيها جميع الفواكه بدليل قوله: "فيها من كل الثمرات" وإنما اقتصر في وصفها على النخيل والأعناب؛ لكونهما أفضل الفواكه، وجامعين لفنون المنافع. (حاشية الجمل)
من نخيل: اسم جنس جمعي واحده نخلة، ولا يكون إلا الشجر البلح. والأعناب جمع عنبة، اسم للكرم المعلوم، وخصهما؛ لعظم منافعهما ومزيد فضلهما على سائر الأشجار، وإلا فالمراد في الآية جميع الثمار بدليل باقي الآية. (حاشية الصاوي) **ثمر إلخ:** أشار بذلك إلى أن "من كل الثمرات" جار ومجرور متعلق بمحذوف، صفة لموصوف محذوف على حد "منا ظعن، ومنا أقام" أي منا فريق ظعن، ومنا فريق أقام، وكقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ (الصافات:١٦٤) أي ما منا أحد، وقوله: "له" متعلق بمحذوف خبر لثمر المقدر، وقوله: "فيها" متعلق بمحذوف حال من ضمير الخبر. (حاشية الصاوي)
وقد أصابه الكبر إلخ: يشير إلى أن الواو للحال حملا على المعنى، كما قاله القاضي وإنما قال: حملا على المعنى؛ لأن "أن" المصدرية وإن كانت صالحة للدخول على الماضي، مثل: "عجبت من أن قام"، لكنها إذا نصبت المضارع كانت للاستقبال قطعا فلم تصلح للماضي، فلم يصح عطف "أصاب" على "تكون"، فأجاب بأن الواو في "وأصابه" للحال بتقدير "قد". (حاشية الجمل) **فأصابها إلخ:** هذا هو مصب الاستفهام؛ لأن هذا هو موضع المصيبة. (حاشية الصاوي)
ريح شديدة: أي عاصفة تستدير في الأرض، ثم تنعكس منها ساطعة إلى السماء على هيئة العمود.

كَذَٰلِكَ كما بيّن **ما ذكر** يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ فتعتبرون. يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ **أَنفِقُواْ** أي زكوا مِن طَيِّبَٰتِ جياد مَا كَسَبْتُمْ من المال وَ مِن **طيبات** مِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ **من الحبوب** والثمار وَلَا تَيَمَّمُواْ تقصدوا ٱلْخَبِيثَ الرديء مِنْهُ أي من المذكور تُنفِقُونَ في الزكاة، **حال** من ضمير "تيمموا" وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ أي الخبيث لو أعطيتموه في حقوقكم إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ **بالتساهل** وغض البصر فكيف تؤدون منه حق الله؟ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عن نفقاتكم حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ محمود على كل حال. ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ (أن تفتقروا) يخوّفكم به إن تصدّقتم..........

ما ذكر: أي من نفقة المخلص بقوله: "مثل الذين"، ونفقة المرائي والمان بقوله: "فمثله كمثل صفوان" إلخ. (حاشية الصاوي) **يبين الله:** أي فلم يكلفكم إلا بعد البيان. **أنفقوا:** هذا نتيجة ما قبله فبين أولا الإخلاص في الإنفاق، وبين هنا الإخلاص في الشيء المنفق. (حاشية الصاوي)

ومن طيبات: ظاهر الآية أن جميع ما خرج من الأرض يجب فيه الزكاة، ولكن تفصيل ذلك موكول للسنة، فأوجب الشافعي الزكاة في ما كان مقتاتا للآدمي حالة الاختيار إذا بلغ ذلك خمسة أوسق، ففيه إن سقي بآلة نصف العشر ولغيرها العشر، وأبقاها أبو حنيفة على ظاهرها، فأوجب الزكاة في جميع ما يخرج من الأرض من مأكولات الآدمي، كالفواكه والخضراوات، وأوجب في ذلك العشر قليلا أو كثيرا. (حاشية الصاوي)

من الحبوب: وفيه دليل وجوب الزكاة في أموال التجارة. **حال:** أي حال مقدرة أي مقدرين النفقة. (تفسير الكمالين)

ولستم بآخذيه: [أي وحالكم لا تأخذونه في حقوقكم] هذا احتجاج على من أدى الزكاة من الرديء، وامتنع من إعطائها من الطيب، وقد نزلت في الأنصار. عن البراء بن عازب قال: نزلت فينا معاشر الأنصار، كنا أصحاب نخل فكان الرجل يأتي بالقنو والقنوين، فيعلقه بالمسجد، وكان أهل الصفة ليس لهم طعام، فكان أحدهم إذا جاع أتى القنو فيأكله، وكان فينا من لا يرغب في الخير، فنزلت و"لا تيمموا إلخ".

إلا أن تغمضوا فيه: الأصل "إلا بأن"، فحذف حرف الجر وهو الباء متعلقة بقوله: "بآخذيه"، وأجاز أبو البقاء أن تكون "أن" وما في حيزها في محل نصب على الحال والعامل فيها "آخذيه" والمعنى: "لستم بآخذيه في حال من الأحوال إلا في حال الإغماض". (حاشية الجمل) **بالتساهل:** وغض البصر وذلك بأنه لو كان لكم على آخر حق فجاء برديء ماله بدل حقكم الطيب، لا تأخذونه إلا في حال الإغماض والتساهل مخافة فوت حقكم أو لاحتياجكم إليه. (روح البيان) **يعدكم الفقر:** الوعد يستعمل في الخير والشر. (تفسير المدارك)

فتمسكوا ﴿وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ البخل ومنع الزكاة ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم﴾ على الإنفاق ﴿مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ لذنوبكم ﴿وَفَضْلًا﴾ رزقاً **خلفاً منه** ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ فضله ﴿عَلِيمٌ (٢٦٨)﴾ بالمنفق. ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾ **العلم النافع** المؤدي إلى العمل ﴿مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ لمصيره إلى السعادة الأبدية ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال يتعظ ﴿إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٦٩)﴾ **أصحاب العقول**. ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ أدّيتم من **زكاة أو صدقة** ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ **فوفيتم به** ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ **فيجازيكم عليه** ....

فتمسكوا: لو أثبت الشارح النون في الفعل لكان أوضح، ويكون متسببا عن قوله: "يعدكم الفقر". (حاشية الجمل) **بالفحشاء:** قال بعضهم: الفحشاء في القرآن جميعه معناها: الزنا، إلا هذه فمعناها البخل. **خلفا منه:** أي من الله تعالى، أو مما أنفقتم زائد عليه في الدنيا. **الحكمة إلخ:** اختلف العلماء في الحكمة، فقال السدي: هو النبوة، وابن عباس: هي المعرفة بالقرآن: فقهه ونسخه، ومحكمه ومتشابهه، وغريبه، ومقدمه ومؤخره. وقال قتادة ومجاهد: الحكمة الفقه في القرآن. وقال مجاهد: الإصابة في القول والفعل، وقال ابن زيد: الحكمة الفقه في الدين، وقال مالك بن أنس: الحكمة المعرفة بدين الله والفقه فيه والاتباع له. وروى عنه ابن القاسم أنه قال: الحكمة التفكر في أمر الله تعالى والاتباع له. وقال أيضا: الحكمة طاعة الله تعالى والفقه في الدين.

العلم النافع إلخ: صادق بعلم القرآن والفقه وغيرهما، ولو منطقا لمن وثق من نفسه بصحة ذهنه، ومارس الكتاب والسنة ولقي شيخا حسن العقيدة؛ لأنه من أنفع العلوم في كل بحث، ومن ثم قال الغزالي: "من لم يعرف المنطق لم يوثق بعلومه"، وسماه معيار العلوم، وفيه جمع بين القول بحرمة الاشتغال به لإثارته الشكوك كما قاله المصنف في بعض تأليفاته، وبين القول بجوازه. (حاشية الجمل) **أصحاب العقول:** أي السليمة الخالصة عن شوائب الوهم، والركون إلى متابعة الهوى، وفيه من التغيب في المحافظة على الأحكام الواردة في شأن الإنفاق ما لا يخفى، والجملة إما حال وإما اعتراض تذييلي. (حاشية الجمل)

زكاة أو صدقة: أي فرض ونفل، وعمم الزمخشري النفقة في حق أو باطل. **أو نذرتم:** النذر في الشرع التزام بر له نظير في الشرع، ولهذا لو نذر سجدة مفردة لا يصح إلا أن تكون لتلاوة عند أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله. (روح البيان) **فوفيتم به:** أشار بذلك إلى أن في الآية حذف العاطف والمعطوف؛ لأن المجازاة لا تترتب إلا على الوفاء بالنذر، لا على نفس النذر. (حاشية الصاوي) **يعلمه إلخ:** أفردوا الضمير لكون العطف بـ"أو"، وقوله: "فيجازيكم عليه" أي فالتعبير بالعلم كناية عن هذا المعنى، وإلا فهو معلوم. (حاشية الجمل) **فيجازيكم عليه:** يعني إثبات العلم كناية عن الجزاء فهو معلوم.

وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ بمنع الزكاة والنذر أو بوضع الإنفاق في غير محله من معاصي الله مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ مانعين لهم من عذابه. **إِن تُبْدُوا** تظهروا **ٱلصَّدَقَٰتِ أي النوافل** فَنِعِمَّا هِيَ أي نعم شيئاً **إبداؤها** وَإِن تُخْفُوهَا تسروها وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ من إبدائها وإيتائها الأغنياء، أما **صدقة الفرض** فالأفضل إظهارها ليُقتدى به ولئلا يتهم، وإيتاؤها الفقراء متعين، وَيُكَفِّرُ بالـــياء وبالنون، مجزوماً **بالعطف** على محل "فهو" ومرفوعاً على الاستئناف، عَنكُم مِّن **بعض** سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ عالم بباطنه كظاهره، **لا يخفى عليه شيء** منه. **ولما منع** ﷺ من التصدُّق **على المشركين** ......

لابن عامر وحفص للباقين لحمزة ونافع والكسائي

إن تبدوا الصدقات: لما تقدم فضل الصدقة، كأن قائلا يقول: هل هذا الفضل مخصوص بمن أسرها، أو بمن أعلنها؟ فأجاب بذلك، وحذف من هنا شيئا أثبت نظيره في الآخر، تقديره: إن تبدوا الصدقات وتعطوها الأغنياء فنعما هي. (حاشية الصاوي) **أي النوافل:** أقول: أكثر المفسرين على أن هذه الآية في صدقات الفرض، والآية الثانية وهي قوله: ﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا﴾ (البقرة:٢٧١) إلخ في النفل، لكن يمكن تأويل قول الشارح أيضا بأن قوله: "فالأفضل إلخ"، اعتذار عن حمل الآية على النفل فقط؛ إذ لو كان المراد العموم لم يصح بالنسبة إلى الفرض أن يقال: وإن تخفوها، كما في "الجمل".

إبداؤها: يعني أن "هي" هو المخصوص بالمدح، لكن على حذف المضاف؛ ليحسن ارتباط الجزاء بالشرط، ويدل على هذا تذكير الضمير "فهو خير لكم" أي إخفاؤها. (تفسير الكمالين) **صدقة الفرض:** أقول هذا إذا كان المزكي ممن يعرف باليسار، وأما إذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان إخفاؤها أفضل، كما صرح به صاحب "روح البيان" والبيضاوي وغيره. وروي عن ابن عباس ﷺ: "صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا، وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا"، كما في "روح البيان" و"أبي السعود" وغيره. بالعطف إلخ: أي ما بعد الفاء مع بقية الجملة وهو الخبر الذي هو "خير" ومحلها جزم؛ لأنه جواب الشرط.

بعض: أشار بذلك إلى أن "من" للتبعيض؛ لأن الصدقات لا تكفر جميع السيئات بخلاف التوبة، فتكفر جميعها. **ولما منع:** أشار بذلك إلى سبب نزول الآية. **شيء منه:** أي من العمل سرا أو جهرا، فإسرار العمل لا يدل على الإخلاص، وإظهاره لا يدل على الرياء. (حاشية الصاوي) **على المشركين:** روى ابن أبي شيبة عن سعيد بن جبير مرسلا قال النبي ﷺ: "لا تصدقوا إلا على أهل دينكم"، فأنزل الله: "ليس عليك هداهم" إلى قوله: "وما تفعلوا من خير يوف إليكم"، فقال النبي ﷺ: "تصدقوا على أهل أديان كلها". (تفسير الكمالين)

ليسلموا نزل: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ أي الناس إلى الدخول في الإسلام إنما عليك البلاغ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ هدايته إلى الدخول فيه ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾ مال ﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ لأن ثوابه لها ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ أي ثوابه لا غيره من أعراض الدنيا **خبر بمعنى النهي** ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝٢٧٢﴾ تُنقصون منه شيئاً، **والجملتان** تأكيد للأولى. ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ **خبر مبتدأ** محذوف أي الصدقات ﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي حبسوا أنفسهم على الجهاد، ونزلت في **أهل الصُّفّة** وهم **أربع مائة** من المهاجرين أرصدوا (أعدوا) لتعليم القرآن والخروج **مع السرايا** ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا﴾ سفرا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ للتجارة والمعاش؛ لشغلهم عنه **بالجهاد** ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ﴾ بحالهم ﴿أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ ....

ليسلموا: متعلق بقوله "منع" أي منع رسول الله ﷺ عن التصدق على المشركين؛ كي تحملهم الحاجة على الدخول في الإسلام؛ لحرصه ﷺ على إسلامهم. **من خير:** أي ولو على كافر، ولكن هذا في غير صدقة الفرض. (كرخي)
خبر بمعنى النهي: أي لا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله، وحينئذ يحتاج العطف على سابقه إلى تأويل؛ لئلا يلزم عطف الإنشاء على الأخبار، بأن يجعل مستأنفة أيضا في معنى الطلب، أي أنفقوا ما ينفع لأنفسكم. (تفسير الكمالين)
والجملتان: أي قوله: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ وقوله: "للأولى" أي للشرطية الأولى، وهي: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾. (حاشية الجمل) **خبر مبتدأ إلخ:** والجملة جواب سؤال نشأ مما سبق، كأنهم لما أمروا بالصدقات قالوا: فلمن هي؟ فأجيبوا بأنها لهؤلاء، وفيه فائدة بيان مصرف الصدقات، وهذا اختيار ابن الأنباري. (حاشية الجمل)
أهل الصفة: رواه ابن المنذر عن ابن عباس ﷺ، وهي السقيفة كانوا يسكنون في السقيفة مقابل سقيفة المسجد إلى الشمال منه، وكانت القبلة قبل ذلك هنالك. (تفسير الكمالين) وقال الصاوي: الصفة هي محل في مؤخر المسجد النبوي، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالمراد كل من كان متصفا بأوصافهم فالصدقات تعطى له. **أربع مائة:** وذلك أكثر عدد ورد فيهم وكانوا يقلون من ذلك أحيانا. (تفسير الكمالين)
مع السرايا: السرية اسم طائفة بعثهم النبي ﷺ للجهاد. (تفسير الكمالين) **بالجهاد:** أي في طاعة الله إما بالغزو أو بتعلمهم القرآن. (حاشية الصاوي)

أي لتعففهم عن السؤال وتركه تَعۡرِفُهُم يا مخاطبا بِسِيمَٰهُمۡ علامتهم من التواضع وأثر الجهد لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ شيئاً فيُلحفون إِلۡحَافٗاۗ أي **لا سؤال لهم** أصلاً فلا يقع منهم إلحاف وهو الإلحاح المبالغة في السؤال وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ٢٧٣ فيجازيكم عليه. ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وفي نسخة فمجاز عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ أي **يأخذونه** وهو الزيادة في المعاملة بالنقود **والمطعومات في القَدْر أو الأجل**، لَا يَقُومُونَ **من قبورهم** إِلَّا قياماً..

أي لتعففهم: أشار به إلى أن "من" متعلقة بـ"يحسب" وهي للتعليل، لا بـ"أغنياء"؛ لعدم المعنى لأنهم متى ظنهم ظان قد استغنوا من تعففهم، علم أنهم فقراء من المال، فلا يكون جاهلا بحالهم. وجره بحرف التعليل هنا واجب؛ لفقد شرط من شروط النصب، وهو اتحاد الفاعل، وذلك أن فاعل الحسبان الجاهل، وفاعل التعفف هم الفقراء، (تفسير الكرخي) التعفف: تكلف العفة، والمراد هنا: ترك الشيء والإعراض عنه مع القدرة على تعاطيه.

لا سؤال لهم أصلا: جواب عن سؤال، وهو: أن هذا يفهم أنهم كانوا يسألون برفق مع أنه قال: ﴿يَحۡسَبُهُمُ الۡجَاهِلُ أَغۡنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾. وإيضاحه أن المراد نفي المقيد، والقيد جميعا على طريقة قوله:

على لاحب لا يهتدى مناره

أي لا منار ولا اهتداء، كما في "أبي السعود". **الذين ينفقون إلخ:** قيل: نزلت في أبي بكر ﷺ حين تصدق بأربعين ألف دينار: عشرة آلاف بالليل، ومثلها بالنهار، ومثلها سرا، ومثلها علانية. وقيل: في علي ﷺ، كانت معه أربعة درهم لم يملك غيرها، فتصدق بدرهم ليلا، وبآخر نهارا، وبآخر سرا، وبآخر علانية، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالمراد: بيان أجر ما أنفق على هذا الوجه، فلا خصوصية لأبي بكر ﷺ بذلك، ولا لعلي ﷺ. (حاشية الصاوي)

يأخذونه: يعني أكلوا أم لا، وإنما ذكر الأكل؛ لأنه أعظم منافع المال، ولأن الربا شائع في المطعومات. (تفسير الكمالين) **والمطعومات:** ولو غير مكيل كالفواكه، وعند أبي حنيفة رحمه الله: المكيل ولو لم يطعم كالجص. (تفسير الكمالين) **في القدر أو الأجل:** بدل من قوله: "في المعاملة"، وعند أبي حنيفة رحمه الله: الربا فضل في الكيل والوزن، ويجري في الأشياء الستة: الذهب والفضة، والحنطة والشعير، والتمر والملح، وغيرها. **من قبورهم:** وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن ذلك حين يبعث من قبره، رواه الطبري. (تفسير الكمالين)

كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ **يصرعه** ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ **الجنون، متعلق بـــ"يقومون"** ذَٰلِكَ الذي نزل بهم بِأَنَّهُمْ بسبب أنهم قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ في الجواز وهذا من **عكس التشبيه** مبالغة فقال تعالى رداً عليهم: وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ بلغه مَوْعِظَةٌ **وعظ** مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ عن أكله فَلَهُۥ مَا سَلَفَ قبل النهي أي **لا يسترد** منه وَأَمْرُهُۥٓ **في العفو عنه** إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ إلى أكله **مشبهاً له بالبيع** في الحل فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ ينقصه ويذهب بركته وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ

كما يقوم: أي كقيام الذي يتخبطه الشيطان. (تفسير الكمالين) **يصرعه:** أو يذهب عقله ويدهشه. **الجنون:** قال الفراء: المس الجنون والممسوس: المجنون، وأصله اللمس باليد، فسمي به؛ لأن الشيطان يمسه. (تفسير الكمالين)

متعلق بـــ"يقومون": أي قوله تعالى: "من المس"، متعلق بـــ"يقومون" فيكون معناها: الذين يأكلون الربا لا يقومون يوم القيامة من الجنون إلا كما يقوم الرجل الذي يخبطه الشيطان، أو متعلق بقوله: "يقوم"، فيكون معناها حينئذ لا يقومون يوم القيامة إلا كما يقوم الرجل المصروع من الجنون، أو متعلق بقوله تعالى: "يتخبط"، فيكون المعنى إلا كما يقوم الرجل الذي يتخبطه الشيطان من الجنون، كما في "التفسير الأحمدي".

من عكس التشبيه: أي لأنهم جعلوا الربا أصلا والبيع فرعا، حتى شبهوه به، وقوله: "مبالغة" أشار به إلى جواب سؤال: كيف قالوا ذلك مع أن مقصودهم تشبيه الربا بالبيع المتفق على حله؟ وإيضاحه: أنه جاء ذلك على طريق المبالغة؛ لأنه أبلغ من قولهم: "إن الربا حلال كالبيع". (حاشية الجمل) **وعظ:** إشارة إلى توجيه تذكير الفعل المسند إلى الموعظة، وقد يوجه بأن التأنيث غير حقيقي. (تفسير الكمالين)

ما سلف: أي ما مضى من أكل الربا وليس عليه رد ما سلف. (التفسير الكبير) وصححه، وقال في "الجمل": أي إذا كان أخذ بعقد الربا زيادة قبل تحريمه لا تسترد منه. **لا يسترد:** لأنه أخذ قبل نزول التحريم. (تفسير المدارك)

في العفو عنه: أي عن آكله، والمعنى فأمره في الثواب لامتثال أمر الله موكول له، يعني أن من سمع النهي من رسول الله ﷺ وتاب عنه، فقد فاز بما أكله قبل النهي، وثوابه موكول لله، فهذه الآية محمولة على الصحابة الذين سبق منهم الربا قبل تحريمه. (حاشية الصاوي) **مشبها له بالبيع:** في الحل أي مستحلا له بقرينة السياق، يشير إلى الدفع عن تمسك المعتزلة بالآية على خلود آخذ الربا في النار. (تفسير الكمالين)

ويربي الصدقات: أي لما في الحديث: "إذا تصدق العبد بصدقة، فإن الله يربيها له، كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون في ميزانه كأحد".

يزيدها **وينمّيها** ويضاعف ثوابها ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ بتحليل الربا ﴿أَثِيمٍ ۝٢٧٦﴾ فاجر بأكله أي يعاقبه. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٢٧٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ﴾ اتركوا ﴿مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٧٨﴾ صادقين في إيمانكم، فإن من شأن المؤمنين امتثال أمر الله تعالى، نزلت لما طالب **بعض الصحابة** بعد النهي برباً كان لهم قبل. ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾ ما أمرتم به ﴿فَأْذَنُواْ﴾ اعلموا ﴿بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ لكم، فيه تهديد شديد لهم، ولما نزلت قالوا: **لا يَديْ لنا** بحربه ﴿وَإِن تُبْتُمْ﴾ رجعتم عنه ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ﴾ أصول ﴿أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾ بزيادة ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ ۝٢٧٩﴾ بنقص. ﴿وَإِن كَانَ﴾ **وقع** غريم ﴿ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ﴾ له أي عليكم تأخيره ﴿إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ بفتح السين **وضمها**، .....

وردت به أخبار كثيرة — تفسير قوله: لا يحب — للأكثر — وجوبا

وينميها: أي فيحتمل أن يكون المراد، في الدنيا، وأن يكون في الآخرة، ولكل منهما سند بالأحاديث فلينظر في الكتب المطولات كـ"الكبير". **بعض الصحابة**: قيل هو عثمان بن عفان والعباس رضي الله عنهما، كانا أسلما رجلا في قدر من التمر، فلما حل الأجل طالباه، فقال: إنما أعطيتكما الآن نصفه، والنصف الآخر أخراني به، وأزيدكما مثله، فتراضيا معه على ذلك قبل التحريم، ثم حل الأجل، فطالباه، فنزلت الآية.

فأذنوا: بالمد والقصر قراءتان سبعيتان، فعلى القصر معناها: أيقنوا، وعلى المد معناها: أعلموا غيركم بذلك، وكلام المفسر يحتملهما. **لا يدي لنا**: هكذا بالتثنية، وكان مقتضى الفصيح "لا يدين" إلا أن يقال: حذفت النون تخفيفا، أو يلاحظ إضافته للضمير، واللام مقحمة، ومعناها: "لا طاقة ولا قدرة لنا على محاربته"، وهذا كناية عن كونهم امتثلوا ما أمروا به؛ لورود هذا الوعيد العظيم فيه. (حاشية الصاوي)

وقع: يشير إلى أن كان تامة يكتفي بفاعلها. (تفسير المدارك) **فنظرة**: "الفاء" جواب الشرط و"نظرة" مبتدأ خبره محذوف أي "فعليكم نظرة"، والنظرة بمعنى التأخير كما أشار به الشارح. **إلى ميسرة**: أي إلى اليسر، لا كما كان أهل الجاهلية يقول أحدهم لمديونه إذا حل عليه الدين: إما أن تقضي، وإما أن تربي، قوله: "فنظرة" مبتدأ حذف خبره، وقد يجعل خبرا حذف مبتدؤه أي "فالحكم نظرة"، و"الفاء" جواب الشرط. (تفسير الكمالين)

وضمها: لنافع وهما لغتان كمقبرة ومقبرة. (تفسير المدارك)

أي **وقت يسر** ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ﴾ بالتشديد على إدغام التاء في الأصل في الصاد وبالتخفيف على حذفها، أي تتصدقوا على المعسر بالإبراء ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾ أنه خير **فافعلوه** في الحديث "من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله **في ظله** يوم لا ظل إلا ظله" رواه مسلم. ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ﴾ **بالبناء للمفعول** تردون، وللفاعل **تصيرون** ﴿فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ﴾ فيه ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ جزاء ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ بنقص حسنة أو زيادة سيئة. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم﴾ تعاملتم ﴿بِدَيْنٍ﴾ كسلم **وقرض**.................

(تشديد الصاد للأكثر) (من كل الدين أو بعضه) (أمهل مديونا فقيرا) (أي حط عنه دينه) (للأكثر) (لأبي عمر)

وقت يسير: يشير إلى أنه ظرف زمان. (تفسير المدارك) **خير لكم:** أي أكثر ثوابا من الإنظار، وقد يفسر التصدق بالإنظار، ورده الإمام؛ بأنه قد علم مما قبله، فلا بد من حمله على فائدة جديدة. (تفسير الكمالين)

فافعلوه: إشارة إلى أن جواب "إن" محذوف.

في ظله: أي ظل عرشه، كما صرح به في رواية أخرى. (حاشية الجمل) **واتقوا يوما:** هذه الآية آخر القرآن نزولا كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وأمر جبريل رسول الله ﷺ بوضعها على رأس مائتين وثمانين آية، وتقدم لنا أن البقرة مائتان وست وثمانون آية، فيكون بعد خمس آيات أولها: "آية الدين"، وثانيها: "وإن كنتم على سفر" إلى قوله: "عليهم"، وثالثها: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ إلى "قدير"، ورابعها: "آمن الرسول إلخ"، وخامسها: "لا يكلف الله" ونزلت قبل وفاة رسول الله ﷺ بثلاث ساعات، وقيل بسبعة أيام.

بالبناء للمفعول: أي من الرجع، وقوله: للفاعل أي من الرجوع، كما في "أبي السعود" وعبارة "البيضاوي": وقرأ أبو عمرو يعقوب بفتح التاء وكسر الجيم. **تصيرون:** فترجع يكون لازما ومتعديا. (تفسير المدارك)

وهم لا يظلمون: جملة حالية من "كل نفس" وجمع باعتبار المعنى، وأعاد الضمير عليها أولا في "كسبت" اعتبارا باللفظ، وقدم اعتبار اللفظ؛ لأنه الأصل؛ ولأن اعتبار المعنى وقع رأس فاصله، فكان تأخيره أحسن. (تفسير السمين)

إذا تداينتم: هذه الآية من هنا إلى "عليم" أطول آي القرآن، وقد اشتملت على بيان إرشاد العباد لمصالح دنياهم، وذلك؛ لأن الدنيا مزرعة الآخرة، والدين المعاملة، فحينئذ لا يتم إصلاح الآخرة إلا بإصلاح الدنيا، فبين هنا ما به إصلاح الدنيا.

وقرض: أخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما: أشهد أن السلف المضمون إلى أجل مسمى قد أحله الله في الكتاب، وقرأ هذه الآية، قال النيشافوري وهو شافعي: بيع العين بالدين، وعكسه وهو المسمى بالسلم، كلاهما داخلان تحت الآية، وأما القرض فلا يدخل فيه، وإنه غير الدين، فإن الدين يجوز الأجل فيه، والقرض لا يجوز الأجل فيه. =

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ معلوم ﴿فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ **استيثاقاً** ودفعاً للنزاع ﴿وَلۡيَكۡتُب﴾ كتاب الدَّين ﴿بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ بالحق في كتابته لا يزيد في المال والأجل ولا ينقص ﴿وَلَا يَأۡبَ﴾ يمتنع ﴿كَاتِبٌ﴾ من ﴿أَن يَكۡتُبَ﴾ إذا دعي إليها ﴿كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ﴾ أي فضله بالكتابة فلا يبخل بها، والكاف **متعلقة بـــ"يأب"** ﴿فَلۡيَكۡتُبۡ﴾ **تأكيد** ﴿وَلۡيُمۡلِلِ﴾ على الكاتب ﴿ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ﴾ الدَّيْن؛ لأنه المشهود عليه فيقرّ **ليعلم ما عليه** ﴿وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ في **إملائه** ﴿وَلَا يَبۡخَسۡ﴾ ينقص ﴿مِنۡهُ﴾ أي الحق ﴿شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا﴾ مبذّرا ﴿أَوۡ ضَعِيفًا﴾ عن الإملاء لصغر أو كبر ﴿أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ لخرس أو جهل باللغة أو نحو ذلك ﴿فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ﴾ **متولي أمره من والدٍ** ووصيّ وقيِّم ومُترجم ﴿بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ﴾ .....

(الإملال والإملاء واحد) (ناقص العقل)

= وذلك هو مذهب أبي حنيفة والشافعي كما يظهر من معتبرات الفريقين، ولعل المفسر اختار مذهب مالك حيث أجاز التأجيل في القرض مستدلا بعموم آية المداينة، ويدل عليه ما علقه البخاري أنه قال ابن عمر رضي الله عنه وعطاء: إذا أجل في القرض جاز، ويشهد له من المرفوع: ما أخرجه البزار وأبو يعلى عن أبي رافع كما في "الإتقان"، قال: أضاف النبي ﷺ ضيف، فأرسلني إلى رجل من اليهود أن يستقرض دقيقا إلى هلال رجب، فقال: لا إلا برهن، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فقال: "أما والله إني لأمين في السماء، وأمين في الأرض"، فلم أخرج من عنده حتى نزلت هذه الآية: ﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ﴾ (الحجر:٨٨). (تفسير الكمالين)

فاكتبوه: أمر إرشاد أي تعليم ترجع فائدته إلى منافع الخلق في دنياهم، فلا يثاب عليه المكلف إلا أن قصد الامتثال. (حاشية الجمل) **استيثاقا:** الاستيثاق أخذ الوثيقة من أحد. **متعلقة بـــ"يأب":** أي لا يأب أن ينفع الناس بكتابته، كما نفعه الله بتعليمها كقوله: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (القصص:٧٧)، و"ما" موصولة. (تفسير الكمالين)

تأكيد: أمر بها بعد النهي عن الإباء عنها تأكيدا. (تفسير المدارك)

وليملل: أي ليسمع ويظهر الألفاظ التي يلقيها على الكاتب من عليه الحق وهو البائع. والإملاء والإملال لغتان معناهما واحد. **ليعلم ما عليه:** فيكون ذلك إقرار على نفسه بلسانه. **إملائه:** يشير إلى أن الأمر للمملي وقد يجعل للكاتب. (تفسير المدارك) **لا يستطيع:** بأن كان شيخا مختلا عقله. (تفسير المدارك) **من والد:** أي إن كان من عليه الحق صبيا أو سفيها، ووصي إن كان كبيرا، وقيم إن كان خرس، ومترجم إن كان جاهلا، وعبارة "البيضاوي": وقيم إن كان صبيا، أو مختل عقل، أو وكيل، أو مترجم إن كان غير مستطيع.

أشهدوا على الدَّيْن ﴿شَهِيدَيْنِ﴾ شاهدين ﴿مِن رِّجَالِكُمْ﴾ أي **بالغي المسلمين** الأحرار ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا﴾ أي الشاهدان ﴿رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾ يشهدون ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ لدينه وعدالته وتعدّد النساء لأجل ﴿أَن تَضِلَّ﴾ تنسى ﴿إِحْدَىٰهُمَا﴾ **الشهادة** لنقص عقلهن وضبطهن ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿إِحْدَىٰهُمَا﴾ الذاكرة ﴿ٱلْأُخْرَىٰ﴾ الناسية، وجملة الإذكار **محل العلة** أي **لتذكر** إن ضلت، ودخلت على الضلال **لأنه سببه**، ....

بفتح الهمزة من الإشهاد

فهو علة اعتبار التعدد

بالغي إلخ: البلوغ مستفاد من لفظ الرجال والإسلام من الإضافة إلى كاف الخطاب، والحرية أيضا مستفاد من لفظ الرجال؛ لأنه ظاهر في الكاملين؛ لأن الأرقاء بمنزلة البهائم، وأيضا الكلام في معاملتهم، فإن خطابات الشرع لا تنتظم العبيد بطريق العبارة، كما بين في موضعه، وأما إذا كانت المداينة بين الكفرة، أو كان من عليه الحق كافرا، فيجوز استشهاد الكافر عندنا. (روح البيان) **المسلمين:** فيشترط إسلام الشهود عند الجمهور، وعندنا يسمع شهادة الكفار بعضهم على بعض لا غير. (تفسير الكمالين)

ممن ترضون: متعلق بمحذوف وقع صفة لـ"رجل وامرأتان" أي كائنون مرضيين عندكم، وتخصيصهم بالوصف المذكور مع تحقق اعتبره في كل شهيد؛ لقلة اتصاف النساء به. (روح البيان) وفي "الأحمدي": "ممن ترضون من الشهداء" إذ المرضي المطلق هو العدل، فكأنه قيل: ممن تعرفون عدالتهم وتعتمدون على صلاحهم، فينبغي أن يكون عادلا، و به تمسك صاحب الهداية في "باب الشهادة" ولكن قد صرح في "باب القضاء" أنه لا ينبغي أن يقبل القاضي شهادة الفاسق، ولو قبل جاز عندنا، وعند الشافعي: لا يجوز شهادة الفاسق أصلا، ولعله لهذا المعنى قال صاحب المدارك: وفيه دليل على أن غير المرضي شاهد؛ لأن مفهوم آية "استشهدوا شهيدين" من الشهداء الذين ترضون منهم، فعلم أن من الشهداء من لا ترضون منهم؛ لعلمكم بعدم عدالتهم، فيكون الشاهد أعم من أن يكون عادلا.

أن تضل: على حذف الجار وهو لام التعليل، وهذا الجار متعلق بمحذوف أيضا، وقد قدرهما الشارح بقوله: "وتعدد النساء لأجل أن تضل إلخ". (حاشية الجمل) **الشهادة:** أشار به إلى أن مفعول "تضل" محذوف.

محل العلة: أي محل لام العلة أي محل دخولها؛ لأن الإذكار هو العلة في الحقيقة، وقوله: "دخلت" أي العلة أي لامها على الضلال أي على فعله. (حاشية الجمل) **لتذكر:** فاعل "تذكر" ضمير مستتر فيه تعود إلى الإحدى الذاكرة، ومفعوله محذوف أي "لتذكر هي" أي الذاكرة الأخرى إن ضلت هي أي الأخرى، فالضمير المستكن في "ضلت" عائد إلى الأخرى التي هي المفعول المحذوف. **لأنه سببه:** أي لأن الضلال سبب الإذكار، والإذكار مسبب عنه، فنزل منزلته؛ لأنهم ينزلون كلا من السبب والمسبب منزلة الآخر؛ لتلازمهما. (حاشية الجمل)

وفي قراءة بكسر "إن" شرطية، ورفع "تذكر" استئناف جوابه وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا
لحمزة في أن تضل تشديده
زائدة دُعُواْ إلى تحمل الشهادة وأدائها وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ تملوا من أَن تَكْتُبُوهُ أي ما شهدتم
عليه من الحق؛ لكثرة وقوع ذلك صَغِيرًا كان أَوْ كَبِيرًا قليلاً أو كثيراً إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ
وقت حلوله، حال من الهاء في "تكتبوه" ذَٰلِكُمْ أي الكتب أَقْسَطُ أعدل عِندَ ٱللَّهِ
وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ أي أعون على إقامتها؛ لأنه يذكرها وَأَدْنَىٰٓ أقرب إلى أَ نْ لَّا تَرْتَابُوٓاْ
تشكوا في قدر الحق والأجل إِلَّآ أَن تَكُونَ تقع تِجَٰرَةً حَاضِرَةً وفي قراءة بالنصب
لعاصم
فـــ"تكون" ناقصة، واسمها ضمير التجارة تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ أي تقبضونها ولا أجل
فيها فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِي أَن لَّا تَكْتُبُوهَا والمراد بها المتجر فيه وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ
عليه؛ فإنه أدفع للاختلاف وهذا وما قبله ....
أشهدوا وفاكتبوه

استيناف: مراده بالاستئناف أن أداة الشرط لم يعمل في لفظه وإلا فالفعل خبر مبتدأ محذوف، ومجموعهما في محل جزم، جواب الشرط، والمبتدأ المحذوف يقدر ضمير القصة والشأن، تقديره: فهي أي القصة تذكر إحداهما -وهي الذاكرة- الأخرى، وهي الضالة. (حاشية الجمل) **جوابه:** أي تذكر جواب الشرط الذي هو أن تضل على هذه القراءة. (عبد) **كان:** قدر "كان" إشارة إلى أن "صغيرا أو كبيرا" خبران لكان المحذوفة. (حاشية الصاوي)
كبيرا: وفيه دلالة على جواز السلم في الثياب؛ لأن ما يكال أو يوزن لا يقال فيه: الصغير و الكبير، وإنما يقال في المزروع. (تفسير المدارك) **أجله:** فهو ظرف مستقر أي كائن إلى أجل. (تفسير المدارك) **حال من الهاء:** في "تكتبوه"، أي مستقرا في ذمة المدين إلى وقت حلوله الذي أقر به المدين أي فاكتبوه بصفة أجله، وقولوا: ثبت كذا مؤجلا بكذا، ولا تهملوا الأجل في الكتابة، ولا يجوز تعلقه بـــ"تكتبوه"؛ لعد استمرار الكتابة إلى أجله. (حاشية الجمل)
أعدل: فهي أفعل التفضيل من أقسط على مذهب سيبويه لا من قسط قسوطا، فإنه بمعنى جار. (تفسير الكمالين) قال أبو حيان: حكى ابن السكيت في "كتاب الأضداد" عن أبي عبيدة: قسط: جار وعدل، وأقسط بالألف: عدل لا غير، وقد جوز أن يكون تفضيلا من القاسط بمعنى ذي القسط -أي العدل- على طريقة النسبة كـــ"لابن وتامر" فيكون أفعل لا فعل له كـــ"أحنك الشاتين"، وكذلك الكلام في "أقوم". (تفسير الكمالين)
أن تكون: فـــ"تكون" تامة اسمه قوله: "تجارة" بالرفع على قراءة الجمهور. (تفسير المدارك) **بالنصب:** إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة. (تفسير المدارك) **فليس عليكم:** لبعده عن التنازع والنسيان.

أمر ندب ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ **صاحب الحق** ومن عليه بتحريف، أو امتناع من الشهادة أو الكتابة، أو لا يضرهما صاحب الحق بتكليفهما ما لا يليق في الكتابة والشهادة ﴿وَإِن تَفْعَلُوا﴾ ما نُهيتم عنه ﴿فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ﴾ خروج عن الطاعة **لاحِقٌ** ﴿بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في أمره ونهيه، ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ مصالح أموركم، **حال مقدرة أو مستأنف** ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي مسافرين وتداينتم ﴿وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَـٰنٌ﴾ وفي قراءة: فرُهُن ﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾ **تستوثقون بها وبينت السنة** جواز الرهن في الحضر **ووجود الكاتب**، فالتقيد **بما ذكر** ....

متعلق بـــ يضار — متعلق بـــ يضار — مطلقا أو الضرر خاصة — من ضمير فاتقوا — وهما جمع رهن

أمر ندب: [عند الجمهور، وقيل: للوجوب ثم اختلف في نسخة. (تفسير المدارك)] أي إرشاد لمصالح الدنيا لقطع النزاع، وهذا تقييد للاستثناء أي إن الإشهاد المذكور يكون في العقالات والأمور التي تبقى، وأما الاستثناء فمحله الأمور التي لا تبقى. (حاشية الصاوي) **صاحب الحق:** بالنصب يشير إلى أنه هو وما عطف عليه مفعول لقوله: "لا يضار" وفاعله كاتب وما بعده، والصيغة على هذا أصله "لا يضارر" بكسر الراء مبنيا للفاعل. (تفسير الكمالين)

لاحق: يشير إلى أنه ظرف مستقر صفة لفسوق. (تفسير المدارك) **حال مقدرة:** أي من ضمير "فاتقوا"، فيه أن الفعل مضارع مثبت مقترن بالواو وحاليته ممتنعة، فيحتاج إلى تأويل، فالاستئناف أظهر. (حاشية الجمل)

أو مستأنف: الأولى الاقتصار عليه؛ لأن جعله حالا خلاف القاعدة النحوية، فإن القاعدة: أن الجملة المضارعية المثبتة إذا وقعت حالا فإن الضمير يلزمها، وتخلو من الواو، ولا يصح أيضا عطفها على جملة "واتقوا الله"؛ لأنه يلزم عليه عطف الخبر على الإنشاء، وفيه خلاف، وقوله: "يعلمكم الله" أي العلم النافع؛ لأن العلم نور، والنور لا يهدى لغير المتقي. (حاشية الصاوي) **والله إلخ:** كرر لفظ "الله" في الجمل الثلاث لاستقلالها؛ فإن الأولى: حث على التقوى، والثانية: وعد بإنعامه، والثالثة: تعظيم لشأنه، ولأنه أدخل في التعظيم من الكناية. (البيضاوي)

مقبوضة: صفة لرهان وهو مع الصفة مبتدأ. **تستوثقون بها:** يشير إلى تقدير الخبر، ويجوز أن يكون التقدير: فالذي يستوثق به، أو فعليكم، أو فليؤخذ، أو فالمشروع رهان مقبوضة. **وبينت السنة:** جواب عن سؤال مقدر، وهو أن مفهوم الآية أن الرهن في الحضر لا يسوغ أخذه، أجاب: بأن السنة بينت الجواز في الحضر، كما روي أنه ﷺ رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير. (حاشية الصاوي)

ووجود الكاتب: عطف على الحضر أي جوازه مع وجود الكاتب. (تفسير الكمالين) **بما ذكر:** أي من السفر وعدم وجود الكاتب. (تفسير المدارك)

لأن التوثيق فيه أشدّ وأفاد قوله: "مقبوضة" **اشتراط القبض** في الرهن والاكتفاء به فيما ذكر من المرتهن ووكيله ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي الدائن المدين على حقه فلم يرتهن ﴿فَلْيُؤَدِّ﴾ واستغنى بأمانته عن الارتهان ﴿ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ﴾ أي المدين ﴿أَمَـٰنَتَهُۥ﴾ **دَيْنَه** ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ في أدائه ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ﴾ إذا دُعيتم لإقامتها ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ خص بالذكر **لأنه محل** الشهادة ولأنه إذا أثم **تبعه غيره** من الأعضاء فيعاقب معاقبة الآثمين ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٢٨٣) لا يخفى عليه شيء منه. ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟﴾ تظهروا ﴿مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ من السوء **والعزم عليه** ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ تسرّوه ﴿يُحَاسِبْكُم﴾ ....

لأن التوثيق إلخ: أي لأن الغالب في السفر عدم وجود الكاتب، ونسيان الدين، والتعرض للموت. (حاشية الصاوي)
اشتراط القبض إلخ: وهو قول الجمهور خلافا لمالك. (تفسير المدارك) **فإن أمن إلخ:** أي رضي بعضكم وهو صاحب الدين بأمانة بعض وهو المدين. (حاشية الصاوي)
دينه: إنما سمي الدين أمانة لابتنائه عليه بترك الارتهان. (تفسير أبي السعود) **لأنه محل إلخ:** أي محل كتمانها.
تبعه غيره: أي في الإثم؛ لأنه سلطان الأعضاء إذا صلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله. (حاشية الصاوي)
وإن تبدوا إلخ: صريح في التكليف والمؤاخذة بالخواطر التي لا يقدر الإنسان على دفعها؛ ولذلك سيأتي من الشارح ما يقتضي أنها منسوخة بما سيأتي هذا، وفي قول الشارح ههنا "من السوء والعزم عليه"، إيماء إلى عدم النسخ، وذلك لأنه إذا حمل ما في الأنفس على خصوص العزم، لم يكن نسخ؛ لأنه مؤاخذ به، وقد نظم بعضهم مراتب القصد بقوله:

مراتب القصد خمس هاجس ذكروا وخاطر فحديث النفس فاستمعا
يليه هم فعزم كلها رفعت سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقعا. (حاشية الجمل)

والعزم عليه: عطف تفسير وهذا هو محل المؤاخذة، وهو إشارة لجواب عن الآية حيث عمم في المؤاخذة مع أنه لا يؤاخذ إلا بالفعل أو العزم عليه، ولكن ينافيه ما يأتي من أن عموم الآية منسوخ بآية: ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة:٢٨٦) إلا أن يقال: إنه إشارة لجواب آخر مما يأتي على هذا بيان للمراد هنا، والحاصل: أنه إن أبقيت الآية على عمومها كانت منسوخة بما بعدها، وإن حملت على العزم فلا نسخ، وما يأتي توضيح لما أجمل هنا. (حاشية الصاوي)

يجزكم بِهِ ٱللَّهُ يوم القيامة فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ المغفرة له وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ تعذيبه، والفعلان بالجزم (يغفر ويعذب عند جمهور القراء) عطف على جواب الشرط، **والرفع** أي فهو (يغفر ويعذب) وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ومنه محاسبتكم وجزاؤكم. ءَامَنَ صدّق ٱلرَّسُولُ محمد ﷺ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ من القرآن وَٱلْمُؤْمِنُونَ عطف عليه كُلٌّ **تنوينه** عوض من المضاف إليه ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ بالجمع والإفراد وَرُسُلِهِۦ يقولون: لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض، كما فعل اليهود والنصارى، وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا أي ما أمرتنا به (وفي نسخة: أمرنا) سماع قبول **وَأَطَعْنَا** نسألك غُفْرَانَكَ (نطلب غفرانك) رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ المرجع بالبعث، ولما نزلت الآية التي قبلها، شكا المؤمنون من الوسوسة وشق عليهم المحاسبة بها **فنزل**: لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا

يجزكم: جواب عن سؤال وهو أنه كيف قال في الإخفاء: "يحاسبكم به الله" مع أن حديث النفس لا إثم فيه ما لم يفعل؛ للحديث المشهور فيه، ولأنه لا يمكن الاحتراز عنه. فأجاب: بأن المراد بالمحاسبة مجرد الإخبار به لا المعاقبة عليه، فهو تعالى يخبر العباد بما أخفوا وأظهروا؛ ليعلموا إحاطة علمه، ثم يغفر ويعذب فضلا وعدلا، وعلى المؤاخذة يكون ذلك منسوخا بقوله تعالى: "لا يكلف الله نفسا إلا وسعها إلخ"، وقال الرازي في تفسير هذا اللفظ: أي يحاسبكم، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إن الله تعالى إذا جمع الخلائق يخبرهم بما كان في نفوسهم، فالمؤمن يخبره، ثم يعفو عنه، وعلى المؤاخذة يكون ذلك منسوخا بقوله تعالى: "لا يكلف الله نفسا إلا وسعها".

والدفع: لابن عامر وعاصم على الاستئناف. (تفسير المدارك) **آمن الرسول إلخ:** قال الزجاج: لما ذكر الله في هذه السورة فرض الصلاة والزكاة والصوم والحج والطلاق والإيلاء و الحيض والجهاد وقصص الأنبياء وما ذكر من كلام الحكماء، ختم السورة بذكر تصديق نبيه ﷺ والمؤمنين بجميع ذلك. (تفسير الخازن)

تنوينه: عوض عن المضاف إليه أي فيكون الضمير الذي ناب عن التنوين في "كل" راجعا إلى الرسول والمؤمنين أي كلهم آمن. (الكرخي) **وأطعنا:** أي ما فيه من الأوامر والنواهي. (روح البيان) **فنزل:** أي ناسخا لما قبلها كما صرح به في رواية "البخاري" وقد يتأتى النسخ في الأخبار إذا تضمن حكما على أنه قد جوز جماعة النسخ في الخبر المستقبل؛ لجواز المحو فيما يقدره الله تعالى، وعلى هذا البيضاوي. (تفسير الكمالين) وقال البيهقي: النسخ ههنا بمعنى التخصيص والتبيين، فإن الآية الأولى وردت مورد العموم، فبينت التي ما بعدها أن مما يخفى شيء لا يؤاخذ به، وهو حديث النفس الذي لا يستطاع دفعه. (تفسير الكمالين)

أي ما تسعه قدرها **لَهَا مَا كَسَبَتْ** من الخير أي ثوابه **وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ** من الشرّ أي وزره ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد **ولا بما لم يكسبه** مما وسوست به نفسه، قولوا: **رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ** بالعقاب **إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا** تركنا الصواب، لا عن عمد كما أخذت به مَن قبلنا **وقد رفع الله** ذلك عن هذه الأمة، **كما ورد** في الحديث، **فسؤاله** بعد الرفع اعتراف بنعمة الله **رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا** أمراً يثقل علينا حمله **كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا** أي بني إسرائيل من قتل النفس في التوبة وإخراج ربع المال في الزكاة **وقرض موضع النجاسة** **رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ** قوّة **لَنَا بِهِۦ** من التكاليف أو ما أصابكم من الشدائد والمحن والبلاء **وَٱعْفُ عَنَّا** امح ذنوبنا **وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ** في الرحمة زيادة على المغفرة **أَنتَ مَوْلَىٰنَا** سيدنا، ومتولي أمورنا **فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ** (٢٨٦) بإقامة الحجة، والغلبة في قتالهم؛ فإنّ من **شأن المولى** أن ينصر مواليه على الأعداء، ....

لها ما كسبت إلخ: تخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر؛ لأن الاكتساب فيه اعتمال، والشر تشتهيه النفس وتنجذب إليه، فكانت أجد في تحصيله وأعمل بخلاف الخير. (تفسير البيضاوي)

ولا بما لم يكسبه إلخ: أي ما لم يفعل ذنب لا يؤاخذ بمجرد الوسوسة به. **وقد رفع الله إلخ:** أي المؤاخذة بالخطايا والنسيان. وهذا إشارة إلى إيراد حاصله: أنه إذا كان مرفوعا عنا بمقتضى الحديث الشريف فيكون طلب رفعه طلبا لتحصيل الحاصل، وقد أجاب عنه بقوله: "فسؤاله اعتراف بنعمة الله" أي فالقصد من سؤال هذا الرفع وطلبه الإقرار والاعتراف بهذه النعمة أي إظهارها. (حاشية الجمل) **كما ورد إلخ:** هو قوله ﷺ: "رفع عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه". رواه "الطبراني" وغيره.

فسؤاله: اعتراف بنعمة الله، جواب عما يقال: حيث رفعه الله فما وجه سؤالنا لرفعه؟ فأجاب بما ذكر. **إصرا:** أصل الإصر الشيء الثقيل، ويطلق على الشديد. (تفسير المدارك) **وقرض موضع النجاسة:** وأيضا عدم التطهير بغير الماء، وخمسين صلاة في يوم وليلة، وعدم جواز صلاتهم في غير المسجد، وحرمة أكل الصائم بعد النوم، ومنع بعض الطيبات عنهم بالذنوب، وكتابة ذنب الليل على الباب بالصبح. (روح البيان) **شأن المولى إلخ:** أي عبيده، أشار بهذا إلى تقرير السببية المستفادة من "الفاء" أي طلب النصرة بتسبب عن اتصافه بكونه مولانا.

وفي الحديث: "لما نزلت هذه الآية فقرأها ﷺ، قيل له عقب كل كلمة: قد فعلت".

سورة آل عمران، مدنية وهي مائتا آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ۝١﴾ الله أعلم بمراده بذلك. ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾

وفي الحديث إلخ: عن أبي هريرة ﷺ قال: لما أنزلت على رسول الله ﷺ: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة:٢٨٤) قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ، ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله، كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها.
قال رسول الله ﷺ: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: "سمعنا وعصينا" بل قولوا: "سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير"، فلما قرأها القوم وذلت بها أنفسهم، أنزل الله تعالى في إثرها: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة:٢٨٥) فلما فعلوا ذلك نسخها الله عز وجل، فأنزل الله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ قال: نعم ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قال: نعم ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قال: نعم. (رواه مسلم)

سورة آل عمران: مبتدأ و"مدنية" خبره، "مائتان" خبر ثان. وقوله: "مدنية" أي نزلت بعد الهجرة وإن بغير أرض المدينة، وتسميتها بذلك الاسم من باب تسمية الشيء باسم جزئه. واختلف في "عمران" الذي سميت به، فقيل: المراد به "أبو موسى وهارون"، فآله موسى وهارون، وقيل: المراد به "أبو مريم"، والمراد بآله مريم وابنها عيسى. ويقرب ذلك ذكر قصتهما إثر ذكره. وبين عمران أبي موسى وعمران أبي مريم ألف وثمان مائة عام. (حاشية الصاوي)

الحي القيوم: سبب نزولها قدوم وفد نصارى نجران وكانوا ستين راكبا، فهم أربعة عشر من أشرافهم، ثلاثة منهم أكابرهم وحبرهم ووزيرهم، يحاجون رسول الله ﷺ في عيسى، فتارة قالوا: إن عيسى ابن الله؛ لأنه لم يكن له أب، وتارة قالوا: إنه الله؛ لأنه يحيي الموتى، وتارة قالوا: إنه ثالث ثلاثة؛ لأنه يقول: "فعلنا وخلقنا"، فلو كان واحدا لذكره مفردا، فشرع النبي يرد عليهم تلك الشبهة، فقال لهم: أتسلمون أن الله حي لا يموت، فقالوا: نعم، فقال: أتسلمون أن عيسى يموت، فقالوا: نعم، إلى غير ذلك فنزلت السورة، منها نيف وثمانون آية على طبق ما رد عليهم به. (حاشية الصاوي)

نَزَّلَ عَلَيْكَ يا محمد ٱلْكِتَـٰبَ القرآن **مُتَلبِّسا** بِٱلْحَقِّ بالصدق **في أخباره** مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ قبله من الكتب وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ أي قبل تنزيله هُدًى حال بمعنى هاديَيْن من الضلالة لِّلنَّاسِ **ممن تبعهما، وعبر فيهما** بـــ"أنزل" وفي القرآن بـــ"نزَّل" المقتضي للتكرير؛ لأنهما أنزلا دفعة واحدة **بخلافه** وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ بمعنى الكتب الفارقة بين الحق والباطل، وذِكْرُهُ بعد ذكر الثلاثة؛ ليعم **ما عداها** إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ القرآن وغيره لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ غالب على أمره فلا يمنعه شيء **من إنجاز** وعيده ووعده ذُو ٱنتِقَامٍ ۝ عقوبة شديدة ممن عصاه، لا يقدر على مثلها أحد. إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ **كائن** فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝ لعلمه بما يقع في العالم من كُلِّي وجزئيّ، وخصهما بالذكر؛ لأنّ الحس لا يتجاوزهما. هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ من ذكورة وأنوثة وبياض وسواد وغير ذلك

(من التوراة والإنجيل)

متلبسا: يشير إلى أن الجار والمجرور في موضع الحال، ويحتمل أن يكون الباء للسببية أي بسبب إثبات الحق. (تفسير الكمالين) **في أخباره:** أي فيما تضمنه من أخبار الأمم السابقة وغيرها. (تفسير الكمالين)

مصدقا إلخ: فيه نوع مجاز، لأن "يديه" هو ما أمامه، فسمي ما مضى بين يديه بالغاية ظهوره واشتهاره. (تفسير الخازن)

ممن تبعهما: يشير إلى أن اللام فيه للجنس. **وعبر فيهما إلخ:** جواب عن سؤال مقدر، وقيل: إن ذلك تفنن، وقيل: إن مادة "نزل" تفيد التكرار غالبا، ومادة "أنزل" تفيد عدمه غالبا، فلعل المفسر بنى هذا الجواب على ذلك، وإلا فالهمزة والتضعيف أخوان. (حاشية الصاوي) **بخلافه:** أي بخلاف القرآن؛ فإنه نزل دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزل منها بدفعات في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع، كما مر تفصيله.

ما عداها: من الزبور وغيره، يعني أنه من ذكر العام بعد الخاص للتعميم. وقيل: المراد به الزبور، وقيل: القرآن، وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما، وإظهارا لفضيلة من أنه متميز من سائر الكتب بكونه فارقا معجزا يفرق به بين المحق والمبطل. **من إنجاز:** من إتمام وإيفاء. **لا يخفى إلخ:** هذا رد لقولهم: إن عيسى إله؛ لأنه يعلم الأمور، فرد عليهم بأن الله هو الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وليس كذلك عيسى. (حاشية الصاوي)

كائن: أشار به إلى أن "في الأرض" متعلق بمحذوف.

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ في ملكه ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ في صنعه. **هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ** مِنْهُ ءَايَٰتٌ **مُّحْكَمَٰتٌ** واضحات الدلالة هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ **أصله** المعتمد عليه في الأحكام **وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ** لا يفهم معانيها كأوائل السور **وجعله** كله محكماً في قوله: ﴿أُحْكِمَتْ آياته﴾ بمعنى أنه ليس **فيه عيب**، ومتشابهاً في قوله: ﴿كِتَاباً مُّتَشَابِهاً﴾ بمعنى أنه يشبه بعضه بعضاً **في الحسن والصدق** فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ميل عن الحق فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ....

(أي بعضها) (أي القرآن)

هو الذي أنزل: قيل سبب نزولها: أن وفد نجران قالوا للنبي ﷺ: ألست تقول: إن عيسى روح الله وكلمته، فقال: نعم، فقالوا: حسبنا أي يكفينا ذلك في كونه ابن الله، فنزلت الآية، والمعنى: أن الله أنزل القرآن، منه محكم، ومنه متشابه، وقوله: "روح الله وكلمته" من المتشابه الذي لا يعرفون معناه، ولا يفهمون تأويله. (حاشية الصاوي)

محكمات: أي فأحكمت عباراتها بأن حفظت عن الإهمال والاشتباه، فيدخل فيه النص والظاهر، والمفسر والمحكم على مصطلح أهل الأصول من علمائنا. (تفسير الكمالين) **أصله إلخ:** إنما فسر "الأم" بذلك؛ لصحة الأخبار بالمفرد عن الجمع؛ لأن الأصل يصدق بالمتعدد. وأجيب أيضا بأنه عبر بالمفرد إشارة إلى أن المجموع بمنزلة آية واحدة على حد: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ (المؤمنون:٥٠) وما سلكه المفسر أظهر. (حاشية الصاوي)

وأخر متشابهات: إن قلت: هلا نزل كله محكما؛ لأنه نزل لإرشاد العباد، ومداره على المحكم لا على المتشابه، أجيب بأنه نزل على أسلوب العرب فإن أسلوبهم التعبير بالمجاز والكناية والتلميح وغير ذلك.

وجعله إلخ: إشارة لسؤال وجواب، صورة السؤال: قد جعل هنا محكما ومتشابها، فكيف الجمع بين هذه الآية، وآية جعله كلها متشابها، وجعله كله محكما؟ والجواب ظاهر من كلامه. **فيه عيب:** أي من فساد المعنى وركاكة اللفظ، فأحكمت آياته أي حفظت عن العيب، لا بمعنى واضحات الدلالة، فلا ينافي مدلول هذه الآية من قسمتها إليهما، وكذا جعله كله متشابها في قوله: "كتابا متشابها إلخ". (تفسير الكمالين)

في الحسن والصدق: قال ابن عباس: تفسير القرآن أربعة أقسام، قسم لا يسع أحد جهله كقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص:١) وقسم يتوقف على معرفة لغات القرآن كقوله: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾ (طـه:١٨) وقسم تعرفه العلماء الراسخون في العلم ، وقسم لا يعلمه إلا الله. ودخل تحت القسمين الأخيرين المتشابه، وحكمة الإتيان الزيادة في الإعجاز عن الإتيان بمثله، فإن المحكم وإن فهموا معناه إلا أنهم عجزوا عن الإتيان بلفظ مثل ألفاظه، والمتشابه عجزوا عن فهم معناه كما عجزوا عن الإتيان بمثله. (حاشية الصاوي)

طلب ٱلْفِتْنَةِ لجهّالهم بوقوعهم في الشبهات واللبس وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ تفسيره وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ تفسيره إِلَّا ٱللَّهُ **وحده** وَٱلرَّٰسِخُونَ الثابتون المتمكنون فِى ٱلْعِلْمِ **مبتدأ**، خبره يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ أي بالمتشابه أنه من عند الله ولا نعلم معناه كُلٌّ من المحكم والمتشابه مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ بإدغام التاء في الأصل في الذال أي يتعظ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ أصحاب العقول، ويقولون أيضاً إذا رأوا من يتبعه: رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا تُمِلْها عن الحق بابتغاء تأويله الذي لا يليق بنا كما أزغت **قلوب أولئك** بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا أرشدتنا إليه، وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ من عندك رَحْمَةً تثبيتاً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾

(متعلق بالابتغاء) (بفتح اللام الخلط) (وفي نسخة باتباع)

طلب: منصوب على أنه مفعول له أي لأجل طلبها. (تفسير المدارك) **وحده:** أي لا غيره. اختار مذهب أكثر الصحابة فمن بعدهم أن الوقف على "إلا الله" ويدل على ذلك ما رواه عبد الرزاق بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه كان يقرأ: وما يعلم تأويله إلا الله، ويقول الراسخون في العلم: آمنا به، فهذا يدل على أن الواو وللاستئناف، ومنهم من جعل الوقف على لفظ "العلم"، ونقل عن مجاهد والضحاك، وهو رواية عن ابن عباس.

قال النووي: إنه الأصح؛ لأنه يبعد أن يخاطب الناس بما لا سبيل بوجه للخلق إلى معرفته، وذكر ابن الحاجب: أنه المختار، وقال ابن السمعاني: اختياره هفوة، وكان إمام الحرمين يميل إلى التأويل، ثم رجع عنه فقال: والذي ترتضيه اتباع السلف، فإنهم على ترك التعرض لمعانيها، وتبعه ابن الصلاح فقال: على ذلك مضى صدر الأمة وساداتها، واختار أئمة الفقهاء والحديث. (تفسير الكمالين)

مبتدأ: هذا على ما هو الصحيح من قراءة الوقف على "إلا الله"، ومن قرأ بالوقف على "الراسخون في العلم" جعل "يقولون" حالا منهم، أي والراسخون يعلمون تأويله حال كونهم قائلين ذلك. وقد يجعل كلاما مستأنفا موضحا لحالهم. (تفسير الكمالين) **من عند ربنا:** فإن قيل: ما الفائدة في لفظ "عند"، ولو قال: "كل من ربنا" لحصل المقصود؟ وأجيب بأن الإيمان بالمتشابه يحتاج فيه إلى مزيد التأكيد، فذكر كلمة "عند" لمزيد التأكيد. من "الخطيب" و"الكبير"

قلوب أولئك: أي وهم اليهود، وذكر الإمام الزاهدي في بيان نزول هذه الآية: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿الم﴾ (البقرة:١)، أوله اليهود بقاعدة أبجد، وقالوا: بأن الألف يراد به الواحد، واللام يراد به ثلاثون والميم يراد به الأربعون، فكان بقاء أمة محمد إحدى وسبعين سنة، فكيف نتبع هذا الدين؟ فتبسم النبي ﷺ، فقالوا: هل غير هذا؟ فقال: ﴿المص﴾ (الأعراف:١) فقالوا: هذا أكثر من الأول، فهو مائة واحد وسبعون، فقالوا: هل غير هذا؟ فقال: ﴿المر﴾ (الرعد:١) فقالوا: خلطت الأمر علينا، فلا ندري بأيها نأخذ، فنزلت فيه هذه الآية.

يا رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ تجمعهم لِيَوۡمٖ أي في يوم لَّا رَيۡبَ شك فِيهِۚ هو يوم القيامة، فتجازيهم بأعمالهم كما وعدت بذلك إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ۝٩ موعده بالبعث، **فيه التفات** عن الخطاب، ويحتمل **أن يكون** من كلامه تعالى **والغرض** من الدعاء بذلك بيان أنّ همّهم أمر الآخرة، ولذلك سألوا الثبات على الهداية لينالوا ثوابها، **روى الشيخان** عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية "هُوَ الذي أَنزَلَ عَلَيْكَ الكتاب مِنْهُ آياتٌ مُحْكَمَاتٌ" إلى آخرها، وقال: "فإذا رأيتِ الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين **سمّى الله** فاحذروهم". وروى الطبراني في "الكبير" عن أبي موسى الأشعري: أنه سمع النبي ﷺ يقول: "ما أخاف على أُمتي إلا ثلاث خلال" وذكر منها: "أن يفتح لهم الكتاب، فيأخذه المؤمن يبتغي تأويله، وليس يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا، وما يذكر إلا أولو الألباب" الحديث. إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ تدفع عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ ....

(بكسر التاء) (النبي ﷺ)

يا ربنا إنك إلخ: لما كان هذا غير ظاهر في الدعاء، قدر فيه النداء لينبه على أنه دعاء بخلاف الذي قبله، فإنه ظاهر في الدعاء فلم يقدر فيه، وصرح الرازي بأن هذا الدعاء من بقية كلام الراسخين في العلم. **فيه التفات:** [إلى الغيبة في قوله: إن الله لا يخلف الميعاد] أي بالنسبة إلى قوله: "إنك جامع الناس". **أن يكون إلخ:** أي قاله الله تعالى، تقديرا وتصديقا لقوله: "إنك جامع الناس إلخ". **والغرض إلخ:** أي مراد الشارح توجيه كون هذا الكلام منهم دعاء مع أن ظاهره أنه محض خبر. (حاشية الجمل)

روى الشيخان: قصده بذلك الاستدلال على ذم المتبعين للمتشابه، ومدح الراسخين. (حاشية الصاوي)

سمى الله: أي عينهم بوصف، وهو كونهم في قلوبهم زيغ، وقوله: "فاحذروهم"، فيه تعظيم لعائشة رضي الله عنها من وجهين: الجمع والتذكير. (حاشية الجمل) **ثلاث خلال:** أي خصال، وفي نسخة: "خصال" موضع "خلال".

إن الذي كفروا: المراد بهم عام الكفرة، وقيل: المراد بهم وفد نجران، أو اليهود أو مشركوا العرب، قال الصاوي: وعلى كل تقدير، فالعبرة بعموم اللفظ. (السراج المنير) **أموالهم ولا أولادهم:** قدم الأموال؛ لأن الشأن أن الشخص أول ما يفتدي بالأموال ثم بالأولاد، والمعنى: أن زينتهم وعزهم لا يدفع عنهم شيئا من عقاب الله أبدا، لا قليلا ولا كثيرا. (حاشية الصاوي)

أي **عذابه** شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ بفتح الواو ما يوقد به. دأبهم كَدَأْبِ كعادة ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ من الأمم كعاد وثمود كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ أهلكهم بِذُنُوبِهِمْ ۗ والجملة **مفسرة** لما قبلها وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ **ونزل لما أمر** النبي ﷺ اليهود بالإسلام **في مرجعه** من بدر فقالوا له: لا يغرّنك أن قتلت نفراً من قريش **أغماراً** لا يعرفون القتال. قُل يا محمد! لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ من اليهود سَتُغْلَبُونَ بالتاء والياء، في الدنيا بالقتل والأسر وضرب الجزية، **وقد وقع ذلك**، . . . .

عذابه: أشار به إلى أن "من الله" في موضع نصب، و"شيئا" على هذا في موضع المصدر، أو مفعول مطلق أي شيئا من الإغناء، و"من" لابتداء الغاية مجازا. (الكرخي) وفي "أبي البقاء": "من الله" في موضع نصب؛ لأن التقدير "من عذاب الله" والمعنى: أن لا تدفع الأموال عنهم عذاب الله.

وقود النار: أي حطبها وذلك كمال العذاب؛ لأن كماله أن يزول عنه ما ينتفع به، ثم يجتمع عليه الأسباب المؤلمة، فالأول هو المراد بقوله تعالى: ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ﴾ (آل عمران:١٠)، فإن المرء عند الشدة يفزع إلى المال والولد؛ لأنهما أقرب الأمور التي يفزع إليها في دفع النوائب، فبين الله تعالى أن صفة ذلك اليوم مخالفة لصفة الدنيا. وإذا تعذر عليه الانتفاع بالمال والولد، وهما أقرب الطرق، فما عداه بالتعذر أولى، ونظيره: ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء:٨٨-٨٩). وأما الثاني من أسباب كمال العذاب فهو اجتماع الأسباب المؤلمة المراد بقوله تعالى: "وأولئك هم وقود النار"، وهذا هو النهاية في العذاب، فإنه لا عذاب أعظم من أن تشتعل النار فيهم، كاشتعالها في الحطب اليابس. (السراج المنير)

مفسرة: يعني تفسير لدأبهم بما فعلوا وفعل بهم، فهو جواب سؤال مقدر بتفسير حالهم، ولذا ترك العطف بينهما. (تفسير الكمالين) **ونزل لما أمر إلخ:** حاصل ذلك أنه لما رجع من غزوة بدر إلى المدينة جمع يهودها، وهم قريظة وبنو النضير، ودعاهم للإسلام، وتوعدهم إن لم يسلموا أو يؤدوا الجزية قاتلهم، فقالوا له ما ذكره المفسر. (حاشية الصاوي)

في مرجعه: أي وقت رجوعه من بدر، فلما رجع منها جمعهم في سوق قينقاع، فحذرهم أن ينزل بهم ما أنزل بقريش، فقالوا له: لا يغرنك إلى آخر ما قال الشارح، ثم قالوا: لإن قاتلتنا لعلمت أنا نحن الناس. (تفسير أبي السعود)

أغمارا: جمع غمر -بضم الغين، وسكون اليم- وهو من الرجال: الغافل الذي لا يدري أمور القتال، فقوله: "لا يعرفون القتال" تفسير. (حاشية الجمل) **وقد وقع ذلك:** أي بقتل بني قريظة، وإجلاء بني النضير، وفتح خيبر، وضرب الجزية على من عداهم. (السراج المنير)

وَتُحۡشَرُونَ بالوجهين في الآخرة إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ فتدخلونها وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٢﴾ الفراش **هي**. قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ عبرة، **وذكر الفعل** للفصل فِي فِئَتَيۡنِ فرقتين ٱلۡتَقَتَاۖ يوم بدر للقتال فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أي طاعته، وهم النبي ﷺ وأصحابه، وكانوا **ثلاث مائة** وثلاثة عشر رجلاً، معهم فرسان وست **أدرع** وثمانية سيوف، وأكثرهم رجالة جمع راجل وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم بالياء والتاء أي الكفار مِّثۡلَيۡهِمۡ أي المسلمين **أي أكثر منهم** كانوا نحو ألف رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ أي رؤية ظاهرة معاينة، وقد نصرهم الله مع قلتهم وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ يقوي بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۗ نصره إِنَّ فِي ذَٰلِكَ المذكور لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿١٣﴾ لذوي البصائر أفلا تعتبرون بذلك فتؤمنون؟

هي: أي جهنم، قال القاضي: إنه من تمام ما يقال لهم، أو استئناف. (تفسير الكمالين) **لكم**: الخطاب لقريش أو لليهود أو للمؤمنين. (تفسير الكمالين) **وذكر الفعل**: أي حيث لم يقل: "قد كانت" وقوله: "للفصل" أي بين كان واسمها بخبرها، وعبارة "تفسير أبي السعود": ولتوسطه بينها وبين اسمها ترك التأنيث.

ثلاث مائة إلخ: أي كما رواه البخاري: ثلاث مائة وثلاث عشر رجلا، سبعة وسبعون من المهاجرين، ومائتان وستة وثلاثون من الأنصار، معهم فرسان، فرس لمقداد بن عمرو وفرس لمرثد بن أبي مرثد، وستة أدرع، وثمانية سيوف، وأكثرهم رجالة. (تفسير الكمالين)

أدرع: جمع درع بالكسر بمعنى الزردية. وقوله: "وأكثرهم رجالة" أي أكثرهم مشاة. **يرونهم**: هكذا بالياء للسبعة ما عدا نافعا فقرأ بالتاء، و"رأى" بصرية، و"الواو" فاعل عائد على المؤمنين، و"الهاء" مفعول عائد على الكفار، و"مثليهم" حال، والهاء إما عائدة على "المؤمنين" والمعنى: يشاهد المؤمنون الكفار قدر أنفسهم مرتين، أو "الكفار" والمعنى: يرى المؤمنون الكفار قدر الكفار مرتين محنة للمؤمنين. ويحتمل أن "الواو" عائدة على الكفار، والهاء عائدة على المؤمنين، والهاء في "مثليهم" إما عائدة على "الكفار"، والمعنى: يرى الكفار المؤمنين قدرهم مرتين فترتب على ذلك هزيمتهم، أو عائدة على "المؤمنين"، والمعنى: يرى الكفار المؤمنين قدر المؤمنين مرتين، ففي هذه القراءة احتمالات أربع قد علمتها، ومثلها على قراءة التاء. (حاشية الصاوي)

مثليهم: أي مثلي عددي المشركين. **أي أكثر منهم**: يريد أن المقصود من ذكر "المثلين" بيان الأكثرية، لا التحديد بالضعف، فلا يرد أنه كيف قال: "مثليهم" وهم كانوا ثلاثة أمثالهم. (تفسير الكمالين)

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ما تشتهيه النفس وتدعو إليه، زينها الله **ابتلاءً** أو الشيطان بالوسوسة مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ الأموال الكثيرة ٱلْمُقَنطَرَةِ المجمعة مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ **الحسان** وَٱلْأَنْعَٰمِ أي الإبل والبقر والغنم وَٱلْحَرْثِ الزرع ذَٰلِكَ المذكور مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا يتمتع به فيها ثم يفنى وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ المرجع وهو الجنة، فينبغي الرغبة فيه دون غيره. قُلْ يا محمد! لقومك أَؤُنَبِّئُكُم أخبركم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ المذكور من الشهوات، استفهام تقرير لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ الشرك عِندَ رَبِّهِمْ **خبر مبتدؤه** جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ أي **مقدّرين الخلود** فِيهَا إذا دخلوها وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ من الحيض وغيره **مما يُستقذر** وَرِضْوَٰنٌ بكسر أوله وضمه لغتان أي رضى كثير مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ عالم بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾

زين للناس: هذه الآية مسوقة لبيان حقارة الدنيا وتزهيد المسلمين فيها، ففي الحديث: "ظهرها غرة وباطنها غبرة".
ابتلاء: أو لأنه يكون وسيلة إلى السعادة الأخروية إذا كان على وجه يرتضيه الله تعالى، أو لأنه من أسباب التعيش وبقاء النوع. قوله: "أو الشيطان" فإن الآية في معرض الذم، وفرق الجبائي بين المباح والمحرم. (تفسير الكمالين)
والبنين: قدمهم على الأموال؛ لأنهم فرع النساء، وأكبر فتنة من الأموال؛ لأن الإنسان يفدي بنيه بالمال، ولم يقل: "والبنات"؛ لأن الشأن أن الفخر في الذكور دون الإناث. (حاشية الصاوي) المقنطرة: قيل: وزنها "مفعللة" فتكون النون أصلية، وقيل: وزنها مفنعلة فالنون زائدة، ويترتب على ذلك النون في قنطار هل هي أصلية فوزنه فعلال، أو زائدة فوزنه فنعال، وأقل القناطير المقنطرة تسعة؛ لأن المراد تعددت جموع القناطير عنده ثلاثة ففوق. (حاشية الصاوي)
الحسان: أي المحنة المضمرة وذلك؛ لأن المسومة على هذا مأخوذ من السيما وهي الحسن، فمعنى "مسومة": ذات حسن. (حاشية الجمل) وفسر أكثر المفسرين قوله: "المسومة" بالمعلمة من السومة وهي العلامة. خبر مبتدؤه: يريد أن "للذين اتقوا" في موضع الخبر "لجنات" والجملة استئناف لبيان ما هو خبر. مقدرين الخلود: أي إذا دخولها، يريد أنه حال مقدرة، وإلا فلا خلود لهم حين دخولهم. مما يستقذر: كالبزاق، ومعنى الاستقذار الكراهة.
ورضوان إلخ: قرأه شعبة بضم الراء، والباقون بكسرها، وهما لغتان، الكسر لغة الحجاز، والضم لغة تميم، وقيل: بالكسر اسم، وبالضم مصدر، وعلى كل التقادير، فمعناه ما روي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة! فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك. فيقول: رضيتم؟ =

فيجازي كلاًّ منهم بعمله. ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت أو بدل من "الذين" قبله ﴿يَقُولُونَ﴾ يا ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾ صدّقنا بك وبرسولك ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على الطاعة وعن المعصية نعت ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في الإيمان ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ المطيعين لله ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾ المتصدقين ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ الله بأن يقولوا: "اللهم اغفر لنا" ﴿بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ أواخر الليل، خصت بالذكر؛ لأنها وقت الغفلة ولذة النوم. ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ بيَّن لخلقه بالدلائل **والآيات** ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ﴾ أي لا معبود بحق في الوجود ....

السحر ولأنهما من أوقات الإجابة — بنصب الأدلة عليها — في موضع المفعول لـ"شهد"

= فيقول: رضيتم، فيقولون: ما لنا لا نرضى يا رب! وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا ربنا! وأي شيء أفضل من ذلك فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا. **تنبيه**: قد نبه سبحانه وتعالى في هذه الآية على مراتب نعمائه، فأدناها: متاع الحياة الدنيا، وأعلاها: رضوان الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (التوبة:٧٢) وأوسطها: الجنة ونعيمها. (السراج المنير)

والصادقين: إن قيل: كيف دخلت الواو على هذه الصفات مع أن الموصوف فيها واحد، أجيب بجوابين، أحدهما: أن الصفات إذا تكررت جاز أن يعطف بعضها على بعض بالواو وإن كان الموصوف بها واحدا، ثانيهما: لا نسلم أن الموصوف بها واحد بل متعدد والصفات موزعة عليه، فبعضهم صابر، وبعضهم صادق، ففيه إشارة إلى أن بعضها كاف في المدح. (حاشية الصاوي) **بالأسحار:** السحر السدس الأخير من الليل، وفي "القاموس": السحر قبل الصبح. (تفسير الكمالين)

شهد الله: قد ورد في فضل هذه الآية أنه عليه السلام قال: يجاء بصاحبها يوم القيامة، فيقول الله عز وجل: إن لعبدي هذا عندي عهدا وأنا أحق بمن وفى بالعهد، أدخلوا عبدي الجنة. وهو دليل على فضل علم أصول الدين وشرف أهله. وروي عن سعيد بن جبير: أنه كان في الكعبة ثلاث مائة وستون صنما، فلما نزلت هذه الآية بالمدينة خرت الأصنام التي في الكعبة سجدا، وقيل: نزلت في نصارى نجران، وقال الكلبي: قدم على النبي ﷺ حبران أي عالمان من أحبار الشام، فقالا له: أنت محمد؟ قال: نعم، قال: فإنا نسألك عن شيء، فإن أخبرتنا به آمنا بك، وصدقناك، فقال عليه السلام: سلا، قالا: أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله، فأنزل الله هذه الآية، فأسلم الرجلان. (تفسير أبي السعود) وفي "المدارك": من قرأها عند منامه وقال بعدها: "أشهد بما شهد الله، وأستودع الله هذه الشهادة، وهي عنده وديعة، يقول الله يوم القيامة: إن لعبدي إلخ. (الشهاب)

والآيات: وبإنزال الآيات الناطقة بها.

إِلَّا هُوَ وَ **شهد بذلك** ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بالإقرار وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ من الأنبياء والمؤمنين بالاعتقاد واللفظ قَآئِمَۢا بتدبير مصنوعاته، **ونصبه على الحال،** والعامل فيها **معنى الجملة** أي تفرّد بِٱلْقِسْطِۚ بالعدل لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كرره تأكيداً ٱلْعَزِيزُ في ملكه ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ في صنعه. إِنَّ ٱلدِّينَ **المرضيّ** عِندَ ٱللَّهِ هو ٱلْإِسْلَٰمُۗ أي الشرع المبعوث به الرسل، المبني على التوحيد، وفي قراءة بفتح "إنّ" **بدل من** "أنه إلخ" ....

الشريعة العامة — وفي نسخة: المنبئ عن التوحيد — للكسائي

وشهد بذلك: أشار به إلى أن الملائكة مرفوع على الفاعلية على إضمار فعل كما قدره، كما هو الأظهر من جعله معطوفا على الجلالة؛ لأنه كما أشار إليه من أن شهادة الله مغائر لشهادة الملائكة وأولي العلم لا يجوز إعمال المشترك في معنييه، فاحتاج إلى إضمار فعل يوافق هذا المنطوق لفظا، ويخالفه معنى. (تفسير الكرخي)

ونصبه على الحال: أي من الضمير المنفصل الواقع بعد "إلا"، فتكون الحال أيضا في حيز الشهادة، فيكون المشهود به أمرين: الوحدانية والقيام بالقسط، وهذا أحسن من جعله حالا من الاسم الجليل الفاعل لـــ"شهد"؛ لأنه عليه يكون المشهود به الوحدانية فقط، والحال ليست في حيز الشهادة. (حاشية الجمل)

معنى الجملة: أي جملة "لا إله إلا هو"، وقوله: "أي تفرد" بيان لمعنى الجملة. **العزيز:** رفع على الاستئناف أي هو العزيز، وليس بوصف لـــ"هو"؛ لأن الضمير لا يوصف، أو على البدل من الضمير، أو الصفة لفاعل "شهد".

إن الدين إلخ: نزلت لما ادعت اليهود: أنه لا دين أفضل من دين اليهودية، وادعت النصارى: أنه لا دين أفضل من دين النصرانية. وأصل الدين في اللغة الجزاء، ثم الطاعة تسمى دينا؛ لأنها سبب الجزاء، والإسلام في اللغة عبارة عن الدخول في الانقياد، أو عن الدخول في السلامة، أو عن إخلاص الدين، والعقيدة لله تعالى. أما في عرف الشرع: فالإسلام هو الإيمان، والدليل عليه وجهان، الأول: هذه الآية، فإن قوله: "إن الدين عند الله الإسلام" يقتضي أن يكون الدين المقبول عند الله ليس إلا الإسلام، فلو كان الإيمان غير الإسلام وجب أن لا يكون الإيمان دينا مقبولا عند الله، ولا شك في أنه باطل. الثاني: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْأِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (آل عمران:٨٥)، فلو كان الإيمان غير الإسلام لوجب أن لا يكون الإيمان دينا مقبولا عند الله تعالى. كذا في "الكبير". وقال المفسر في "الإكليل": استدل به من قال: إن الإسلام والإيمان مترادفان، وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك في الآية قال: لم أبعث رسولا إلا بالإسلام، فيستدل به من قال: إن الإسلام ليس اسما خاصا بدين هذه الأمة.

المرضي: يشير إلى أن اللام في الدين للعهد وهو الإسلام. قوله: "هو" يشير بزيادة ضمير الفصل إلى قصر المسند على المسند إليه. (تفسير الكمالين) **بدل من إلخ:** أي لا إله إلا هو. والتقدير: "شهد الله أنه لا إله إلا هو، وشهد أن الدين إلخ" وقوله: "بدل اشتمال" أي بناء على ما فسره من أن المراد به الشريعة، وأما إذا فسر بالإيمان، فهو بدل كل من "أنه لا إله إلا هو". (الكرخي)

بدل اشتمال وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ اليهود والنصارى في الدين بأن وحَّد بعض **وكفر** بعض إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بالتوحيد بَغۡيَۢا من الكافرين بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩﴾ أي المجازاة له. فَإِنۡ حَآجُّوكَ خاصمك الكفار يا محمد في الدين فَقُلۡ لهم: أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ (في دين الله الإسلام) **انقدت له** (من الانقياد) **أنا** وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وخص الوجه بالذكر لشرفه (لأنه مظهر القول والحواس) فغيره أولى وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ اليهود والنصارى وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ مشركي العرب (الذين لا كتاب لهم) ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ أي **أسلموا** فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ من الضلال وَّإِن تَوَلَّوۡاْ عن الإسلام فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ التبليغ للرسالة وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠﴾ فيجازيهم بأعمالهم، وهذا **قبل الأمر بالقتال**. إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ وفي قراءة (يعني لحمزة): "يقاتلون" ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ (سوى الأنبياء) يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ ....

بدل اشتمال: أي لما أنه ملابس له غير الكلية والجزئية، ولو فسر الإسلام بالإيمان، أو بما ضمنه فبدل الكل. (تفسير الكمالين) **وما اختلف إلخ:** جواب عن سؤال نشأ من قوله: "إن الدين عند الله الإسلام"، كأنه قيل: حيث كان الدين واحدا من آدم إلى ألآن فما اختلاف أهل الكتاب. (حاشية الصاوي) **وكفر إلخ:** النصارى بالتثليث واليهود بقولهم: عزير ابن الله. (تفسير الكمالين) **بغيا:** مفعول من أجله، والعامل فيه "اختلف"؛ والاستثناء مفرغ، والتقدير: وما اختلفوا إلا للبغي لا لغيره، ويجوز أن يكون مصدرا في موضع الحال كما في "تفسير أبي البقاء".

انقدت له: أو المراد أخلصت نفسي وجملتي لله وحده. (تفسير المدارك) **أنا إلخ:** أشار به إلى أن محل "منط الرفع عطفا على التاء في "أسلمت"، وجاز ذلك لوجود الفصل بالمفعول. (حاشية الجمل) **أسلموا:** يعني أن الاستفهام ههنا بمعنى الأمر كما في قوله تعالى: ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (المائدة:٩١) أي انتهوا. (تفسير الكمالين)

فقد اهتدوا: انتفعوا، وحصل لهم الرضا والقبول، وتم لهم السعد والوصول، وبهذا اندفع ما يقال: إن فعل الشرط متحد مع جوابه، كأنه قال: "فإن أسلموا فقد أسلموا". **عليك البلاغ:** أي لم يضروك، فإنك رسول منبه، ما عليك إلا أن تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى. (تفسير المدارك)

قبل الأمر بالقتال: أي هذه الآية نزلت قبل الأمر به فإن رسول الله ﷺ أمر بالإمساك والإعراض عنهم في نحو نيف وسبعين آية، ثم أمر بقتالهم. **بغير حق:** حال مؤكدة؛ لأن قتل الأنبياء لا يكون حقا، قوله: "ويقتلون" يدل على جواز الأمر بالمعروف مع خوف القتل. (تفسير المدارك والإكليل)

بالعدل ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم اليهودُ، روي: أنهم قتلوا ثلاثة وأربعين نبيا فنهاهم مائة وسبعون من عُبَّادهم بني إسرائيل فقتلوهم في **يومهم** ﴿فَبَشِّرْهُم﴾ **أعلمهم** ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ مؤلم وذكر البشارة تهكم بهم، **ودخلت** الفاء في خبر "إنّ"، لشبه اسمها الموصول بالشرط. ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَـٰلُهُمْ﴾ ما عملوا من خير كصدقة وصلة رحم ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ فلا اعتداد بها لعدم شرطها وهو الإسلام ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ مانعين لهم من العذاب. ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا﴾ حظاً ﴿مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ التوراة ﴿يُدْعَوْنَ﴾ حال من الذين ﴿إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ عن **قبول حكمه**. نزلت في اليهود، زنى منهم اثنان حين فتحاكموا إلى النبي ﷺ، رواه ابن جرير فحكم عليهما بالرجم فأبوا، فجيء بالتوراة، فوُجد فيها، فرُجما فغضبوا. ﴿ذَٰلِكَ﴾ التولي، والإعراض ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُواْ﴾ أي بسبب قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ أربعين يوماً مدة عبادة آبائهم العجل ثم تزول عنهم ﴿وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم﴾ متعلق بقوله: ﴿مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ من قولهم ذلك. يعني لن تمسنا النار

يومهم: يعني في آخر النهار من ذلك اليوم. (تفسير المدارك) **أعلمهم:** أشار بذلك إلى أن في الكلام استعارة تبعية، حيث شبه الإعلام بالعذاب بالبشارة، واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتق من البشارة "بشرهم" بمعنى أعلمهم بالعذاب، والجامع الانتقال من حال لأخرى في كل. (حاشية الصاوي)

ودخلت إلخ: هذا جواب لسؤال مقدر، تقديره: لم أدخل الفاء في خبر "إن" مع أنه لا يقال: إن زيدا فقائم؟ فأجاب بقوله: "ودخلت الفاء في خبر "إن" لشبه اسمها الموصول بالشرط"، يعني الموصول متضمن معنى الشرط، فكأنه قيل: "الذين يكفرون فبشرهم" بمعنى من يكفر فبشرهم. (السراج المنير) **يدعون:** حال أي ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا﴾ (آل عمران:١٠٠).

كتاب الله: أي التوراة بدليل ما ذكره في القصة. (تفسير أبي السعود) **ليحكم بينهم:** في هذه الآية دلالة على أن من دعا خصمه إلى الحاكم لزم إجابته. (الإكليل) **قبول حكمه:** يشير إلى أن الجملة حال، وقد يفسر بأنهم قوم عادتهم الإعراض، فهي معترضة على رأي الزمخشري، وتذييل على رأي الأكثر. (تفسير الكمالين) **يفترون:** يفترونه في دينهم، والافتراء هو قولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، فلا يعذبنا بذنوبنا إلا مدة يسيرة. (تفسير الكمالين وتفسير المدارك)

فَكَيْفَ حالهم إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ أي في يوم لَّا رَيْبَ لاشك فِيهِ هو يوم القيامة وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ من أهل الكتاب وغيرهم جزاء مَّا كَسَبَتْ عملت من خير وشـر وَهُمْ أي الناس لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ بنقص حسنة أو زيادة سيئة. ونـزل لما وعد ﷺ أمته ملك فارس والروم، فقال المنافقون: هيهات. قُلِ ٱللَّهُمَّ يا الله مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى تعطي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ من خلقك وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ بإيتائه إياه وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بنزعه منه بِيَدِكَ بقدرتك ٱلْخَيْرُ أي والشر إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ تدخل ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ تدخله فِى ٱلَّيْلِ ....

رواه ابن جرير عن قتادة

تقديم الخبر للحصر

فكيف إلخ: روي أن أول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفرة راية اليهود، فيفضحهم الله على رؤوس الأشهاد، ثم يأمر بهم إلى النار. كما في "روح البيان". **وهم أي الناس:** فيه إشارة إلى أنه ذكر ضمير "هم"، وجمعه باعتبار معنى كل نفس. **ونزل لما إلخ:** أي لما فتح النبي ﷺ مكة، ووعد أمته ملك فارس والروم، قال المنافقون: هيهات هيهات، من أين لمحمد ملك فارس والروم؟ هكذا في السراج المنير.

هيهات: من أين لمحمد ملك فارس والروم هم أعز وأمنع من ذلك. (تفسير المدارك) **قل اللهم إلخ:** لما بين ضلال أهل الكتاب وحال مآلهم بعد الموت أشار إلى مآلهم في الدنيا بأن لهم الذل، وانتزاع ديارهم وملكهم منهم، وعز المسلمين، وانتقال ملك أهل الضلال إليهم، فقال: "قل اللهم مالك الملك" الآية. (التفسير الوجيز)

الملك: وقيل: المراد بالملك ملك العافية، أو ملك القناعة، قال عليه السلام: "ملوك الجنة من أمتي القانعون بالقوت يوما فيوما، أو ملك قيام الليل". وعن الشبلي الاستغناء بالمكون عن الكونين تعز بالمعرفة، أو بالاستغناء بالمكون أو بالقناعة، وتذل بأضدادها. (تفسير المدارك) **والشر:** يشير إلى أنه اكتفى بذكر أحد الضدين عن الآخر؛ لمراعاة الأدب في الخطاب، وقيل: لأنه المرغب فيه، أو لأن الكلام في الملك والنبوة وهما خير، أو لأنه مقضي بالذات، والشر مقضي بالعرض؛ إذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا.

قدير: ولا يقدر على شيء أحد غيره إلا بإقداره. (تفسير الكمالين) **وتولج إلخ:** أصل في علم الهيئة والمواقيت، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود رضي الله عنه في الآية قال: "يأخذ الصيف من الشتاء ويأخذ الشتاء من الصيف"، وأخرج عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "ما ينقص من النهار يجعله في الليل، وما ينقص من الليل ويجعله في النهار"، وعن السدي قال: يولج الليل في النهار حتى يكون الليل خمس عشر ساعة، والنهار تسع ساعات، ويولج =

فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ **كالإنسان والطائر** من النطفة والبيضة ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ﴾ كالنطفة والبيضة ﴿مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ أي رزقاً واسعاً. ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ يوالونهم ﴿مِن دُونِ﴾...

= النهار في الليل حتى يكون النهار خمس عشر ساعات، والليل تسع ساعات، وأخرج ابن المنذر عن الحسن في الآية قال: الليل اثنتي عشرة ساعة، و النهار كذلك، فإذا أولج الليل في النهار أخذ النهار من ساعات الليل، فطال النهار وقصر الليلة. (الإكليل)

فيزيد كل إلخ: حتى يصير النهار خمس عشرة ساعة، والليل تسع ساعات، وبالعكس هكذا.

كالإنسان والطائر: كذا فسره مجاهد كما في "الصحيح"، ويشير المفسر بزيادة الكاف إلى أن ذكر البيضة والنطفة على سبيل المثال، وفي "تفسير ابن كثير" كما في "جامع البيان": يخرج الحبة من الزرع، والزرع من الحبة، والنخلة من النواة، والنواة من النخلة، والمؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن، والأخير مما أخرجه ابن أبي حاتم عن عمر ﷺ. (تفسير الكمالين)

بغير حساب: أي لا يعرف الخلق عدده ومقداره وإن كان معلوما عند الله؛ ليدل على أن من قدر على تلك الأفعال العظيمة المحيرة للأفهام، ثم قدر أن يرزق بغير حساب من شاء من عباده، فهو قادر على أن ينزع الملك من العجم، ويذلهم ويؤيد العرب ويعزهم. وفي بعض الكتب: أنا الله ملك الملوك، قلوب الملوك ونواصيهم بيدي، فإن العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة، وإن العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة، فلا تشتغلوا بسب الملوك، ولكن توبوا إلي، فأعطفهم عليكم، وهو معنى قوله عليه السلام: كما تكونوا يولى عليكم. (تفسير المدارك)

لا يتخذ المؤمنون: قيل: نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول، كان منافقا يخفي الكفر، ويحب أهله، ويواليهم باطنا، وكان بصحبته على هذه الخصلة ثلاث مائة، وكانوا يحبون ظفر الأعداء برسول الله وأصحابه، وإنما كانوا يظهرون الإسلام فقط، فمعنى الآية: إن من علامة الإيمان عدم موالاة أهل الكفر، وفيه تحريم موالاة الكفار إلا للضرورة، كخوف منهم ونحو ذلك، ويدخل في الموالاة السلام والتعظيم والدعاء بالكنية والتوقير في المجالس وغير ذلك. قال الكياالهراسي: وفي نفي الموالاة دليل على قطع الموالاة بينهما في المال والنفس جميعا، فيستدل به على منع التوارث وتحمل العقل وولاية التزويج. واستدل عطاء بن أبي رباح بقوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ (آل عمران:٢٨) على عدم وقوع طلاق المكره. أخرجه ابن أبي حاتم. (الإكليل)

الكافرين أولياء: عن ابن عباس ﷺ: نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه، كانوا يتولون اليهود والمشركين، ويأتونهم بالأخبار، ويرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية، كذا في "الخطيب". ونهوا المؤمنون عن موالاتهم لقرابة أو صداقة جاهلية أو جوار ونحوها من أسباب المصادقة والمعاشرة، حتى لا يكون حبهم ولا بغضهم إلا لله تعالى، من "روح البيان". =

أي **غير** ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي يواليهم ﴿فَلَيْسَ مِنَ﴾ دين ﴿ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ﴾ مصدر "تَقَيْتُه" **أي تخافوا مخافة**، فلكم موالاتهم باللسان دون القلب، **وهذا** قبل عزة الإسلام ويجري في من هو في بلدة الكفرة ....

= واعلم أن كون المؤمن مواليا للكافر يحتمل ثلاثة أوجه، أحدها: أن يكون راضيا بكفره، و يتولاه لأجله، وهذا ممنوع منه؛ لأن كل من فعل ذلك كان مصوبا له في ذلك الدين، وتصويب الكفر كفر، والرضاء بالكفر كفر، فيستحيل أن يبقى مؤمنا مع كونه بهذه الصفة. وثانيها: المعاشرة الجميلة في الدنيا بحسب الظاهر، وذلك غير ممنوع منه، والقسم الثالث: وهو كالمتوسط بين القسمين الأولين، هو أن موالاة الكفار بمعنى الركون إليهم والمعونة، والمظاهرة والنصرة، إما بسبب القرابة، أو بسبب المحبة مع اعتقاد أن دينه باطل، فهذا لا يوجب الكفر إلا أنه منهي عنه؛ لأن الموالاة بهذا المعنى قد تجره إلى استحسان طريقته، والرضا بدينه، وذلك يخرجه عن الإسلام، فلا جرم هدد الله تعالى فيه، فقال: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ﴾ (آل عمران:٢٨). كذا في "الكبير".

وفي تفسير "روح البيان" تحت هذه الآية: من يتولهم منكم فإنه منهم أي من يتخذهم أولياء فإنه منهم أي هو على دينهم، ومعهم في النار. قال المولى أبو السعود: وفيه زجر شديد للمؤمنين عن إظهار صورة الموالاة لهم وإن لم تكن موالاة في الحقيقة. قال في "البيضاوي" تحت هذه الآية الكريمة المذكورة: من والاهم منكم فإنه من جملتهم، وهذا التشديد في وجوب مجانبتهم، كما قال ﷺ: ولا تتراءى ناراهما. وأيضا في "تفسير الكبير" تحت هذه الآية المذكورة قال ابن عباس ﷺ: يريد كأنه مثلهم، وهذا تغليظ من الله، وتشديد في وجوب مجانبته المخالف في الدين. وأيضا في "روح البيان": لا تتخذوا أحدا منهم وليا بمعنى: لا تصادقوا ولا تعاشروهم مصافاة الأحباب ومعاشرتهم، لا بمعنى لا تجعلوهم أولياء لكم حقيقة، فإنه أمر ممتنع في نفسه لا يتعلق به النهي.

فالحاصل: أن الموالاة مع الكفار ممنوع أشد المنع، وتكون في أكثر الأفراد كفرا؛ فلا بد من الاحتراز، لكن لا يفتى بالكفر مطلقا ما لم يتعين سببه. وأما قولي في بعض رسالتي بالكفر مطلقا بلا تفصيل فللتهديد وأغلب الأحوال.

أي غير المؤمنين: يعني أن لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا توالوهم عليهم. (تفسير المدارك)

فليس من إلخ: [لأن موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان. (تفسير المدارك)] أي فليس من ولاية الله في شيء. (روح البيان) إلا أن تتقوا إلخ: الاستثناء مفرغ من المفعول له أي لا يتخذ المؤمن الكافر وليا لشيء من الأشياء إلا لتقاة ظاهرا، وقال في "المدارك": أي أن لا يكون للكافر عليك سلطان فتخافه على نفسك ومالك، فحينئذ يجوز لك إظهار الموالاة، وإبطان المعاداة.

أي تخافوا مخافة: أشار بذلك إلى أن "تقاة" منصوب على المصدرية أي على أنه مفعول مطلق، وهو أحد الوجهين.

وهذا: أي الاستثناء المذكور وقوله: "ويجري" أي الاستثناء المذكور.

ليس قوياً فيها وَيُحَذِّرُكُمُ يخوّفكم ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ أن يغضب عليكم إن واليتموهم وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ المرجع فيجازيكم. قُلۡ لهم إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ قلوبكم من موالاتهم أَوۡ تُبۡدُوهُ تظهروه يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَ**هو** يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٩﴾ ومنه تعذيب مَنْ والاهم. **واذكر** يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ مبتدأ خبره تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ غاية في نهاية البعد، فلا يصل إليها وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ كرّر للتأكيد وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٣٠﴾ **ونزل لما قالوا**: ما نعبد الأصنام إلا حباً لله ليقرّبونا إليه قُلۡ لهم يا محمد إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ بمعنى أنه يثيبكم وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ

(ولم يخف عليه وهو أبلغ وعيد) (وفي نسخة بدون الواو) (يعني ما عملت من سوء)

ليس قويا فيها: اسم "ليس" ضمير مستكن فيها يعود إلى "من"، أو إلى الإسلام، أي ليس هو قويا فيها، أو ليس الإسلام قويا فيها. (حاشية الجمل) **نفسه:** على حذف مضاف أي غضب نفسه، كما أشار الشارح لتقديره ببدل الاشتمال، فقوله: أن يغضب بدل اشتمال من "نفسه". (حاشية الجمل) **وهو يعلم إلخ:** إشارة إلى أن هذا الكلام مستأنف، وليس بمعطوف على جواب الشرط أي هو الذي يعلم ما في السماوات وما في الأرض، فلا يخفى عليه سركم وعلنكم. **واذكر:** يريد أن الظرف منصوب بــ"اذكر" مقدرة وقيل منصوب بــ"تود". (تفسير المدارك)

لو أن بينها: أي بين النفس وقوله: "بينه" أي بين السوء. (السراج المنير) **أمدا بعيدا:** أي مسافة واسعة. (روح البيان)

نفسه: أي من ذاته المقدسة، كرره للتأكيد والتذكير. (تفسير البيضاوي) **ونزل لما قالوا إلخ:** وقيل: سبب نزولها قول اليهود والنصارى: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ (المائدة:١٨). وقيل: قول نصارى نجران: ما عبدنا عيسى وأمه إلا محبة لله، وقيل: سبب نزولها، أن النبي ﷺ دخل الكعبة، فوجد الكفار يعلقون على الأصنام بيض النعام ويزخرفونها، فقال لهم: "ما هذه ملة إبراهيم التي تدعونها"، فقالوا: "ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى".

تحبون الله: [من شعب الإيمان اتباع ما جاء به النبي ﷺ. (الإكليل)] محبة العبد لله بإيثار طاعته على غير ذلك، ومحبة الله للعبد أن يرضى عنه، ويحمد فعله، وعن الحسن: زعم أقوام على عهد رسول الله ﷺ أنهم يحبون الله، فأراد أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل، فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله ﷺ فهو كذاب، وكتاب الله يكذبه. (تفسير المدارك) **يحببكم الله:** واعلم أن المحبة ميل النفس إلى الشيء لكمال أدركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها إليه، ولما كان هذا مستحيلا في جنابه تعالى عبر الشارح المحبة على طريق الاستعارة، فقال: "بمعنى يثيبكم".

وَٱللَّهُ غَفُورٌ لمن اتبعني ما سلف منه قبل ذلك رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ به. قُلْ لهم أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فيما يأمركم به من التوحيد فَإِن تَوَلَّوْاْ أعرضوا عن الطاعة فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر، أي لا يحبهم بمعنى أنه يعاقبهم. إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ اختار ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ **بمعنى أنفسهما** عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ولفظ الال مقحم بجعل الأنبياء من نسلهم. ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ ولد بَعْضٍ منهم إسماعيل وإسحاق وأولادهما وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ اذكر إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ **"حنّة"** لما أسنَّت، **واشتاقت للولد** فدعت الله **وأحست بالحمل**

إن الله اصطفى إلخ: قال ابن عباس رضي الله عنهما: قالت اليهود: نحن من أبناء إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ونحن على دينهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، والمعنى إن الله اصطفى هؤلاء بالإسلام والنبوة والرسالة، وأنتم يا معشر اليهود! على غير دينهم. وعاش آدم في الأرض تسع مائة وستين سنة، وأما مدة إقامته في الجنة فلا تحسب.

وآل عمران: وعمران هو أبو موسى عليه السلام بن عمران بن يصهر بن فاهث بن لاد بن يعقوب عليه السلام، أو أبو مريم ابنة عمران بن مـــاثان من نسل يهوذا بن يعقوب عليه السلام، وبين العمرانين ألف وثمان مائة سنة. (تفسير الكمالين)

بمعنى أنفسهما: يعني أن لفظ "آل كذا" بمعنى: "نفس كذا"، أو أنها مقحمة، فكأنه قال: "وإبراهيم وعمران". (حاشية الجمل) **ذرية:** بدل من آل إبراهيم وآل عمران. (تفسير المدارك) **سميع عليم:** يعلم من يصلح للاصطفاء أو سميع عليم لقول امرأة عمران وبنتها. (تفسير المدارك)

إذ قالت إلخ: وبيان كيفيته أي اذكر لهم وقت قولها وقصتها، وهي أن زكريا وعمران تزوجا أختين، فكانت أشاع بنت فاقوذا وهي أم يحيى عند زكريا، وكانت حنة بنت فاقوذا أخت أشاع عند عمران وهي أم مريم، وكان قد أمسك عن نخسة الولد حتى أيست وكبرت، وكانوا أهل بيت صالحين وهم من الله بمكان، فبينما هي في ظل شجرة إذا أبصرت طائرا يطعم فرخه، فتحركت نفسها بسبب ذلك للولد، فدعت الله أن يهب لها ولدا، وقالت: "اللهم لك على أن رزقتني ولدان أتصدق به على بيت المقدس؛ ليكون من سدنته وخدمه، فلما حملت حررت ما في بطنها، ولم تعلم ما هو، فقال زوجها عمران: ويحك ما صنعت، أرأيت إن كان أنثى، فلا يصلح لذلك، فوقعا في هم شديد من أجل ذلك إلى آخر ما حكى عنهما. (تفسير الخازن)

حنة: بفتح الحاء المهملة والنون المشددة بنت فاقوذا اسم عبراني. **واشتاقت للولد:** روي أنها كانت عاقرا لم تلد إلى أن عجزت، فبينا هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا له، فتحركت نفسها للولد، وتمنته، كذا في "أبي السعود". **وأحست بالحمل:** أي بعد وقت الدعاء المذكورة بمدة.

يا رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ أن أجعل لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا عتيقاً خالصاً من شواغل الدنيا لخدمة بيتك المقدّس فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ للدعاء ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ بالنيات، وهلك مات عمران وهي حامل. فَلَمَّا وَضَعَتْهَا ولدتها جارية وكانت ترجو أن يكون غلاماً إذ لم يكن يحرَّر إلا الغلمان قَالَتْ معتذرة يا رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ أي عالم بِمَا لا للإعلام وَضَعَتْ **جملة اعتراض** من كلامه تعالى، وفي قراءة: بضم التاء وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ الذي طلبت كَٱلْأُنثَىٰ التي وُهِبْتُ؛ لأنه يقصد للخدمة، وهي لا تصلح لها؛ لضعفها وعورتها، وما يعتريها من الحيض ونحوه وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا أولادها مِنَ ما يعرضها ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ المطرود. وفي الحديث: "ما من مولود يولد **إلا مسه الشيطان** حين يولد **فيستهل صارخاً** إلا مريم وابنها"، رواه الشيخان. فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا أي قَبِلَ مريم من أمها بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا أنشأها بخَلْق حسن فكانت تنبت في اليوم

وضعتها: الضمير لـــ"ما في بطني" وإنما أنث على تأويل الحبلة أو النفس أو النسمة. (تفسير المدارك)

جملة اعتراض: تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشأنها. (التفسير البيضاوي) **سميتها مريم:** وهي بلغتهم العابدة، والخادمة للرب. (تفسير أبي السعود) **إلا مسه الشيطان:** أي نخسه في جنبه، وظاهره حتى الأنبياء وهو كذلك. إن قلت: إن الأنبياء معصومون من الشيطان، فلا سبيل له عليهم. أجيب: بأنهم معصومون من وسوسته و إغوائه لا من نخسه في أجسامهم، فإن ذلك لا يقدح في عصمتهم منه إن قلت: إن موضوع الآية أن دعوة مريم كانت بعد وضعها وتسميتها، فلم تنتفع مريم من نخس الشيطان، وإنما نفعت ولدها فقط، فلم تحصل مطابقة بين الآية والحديث، إلا أن يقال: إن حفظهما من نخس الشيطان كان واقعا وإن لم تدع حنة، فدعوتها طابقت ما أراد الله بها، ومع ذلك فالمناسب للمفسر أن لا يأتي بالحديث تفسيرا للآية، وقد ورد أن الشيطان نخسهما أيضا، إلا أنه صادف الغشا. (حاشية الصاوي)

فيستهل صارخا: الاستهلال: رفع الصوت وهو الصراخ. **فتقبلها:** رضي بها خادمة لبيت المقدس وخلصها من دنس الأطفال والنساء. قوله: "بقبول" يحتمل أن الباء زائدة أي قبولا، ويكون منصوبا على المصدر المحذوف الزوائد، وإلا لقيل: تقبلا وتقبيلا، ويحتمل أنها أصلية، والمراد بالقبول اسم لما يقبل به الشيء كـــ الوجور أو السعوط. (حاشية الصاوي)

كما ينبت المولود في العام **وأتت بها** أمها الأحبار **سدنة** بيت المقدس فقالت: دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها؛ لأنها بنت **إمامهم**، فقال زكريا عليه السلام: أنا أحق بها؛ لأن **خالتها** عندي، فقالوا: لا، حتى نقترع، فانطلقوا وهم تسعة وعشرون إلى نهر الأردن، **وألقوا أقلامهم** على أن من ثبت قلمه في الماء وصعد فهو أولى بها ، فثبت **قلم زكريا** عليه السلام، فأخذها، وبنى لها **غرفة** في المسجد بسلم لا يصعد إليها غيره، وكان يأتيها بأكلها وشربها ودهنها فيجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء كما قال تعالى: وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ضمها إليه، وفي قراءة بالتشديد ونصب "زكريا" **ممدوداً** ومقصوراً، والفاعل "الله" كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ **الغرفة**، ....

(في العقل والمعرفة) (خذوا) (أي على وجه الماء) (على قراءة التشديد)

وأتت بها أمها: معطوف على قولها: "فتقبلها ربها". وأما قوله: "وأنبتها نباتا حسنا"، مؤخر في الواقع عن إتيان أمها بها فإنه بيان لحالها في مدة تربيتها. (حاشية الجمل) **سدنة:** محركا جمع سادن بمعنى الخادم بدل من الأحبار. (تفسير المدارك) **إمامهم:** وهو عمران بن ماثان، وكان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وملوكهم، فهذا وجه كونه إمامهم، وإن لم يكن نبيا، فالمراد بالإمام: الرئيس. (حاشية الجمل) **خالتها:** وهي أشاع بنت فاقوذا.

وألقوا أقلامهم إلخ: [التي كانوا يكتبون الوحي بها فيه. (تفسير المدارك)] قيل: هو سهام النشاب، وقيل: الأقلام التي يكتبون بها التوراة، وكانت من نحاس، وقوله: "على أن من ثبت قلمه في الماء" أي وقف عن الجري مع الماء، وهذا على القول بأنها كانت سهام النشاب، وقوله: "وصعد" أي لم يغص في الماء، بل استمر صاعدا أي واقفا على وجه الماء من غير غوص فيه، وهذا على القول بأنها كانت من نحاس، فلو قال الشارح: "أو صعد" لكان أوضح؛ ليكون الكلام موزعا على الخلاف في الأقلام. (حاشية الجمل)

قلم زكريا: وفي القصة: أنهم ألقوا أقلامهم ثلاث مرات، في كل مرة كان يرتفع قلم زكريا على خلاف جري الماء إلى أعلاه، وجرت أقلامهم مع جري الماء إلى أسفل، فأخذها زكريا، و بنى لها غرفة في المسجد. (تفسير الكمالين)

غرفة: الغرفة بالضم: العلية، قوله: "بسلم" أي بمرقاة لا يصعد إليها غيره، وكان إذا خرج غلق عليها سبعة أبواب. رواه ابن جرير عن الربيع بن أنس. (تفسير الكمالين) **ممدودا:** فمن قرأ بالمد أظهر النصب، ومن قرأ بالقصر كان في محل النصب. (تفسير الكمالين) **الغرفة:** وقيل: "المسجد"، وكانت مساجدهم تسمى محاريب، وقيل: هو مقام الإمام من المسجد، سمي به؛ لتحارب الناس عليه وتنافسهم فيه. (تفسير الكمالين)

وهي أشرف المجالس ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ﴾ من أين ﴿لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ﴾ وهي صغيرة ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ﴾ يأتيني به من الجنة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ رزقاً واسعاً **بلا تبعة**. ﴿هُنَالِكَ﴾ أي **لما رأى** زكريا ذلك، وعلم أن القادر على الإتيان بالشيء في غير حينه قادر على الإتيان بالولد على الكبر، **وكان أهل بيته** انقرضوا ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ﴾ لما دخل المحراب للصلاة جوف الليل ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ﴾ ولداً صالحاً ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ﴾ مجيب ﴿ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي جبرئيل ﴿وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ﴾ أي المسجد ﴿أَنَّ﴾ أي بأن، وفي قراءة بالكسر بكسر "أن" **بتقدير القول** ﴿ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ **مثقلاً** ومخففاً ﴿بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ﴾ كائنة ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي بعيسى أنه روح الله وسُمي "كلمة"؛ لأنه خُلِقَ ....
مفعول مصدقا

بلا تبعة: أي حق عليه فليس إعطاؤه الرزق لحق العباد عليه، بل هو من محض فضله وجوده. (حاشية الصاوي)
هنا لك: أي في ذلك المكان، حيث هو قاعد عند مريم في المحراب، أو في ذلك الوقت، فقد يستعار "هنا" و"حيث" و"كم" للزمان. لما رأى حال مريم في كرامتها على الله ومنزلتها رغب أن يكون له من أشاع ولد مثل ولد أختها حنة في الكرامة على الله، وإن كانت عاقرا عجوزا فقد كان أمها كذلك، وقيل: لما رأى الفاكهة في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر. (تفسير الكمالين)
لما رأى إلخ: أي ما تقدم من قصة حنة حيث دعت الله أن يرزقها بولد مع يأسها وكبر سنها، فأجاب بها الله مع كونها لم تكن نبية وأعطاها مريم، وجعلها أفضل من الذكور، وصار يأتيها رزقها من الجنة، وأكرمها إكراما عظيما، فكان ذلك الأمر العجيب باعثا له على طلب الولد. (حاشية الصاوي) **وكان أهل بيته إلخ:** أي وكان أقارب زكريا عليه السلام ماتوا وانقطعوا. "قرض فلان" أي مات. **ذرية:** الذرية تطلق على المفرد والجمع، فلذا قال المفسر: أي ولدا صالحا. (حاشية الصاوي) **بتقدير القول:** أي حال كون الملائكة قائلين له: "إن الله يبشرك إلخ".
مثقلا: أي والفعل حينئذ بضم أوله وفتح ثانيه وكسر ثالثه المثقل، وقوله: "ومخففا" أي وهو بفتح أوله وسكون ثانيه وضم ثالثه. **مصدقا:** عن ابن عباس رضي الله عنهما أن يحيى كان أكبر سنا من عيسى ستة أشهر، وكان يحيى أول من آمن به وصدق بأنه كلم الله. روى السدي في تفسيره عن ابن مسعود: أن أخت مريم قالت: يا مريم! أشعرت أني حبلى، قالت: فأنا حبلى، قالت: فإني أرى ما في بطني تسجد لبطنك. (تفسير الكمالين)

بكلمة "كن" ﴿وَسَيِّدًا﴾ **متبوعاً** ﴿وَحَصُورًا﴾ **منوعا** لنفسه عن النساء ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٣٩﴾ روي أنه لم يعمل خطيئة، ولم يهم بها. ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ ولد ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ أي بلغت نهاية السن مائة وعشرين سنة ﴿وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ بلغت ثمانيَ وفي نسخة: ثمانية وتسعين سنة ﴿قَالَ﴾ **الأمر** ﴿كَذَٰلِكَ﴾ من خلق الله غلاماً منكما ﴿ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۝٤٠﴾ لا يعجزه عنه شيء؛ ولإظهاره هذه القدرة العظيمة **ألهمه** السؤال **ليجاب** بها، ولما **تاقت** نفسه إلى سرعة المبشَّر به. ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ أي علامة على حمل امرأتي ﴿قَالَ ءَايَتُكَ﴾ عليه ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾ أي **تمتنع** من كلامهم بخلاف ذكر الله تعالى ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ أي **بلياليها** ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ إشارة ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ﴾

كلمة كن: وقيل: لأن الكلمة التي قالها لها الله وهي: "كذلك الله يخلق ما يشاء" وقيل: لأنه الكلمة التي قالها الله لجبريل حيث أمره بالنفخ في جيبها. (حاشية الصاوي) **متبوعا:** السيد فعيل من ساد يسود، وهو الرئيس الذي يتبع. (تفسير الكمالين) **منوعا:** أي كثير المنع لنفسه. **أنى يكون إلخ:** هذا الاستبعاد والاستعظام من حيث العادة والقدرة لا من حيث الشك. (تفسير المدارك) **عاقر:** والعاقر من لا يولد له رجلا كان أو امرأة، مشتق من العقر وهو القطع؛ لقطعه النسل. **الأمر:** يريد أنه خبر مبتدأ محذوف، وقوله: "الله يفعل ما يشاء"، بيان له من خلق غلام منكما مع كونكما كبيرين. (تفسير الكمالين) **ألهمه:** السؤال وهو قوله: "أنى يكون لي إلخ"، وقوله: "ليجاب بها" أي بإظهارها. (حاشية الجمل)

ليجاب: علة للإلهام، إن قلت: ما الحكمة في قوله في قصة زكريا: "الله يفعل ما يشاء" وفي قصة مريم: "يخلق ما يشاء"، قلت: الحكمة أن خرق العادة في عيسى أعظم من يحيى، فإن عيسى لم يكن له أب مع كون أمه عذراء، وأما يحيى فأبواه موجودان وإن كان هناك مانع من الحمل، فعبر في جانب عيسى بالخلق الذي هو إنشاء واختراع دون الفعل. **تاقت:** أي اشتاقت. **تمتنع:** أي تمتنع بالنهي عنه وأنت صحيح سوي، كما في سورة مريم: ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ (مريم:١٠) لا أنه حبس لسانه عن الكلام، كذا قاله الشيخ البغوي. وظاهر كلام القاضي أنه لا يقدر على التكلم من الناس. (تفسير الكمالين)

بلياليها: ومن ذلك اختار بعض أكابر الصوفية: أن الخلة مع الرياضة لبلوغ المراد ثلاثة أيام ولياليها، يجعل ذكر الله فيها شعاره ودثاره ولا يتكلم فيها. **واذكر ربك إلخ:** في أيام عجزك عن تكليم الناس، وهي من الآيات الباهرة والأدلة الظاهرة، وإنما حبس لسانه عن كلام الناس؛ ليخلص المدة لذكر الله، لا يشغل لسانه لغيره، كأنه لما طلب الآية من أجل الشكر، قيل له: آيتك أن تحبس لسانك إلا عن الشكر، وأحسن الجواب ما كان منتزعا من السؤال.

كَثِيرًا وَسَبِّحْ **صل** بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ أواخر النهار وأوائله. وَ اذكر إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أي **جبريل** يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ اختارك وَطَهَّرَكِ من **مسيس الرجال** وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ أي أهل زمانك. يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ أطيعيه وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ **أي صلي** مع المصلين. ذَٰلِكَ المذكور من أمر زكريا ومريم مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ أخبار ما غاب عنك نُوحِيهِ إِلَيْكَ ....

صل: يؤيد هذا التفسير تعيين الوقت؛ إذ التسبيح لا وقت له مخصوص بخلاف الصلاة.

بالعشي: والعشي من حين الزوال إلى الغروب، والإبكار من طلوع الفجر إلى وقت الضحى. **تنبيه:** علم من هذه الآية أنه لم يكن في شريعتهم إلا صلاتان، صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروبها. كما رواه النسائي، من "المدارك" و"الكمالين".

قالت الملائكة إلخ: عطف على قوله: "إذ قالت امرأة عمران" والمناسبة بينهما ظاهرة، فإن تلك قصة الأم، وهذه قصة البنت، وأما قصة زكريا فذكرت بينهما؛ لأن رؤية العجائب في الأولى هي الحاملة لزكريا على طلب الولد. (حاشية الصاوي) **جبريل:** أشار بذلك إلى أنه من باب تسمية الخاص باسم العام تعظيما له. (حاشية الصاوي)

مسيس الرجال: إما تطهيرها عن الحيض فلم يثبت، بل قيل: إنها حاضت قبل الحمل به حيضة واحدة. (تفسير الكمالين)

واصطفاك إلخ: أي بأن وهب لك عيسى من غير أب، ولم يكن ذلك لأحد من النساء، هذا وإن كان من خصائص مريم عليها السلام، لكنه لا يلزم من هذه الفضيلة أفضليتها مطلقة على فاطمة بنت محمد ﷺ، وعائشة زوجة النبي ﷺ؛ لأن هذه الفضيلة المخصوصة وإن لم يكن فيهما، لكن فضائلهما كثيرة واردة في الأحاديث لا يوجد منها شيء في مريم عليها السلام، ففاطمة وعائشة رضي الله عنهما أفضل نساء العالمين من الأولين والآخرين كما هو المذهب المحقق عند العلماء.

يا مريم: الحكمة في أن الله لم يذكر في القرآن امرأة باسمها إلا هي الإشارة بطرف خفي إلى رد ما قاله الكفار من أنها زوجته، فإن العظيم على الهمة يأنف من ذكر اسم زوجته بين الناس، فكأن الله يقول: لو كانت زوجة لي لما صرحت باسمها. **واسجدي:** قدم السجود لشرفه، و"الواو" لا تقتضي ترتيبا، إن كانت صلاتهم كصلاتنا من تقديم الركوع على السجود، وإن كانت بالعكس فالأمر ظاهر. (حاشية الصاوي)

مع الراكعين: لم يقل: مع الراكعات، إما لدخول جمع المؤنث في المذكر بالتغليب، أو المعنى: صلي كصلاة الرجال من حيث الخشية وعلو الهمة، لا كصلاة النساء من حيث التفريط وعدم الخشية. (حاشية الصاوي)

أي صلي إلخ: تفسير لـــ"اسجدي واركعي"، فأطلق الجزء وأريد الكل، وتقديم السجود إما لكون الترتيب في شريعتهم كذلك، وإما لكونه أفضل الأركان، وإما ليقترن "اركعي" بـــ"الراكعين". (تفسير أبي السعود)

يا محمد ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ﴾ في الماء **يقترعون؛ ليظهر لهم** ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ﴾ يُربي ﴿مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ في كفالتها، فتعرف ذلك، فتخبر به، وإنما عرفته من جهة الوحي. اذكر ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ أي جبرئيل ﴿يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ أي ولد ﴿ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ (في موضع الجر صفة كلمة) (بدل من المسيح) خاطبها بنسبته إليها تنبيهاً على أنها تلده بلا أب؛ إذ عادة الرجال نسبتهم إلى آبائهم ﴿وَجِيهًا﴾ **ذا جاهٍ** ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾ بالنبوّة ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ **بالشفاعة** والدرجات العلا ﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ (يرفعه إلى السماء) عند الله. ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ﴾

يقترعون: أي يلقون أقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة، اختاروها للقرعة تبركالهم. **ليظهر لهم:** أي ليعلموا وينظروا أيهم يكفل. وعبارة الكرخي: قوله: "ليظهر لهم" قدره؛ ليتعلق به قوله: "أيهم يكفل مريم"؛ لأن لا معنى لتعليق الإلقاء بالاستفهام؛ إذ لا يعمل فيه ما قبله، ولا هو مما تحكى بعده الجمل. (حاشية الجمل)

المسيح عيسى: "عيسى" بدل من "المسيح"، معرب من أيشوع بمعنى السيد. (السراج المنير) والمسيح أصله مسيحا بالعبرانية بمعنى مبارك. (روح البيان) وقيل: مشتق من المسح لأنه مسح بالبركة، أو مسح الأرض، ولم يقم في موضع. **ابن مريم:** خبر مبتدأ محذوف أي هو ابن مريم، ولا يجوز أن يكون صفة لـــ"عيسى"؛ لأن اسمه "عيسى" فحسب، وليس اسمه عيسى بن مريم. (تفسير المدارك)

ذا جاه: وهو القوة، والمنعة والشرف. (روح البيان) **بالشفاعة:** لأمته المحقين، إما الشفاعة العظمى فهي مخصوصة بنبينا ﷺ. (تفسير الكمالين) **في المهد:** "المهد" مصدر ميمي، سمي به ما يمهد للصبي أي يسوى من مضجعه. (تفسير أبي السعود) وفي "التفسير الكبير": في المهد قولان، أحدهما: إنه حجر أمه، والثاني: هو المعروف الذي هو مضجع الصبي، والكلام على حذف المضاف أي في زمان المهد ومدته، وإليه أشار الشارح بقوله: "أي طفلا"، وعبارة أبي البقاء: "في المهد" يجوز أن يكون حالا من الضمير في "يكلم" أي يكلم صغيرا، ويجوز أن يكون ظرفا. وفي "روح البيان": أي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الأنبياء من غير تفاوت، يعني أن تكلمه في حالة الطفولية والكهولة على حد واحد، وزمن الكهولة من ثلاثين سنة إلى أربعين، وروي: أنه لما بلغ عمره ثلاثين سنة أرسله الله إلى بني إسرائيل، فمكث في رسالته ثلاثين شهرا، ثم رفع إلى السماء أو جاءه الوحي على رأس ثلاثين سنة فمكث في نبوته ثلاث سنين وأشهر ثم رفع. وحكي عن مجاهد قال: قالت مريم: كنت إذا خلوت أنا وعيسى حدثني وحدثته، فإذا شغلني إنسان يسبح في بطني وأنا أسمع، فإن قيل: فما فائدة البشارة بكلامه كهلا والناس في ذلك سواء؟ أجيب بأنه بشرها بأنه يبقى إلى أن يتكهل، ولعدم التفاوت بحالين. (السراج المنير)

أي طفلاً قبل وقت الكلام وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ كيف يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ بتزوّجٍ ولا غيره؟ قَالَ الأمر كَذَٰلِكِ من خَلْقِ ولدٍ منك بلا أب ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا أراد خلقه فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ أي فهو يكون. وَيُعَلِّمُهُ بالنون والياء ٱلْكِتَٰبَ **الخط** وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَ **نجعله** رَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ **في الصبا** أو بعد البلوغ، فنفخ جبريل في جيب **درعها** فحملت وكان من أمرها **ما ذكر** في سورة "مريم"، فلما بعثه الله تعالى إلى بني إسرائيل قال لهم: "إني رسول الله إليكم" أَنِّي **أي بأني** قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ علامة على صدقي مِّن رَّبِّكُمْ **هي** أَنِّيٓ وفي قراءة بالكسر استئنافاً أَخْلُقُ **أصوّر** لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ مثل صورته **والكاف** اسم مفعول فَأَنفُخُ فِيهِ الضمير للكاف فَيَكُونُ طَيْرًا

للأكثر — بكسر همزة إن

الخط: فكان أحسن الناس خطا، وعبارة "أبي السعود": "ويعلمه الكتاب" أي الكتابة، أو جنس الكتب الإلهية. **والتوراة:** إن قلت: إنها كتاب موسى؟ أجيب بأنه كان يحفظها، يتعبد بها إلا ما نسخ منها في "الإنجيل". **ونجعله رسولا:** أشار إلى أنه منصوب بفعل مضمر لائق بالمعنى. (تفسير الكرخي) **في الصبا:** أي وهو ابن ثلاث سنين، وقوله: "أو بعد البلوغ" أي وهو ابن ثلاثين سنة، وكلا القولين ضعيف، والمعتمد: أنه بني على رأس الأربعين، وعاش نبيا ورسولا ثمانين سنة، فلم يرفع إلا وهو ابن مائة وعشرين سنة.

درعها: درع المرأة قميصها. **ما ذكر:** أي من قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً﴾ (مريم:١٦) إلى قوله: ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً﴾ (مريم:٣٣). **أي بأني:** يشير به إلى أن موضع هذه الجملة مجرور، وذلك مذهب الخليل كما صرح به أبو البقاء. **هي أني:** أشار بتقديم "هي" إلى أن "أني" بفتح الهمزة في محل رفع خبر مبتدأ محذوف. (تفسير الكرخي)

أصور: دفع بذلك ما يقال: إن الخلق هو الإيجاد بعد العدم، وهو مخصوص بالله تعالى؟ فأجاب بأن معنى الخلق: التصوير. **لكم:** أي لأجلكم بمعنى التحصيل لإيمانكم ورفع تكذيبكم إياي. (روح البيان) **والكاف:** اسم مفعول أي بمعنى مماثل، فيكون المعنى: فأصور لكم من الطين مماثل هيئة الطير، كذا يستفاد من عبارة "أبي السعود" وغيره، وقوله: "الضمير للكاف" أي فأنفخ في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير. (تفسير أبي السعود)

وفي قراءة: "طائراً" لنافع ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بإرادته فخلق لهم "الخفاش" الوطواط؛ لأنه **أكمل الطير خلقاً** فكان يطير وهم ينظرونه فإذا غاب عن أعينهم **سقط ميتاً** ﴿وَأُبْرِئُ﴾ أشفي ﴿ٱلْأَكْمَهَ﴾ الذي وُلد أعمى ﴿وَٱلْأَبْرَصَ﴾ وخُصا **لأنهما داءان** أعييا وفي نسخة: أعياء وكان بعثه في زمن الطب فأبرأ في يوم خمسين ألفاً **بالدعاء بشرط الإيمان** ﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ كرّره لنفي توهم الألوهية فيه **فأحيا عازر** بفتح الزاي صديقاً له، وابن العجوز، وابنة العاشر، فعاشوا، ووُلِدَ لهم، **وسام بن نوح** ومات في الحال ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ﴾ تخبؤون ﴿فِى بُيُوتِكُمْ﴾ مما لم أعاينه، فكان يخبر الشخص بما أكل وبما يأكل بعد ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ وَ جئتكم ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾......

أكمل الطير خلقا: أي لأن له أسنانا وثديا وآذانا، ويحيض كالنساء ويطير من غير ريش ولا يبصر إلا في ساعة بعد المغرب وبعد الصبح، وما بقي من الزمان هو فيه أعمى. (حاشية الصاوي) **سقط:** ليتميز فعل الخلق من فعل الله. (روح البيان) **ميتا:** كذا حكي عن وهب بن منبه، وقيل: كان يعيش نوما واحدا. (تفسير الكمالين)

لأنهما داءان إلخ: أي مرضان أعجزا الأطباء، والداء: المرض، كذا في "المصباح". **بالدعاء:** لا بالدواء كما هو دأب الأطباء. (تفسير الكمالين) **بشرط الإيمان:** أي كان يشترط على كل من أبرأه أن يؤمن به. (حاشية الجمل)

وأحي الموتى: كان عليه السلام يحيي الموتى بـ"ياحي يا قيوم"، كذا في "الكبير"، فسألوا جالينوس عنه، فقال: الميت لا يحيا بالعلاج، فإن كان يحيي الموتى فهو نبي، وليس بطبيب، فطلبوا أن يحيي الموتى، فأحيا أربعة أنفس. (روح البيان) **فأحيا عازرا:** أي أرسلت أخته إلى عيسى أن أخاك عازرا يموت، وكان بينه وبين عازر ثلاثة أيام، فأتاه هو وأصحابه، فوجده قد مات منذ ثلاثة أيام، فقال لأخته: انطلقي إلى قبره، فانطلقت معهم إلى قبره، فدعا الله، فقام عازر ودمه يقطر، خرج من قبره وبقي وولد له. (تفسير الكمالين)

وسام بن نوح: فإنه عليه السلام جاء إلى قبره، فخرج من قبره، وقد شاب نصف رأسه خوفا من قيام الساعة، ولم يكن يشيبون في ذلك الزمان، فقال: قد قامت القيامة؟ فقال: لا، لكن دعوتك باسم الله الأعظم، ثم قال له: "مت"، قال: بشرط أن يعيذني الله من سكرات الموت، فدعا الله ومات في الحال. (تفسير الكمالين) **وأنبئكم:** روي أنه لما أحيا الموتى قالوا: هذا سحر فأرنا آية، فقال: يا فلان! أكلت كذا، ويا فلان! لك كذا. (تفسير الكمالين)

قبلي مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ فيها فأحل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له. وقيل: أحل الجميع، **فـ"بعض"** بمعنى "كل" وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ كرّره تأكيداً أو ليبني عليه فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ فيما آمركم به من توحيد الله وطاعته. إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا الذي آمركم به صِرَٰطٞ طريق مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٥١﴾ **فكذبوه** و لم يؤمنوا به. فَلَمَّآ أَحَسَّ **علم** عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ وأرادوا قتله قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ أعواني **ذاهبا** (حال كوني) إِلَى ٱللَّهِۖ لأنصر دينه قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ أعوان دينه، وهم أصفياء عيسى، أوّل من آمن به، وكانوا اثني عشر رجلاً، من **"الحُوْر"** وهو البياض الخالص، **وقيل: كانوا** قصارين...

قبلي من التوراة: أي وهي كتاب موسى، وكان بينه وبين عيسى ألف وتسع مائة وخمسة وسبعون سنة، وأول أنبياء بني إسرائيل يوسف بن يعقوب، وآخرهم عيسى عليهما السلام. **حرم عليكم:** قال القاضي: هو يدل على أن شرعه كان ناسخا لشرع موسى، ولا يحل ذلك بكونه مصدقا للتوراة، كما لا يعود نسخ القرآن بعضه ببعض عليه تناقض وتكاذب، فإن النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص بالأزمان. وقال وهب بن منبه وجماعة: إن عيسى عليه السلام كان يسبت قبل بيت المقدس، وما غير شيئا من أحكام التوراة، فهم فسروا قوله: "ولأحل لكم" بأنه رفع شرائع باطلة اخترعها الأحبار من عند أنفسهم، والصواب هو الأول. (تفسير الكمالين)

فبعض إلخ: استشكل بأنه يلزم عليه تحليل كالزنا والقتل؟ وأجيب: بأن المراد جميع ما طرأ تحريمه من أجل التشديد لا ما كان محرما بالأصالة. **إن الله إلخ:** هذا إقرار بالعبودية، ونفي للربوبية بخلاف ما يزعم النصارى. (تفسير المدارك) **فكذبوه:** أشار به إلى أن قوله: "فلما أحس عيسى إلخ" مرتب على هذا المحذوف. (حاشية الجمل) **أحس:** الإحساس عبارة عن وجدان الشيء بالحاسة. (تفسير المدارك) **علم:** إيذان بأن الكفر ليس من جملة المحسوسات، فهو استعارة أتى به؛ لظهور كفرهم أشد ظهور مثل ظهور محسوسات. (التعليقات) **ذاهبا:** فيكون الجار متعلقا بـ"محذوف"، وفي نسخة: داعيا بدل "ذاهبا"، وقيل: "إلى" ههنا بمعنى "مع " أو "في" أو "اللام"، والجار متعلق بـ"أنصاري". (تفسير الكمالين) **الحواريون:** كأنه نسبة إلى الحور، وزيادة الألف في تغيرات أنسب.

الحور: أي هذا الإسم مشتق من الحور. (حاشية الجمل) **وقيل كانوا إلخ:** قيل: إن أمه أرسلته إلى صباغ، فأراد الصباغ يوما أن يشتغل ببعض مهماته، فقال له عليه السلام: ههنا ثياب مختلفة، قد جعلت لكل واحد منها علامة معينة، =

يحورون الثياب أي يبيضونها ﴿ءَامَنَّا﴾ صدقنا ﴿بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ﴾ يا عيسى ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ﴾ من الإنجيل ﴿وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ﴾ عيسى ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝﴾ لك بالوحدانية ولرسولك بالصدق. قال تعالى ﴿وَمَكَرُواْ﴾ أي كفار بني إسرائيل بعيسى إذ وكلوا به من يقتله **غيلة** ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ بهم **بأن ألقى** شبه عيسى على من قصد قتله **فقتلوه،**

= فأصبغها بتلك الألوان، فغاب، فجعل عليه السلام كلها في جب واحد، وقال: كوني بإذن الله كما أريد، فرجع الصباغ فسأله، فأخبره بما صنع، فقال: أفسدت علي الثياب، قال: قم فانظر، فجعل يخرج ثوبا أحمر وثوبا أخضر، وثوبا أصفر إلى أن أخرج الجميع على أحسن ما يكون حسب ما كان يريد، فتعجب منه الحاضرون، وآمنوا به عليه السلام وهم الحواريون. قال القفال: ويجوز أن يكون بعض هؤلاء الحواريين الاثني عشر من الملوك، وبعضهم من صيادي السمك، وبعضهم القصارين، وبعضهم من الصباغين، والكل سموا بالحواريين؛ لأنهم كانوا أنصار عيسى عليه السلام وأعوانه، والمخلصين في طاعته ومحبته. (الإرشاد)

يحورون: روي أنهم إذا جاعوا قالوا: جعنا يا روح الله! فيضرب بيده الأرض، فيخرج منها لكل واحد رغيفان، وإذا عطشوا قالوا: عطشنا، فيضرب بيده الأرض، فيخرج منها الماء فيشربون، فقالوا: من أفضل منا؟ قال عليه السلام: أفضل منكم من يعمل بيده، ويأكل من كسبه، فصاروا يغسلون الثياب بالأجرة، فسموا حواريين، كذا في "الإرشاد". **غيلة:** أي خدعة وخفية، الغيلة: القتل على الغفلة.

ومكر الله: المكر عبارة عن الاحتيال في إيصال الشر، والاحتيال على الله تعالى محال، فصار لفظ "المكر" في حقه من المتشابهات، وذكروا في تأويله وجوها، أحدها: أنه تعالى سمى جزاء المكر مكرا، كقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ (الشورى:٤٠) سمي جزاء المخادعة بالمخادعة، وجزاء الاستهزاء بالاستهزاء. والثاني: أن معاملة الله معهم كانت شبيهة بالمكر، فسمي بذلك. والثالث: أن هذا اللفظ ليس من المتشابهات؛ لأنه عبارة عن التدبير المحكم الكامل، ثم اختص في العرف بالتدبير في إيصال الشر إلى الغير، وذلك في حق الله تعالى غير ممتنع، والله أعلم. (التفسير الكبير)

بأن ألقى إلخ: حاصل ذلك: أنهم لما تجمعوا على قتله جاءه جبريل، فوجده في مكان في سقفه فرجة، فرفعه من تلك الفرجة إلى السماء، وأمر ملك اليهود رجلا اسمه ططيانوس أن يدخل على عيسى فيقتله، فلما دخل فلم يجده خرج، وقد ألقى الله شبه عيسى عليه، فلما رأوه ظنوه عيسى فقتلوه، وفتشوا على عيسى فلم يجدوه، ثم قالوا: إذا كان هذا عيسى فأين صاحبنا؟ وإذا كان صاحبنا فأين عيسى؟ فوقع بينهم قتال عظيم. (حاشية الصاوي)

فقتلوه: روي: أنهم كانوا اثني عشر رجلا مجتمعين في بيت، فنافق واحد منهم، ودل اليهود عليه، وألقى الله شبهه على من نافق، فأخذ ذلك المنافق وقتل، وسلب على ظن أنه عيسى. وأخرج النسائي وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما: لما أراد الله أي يرفع عيسى خرج على أصحابه، وفي البيت اثنا عشر رجلا، فقال: إن منكم =

وَرَفَعَ عيسى ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ۝﴾ أعلمهم به. اذكر ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ قابضك ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ من الدنيا من غير موت ﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾ مُبْعدك..........

= من يكفر بي من بعد أن آمن، ثم قال: أيكم يلقى عليه شبهي، فيقتل مكاني، فيكون في الجنة؟ فقام شاب أحدثهم سنا فقال: أنا، فقال: اجلس ثم أعاد فعاد، فقال: اجلس، ثم أعاد فعاد الثالثة، قال ﷺ: فصلب بعد أن رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، وجاء الطلب من اليهود، فأخذوا الشاب. (تفسير الكمالين)

ورفع عيسى إلخ: وذلك: أن ملك اليهود أراد قتل عيسى عليه السلام، وكان جبريل عليه السلام لا يفارقه ساعة، وهو معناه: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ (البقرة:٨٧) فلما أرادوا ذلك أمره جبريل أن يدخل بيتا فيه روزنة، فلما دخل البيت أخرده جبريل من تلك الروزنة، وكان قد ألقي شبهه على غيره، فأخذ وصلب. (التفسير الكبير)

إني متوفيك: اسم فاعل من التوفي. وفي "القاموس" وغيره: التوفي أخذ الشيء وافيا، وفي أبي البقاء: "متوفيك ورافعك إلي"، كلاهما للمستقبل، والتقدير: رافعك ومتوفيك؛ لأنه رفع إلى السماء ثم يتوفى، وفي "العباسي"، ثم "متوفيك": قابضك بعد النزول، وفي "معالم التنزيل": قال الحسن والكلبي وابن جريج: إني قابضك ورافعك من الدنيا إلي من غير موت، وفي "التفسير الكبير": معنى قوله: "إني متوفيك" أي إني متمم عمرك، فحينئذ أتوفاك، فلا أتركهم حتى يقتلوك، بل أنا رافعك إلى سمائي، ومقرك بملائكتي، وأصونك عن أن يتمكنوا من قتلك، وهذا تأويل حسن.

وأيضا فيه: وقد ثبت بالدليل أنه حي، وورد الخبر عن النبي ﷺ: أنه سينزل ويقتل الدجال، ثم إنه تعالى يتوفاه بعد ذلك. وفي "ابن ماجة": حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن يعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى بن مريم حكما مقسطا، وإماما عادلا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد.

وفي "أبي داود": ثم ينزل عيسى بن مريم عليهما السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، (ملخص الحديث) وفي "صحيح مسلم": قال: اطلع علينا النبي ﷺ ونحن نتذاكر، فقال: ما تذكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدخان والدجال، والدابة وطلوع الشمس من مغربها، نزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج.

وفي "المشكاة": عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: ينزل عيسى بن مريم إلى الأرض، فيتزوج ويولد له، ويمكث خمسا وأربعين سنة، ثم يموت، فيدفن معي في قبري، فأقوم أنا وعيسى ابن مريم في قبر واحد بين أبي بكر وعمر رواه ابن الجوزي، وفي "عقائد النسفي" و"شرحه": وأخبر النبي ﷺ أن من أشراط الساعة: خروج الدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى عليه السلام من السماء، وطلوع الشمس من مغربها، فهو حق؛ لأنها أمور ممكنة أخبر بها الصادق، وفي "فقه الأكبر" و"شرحه": ونزول عيسى من السماء كما قال الله تعالى: إنه أي عيسى لعلم للساعة أي علامة القيامة، وقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ (النساء:١٥٩) أي عيسى بعد نزوله عند قيام الساعة، فيصير الملل واحدة. =

﴿مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾ صدّقوا بنبوّتك من المسلمين والنصارى ﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بك وهم اليهود **يعلونهم** بالحجة والسيف ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل والسبي والجزية ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالنار ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ مانعين منه. ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ﴾ بالياء للحفص والنون للأكثر ﴿أُجُورَهُمْ﴾ الأسر ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ أي يعاقبهم. روي أن الله تعالى أرسل إليه سحابة فرفعته، فتعلّقت به أُمُّه وبكت فقال إن القيامة تجمعنا، وكان ذلك ليلة القدر ببيت المقدس، وله **ثلاث وثلاثون سنة**، ....

= فالحاصل: أن نزول عيسى وحياته ثابت بأحاديث الصحاح وغيرها، فمنكرهما من أهل البدعة، ولا اعتبار فيه قول البعض، فعلينا اتباع جمهور المفسرين، والعقائد الإسلامية والأحاديث، ولقد أطنبنا الكلام فيه؛ لأنه كان بعض الناس في زمن من الأزمنة ينكر لحياة عيسى ونزوله من السماء، ويدعو لنفسه: أنه عيسى، وغرضه من هذا إغواء العوام، فهو ضال مبتدع كذاب، ومن اتبع به فهو أيضا في هذا الحكم.

من الذين إلخ: أي من سوء جوارهم وخبث صحبتهم ودنس معاشرتهم. **وجاعل الذين:** أي أحبوك وانتسبوك، فإن صدقوا بمحمد أيضا وأحبوه، أو ماتوا قبل بعثته، فقد تم لهم العز في الدنيا والأخرى، وإن لم يصدقوا بمحمد و لم يحبوه، فقد حازوا عز الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق، فالنصارى لهم عز في الدنيا، وسلطنة على اليهود إلى يوم القيامة. (حاشية الصاوي) **يعلونهم:** قال النيشافوري: فلا ترى ملك يهودي في الدنيا، وقال القاضي: وإلى الآن لم يسمع غلبة اليهود عليهم. (تفسير الكمالين) **يعلونهم:** أي يعلو المتبعين اليهود في غالب الأمر، ومتبعوه من آمن بنبوته من المسلمين والنصارى، وإلى الآن لم يسمع غلبة اليهود عليهم. (تفسير البيضاوي)

ثلاث وثلاثون سنة: عبارة "المواهب" مع "شرحها للزرقاني": وإنما يكون الوصف بالنبوة بعد بلوغ الموصوف بها أربعين سنة؛ إذ هو سن الكمال، وبها تبعث الرسل، ومفاد هذا الحصر الشامل لجميع الأنبياء حتى يحيى وعيسى هو الصحيح. ففي "زاد المعاد" ما يذكر أن عيسى رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة لا يعرف به أثر متصل يجب المصير إليه. قال الشامي: وهو كما قال: فإن ذلك إنما يروى عن النصارى، والمصرح به في الأحاديث النبوية: أنه إنما رفع وهو ابن مائة وعشرين سنة، ثم قال أي الزرقاني: **مهمة:** وقع للحافظ جلال الدين السيوطي في "تكملة تفسير المحلي"، و"شرح النقاية" وغيرهما من كتبه الجزم بأن عيسى رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، ويمكث بعد نزوله سبع سنين، وما زلت أتعجب مع مزيد حفظه وإتقانه وجمعه للمعقول والمنقول، حتى رأيته في "مرقاة الصعود" رجع عن ذلك. (حاشية الجمل)

وعاشت أُمُّه بعده ست سنين. وروى الشيخان حديث "أنه ينزل قرب الساعة ويحكم **بشريعة نبينا** ﷺ، ويقتل الدجال والخنزير ويكسر **الصليب ويضع الجزية**" وفي حديث مسلم: "أنه يمكث سبع سنين" وفي حديث عن أبي داود الطيالسي: "**أربعين سنة** ويتوفى ويصلى عليه"، **فيحتمل** أن المراد مجموع لبثه في الأرض قبل الرفع وبعده. ذَٰلِكَ المذكور من أمر عيسى نَتْلُوهُ نقصُّه عَلَيْكَ يا محمد! مِنَ ٱلْأَيَٰتِ حال من الهاء في "نتلوه"، وعامله ما في "ذلك" من معنى الإشارة وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ المحكم أي القرآن. إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ شأنه الغريب عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ كشأنه في خلقه من غير أب، وهو تشبيه الغريب **بالأغرب**؛ ليكون أقطع للخصم وأوقع في النفس خَلَقَهُۥ أي آدم أي قالبه مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن بشراً فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ أي فكان، وكذلك عيسى قال له: كن من غير أب فكان. ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ **خبر مبتدأ** محذوف أي أمر عيسى تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ **الشاكين فيه**.

(أي في وجه جمع الحديثين — مبتدأ — خبر ذلك — في لفظ ذلك — وقيل: اللوح)

بشريعة نبينا: إن قلت: إن وضع الجزية ليس من شرع نبينا؟ أجيب: بأنه منه، غير أن أخذها مغيا بنزول عيسى كما أخبر بذلك نبينا فوضعها أيضا من شرعنا. (حاشية الصاوي) **الصليب:** هو المربع من الخشب للنصارى، يدعون أن عيسى عليه السلام صلب على خشبة على تلك الصورة، وقيل: هو مثلث كالتمثال يعبده النصارى. (حاشية الصاوي) **ويضع الجزية:** أي لا يقبلها بل يقبل الإسلام. (تفسير الكمالين) **أربعين سنة:** وقد وقع ذلك عند أحمد عن أبي هريرة بسند صحيح كما في الإصابة. (تفسير الكمالين)

فيحتمل إلخ: أن المراد مجموع لبثه فلا تنافي بين الحديثين. **مثل عيسى:** سبب نزولها: أن وفد نجران قدموا على النبي ﷺ، فقالوا: نراك تسب صاحبنا، فقال: من هو؟ قالوا: عيسى، تزعم أنه عبد الله، فقال رسول الله ﷺ: أجل، أنه عبد الله ورسوله، فقالوا: هل له مثل من الخلق، خلق من غير أب؟ فنزلت الآية. (حاشية الصاوي)

بالأغراب: أي لأن آدم من غير أب وأم، فهو أغرب من عيسى. (حاشية الجمل)

خبر مبتدأ: "الحق" خبر مبتدأ و"من ربك" خبر بعد خبر، وقيل: "الحق" مبتدأ، و"من ربك" خبره أي الحق المذكور من الله. (تفسير البيضاوي) **الشاكين فيه:** أي في أمر عيسى زعما منهم أنه ليس على الشأن المحكي. (روح البيان)

فَمَنْ حَآجَّكَ جادلك من النصارى فِيهِ في عيسى مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ بأمره فَقُلْ لهم: تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ فنجمعهم ثُمَّ نَبْتَهِلْ نتضرع في الدعاء فَنَجْعَل معطوف على ندع لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ بأن نقول: "(اللهم العن الكاذب في شأن عيسى" وقد دعا ﷺ وفد **نجران** لذلك لما حاجُّوه فيه فقالوا: حتى ننظر في أمرنا ثم نأتيك ، فقال **ذو رأيهم**: لقد **عرفتم نبوّته** وإنه ما باهل قوم نبياً إلا هلكوا، **فوادعوا الرجل**، صالحوا وانصرفوا، إلى بلادكم فأتوه أي رسول الله ﷺ وقد خرج، من بيته إلى المسجد ومعه الحسن، والحسين وفاطمة وعليّ رضي الله عنهم، وقال لهم: للأربعة "إذا دعوت فأمِّنوا"، **فأبَوْا** أن يلاعنوا، وصالحوه على الجزية. رواه أبو نعيم.

بأمره: أي بأمر عيسى عليه السلام بأن عيسى عبدا له ورسوله. **تعالوا:** فعل أمر مبني على حذف "النون"، و"الواو" فاعل، وأصله: تعاليوا، فقلبت الياء ألفا؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها، ثم حذفت لالتقائها ساكنة مع "الواو". (حاشية الجمل) **ثم نبتهل:** قال الراغب: بهل الشيء والبعير: إهماله، ثم استعمل في الأسير يسأل في الدعاء، سواء كان لغته أولا، وفي "الكشاف": أصل البهلة: اللغة والدعاء، ثم شاع في مطلق الدعاء. (تفسير الكمالين)

تنبيه: وقع البحث عند شيخنا العلامة الدواني — قدس الله سره – في جواز المباهلة بعد النبي ﷺ، فكتب رسالة في شروطها المستنبط من الكتاب والسنة والآثار، وكلام الأئمة، وحاصل كلامه فيها: أنها لا تجوز إلا في أمر مهم شرعا وقع فيه اشتباه وعناد، لا يتيسر دفه إلا بالمباهلة، فيشترط كونها بعد إقامة الحجة، والسعي في إزالة الشبهة، وتقديم النصح والإنذار، وعدم نفع ذلك، ومساس الضرورة إليها، من "تفسير الكازروني". (حاشية الجمل)

فنجعل: عطف على نبتهل مبين لمعناه. **نجران:** بفتح النون بلد باليمن سمي بـ"نجران بن زيد بن سبا"، وكانوا نصارى، وكانوا ستين راكبا. (ك و ت) **ذو رأيهم:** [اسمه أبو حارثه، وقال الشيخ سليمان الجمل: اسمه عبد المسيح] وهو العاقب أي الأمير الذي يخلف السيد وهو دون سيد. **عرفتم نبوته:** وفي رواية: أنه قد اعترف بدين الإسلام، وقال: أعلم أنه نبي، ولكن ملوك الروم شرفونا، وأمدونا بأموالهم، فنحن على دينهم. (تفسير الكمالين)

فوادعوا الرجل: أي صالحوه، توادع تصالح، والرجل محمد ﷺ.

فأبوا: وذلك؛ لأنهم لما رأوا النبي ﷺ ومن معه، قال أسقف نجران: يا معشر النصارى! إني لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني، فقالوا: يا أبا القاسم: رأينا أن لا نباهلك، فصالحهم على ألفي حلة كل سنة، فقال عليه السلام: "والذي نفسي بيده أن الهلاك قد تدلى على أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير".

وروى أبو داود أنهم صالحوه على ألفي حلة النصف في صفر والبقية في رجب، وثلاثين درعا وثلاثين فرسا وثلاثين بعيرا وثلاثين من كل صنف من أصناف السلاح. وروى أحمد في مسنده **عن ابن عباس** رضي الله عنهما قال: "لو خرج الذين يباهلون لرجعوا، لا يجدون مالاً ولا أهلاً". وروى الطبراني مرفوعا: "لو خرجوا لاحترقوا". إِنَّ هَـٰذَا المذكور لَهُوَ ٱلْقَصَصُ الخبر ٱلْحَقُّ الذي لا شك فيه وَمَا مِنْ **زائدة** مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ في ملكه ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ في صنعه. فَإِن تَوَلَّوْا۟ أعرضوا عن الإيمان فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ فيجازيهم، **وفيه** وضع الظاهر موضع المضمر. قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ **اليهود والنصارى** ....

(من نبأ عيسى)

= وإنما ضم الأبناء والنساء وإن كان المباهلة تختص به وبمن يكاذبه؛ لأن ذلك دل في الدلالة على ثقته بحاله، واستيفائه بصدقه، حيث استجرأ على تعريض أغرته وأفلاذ كبده لذلك، ولم يقتصر على تعريض نفسه له، وعلى ثقته بكذب خصمه، حتى يهلك خصمه مع أحبته وأغرته إن تمت المباهلة. وخص الأبناء والنساء؛ لأنهم أعز الأهل، وألصقهم بالقلوب، وقدمهم في الذكر على الأنفس؛ لينبه على قرب مكانهم ومنزلتهم. وفيه دليل واضح على صحة نبوة النبي ﷺ؛ لأنه لم يرو أحد من موافق أو مخالف أنهم أجابوا إلى ذلك. (تفسير المدارك)

عن ابن عباس إلخ: أي وورد أنه ﷺ قال: "والذي نفسي بيده أن الهلاك قد تدلى على أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير، ولأضرم عليهم الوادي نارا، ولم يبق نصراني على وجه الأرض إلى يوم القيامة". (حاشية الصاوي) القصص الحق: هذا نتيجة ما قبله، واسم الإشارة عائد على ما ذكر من أمر عيسى، وأنه ليس ابن الله. وأكد الجملة بـــ"إن" و"اللام" وكونها معرفة الطرفين؛ لشدة إنكارهم. (حاشية الصاوي)

وما من إلخ: يجوز فيه وجهان، أحدهما: أن "من إله" مبتدأ، و"من" مزيدة فيه، و"إلا الله" خبره، تقديره: ما إله إلا الله، وزيدت "من" للاستغراق والعموم. والثاني: أن يكون الخبر مضمرا، تقديره: وما من إله لنا إلا الله، و"إلا الله" بدل من موضع "من إله"؛ لأن موضعه رفع بالابتداء. (السمين)

من زائدة: أي للاستغراق تأكيدا للرد على النصارى في تثليثهم. (تفسير الكمالين) وفيه: أي في المفسدين؛ ليدل على أن التولي والإعراض عن التوحيد إفساد الدين. (تفسير الكمالين) اليهود والنصارى: وقيل: وفد نجران بقرينة السياق. (تفسير الكمالين)

تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ مصدر بمعنى **مستو أمرها** بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ **هي** **أَلَّا** نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ **كما اتخذتم الأحبار** والرهبان فَإِن تَوَلَّوْاْ أعرضوا عن التوحيد فَقُولُواْ أنتم لهم **ٱشْهَدُواْ** بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ موحِّدون. ونزل لما قالت اليهود: إبراهيم يهوديّ ونحن على دينه، وقالت النصارى كذلك. (رواه ابن جرير) يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ تخاصمون فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ بزعمكم أنه على دينكم وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ **بزمن طويل** ....

تعالوا إلى كلمة: يعني تعالوا إليها، حتى لا نقول: عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله؛ لأن كل واحد منهما بعضنا وبشر مثلنا، ولا نطيع أحبارنا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع إلى ما شرع الله. وعن عدي بن حاتم: ما كنا نعبدهم يا رسول الله! قال: أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون، فتأخذون بقولهم؟ قال: نعم، قال: هو ذلك. (تفسير المدارك) **سواء:** أي لا يختلف فيها القران والتوراة والإنجيل. (تفسير المدارك)

مستو أمرها: أي لا يختلف فيه الرسل والكتب، كذا في الخطيب. **هي ألا إلخ:** فمحلها الـرفع على الخبر، ويمكن أن يكون الخفض على البدل من "كلمة". (تفسير الكمالين) **كما اتخذتم الأحبار:** روى الترمذي: لما نزل قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (التوبة:٣١) قال عدي بن حاتم: ما كنا نعبدهم، قال: أليس يحلون لكم ويحرمون، فتأخذون بقولهم؟ قال: نعم، قال: هو ذلك أي أخذكم بقولهم. (تفسير الخطيب)

اشهدوا: أي لزمتكم الحجة، فوجب عليكم أن تعترفوا، تسلموا بأنا مسلمون دونكم، كما يقول الغالب للمغلوب في جدال أو صراع: اعترف بأني أنا الغالب، وسلم إلي! الغلبة. (تفسير المدارك) تنبيه: انظر إلى ما راعى في هذه القصة من المبالغة في الإرشاد وحسن التدرج في الحجاج، بين أولا أحوال عيسى عليه السلام وما تعاور عليه من الأطوار المنافية للألوهية، ثم ذكر ما يحل عقدهم ويزيح شبهتهم، فلما رأى عنادهم ولجاجهم دعاهم إلى المباهلة بنوع من الإعجاز، ثم لما أعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالإرشاد، وسلك طرقا أسهل وألزم بأن دعاهم إلى ما وافق عليه عيسى والإنجيل، وسائر الأنبياء والكتب، ثم لما لم يجد ذلك أيضا عليهم، وعلم أن الآيات لا تنفع والنذر لا تغني عنهم أعرض عن ذلك، وقال: اشهدوا بأنا مسلمون. (أنوار التنزيل)

بزمن طويل: إذ كان بين إبراهيم وموسى ألف سنة، وبين موسى وعيسى ألفا سنة، فكيف يكون إبراهيم على دين لم يحدث إلا بعده بأزمنة متطاولة؟ (روح البيان) خطر ببالي وقت هذا التحرير: لقائل أن يقول: لم لا يجوز أن تقول اليهود: إن إبراهيم كان يهوديا بمعنى أنه كان على الدين الذي عليه اليهود، وتقول النصارى: إن إبراهيم كان نصرانيا بمعنى أنه كان على الدين الذي عليه النصارى، فكون التوراة والإنجيل نازلين بعد إبراهيم =

وبعد نزولهما حدثت اليهودية والنصرانية؟ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ بطلان قولكم؟ هَا للتنبيه أَنتُمْ مبتدأ **يا** هَٰٓؤُلَآءِ والخبر حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ من أمر موسى وعيسى، وزعمكم أنكم على دينهما فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ **من شأن إبراهيم** وَٱللَّهُ يَعْلَمُ شأنه وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ قال الله تعالى تبرئة لإبراهيم: مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم مُّسْلِمًا **موحداً** وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾

الباطلة

= لا ينافي كونه يهوديا، أو نصرانيا بهذا التفسير، كما أن تقولوا: إن إبراهيم كان على دين الإسلام، والإسلام إنما أنزل بعده بزمان طويل، فرأيت جوابه في "التفسير الكبير": أن القرآن أخبر أن إبراهيم كان حنيفا مسلما، وليس في "التوراة" و"الإنجيل": أن إبراهيم كان يهوديا أو نصرانيا، فظهر الفرق.

وبعد نزولهما: بهذا التقدير تمت الحجة عليهم، فالمعنى أن المانع من كونهم على دين إبراهيم تغييرهم وتبديلهم، وإلا فلو تمسكوا بالتوراة والإنجيل حقيقة لما اختلفوا ولكانوا على دين إبراهيم. (حاشية الصاوي)

أفلا تعقلون: الهمزة داخلة على مقدر هو المعطوف عليه بهذا العاطف المذكور، أي لا تتفكرون فلا تعقلون بطلان قولكم، أو أتقولون ذلك فلا تعقلون بطلانه؟ (تفسير أبي السعود) **يا هؤلاء:** جملة النداء معترضة بين المبتدأ والخبر، ويحتمل أن يكون "هؤلاء" خبرا لـــ"أنتم"، و"حاججتم:" جملة أخرى مبينة للأولى أي أنتم هؤلاء الحمقى، وبيان حماقتكم: أنكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التوراة والإنجيل عنادا، أو تدعون وروده، فلم تجادلون فيما لا علم لكم به، ولا ذكر له في كتابكم من دين إبراهيم، كذا قال القاضي البيضاوي.

يا هؤلاء: حذف حرف النداء مع اسم الإشارة مذهب كوفي، كما في "الخلاصة". **فيما لكم به علم:** "فيما" بمعنى "الذي"، أو نكرة موصوفة، و"علم" مبتدأ، و"لكم" خبره، و"به" في موضع نصب على الحال صفة لـــ"علم" في الأصل، قدمت عليه، كما في "أبي البقاء". **من شأن إبراهيم:** أي فيما لا ذكر له في كتابكم، ولا علم بكم من دين إبراهيم؛ إذ لا ذكر لدينه عليه السلام في أحد الكتابين قطعا.

موحدا: أشار به إلى أنه كان على ملة التوحيد لا على ملة الإسلام الحادثة، وإلا لاشترك الإلزام أي لأنهم يقولون: ملة الإسلام حدثت بنزول القرآن على محمد ﷺ، وكان إبراهيم قبل محمد بمدة طويلة، فكيف يكون على ملة الإسلام الحادثة بنزول القرآن؟ فعلم أن المراد بكون إبراهيم مسلما: أنه كان على ملة التوحيد، لا على هذه الملة، "الكرخي". (حاشية الجمل) **من المشركين:** كأنه أراد بالمشركين اليهود والنصارى بإشراكهم به عزيرا والمسيح، أو وما كان من المشركين كما لم يكن منهم.(تفسير المدارك)

﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ﴾ أحقهم ﴿بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ في زمانه ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾ محمدٌ **لموافقته له** في أكثر شرعه ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ من أُمّته، **فهم** الذين ينبغي أن يقولوا: نحن على دينه لا أنتم، ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ ناصرهم وحافظهم. ونزل لما دعا اليهود معاذاً وحذيفة وعَمّاراً إلى دينهم: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ **لأن إثم** إضلالهم عليهم والمؤمنون لا يطيعونهم فيه ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ يضاعف لهم بضلالهم وإضلالهم **بذلك**. ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن المشتمل على نعت محمد ﷺ ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ **تعلمون** أنه حق. ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ﴾ تخلطون ﴿ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ **بالتحريف** والتزوير ﴿وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ أي نعت النبي ﷺ ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾ أنه حق. ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ اليهود لبعضهم ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ....

بـــإبراهيم: متعلق بـــ"أولى"، و"أولى" أفعل تفضيل من الولي وهو القرب، والمعنى: إن أقرب الناس به أخصهم. (حاشية الجمل) **للذين اتبعوه:** "اللام" زائده للتوكيد وهي لام الابتداء، كذا في "الجمل". **لموافقته له:** في أكثر شرعه، فعقائد محمد التي هو عليها لا تخالف ما قصه الله في كتابه عن إبراهيم. إذا علمت ذلك فالمناسب للمفسر أن يقول: موافقته له في الأصول، أو يقال: الموافقة في الفروع من حيث السهولة، فإن شريعة محمد ﷺ سهلة كشريعة إبراهيم عليه السلام. (حاشية الصاوي) **فهم:** أي الذين اتبعوا إبراهيم عليه السلام في زمانه ومحمد ﷺ والمؤمنون. (حاشية الجمل)

ودت طائفة: أي أحبت و"لو" مصدرية، والمعنى: أحبت جماعة من اليهود والنصارى إضلالكم أي رجوعكم عن دين الإسلام إلى الكفر، وكانوا يتوددون بالهدايا. (حاشية الصاوي) **لأن إثم إلخ:** أي إضلال المؤمنين أي تمنى إضلال المؤمن، وإلا فإضلال المؤمنين لم يقع حتى يأثموا به. (حاشية الجمل) **بذلك:** أي باختصاص وبال إضلالهم بهم. **تعلمون إلخ:** فسر الشهادة بالعلم؛ لأنها الخبر القاطع فيلزمها العلم. (حاشية الجمل)

الحق بالباطل: المراد بالحق إيمان بموسى وعيسى عليهما السلام، وبالباطل كفر بمحمد ﷺ فالمعنى: يا أهل الكتاب، لم تخلطون الإيمان بالكفر بالتحريف والتزوير؟ وذلك أن أحبار اليهود كانوا يكتمون نعت محمد ﷺ عن الناس، فإذا خلا بعضهم ببعضهم أظهروا ذلك فيما بينهم، وشهدوا أنه حق، كذا في "الجمل" مع تغيير. **بالتحريف:** أي التغيير والتبديل، وقوله: التزوير: أي تزيين الكذب وتحسينه.

أي القرآن ﴿وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾ **أوله** ﴿وَٱكْفُرُوٓاْ﴾ به ﴿ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ﴾ أي المؤمنين ﴿يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾ عن دينهم؛ إذ يقولون: ما رجع هؤلاء عنه بعد دخولهم فيه وهم أولو علم إلا لعلمهم بطلانه. وقالوا أيضاً ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ﴾ **تصدّقوا** ﴿إِلَّا لِمَن﴾ اللام زائدة ﴿تَبِعَ﴾ وافق ﴿دِينَكُمْ﴾ قال تعالى: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد! ﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ الذي هو الإسلام وما عداه ضلال، **والجملة** اعتراض ﴿أَن﴾ أي بأن ﴿يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾ من الكتاب والحكمة والفضائل، و"أن" مفعول "تؤمنوا" والمستثنى منه "أحد" قُدِّمَ عليه المستثنى، **المعنى: لا تُقرّوا** بأن أحداً يؤتى ذلك إلا لمن تبع دينكم ﴿أَوْ﴾ بأن ﴿يُحَآجُّوكُمْ﴾ أي المؤمنون يغلبوكم ﴿عِندَ رَبِّكُمْ﴾ يوم القيامة؛ **لأنكم أصح ديناً**.

(المؤمنون، أهل الكتاب، أي الدين)

وجه النهار إلخ: أي في أوله لأن أول النهار ما ظهر منه، كما أن الوجه أول ما يظهر من أعضاء الإنسان عند الملاقاة. (روح البيان) وفي "الخطيب": لأنه أول ما يرى بعد الليل، وقوله: "أن يؤتى" على حذف الجار، كما قدره الشارح. أوله: يعني أظهروا الإيمان بما أنزل على المسلمين في أول النهار. (تفسير المدارك)

تصدقوا: إشارة إلى أحد وجهين في تقرير الآية، وبنى عليه قوله: "اللام زائدة"، وأشار إلى الوجه الثاني بقوله: "المعنى لا تقروا إلخ"، ويبنى على هذا الوجه أن اللام غير زائدة؛ ولذا قال في التقرير: "إلا لمن تبع دينكم" فأشار به إلى أن اللام غير زائدة، (حاشية الجمل) ومعنى الآية: ولا تصدقوا إلا من تبع دينكم اليهودية، وقل لهم: إن دين الحق هو دين الله أي الإسلام، وهذه جملة معترضة بين كلامهم ثم يذكر تتمة كلامهم أي ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من العلم والفضل والحكمة، ولا تؤمنوا أن يحاجوكم عند ربكم؛ لأنكم أصح دينا منهم.

والجملة: اعتراض أي بين الفعل ومفعوله. المعنى لا تقروا: المناسب للمفسر أن يقول: و"المعنى لا تصدقوا إلخ"، وحاصل هذا المعنى الذي أشار له المفسر: أنه ضمن "تؤمنوا" معنى "تقروا"، لتكون "اللام" أصلية، والمستثنى منه محذوف، تقديره: "لأحد"، والمعنى: لا تقروا وتعترفوا لأحد بأنه يؤتى أحد مثل الذي أوتيتموه من الفضائل والكمالات إلا لشخص اتبع دينكم كله، كناية عن نفي النبوة عن محمد ﷺ. وهذا المعنى صحيح من جهة العربية والمعنى، والمفسر من شدة اختصاره خلط هذا التقرير بالتقرير المقدم، وقد علمتها. (حاشية الصاوي)

يحاجوكم: عطف على "أن يؤتى"، والضمير في "يحاجوكم" لـــ"أحد"؛ لأنه في معنى الجمع، و الاستثناء راجع له أيضا، والتقدير: ولا تؤمنوا أي لا تعترفوا ولا تقروا بأن المسلمين يحاجوكم عند ربكم، ويغلبونكم إلا لمن تبع دينكم، وهذا على تقدير عدم زيادة "اللام". (حاشية الجمل) لأنكم أصح دينا: تعليل المنفي المتسلط على "يحاجوكم" أي لا يغلبونكم بالمحاجة؛ لأنكم أصح دينا.

وفي **قراءة**: "أأن" **همزة التوبيخ**: أي إيتاء أحد مثله تقرّون به، قال تعالى: قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ فمن أين لكم أنه لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم؟ وَاللَّهُ وَاسِعٌ كثير الفضل عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ بمن هو أهله. يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ أي بمال كثير يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ لأمانته كعبد الله بن سلام أودعه رجل ألفاً ومائتي **أوقية** ذهباً فأدّاها إليه وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ **لخيانته** إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا لا تفارقه، فمتى فارقته أنكره، ككعب بن الأشرف استودعه قرشيّ دينارا فجحده ذَلِكَ أي ترك الأداء بِأَنَّهُمْ قَالُوا **بسبب قولهم** لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ ....

(لابن كثير — استفهام للتوبيخ — بالنبوة أو بالإسلام — أو بن عازوراء — الذي دل عليه لا يؤدي)

وفي قراءة إلخ: وعلى هذه القراءة، فهذا كلام مستأنف، والكلام الأول قد تم عند قوله: "هدى الله"، وقوله: "همزة التوبيخ" أي همزة الاستفهام الذي للتوبيخ، يعني مع الإنكار، وقوله: "أي إيتاء أحد إلخ" إشارة إلى أن "أن" مصدرية، وهي ومدخولها في تأويل مبتدأ، والخبر محذوف وقد قدره الشارح بقوله: "تقرون به" أي لا ينبغي منكم هذا الإقرار عند غير أشياعكم وأهل دينكم.

همزة التوبيخ: أي الاستفهام التوبيخي، والكلام قد تم قبل الاستفهام، والمستثنى منه محذوف على كلا التقديرين المتقدمين، والمعنى: لا تصدقوا لأحد في دعواه النبوة والفضائل إلا من تبع دينكم. (حاشية الصاوي)

ومن أهل الكتاب إلخ: شروع في بيان خيانتهم في الأموال بعد بيان خيانتهم في الدين. (تفسير أبي السعود)

أوقية: الأوقية: أربعون درهما. (تحقيق الأوزان) **من إن تأمنه:** "من" مبتدأ، و"من أهل الكتاب" خبره، والشرط وجوابه صفة لـــ"من" لأنها نكرة. من "تفسير أبي البقاء" **بدينار:** وهو بوزن عشرين قيراطا والقيراط خمسة شعيرات، كما في "تحقيق الأوزان"، والمراد بالدينار ههنا العدد القليل. (روح البيان) **لخيانته:** هو فنحاص بن عاذوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه، وقيل: المأمون على الكثير النصارى؛ لغلبة الأمانة عليهم، والخائنون في القليل اليهود؛ لغلبة الخيانة عليهم. (تفسير المدارك)

ما دمت: "ما" مصدرية حينية، يعني إلا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق على رأسه ملازما له. (تفسير المدارك)

بسبب قولهم إلخ: فيه إشارة إلى جواب عن سؤال: لم خص أهل الكتاب بذلك مع أن غيرهم منهم الأميين والخائن؟ وإيضاحه: أنه إنما خصهم باعتبار واقعة الحال؛ إذ سبب نزول الآية ما ذكره. (تفسير الكرخي)

أي العرب سَبِيلٌ أي **إثم** لاستحلالهم ظلم من خالف دينهم **ونسبوه** إليه تعالى، قال تعالى وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ في **نسبة ذلك** إليه وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ أنهم كاذبون. بَلَىٰ **عليهم** فيه سبيل مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ **الذي** عاهد الله عليه أو بعهد الله إليه من أداء الأمانة وغيره وَٱتَّقَىٰ الله بترك المعاصي، وعمل الطاعات فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ **فيه وضع الظاهر** موضع المضمر أي يحبهم بمعنى يثيبهم. ونزل في اليهود لما بدلوا نعتَ النبي ﷺ وعَهْدَ الله إليهم في التوراة، وفيمن حلف كاذباً **في دعوى** أو في بيع سلعة: رواه البخاري إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ يستبدلون بِعَهْدِ ٱللَّهِ إليهم في الإيمان بالنبي ﷺ، وأداء الأمانة وَأَيْمَٰنِهِمْ حلفهم به تعالى كاذبا ثَمَنًا قَلِيلاً من الدنيا ....

أي العرب: وغيرهم ممن ليس من أهل كتابهم. (حاشية الصاوي) إثم: ليس غرضه تفسير السبيل بالإثم، فإنه ليس معناه الحقيقي ولا المجازي، بل بيان للمعنى المراد من الكلام، فإنه إذا لم يكن لأحد عليهم طريق في شأن الأميين، فقد ارتفع عنهم الإثم واللوم، فهو كناية. ونسبوه إلخ: أي نسبوا القول المذكور إلى الله تعالى، أي قالوا: إن الله أحل لنا ظلم من ليس على ديننا، وادعوا أن ذلك في التوراة. (حاشية الجمل)

نسبة ذلك: يعني بادعائهم أن ذلك في كتابهم. (تفسير المدارك) بلى عليهم: [إثبات لما نفوه من السبل عليهم في الأميين. (تفسير المدارك)] قال الزجاج: وعندي وقف تام على "بلى"، وما بعده استئناف مقرر للجملة التي سدت "بلى" مسدها. (تفسير الكمالين) من أوفى: مستأنفة مقررة للجملة التي سدت "بلى" مسدها، والضمير في "بعهده" يرجع إلى الله تعالى، أي كل من أوفى بعهد الله واتقاه. (تفسير المدارك)

الذي إلخ: من الإيمان بالرسول المصدق لما معهم. (تفسير المدارك) فيه وضع الظاهر إلخ: وعموم "المتقين" قام مقام الضمير الراجع من الجزاء إلى "من"، ويدخل في ذلك الإيمان وغيره من الصالحات، وما وجب اتقاؤه من الكفر وأعمال السوء، قيل: نزلت في عبد الله بن سلام ونحوه من مسلمي أهل الكتاب، ويجوز أن يرجع الضمير إلى "من أوفى" أي كل من أوفى بما عاهد الله عليه واتقى الله في ترك الخيانة والغدر، فإن الله يحبه. (تفسير المدارك) في دعوى: أي كانت بين رجلين في بير، أحدهما أشعث بن قيس، فاختصما إلى النبي ﷺ فقال ﷺ: "شاهداك أو يمينه"، فقال أشعث بن قيس: إذا يحلف كاذبا ولا يبالي، وقوله: "أو بيع سلعة" أي فيمن أراد بيعها، وحلف لقد أعطي فيها كذا كاذبا. (حاشية الصاوي)

أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ نصيب لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ في نعيمها وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ غضباً عليهم وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ نظر رحمة يرحمهم يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ يطهّرهم وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ مؤلم. وَإِنَّ مِنْهُمْ أي أهل الكتاب لَفَرِيقًا طائفة **ككعب بن الأشرف** يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ أي **يعطفونها** بقراءته عن الْمُنْزَل إلى ما حرّفوه من نعت النبي ﷺ ونحوه لِتَحْسَبُوهُ متعلق بيعطفونها أي كآية الرجم المحرّف مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ الذي أنزله الله وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ أنهم كاذبون. **ونزل** لما قال نصارى نجران إن عيسى أمرهم أن يتخذوه ربًّا، ....

ولا يكلمهم الله: إن قلت: إن قوله تعالى في سورة المؤمنون قال: ﴿اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (المؤمنون:١٠٨)، الآية، يقتضي أن الله يقع منه كلام لهم، فيكف الجمع بين الآيتين؟ أجيب: بأن قوله تعالى: "ولا يكلمهم الله" أي كلام رضا، فلا ينافي أنه يكلمهم كلام غضب، أو لا يكلمهم أصلا؟ وآيات الكلام على لسان الملائكة، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ (الزخرف:٧٧). (حاشية الصاوي)

ولا يكلمهم الله: أي بما يسرهم، أو بشيء أصلا، وإنما يقع ما يقع من السؤال والتوبيخ في أثناء الحساب من الملائكة، فلا يخالف النصوص الدالة على أنهم يسألون، كقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر:٩٢) فبالجملة إنما يقع التكلم من الملائكة لا من الله. (حاشية الجمل)

ككعب بن الأشرف: ومالك بن الصيف، وحيي بن أخطب وغيرهم. (تفسير المدارك)

يلوون ألسنتهم إلخ: فكان إذا قرأ في التوراة، ووصل إلى كلمة الحق يحرف لسانه بقراءة الكتاب، وأعرض عن كلمة الحق، وينطق بكلمة أخرى غير حق، فهو يلوي أي يعطف لسانه، وجملة قوله: "يلوون" صفة لـــ"فريقا"، فهي في محل نصب، وجمع الضمير اعتبارا بالمعنى؛ لأنه اسم جمع كالرهط والقوم. (حاشية الجمل)

يعطفونها: العطف: الإمالة. وفي "المغرب": استعطف ناقته أي عطفها بأن جذب زمامها؛ ليميل رأسها، والمرد به الإيهام في الكلام أي كانوا يوهمون المسلمين أن ذلك من نفس الكتاب. (حاشية الجمل) **وما هو من الكتاب:** أي لا في الواقع ولا في اعتقادهم أيضا، والجملة حالية. (حاشية الجمل) **ونــزل إلخ:** وعلى هذا السبب فالمراد بالبشر عيسى عليه السلام وبالكتاب الإنجيل، وعلى الثاني: فالمراد به محمد ﷺ وبالكتاب القرآن، وهذا الاحتمال الثاني أقرب؛ لأن قوله في آخر الآية: "بعد إذ أنتم مسلمون" قرينة واضحة على ذلك. (ملخص من الجمل)

أو لما طلب بعض المسلمين **السجود له** ﷺ: مَا كَانَ **ينبغي** لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ أي الفهم للشريعة وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن يقول: كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ علماء عاملين، **منسوب إلى "الربّ"** بزيادة ألف ونون تفخيماً (متعلق بمنسوب) بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ **بالتخفيف والتشديد** ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ (أي تقرؤون) ﴿٧٩﴾ أي **بسبب ذلك فإن فائدته** أن تعملوا.

السجود له: حيث قال رجل: يا رسول الله! نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك؟ قال: لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله، ولكن أكرموا نبيكم، واعرفوا الحق لأهله. (تفسير المدارك) **ما كان إلخ:** هذه الصيغة يؤتى بها للنفي العام الذي لا يجوز عقلا ثبوته، وهو المراد هنا، وكذلك قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ (النمل:٦٠) أي لا يمكن، ولا يتصور عقلا صدور دعوى الألوهية من نبي قط، ويؤتى بها للنفي الخاص كقول أبي بكر ﷺ: "ما كان لابن أبي قحافة أن يتقدم في الصلاة بين يدي رسول الله" أي ما ينبغي له ذلك، فقول المفسر: "ينبغي" أي يمكن، وقد فسره المحلي في سورة يس في قوله تعالى: ﴿لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ (يـس:٤٠) بذلك. (حاشية الصاوي)

ينبغي: إما تفسير لـــ"كان"، أو بيان لمتعلق الجار والمجرور الواقع خبرا لـــ"كان". (حاشية الجمل)

ولكن كونوا "ربانيين": أي ولكن يقول: "كونوا ربانيين" فلا بد من إضمار "يقول". و"الربانيون" جمع رباني، وفيه قولان، أحدهما: أنه منسوب إلى الرب، والألف والنون فيه زائدتان في النسب دلالة على المبالغة كرقباني ولحياني وشعراني لغليظ الرقبة وطويل اللحية وكثير الشعر، ولا تفرد هذه الزيادة عن النسب، أما إذا نسبوا إلى الرقبة واللحية والشعر من غير مبالغة، قالوا: رقبي ولحمي وشعري، والثاني: أنه منسوب إلى "ربان"، و"الربان" هومعلم الخير، ومن يسوس الناس، ويعرفهم أمر دينهم، فالألف والنون دالان على زيادة الوصف كهي في عطشان وريان، وتكون بالنسبة على هذا للمبالغة في الوصف، نحو أحمري.

ربانين: وهو شديد التمسك بدين الله وطاعته. (تفسير الكمالين) **منسوب إلى الرب:** بمعنى كونه عالما به، ومواظبا على طاعته، وزيادة الألف والنون فيه للدلالة على كمال هذه الصفة، كما قالوا: شعراني ولحياني، فإذا نسبوا إلى الشعر قالوا: "شعري"، وإلى اللحية: "لحي إلخ" من "الكبير": "تفخيما" أي تعظيما للمنسوب.

بالتخفيف: لابن كثير وأبي عمرو ونافع، و"تعلمون" بمعنى "عالمين". (تفسير الكمالين)

والتشديد: من التعليم للباقين، وعلى قراءة التشديد فالمفعول الثاني محذوف أي كنتم تعلمون الناس الكتاب. (تفسير الكمالين) **بسبب ذلك:** [فيه إشارة إلى أن الباء في قوله: بـــ"ما كنتم" في الموضعين للسببية] أي بسبب المذكور من كونكم معلمين أو دارسين. (تفسير الكمالين) **فإن فائدته:** أي فائدة التعليم والتعلم العمل. (تفسير الكمالين)

وَلَا يَأْمُرَكُمْ **بالـرفع** استئنافاً أي الله، **والنصب** عطفاً على "يقول": أي البشر أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا كما اتخذت **الصابئة** الملائكة، واليهود عُزيراً، والنصارى عيسى أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ **لا ينبغي له** هذا. وَ اذكر إِذ حين أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عهدهم لَمَآ **بفتح اللام** للابتداء، وتوكيد معنى القسم الذي في أخذ الميثاق، وكسرها متعلقة بـ"أخذ"، و**"مـا" موصولة** على الوجهين أي **للذي** ءَاتَيْتُكُم **إيـاه**، وفي قـراءة لنافع: آتيناكم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ **من الكتاب** والحكمة وهو محمد ﷺ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ **جواب القسم إن أدركتموه**، وأُمَمُهم تبعٌ لهم في ذلك قَالَ تعالى لهم: ءَأَقْرَرْتُمْ بذلك وَأَخَذْتُمْ قبلتم عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ....

بالرفع: لأبي عمر وابن كثير ونافع استئنافا ابتداء الكلام، وتنصره قراءة ابن مسعود: "أيأمركم" بهمزة الاستفهام. (تفسير الكمالين) **والنصب:** أي لا يأمركم الله، وقيل: الضمير فيه للبشر، ويحتمل الحال. (تفسير الكمالين)

أربابا: أي بل نحبهم، ونعتقد أنهم عبيد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، ولا يضرون، ولا ينفعون، فنتوسل بهم إلى الله لذلك لا لكونهم أربابا. (حاشية الصاوي) **الصابئة:** هم فرقة من اليهود صبؤا بمعنى مالوا عن دين موسى إلى عبادة الملائكة، وقالوا: "إنهم بنات الله". (حاشية الصاوي) **لا ينبغي له:** هذا إشارة إلى أنه استفهام معناه الإنكار، وهو خطاب للمؤمنين على طريق التعجيب من حال غيرهم. (تفسير الكرخي)

ميثاق إلخ: هو على ظاهره من أخذ الميثاق على النبيين بذلك، أو المراد ميثاق أولاد النبيين، وهم بنو إسرائيل على حذف المضاف. (تفسير المدارك) **بفتح اللام:** للابتداء وتوكيد معنى القسم الذي في أخذ الميثاق؛ لأنه بمعنى الاستحلاف. (تفسير الكمالين) **ما موصولة:** ويجوز أن يكون متضمنة لمعنى الشرط، و"لتؤمنن" ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا. (تفسير الكمالين) **أي للذي:** أي للذي أتيتكموه لتؤمنن به. (تفسير الخطيب)

إياه: يشير إلى أن العائد إلى الموصول محذوف. (تفسير الكمالين) **من الكتاب:** يشير إلى أن ههنا إقامة المظهر مقام المضمر الذي هي العائد إلى الموصول في الجملة المعطوفة على الصفة، وهي جائزة عند الأخفش، وقد يجعل العائد محذوفا، والتقدير: "ثم جاءكم به رسول". (تفسير الكمالين) **جواب القسم:** أي الذي في ضمن أخذ الميثاق.

إن أدركتموه: أي محمدا ﷺ، وأممهم تبع لهم في ذلك، فإذا كان هذا حكم الأنبياء كان الأمم أولى. (تفسير الكمالين)

عهدي قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُواْ على أنفسكم وأتباعكم بذلك، وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ عليكم وعليهم. فَمَن تَوَلَّىٰ أعرض بَعْدَ ذَٰلِكَ الميثاق فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ بالياء أي المتولون، **والتاء** وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ انقاد مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا بلا إباء وَكَرْهًا بالسيف ومعاينة **ما يلجئ** إليه، وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ بالتاء والياء، **والهمزة للإنكار**. قُلْ لهم يا محمد! ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ أولاده وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ بالتصديق والتكذيب وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ مخلصون في العبادة، ونزل فيمن ارتد ولحق بالكفار: وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾

(المعرضون)

عهدي: سمي العهد إصرا؛ لأنه يؤصر أي يشد. في "القاموس": الإصر: العهد والذنب والثقل، ويضم ويفتح. (تفسير الكمالين) **أقررنا:** جواب عن سؤال مقدر تقديره: ماذا قالوا حينئذ، وثمرة المعاهدة على محمد مع علم الله أنه لا يأتي في زمن نبي من الأنبياء الثواب على العزم بالاتباع، والعقاب على العزم بعدم الإيمان، فجميع الأنبياء يثابون على الإيمان بمحمد، ومن عزم على عدم الإيمان به لو ظهر عوقب. (حاشية الصاوي)

والتاء: أي بالفوقية على تقدير: وقل لهم. (تفسير الكمالين) **طوعا وكرها:** انتصب "طوعا وكرها" على الحال أي طائعين ومكرهين. (تفسير المدارك) **ما يلجئ إلخ:** أي إلى الإسلام، كنتق الجبل وإدراك غرق فرعون، إلجاء بمعنى الاضطرار، ما يلجئ إليه أي ما يضطر إليه.

والهمزة للإنكار: أي في قوله: "أفغير دين الله إلخ"، وموضع الهمزة هو لفظة "يبغون"، تقديره: أيبغون غير دين الله؛ لأن الاستفهام إنما يكون عن الأفعال والحوادث، إلا أنه تعالى قدم المفعول الذي هو "غير دين الله" على فعله؛ لأنه أهم من حيث إن الإنكار الذي هو معنى الهمزة متوجه إلى المعبود الباطل. (التفسير الكبير)

وما أنزل على إبراهيم: إنما صرح بأسماء هؤلاء؛ لأن أهل الكتاب يعترفون بكتبهم ونبوتهم. (حاشية الصاوي)

دينا إلخ: فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أن "الدين" مفعول "يبتغ"، و"غير الإسلام" حال؛ لأنها في الأصل صفة له؛ فلما قدمت نصبت حالا، الثاني: أن يكون تمييزا لـــ"غير"؛ لإبهامها، فميزت كما ميز "مثل وشبه وأخواتهما"، والثالث: أن يكون بدلا من "غير". (حاشية الجمل) **من الخاسرين:** من الخسران، وهو العقاب وحرمان الثواب. (تفسير الجمالين)

لمصيره إلى النار المؤبدة عليه. كَيْفَ أي **لا** يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ **أي وشهادتهم** أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَ **قد** جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ الحجج الظاهـــرات على صدق النبي ﷺ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أي الكافـــرين. أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا أي اللعنة أو النار **المدلول بها** عليها لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ يمهلون. إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ عملهم فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ لهم رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ **بهم**. ونـــزل في اليهود: إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بعيسى بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ بموسى ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا بمحمد لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ **إذا غرغروا أو ماتوا كفاراً** وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾

كيف إلخ: نزلت في شأن الذين ارتدوا، ولحقوا بمكة. (حاشية الجمل) **لا إلخ:** أشار به إلى أن الاستفهام هنا للإنكار، ويجوز أن يكون التعجب والتعظيم؛ لكفرهم بعد الإيمان، أو للاستبعاد والتوبيخ، فإن الجاحد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال، بعيد عن الرشاد. (حاشية الجمل) **أي وشهادتهم:** أشار بهذا إلى أن الفعل أي قوله: "شهدوا" معطوف على الاسم الذي هو الإيمان، وأن هذا الفعل المعطوف في تأويل الاسم. (تفسير الجمالين) **وقد جاءهم البينات:** الواو للحال كما أشار إليه بتقدير "قد".

أولئك: أي المرتدون، فقوله: "والله لا يهدي القوم الظالمين"، اعتراض، و"أولئك" مبتدأ، و"جزاؤهم "مبتدأ ثان، وقوله: "أن عليهم" خبر المبتدأ الثاني، والمبتدأ الثاني مع خبره خبر المبتدأ الأول. (حاشية الجمل) **المدلول بها:** أي باللعنة عليها أي النار. **إلا الذين تابوا:** أي كالحارث بن سويد، فإنه لما ارتد وذهب بمكة مع الكفار، وأراد الله له بالهدى بعث لأخ له بالمدينة، وكان مسلما يقول له: أخبر رسول الله ﷺ: إني إذا تبت هل أقبل؟ فأخبر رسول الله ﷺ بذلك، فنزلت الآية، فبعثها له بمكة، فأتى طائعا، وأسلم، وحسن إسلامه. (حاشية الصاوي)

رحيم بهم: أي يتفضل عليهم، وذلك أن الحارث بن سويد لما ارتد ولحق بالكفار ندم، فأرسل إلى قومه: أن سلوا رسول الله ﷺ: هل لي توبة؟ فأرسل إليه أخوه الجلاس بالآية، فأقبل إلى المدينة فتاب، وقبل رسول الله ﷺ توبته. (الخطيب) **إذا غرغروا:** أشار بذلك إلى أن الآية مقيدة بذلك، وهذا في الكافر، وأما العاصي فتقبل منه عند الغرغرة. (حاشية الصاوي) **أو ماتوا كفارا:** جواب عما يقال: إن توبة الكافر مقبولة كما هو مقرر في الفروع، =

أو ماتوا كفاراً وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ۝٩٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ مقدار ما يملؤها ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ **أدخل الفاء** في خبر "إن"؛ **لشبه "الذين"** بالشرط، **وإيذاناً بتسبب** عدم القبول عن الموت على الكفر أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ مؤلم وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٩١ مانعين منه. لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ أي ثوابه وهو الجنة حَتَّىٰ تُنفِقُواْ تصدّقوا مِمَّا تُحِبُّونَۚ ....

أو ماتوا كفارا: جواب عما يقال: إن توبة الكافر مقبولة كما هو مقرر في الفروع، ودلت عليه الآية السابقة "إلا الذين تابوا" إلخ، وحاصل الجواب: أن توبته إنما تقبل إذا كانت صحيحة، ومن شروط صحتها: أن لا يصل إلى حد الغرغرة، فإن لم تصح فهي غير مقبولة كما هنا. (حاشية الجمل)

وفي "تفسير الكبير": قال الحسن وقتادة وعطا: السبب: أنهم لا يتوبون إلا عند حضور الموت، والله تعالى يقول: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ (النساء:١٨) وأيضا قال في كتب العقائد: توبة اليأس مقبولة دون إيمان الكافر، فالآية السابقة للكافر الذي تاب قبل حضور الموت والغرغرة، وهذه الآية للكافر الذي يتوب عند حضور الموت فارتفع التناقض بين الآيتين، لكن قال ملا على القاري بعد نقل رواية "الخلاصة": إيمان اليأس غير مقبول، وتوبة اليأس: المختار أنها مقبولة.

ولا يخفى أن هذه الرواية مخالفة لظاهر الدراية حيث ورد قوله ﷺ: "إن الله يقبل التوبة ما لم يغرغر"، فيستفاد منه عموم توبة المؤمن والكافر، ونقل في "رد المحتار" بعد بيان الاختلاف: والحاصل: أن المسألة ظنية، فأما إيمان اليأس فلا يقبل اتفاقا. ولنعم ما فصله الإمام الزاهدي حيث أورد هنا كلاما طويلا حاصله: أن إيمان اليأس يكون غير مقبول بالإجماع، وتوبة اليأس في مشية الله إن شاء قبل، لشرف إيمانه، وكان فضلا منه، وإن شاء لم يقبل؛ لتقصيره وتأخيره، وكان عدلا منه. غرغرة: تردد الروح في الحلق، وصوت معه خشونة. وفي "رد المحتار": كأنها مأخوذة من غرغر الماء إذا أداره في حلقه، فكأنه يدير روحه في حلقه.

أدخل الفاء: مع أنه لا يجوز دخولها في خبرها عند الأكثر. لشبه الذين إلخ: فيه حكاية بالمعنى؛ إذ المذكور في الآية "الذين"، لكن حكمها واحد. (حاشية الجمل) وإيذانا بتسبب إلخ: لأن الكفر في حد ذاته ليس سببا في عدم قبول التوبة، بل السبب بمجموعه هو والموت. والإيذان: الإعلام.

لن تنالوا: من ناله نيلا إذا أصابه إلخ. (روح البيان) البر: لما ذكر أن صدقة الكافر لا تنفعه ذكر هنا أن صدقة المسلم وجميع طاعته تنفعه. (حاشية الصاوي) مما تحبون: وتؤثرونها، وعن الحسن: "كل من تصدق ابتغاء وجه الله مما يحب ولو تمرة فهو داخل في هذه الآية،" قال الواسطي: "الوصول إلى البر بإنفاق بعض المحاب، وإلى الرب =

من أموالكم وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ فيجازي عليه. ونزل لما قال اليهود: إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم، وكان لا يأكل لحوم الإبل وألبانها **كُلُّ الطَّعَامِ** كَانَ حِلًّا حلالاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ **إِسْرَائِيلُ** يعقوب عَلَىٰ نَفْسِهِ وهو الإبل لما حصل له **عرق النَّسا** – بالفتح والقصر – فنذر إن شفي لا يأكلها، **فحُرِّمَ عليه** مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ وذلك بعد إبراهيم، ولم تكن على عهده حراما كما زعموا قُلْ لهم فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا ليتبين صدق قولكم إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ **فيه**، فبهتوا ولم يأتوا بها، قال تعالى: فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ.....

= بالتخلي عن الكونين"، وقال أبو بكر الوراق: "لن تنالوا ربكم إلا ببركم بإخوانكم". والحاصل: أنه لا وصول إلى المطلوب إلا بإخراج المحبوب، وعن عمر بن عبد العزيز: أنه كان يشتري أعدال السكر، ويتصدق بها، فقيل له: لم لا تتصدق بثمنها؟ قال: لأن السكر أحب إلي، فأردت أن أنفق بما أحب. (تفسير المدارك)

من أموالكم: "من" فيه للتبعيض؛ لقراءة "بعض ما تحبون"، ولأن إنفاق الكل لا يجوز. (تفسير الكمالين)

كل الطعام: أي من الأطعمة التي كانت تدعي اليهود حرمتها على إبراهيم، واللام فيه للعهد، فلا يرد أنه لم يثبت إباحة الميتة والخنزير. (تفسير الكمالين)

إسرائيل: معناه بالعربية "عبد الله" وهو اسمه، و"يعقوب" لقبه. (حاشية الصاوي) **عرق النسا:** بفتح النون والقصر كعصا، هو عرق في الورك إلى الكعب، ويثنى نسوان ونسيان، ونسي -كرضي- نسى، فهو أنسى وهي نسياء: شكى نساه. (القاموس) أنكر قوم إضافة العرق إليه، وجوزه آخرون؛ لأنه من إضافة العام إلى الخاص مع اختلاف لفظهما، وقيل: النسا: الفخذ، ثم هو عبارة عن وجع يمتد من الورك من خلف، وينزل إلى الركبة، وربما بلغ إلى الكعب فعذر. (تفسير الكمالين)

فحرم عليه: كذا أخرجه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرج الترمذي في تفسير سورة الرعد قال اليهودي للنبي ﷺ: "أخبرنا بما حرم إسرائيل على نفسه"، فقال: "اشتكى عرق النسا، فلم يجد شيئا يلائمه إلا لحوم الإبل وألبانها، فلذا حرمها"، فقالوا: "صدق". (تفسير الكمالين) **فيه:** في قولكم. وقوله: "فبهتوا" أي تحيروا. وفي "القاموس": البهت الحيرة، وقوله: "ولم يأتوا بها" أي لأنهم يعلمون أن تحريم الإبل فيها إنما كان على عهد يعقوب لا على عهد إبراهيم، فهي شاهدة عليهم، فلذلك لم يأتوا بها.

من أموالكم وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ فيجازي عليه. ونزل لما قال اليهود: إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم، وكان لا يأكل لحوم الإبل وألبانها **كُلُّ ٱلطَّعَامِ** كَانَ حِلاًّ حلالاً لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ **إِسۡرَٰٓءِيلُ** يعقوب عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ وهو الإبل لما حصل له **عرق النَّسا** - بالفتح والقصر - فنذر إن شفي لا يأكلها، **فحُرِّمَ عليه** مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ وذلك بعد إبراهيم، و لم تكن على عهده حراما كما زعموا قُلۡ لهم فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ ليتبين صدق قولكم إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ **فيه**، فبهتوا و لم يأتوا بها، قال تعالى: فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ.....

= بالتخلي عن الكونين"، وقال أبو بكر الوراق: "لن تنالوا ربكم إلا ببركم بإخوانكم". والحاصل: أنه لا وصول إلى المطلوب إلا بإخراج المحبوب، وعن عمر بن عبد العزيز: أنه كان يشتري أعدال السكر، ويتصدق بها، فقيل له: لم لا تتصدق بثمنها؟ قال: لأن السكر أحب إلي، فأردت أن أنفق بما أحب. (تفسير المدارك)

من أموالكم: "من" فيه للتبعيض؛ لقراءة "بعض ما تحبون"، ولأن إنفاق الكل لا يجوز. (تفسير الكمالين)

كل الطعام: أي من الأطعمة التي كانت تدعي اليهود حرمتها على إبراهيم، واللام فيه للعهد، فلا يرد أنه لم يثبت إباحة الميتة والخنزير. (تفسير الكمالين)

إسرائيل: معناه بالعربية "عبد الله" وهو اسمه، و"يعقوب" لقبه. (حاشية الصاوي) **عرق النسا:** بفتح النون والقصر كعصا، هو عرق في الورك إلى الكعب، ويثنى نسوان ونسيان، ونسي -كرضي- نسى، فهو أنسى وهي نسياء: شكى نساه. (القاموس) أنكر قوم إضافة العرق إليه، وجوزه آخرون؛ لأنه من إضافة العام إلى الخاص مع اختلاف لفظهما، وقيل: النسا: الفخذ، ثم هو عبارة عن وجع يمتد من الورك من خلف، وينزل إلى الركبة، وربما بلغ إلى الكعب فعذر. (تفسير الكمالين)

فحرم عليه: كذا أخرجه الحاكم عن ابن عباس ﵄، وأخرج الترمذي في تفسير سورة الرعد قال اليهودي للنبي ﷺ: "أخبرنا بما حرم إسرائيل على نفسه"، فقال: "اشتكى عرق النسا، فلم يجد شيئا يلائمه إلا لحوم الإبل وألبانها، فلذا حرمها"، فقالوا: "صدق". (تفسير الكمالين) **فيه:** في قولكم. وقوله: "فبهتوا" أي تحيروا. وفي "القاموس": البهت الحيرة، وقوله: "و لم يأتوا بها" أي لأنهم يعلمون أن تحريم الإبل فيها إنما كان على عهد يعقوب لا على عهد إبراهيم، فهي شاهدة عليهم، فلذلك لم يأتوا بها.

أي ظهور الحجة بأن التحريم إنما كان من جهة يعقوب، لا على عهد إبراهيم، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ﴿٩٤﴾ المتجاوزون الحق إلى الباطل. ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ في هذا كجميع ما أخبر به ﴿فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ التي أنا عليها ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً عن كل دين إلى دين الإسلام، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿٩٥﴾ ونزل لما قالوا: قبلتنا قبل قبلتكم: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ﴾ مُتَعَبَّداً (موضع العبادة) ﴿لِلنَّاسِ﴾ في الأرض ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ بالباء لغة **في "مكة"** سميت بذلك؛ لأنها **تَبُكُّ أعناق الجبابرة** أي تدقها، **بناه** الملائكة قبل خلق آدم، ووضع بعده الأقصى، وبينهما أربعون سنة **كما في حديث** الصحيحين، وفي حديث: "أنَّه أول ما ظهر على وجه الماء عند خلق السموات والأرض **زبدة** بيضاء، فدحيت الأرض من تحته" ﴿مُبَارَكًا﴾ حال من "الذي" أي **ذا بركة**، ﴿وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿٩٦﴾ لأنه قبلتهم.

في مكة: فإن "الباء والميم" متقاربان في المخرج، فيقام كل مقام الآخر، كـ"راتب وراتم، ولازب ولازم"، سميت بذلك؛ لأنها تبك إلخ. **تبك:** يعني لا يريدها جبار بسوء إلا اندقت عنقه، والأكثرون على أن "مكة" اسم المسجد والمطاف، و"بكة" اسم للبلد؛ لقوله: "للذي ببكة"، فإنه يدل على أن البيت حاصل ببكة، وقيل بعكسه. (تفسير الكمالين) **أعناق الجبابرة:** كناية عن إهلاكهم وإذلالهم، أي لم يقصدها الجبار إلا يهلك ويذل. (روح البيان) وفي "الصراح": بك عنقه أي دقها.

بناه: أي بني المسجد الحرام قبل خلق آدم بألفي عام، ووضع بعده الأقصى، وبين بناء الملائكة المسجد الحرام وبين بناء الملائكة الأقصى أربعون سنة، وروي: أنه ﷺ سئل عن أول بيت وضع للناس، فقال: "المسجد الحرام ثم بيت المقدس"، وسئل كم بينهما؟ فقال: "أربعون سنة". وأما بين بناء الكعبة التي بناها إبراهيم عليه السلام وبين بناء المسجد الأقصى الذي بناه سليمان عليه السلام فبينهما ألف سنة. **كما في حديث إلخ:** [كما مضى سابقا] ولما استشكل بأنه بنى الكعبة إبراهيم، وبنى بيت المقدس سليمان عليه السلام، وبينهما أكثر من ألف سنة؟ أشار إلى دفعه بأن تفاوت أربعين سنة إنما هو بين بناء الملائكة للكعبة وبين بنائهم للأقصى. "زبدة" كـ غرفة. (تفسير الكمالين)

زبدة: بيضاء، "زبد" بالتحريك: رغوة الماء، و"زبدة" بالضم أخص منه، وقوله: "فدحيت" أي بسطت، كذا في "الصراح". **ذا بركة:** لما يحصل للحجاج والمعتمرين من الثواب وتكفير السيئات. (تفسير المدارك)

فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ **منها** مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ أي الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت، **فأثَّر قدماه** فيه، **وبقي إلى الآن** مع تطاول الزمان **وتداول الأيدي** عليه، ومنها تضعيف الحسنات فيه، **وأن الطير** لا يعلوه وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا **لا يُتَعَرَّض له** ....

آيات بينات: [علامات واضحات لا يلتبس على أحد.] دلائل واضحات على حرمته، أي احترامه ومزيد فضله. (حاشية الجمل) **منها:** أي من الآيات، ومنها أمن من دخله، ومنها غير هذين، كما ذكره الشارح وغيره، فليست محصورة في هذين.

مقام إبراهيم: عطف بيان لقوله: "آيات بينات"، وصح بيان الجماعة بالواحد؛ لأنه وحده بمنـــزلة آيات كثيرة لظهور شأنه، وقوة دلالته على قدرة الله تعالى، ونبوة إبراهيم عليه السلام من تأثير قدميه في حجر صلد، أو لاشتماله على آيات؛ لأن أثر القدم في الصخرة الصماء آية، وغوصه فيها إلى الكعبين آية، وإلانة بعض الصخرة دون بعض آية، وإبقاؤه دون سائر آيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام آية لإبراهيم خاصة. أما في "المدارك" فعلم منه أن الذين يشهرون في البلدان: "هذا أثر قدم نبينا ﷺ" كاذبون لا يعبأ بقولهم؛ لأن الخاصة ما يوجد في الشيء ولا يوجد في غيره، فافهم ولا تبتدع. (تفسير المدارك)

فأثر قدماه: ولابن وهب في "موطئه" عن أنس: "رأيت المقام فيه أصابع إبراهيم وأخمص قدميه غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم". (تفسير الكمالين) **وبقي إلى الآن:** أشار بذلك أن في الحجر آيتين، غوص قدمي إبراهيم فيه، وصعوده به، ونزوله به، وكونه باقيا إلى الآن. **تداول الأيدي:** أي تبادل الأيدي، في "الصراح": تداولته الأيدي: أخذته هذه مرة وهذه مرة. **وأن الطير إلخ:** أي بل إذا قابل هواءه وهو في الجو انحرف عنه يمينا وشمالا، ولا يستطيع أن يقطع هواءه إلا إذا حصل له مرض، فيدخل هواءه للتداوي. (حاشية الجمل)

لا يتعرض له إلخ: قال أبو حنيفة رحمه الله: من لزمه القتل في الحل بقصاص أو ردة أو زنا، فالتجأ إلى الحرم لم يتعرض له إلا أنه لا يُؤوى ولا يطعم ولا يُسقى ولا يباع حتى يضطر إلى الخروج. وهذا في حق من جنى في الحل ثم التجأ إلى الحرم، وأما إذا أصاب الحد في الحرم فيقام عليه فيه، فمن سرق فيه قطع، ومن قتل فيه قتل، قال الله تعالى: ﴿لا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ (البقرة:١٩١). (روح البيان) وعند الشافعي: من جنى في غير الحرم ثم التجأ إلى الحرم يقتل فيه. (الزاهدي) ومن جنى في الحرم واستحق له القتل يقتل فيه بالاتفاق. (الأحمدي)

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: وقف رسول الله ﷺ على ثنية الجحون، وليس بها يومئذ مقبرة، فقال: "يبعث الله تعالى من هذه البقعة ومن هذا الحرم سبعين ألفا، وجوههم كالقمر ليلة البدر، يدخلون الجنة بغير حساب، يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر". وعن النبي ﷺ: "من صبر على حرم مكة ساعة من نهار تباعدت عنه جهنم مسيرة مائتي عام"، كما في "أبي السعود".

بقتل أو ظلم أو غير ذلك ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ واجب، بكسر الحاء وفتحها لغتان قراءتان سبعيتان في مصدر "حَجَّ" بمعنى "قصد"، **ويبدل** من "الناس" ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ طريقاً فسَّره ﷺ السبيل **بالزاد والراحلة**، رواه الحاكم **وغيره**، ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ بالله أو بما فرضه من الحج ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩٧﴾ الإنس والجن والملائكة، وعن عبادهم. ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ۝٩٨﴾ فيجازيكم عليه. ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ﴾ تصرفون ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي دينه ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ بتكذيبكم النبي ﷺ،

بقتل: ولو قصاصا، هكذا كان حاله في الجاهلية، فكان الرجل يقتل فيدخل في الحرم فلا يتعرض إليه أحد ما دام فيه، وأما بعد الإسلام فالحكم أن القاتل إن قتل فيه اقتص منه فيه إجماعا، وأما إن قتل خارجه فدخل فيه فلا يقتص منه ما دام فيه عند أبي حنيفة رحمه الله، ويقتص منه وهو فيه عند غيره كالشافعي. (حاشية الجمل)

أو ظلم: مما يفعل أهل الجاهلية فيما كان الرجل لو جنى كل جناية ثم التجأ إلى الحرم لم يطلب، ويؤيد هذا التفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ (العنكبوت:٦٧) وقال أبو حنيفة رحمه الله: هو خبر بمعنى الأمر، والمعنى: من لزمه القتل بردة أو قصاص أو حد لم يتعرض له فيه، ولكن ألجئ إلى الخروج، وروي عن ابن عباس، وقال الشافعي: "يستوفى"، وقيل: من حجه فدخله كان آمنا من الذنوب التي اكتسبها قبل ذلك أو من النار، فقيل: من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا، كما في حديث رواه البيهقي في "شعب الإيمان". (تفسير الكمالين)

ولله: خبر مقدم متعلق بمحذوف، أي واجب كما قدره الشارح، و"على الناس" متعلق بـــ"هذا" المحذوف.

ويبدل إلخ: بدل بعض أو اشتمال، ولا بد في كل منهما من ضمير يعود إلى المبدل منه وهو مقدر هنا، تقديره: "من استطاع منهم". (تفسير الجمالين) **بالزاد والراحلة:** فلا يجب المشي عند الشافعي وإن قدر عليه. (حاشية الجمل) وعند إمامنا الأعظم: صحة البدن والقدرة على الراحلة بمجموعهما شرط، بل أمن الطريق أيضا، كما في "الأحمدي".

وغيره: وعليه أبو حنيفة والشافعي، وقال مالك: إنها بالبدن، فيجب على من قدر بالمشي والكسب في الطريق. (تفسير الكمالين) **بايات الله:** أي الدالة على صدق محمد ﷺ فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره، وتخصيص أهل الكتاب بالخطاب دليل على أن كفرهم أوضح وإن زعموا أنهم مؤمنون بالتوراة والإنجيل، فهم كافرون بهما. (تفسير الجمالين) **قل يا أهل الكتاب:** أمر بتوبيخهم بإضلال غيرهم بعد توبيخهم بضلالهم. (تفسير الجمالين)

لم تصدون إلخ: فكانوا يفتنون مؤمنين، ويحتالون في صدهم عن الإسلام، ويقولون: "إن صفة محمد ﷺ ليست في كتابنا ولا تقدمت به بشارة". و"لم" متعلق بالفعل بعده و"من آمن" مفعوله. (حاشية الجمل)

وكتم نعته ﴿تَبْغُونَهَا﴾ أي تطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾ مصدر بمعنى معوجة أي مائلة عن الحق ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ عالمون بأن الدين المرضي هو القيم دين الإسلام، كما في كتابكم، ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٩٩﴾ من الكفر والتكذيب، وإنما يؤخركم إلى وقتكم؛ فيجازيكم. ونزل **لما مرّ بعض اليهود** على الأوس والخزرج فغاظه تألفهم، فذكرهم بما كان بينهم في الجاهلية من الفتن فتشاجروا وكادوا يقتتلون، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ۝١٠٠ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ استفهام تعجيب وتوبيخ، ﴿وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم﴾ يتمسك ﴿بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٠١ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ **بأن يُطاع** فلا يُعصى، ويُشكر فلا يُكفر، ويُذكر فلا يُنسى فقالوا: يا رسول الله! ومن يقوى على هذا؟ **فنسخ بقوله:** ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن: ١٦) ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٢﴾ موحدون...

وفي نسخة: وهو — رواه الحاكم

لما مر بعض اليهود إلخ: وهو شاس بن قيس وأصحابه. وتفصيله: أن شاس بن قيس اليهودي أراد لحسده وضغنه على المسلمين أن يفرق جمع الأنصار أي الخزرج والأوس لما رأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم في الإسلام بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من الحرب والعداوة. فأمر شابا من اليهود فقال: اعمد فاجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعاث، وأنشدهم قصيدة كانت مشتملة على هجو الخزرج، فتشاجروا، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم، فصالح فيما بينهم فبكوا وعانق بعضهم بعضا. **بأن يطاع:** تصوير للتقوى حق التقوى، وهذه أخلاق الأنبياء والمرسلين لعصمتهم، وتكون لخواص عباد الله الذين على أقدام الأنبياء. (حاشية الصاوي)

فنسخ بقوله إلخ: وقال مقاتل: "ليس في آل عمران منسوخ إلا هذه الآية" كما في "الخطيب" و "التفسير الكبير". وزعم جمهور المحققين أن القول بهذا النسخ باطل، واحتجوا عليه من وجوه تركتها هنا؛ لخوف الطوالة، "ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون" والمعنى: لا تكونن على حال سوى حالة الإسلام، والمراد دوامهم على الإسلام. (الخطيب) وفي "الكبير": المقصود بالأمر الإقامة على الإسلام، وذلك لأن الموت لا بد منه، فكأنه قيل: داوموا على الإسلام.

وَٱعۡتَصِمُواْ تمسكوا بِحَبۡلِ ٱللَّهِ أي دينه جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ بعد الإسلام، وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ
حال من ضمير "اعتصموا"
إنعامه عَلَيۡكُمۡ يا معشر الأوس والخزرج! إِذۡ كُنتُمۡ قبل الإسلام أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ جمع بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ بالإسلام فَأَصۡبَحۡتُم فصرتم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا في الدين والولاية، وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا طرف حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا أن تموتوا كفاراً، فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ بالإيمان كَذَٰلِكَ كما بيَّن لكم ما ذكر يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ الإسلام وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ الداعون الآمرون الناهون هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ الفائزون، و"من" للتبعيض؛ لأن ما ذكر **فرض كفاية**،............

بحبل الله: أي تمسكوا بالقرآن لقوله ﷺ: "القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد، من قال به صدق، ومن عمل به رشد، ومن اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم". (تفسير المدارك)

وكنتم على شفا إلخ: أي كنتم مشرفين على الوقوع في نار جهنم؛ لكفركم، ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا أن تموتوا كفارا؛ إذ لو أدرككم الموت في تلك الحال لوقعتم في النار. (تفسير الكمالين) **منها:** الضمير للنار أو للحفرة، وقيل: زائدة على قول الأخفش. **يدعون إلى الخير:** المفعول محذوف أي يدعون الناس.

وينهون عن المنكر: أي عما استقبحه الشرع والعقل، و المعروف: ما وافق الكتاب والسنة، والمنكر: ما خالفها، أو المعروف: الطاعات، والمنكر: المعاصي، والدعاء إلى الخير عام في التكاليف من الأفعال والتروك، وما عطف عليه خاص، و"من" للتبعيض؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الفروض الكفايات؛ ولأنه لا يصلح له إلا من علم المعروف والمنكر، وعلم كيف يترتب الأمر في إقامته؛ فإنه يبدأ بالسهل، فإن لم ينفع ترقى إلى الصعب، قال الله تعالى: "فأصلحوا بينهما" ثم قال: "فقاتلوا"، أو للتبيين، أي وكونوا أمة تأمرون، كقوله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ (آل عمران: ١١٠)

فرض كفاية: هذا من قدر واحد منهم لا على سبيل التعيين، وأما من تصدى نفسه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واشتغل بهذه الحرفة، أو نصبه الإمام لأجله، يكون ذلك عليه فرض عين، ويسمى ذلك محتسبا، كذا في "الأحمدي". واعلم أن الأمر بالمعروف على وجوه: إن كان يعلم بأكبر رأيه أنه لو أمر المعروف يقبلون ذلك منه ويمتنعون عن المنكر، فالأمر واجب عليه ولا يسعه تركه، ولو علم بأكبر رأيه أنه لو أمرهم بذلك قذفوه وشتموه فتركه أفضل، وكذلك لو علم أنهم يضربونه ولا يصبر على ذلك، ويقع بينهم عداوة ويهيج منه القتال فتركه أفضل، ولو علم أنهم لا يقبلون منه ولا يخاف منهم ضربا ولا شتما فهو بالخيار والأمر أفضل. =

لا يلزم كل الأمة، ولا يليق بكل أحد كالجاهل، وقيل: زائدة أي لتكونوا أمّة. وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ **عن دينهم** وَٱخْتَلَفُواْ فيه مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وهم **اليهود والنصارى**، وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ أي يوم القيامة فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ وهم الكافرون، فَيُلْقَوْن في النار، ويقال لهم توبيخاً: أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ **يوم أخذ الميثاق** فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ وهم المؤمنون فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ **أي جنته**، هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾

= والأمر بالمعروف يحتاج إلى خمسة أشياء، أولها: العلم؛ لأن الجاهل لا يحسن الأمر بالمعروف، والثاني: أن يقصد وجه الله تعالى وإعلاء كلمته العليا، والثالث: الشفقة على المأمور فيأمره باللين والشفقة، والرابع: أن يكون صبورا حليما، والخامس: أن يكون عالما بما يأمره، كذا في "العالمكيري". وفي "الأحمدي": وله شرائط: أن يكون ذلك تحت قدرته، وأن لا يكون موجبا للفتنة والفساد، والواعظ إذا سأل الناس شيئا في المجلس لنفسه لا يحل له ذلك؛ لأنه اكتساب الدنيا بالعلم. هكذا في "التاتارخانية" نقلا عن "الخلاصة".

عن دينهم: أي عن أصولهم، فالمقصود نهي المؤمنين عن الاختلاف في أصول الدين دون الفروع، إلا أن يكون مخالفا للنصوص البينة، أو الإجماع؛ لأجل قوله ﷺ: "اختلاف أمتي رحمة"، وقوله ﷺ: "من اجتهد فأصابه فله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد". (تفسير أبي السعود) **اليهود والنصارى:** فقد تفرق كل منهما فرقا، واختلف كل منهما باستخراج التأويلات الزائغة، وكتم الآيات النافعة وتحريفها؛ لما أخلدوا إليه من حطام الدنيا. (تفسير أبي السعود)

يوم تبيض وجوه: "يوم" منصوب بمقدر أي اذكر يوم إلخ، أو بالاستقرار العامل في الظرف، وهو قوله: "لهم عذاب"، فعلى الأول هو مفعول به، وعلى الثاني مفعول فيه. **يوم أخذ الميثاق:** جواب عما يقال: كيف قال: "أكفرتم بعد إيمانكم" مع أنه لم يسبق منهم إيمان، بل كفرهم متأصل فيهم؟ والجواب: أنه قد سبق منهم الإيمان في عالم الذر حين خوطبوا بـــ"ألست بربكم" فقالوا: "بلى". (تفسير الكرخي)

فذوقوا إلخ: فيه استعارة بالكناية حيث شبه العذاب بشيء مر يذاق، وطوي ذكر المشبه ورمز له بشيء من لوازمه وهو الإذاقة، فإثباتها تخييل. (حاشية الصاوي) **أي جنته:** التعبير عنها بالرحمة، فيه إشارة إلى أن دخولها برحمة الله لا بالطاعة والعمل. (حاشية الجمل)

جنته: أي ففيه إطلاق الحال وإرادة المحل، فالجنة محل هبوط الرحمة، والرحمة ناشئة عن ذات الله، وفيه تنبيه على أن المؤمن وإن استغرق عمره في الطاعة لا يدخل الجنة إلا برحمته. (تفسير الكمالين)

تِلْكَ أي هذه الآيات **ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ** يا محمد! **بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾** بأن يأخذهم بغير جرم. **وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ** **ملكاً** وخلقاً وعبيداً **وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ** تصير **ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ** **يا أمة محمد! في علم الله** تعالى **خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ** أظهِرت **لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ** الإيمان **خَيْرًا لَّهُم** كلام مستأنف **مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ** كعبد الله بن سلام رضي الله عنه وأصحابه **وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾** الكافرون. **لَن يَضُرُّوكُمْ** أي اليهود يا معشر المسلمين! **بشيء إِلَّآ أَذًى** باللسان من سب ووعيد، **وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ** منهزمين **ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾**

تلك آيات الله: أي المشتملة على نعيم الأبرار وتعذيب الكفار، و"تلك" مبتدأ، و"آيات الله" خبر و"نتلوها" حال. (حاشية الجمل) **ظلما للعالمين:** أي فحيث انتفت إرادة الظلم، فالظلم منفي بالأولى؛ لأن تعلق الإرادة في التعقل سابق على الفعل. (حاشية الصاوي) **ملكا إلخ:** قيل: الأول إشارة إلى أن "اللام" للملك، واختصاصها به من جهة كونها مخلوقة؛ إذ لا شريك له في خلقه. (تفسير الكمالين)

يا أمة محمد: يشير إلى أن الخطاب يعم الصحابة وغيرهم، وصححه ابن كثير، ويشهد له حديث علي رضي الله عنه عند أحمد بإسناد صحيح حسن: "وجعلت أمتي خير الأمم"، وروى ابن أبي حاتم من طريق السدي عن عمر أنه قال: هي للأصحاب خاصة؛ لقوله: "كنتم"، ولو قال: "إنهم" يعم كلنا، ولأحمد عن ابن عباس: هم الذين هاجروا معه ﷺ (تفسير الكمالين) **في علم الله:** وقال الزمخشري: "كان" عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الإبهام، وليس فيه دليل عدم سابق ولا انقطاع طارئ. (تفسير الكمالين)

للناس: إنما عبر بـــ"اللام" دون "من" إشارة إلى أن هذه الأمة نفع ورحمة لنفسها، وللخلق عموما في الدنيا بالدعاء لجميع الأمم. (حاشية الصاوي) **تأمرون بالمعروف:** اختيرت صيغة الخطاب تشريفا لهم، وإشارة إلى رفع الحجب عنهم، حيث خاطبهم ولم يخبر عنهم، وأنهم مقربون من حضرة الله. (حاشية الصاوي)

ولو آمن إلخ: أي اليهود والنصارى، أي إيمانا كاملا كإيمانكم لكان خيرا لهم من الرياسة التي هم عليها، وقيل: من الكفر الذي هم عليه، وفيه ضرب تهكم. (تفسير الجمالين) **بشيء إلا أذى:** أشار به إلى أن الاستثناء متصل، من "الكرخي". وقوله: "من سب" في "الصراح": دُشنام دادن. **ثم:** فيه للتراخي في الإخبار؛ لأن الإخبار أي بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار بتوليتهم عليه. (تفسير الكمالين) **لا ينصرون:** ليس معطوفا على جواب الشرط، وإلا لأوهم أنهم قد ينصرون من غير قتال بل هو مستأنف؛ ليفيد سلب النصرة عنهم في جميع الأحوال. (حاشية الصاوي)

عليكم، بل لكم النصر عليهم. ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ على اليهود ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ حيثما وجدوا، فلا عزّ لهم ولا اعتصام إِلَّا كائنين بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ المؤمنين، وهو عهدهم إليهم بالأمان على أداء الجزية أي لا عصمة لهم غير ذلك، وَبَآءُو رجعوا بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ الفقر ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ أي بسبب أنهم كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ تأكيد بِمَا عَصَواْ أَمْرَ الله وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ يتجاوزون الحلال إلى الحرام. لَيْسُواْ أي أهل الكتاب سَوَآءً مستوين مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ مستقيمة ثابتة على الحق كعبد الله بن سلام رضي الله عنه وأصحابه ....

ولا اعتصام: اعتصام الاستمساك، كذا في "الصراح". **إلا بحبل من الله:** استثناء من أعم الأحوال أي ضربت عليهم الذلة في جميع الأحوال إلا حال كونهم معتصمين بذمة الله وذمة المسلمين، واستعير الحبل للعهد؛ لأنه سبب النجاة والفوز بالمراد، قال الإمام في توجيهه: الأمان الحاصل للذمي قسمان: أحدهما: الذي نص الله عليه، وهو الأمان الحاصل بإعطاء الجزية عن يد وقبوله إياها، والثاني: الأمان الذي فوض إلى رأي الإمام واجتهاده، فيعطيهم الأمان مجانا تارة، ويبدل زائدا وناقصا أخرى على حسب اجتهاده، فالأول هو المسمى بحبل الله، والثاني هو المسمى بحبل المؤمنين، فالأمانان واقعان بمباشرة المسلمين إلا أنهما متغايران بالاعتبار. (روح البيان)

وضربت عليهم المسكنة: فإن قيل: هذه الذلة والمسكنة إنما التصقت باليهود بعد ظهور دولة الإسلام، والذين قتلوا الأنبياء بغير حق هم الذين كانوا قبل محمد ﷺ بأعصار، فعلى هذا الموضع الذي حصلت فيه العلة وهو قتل الأنبياء لم يحصل فيه المعلول الذي هو الذلة والمسكنة، والموضع الذي فيه هذا المعلول لم تحصل فيه العلة، فكان الإشكال لازما؟ والجواب عنه: أن هؤلاء المتأخرين وإن كان لم يصدر عنهم قتل الأنبياء عليهم السلام، لكنهم كانوا راضين بفعل أسلافهم، فنسب ذلك الفعل إليهم من حيث كان ذلك الفعل القبيح فعلا لآبائهم. (التفسير الكبير)

تأكيد: أي لذلك الذي قبله، فإن قيل: لا يجوز أن يكون تأكيدا؛ لأن التأكيد يجب أن يكون بشيء أقوى من المؤكد، والعصيان أقل حالا من الكفر، فلم يجز تأكيد الكفر بالعصيان؟ والجواب عنه: أن علة الذلة والغضب والمسكنة هي الكفر وقتل الأنبياء، وعلة الكفر هي المعصية، فقوله: "ذلك بما عصوا" إشارة إلى علة العلة، هكذا في "الكبير". **بما عصوا:** أي بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله. (تفسير أبي السعود).

من أهل الكتب: خبر مقدم لقوله: "أمة قائمة". (تفسير الكمالين) **وأصحابه:** كـ ثعلبة بن سعيد وأسيد بن عبيد وأضرابهم من اليهود الذين أسلموا، وقيل: هم أربعون رجلا من نصارى نجران، واثنان وثلاثون من الحبشة، وثلاثون من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام، وصدقوا محمدا ﷺ، وكان من الأنصار فيهم عدة قبل قدوم النبي ﷺ، =

يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ أي في ساعاته وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ **يُصَلُّونَ**، حال. يُؤْمِنُونَ
واحدها إنى كمعى وأمعاء
بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ
عن الكفر ومنهيات الشرع
وَأُو۟لَٰٓئِكَ الموصوفون بما ذُكر مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ ومنهم من ليسوا كذلك، وليسوا من
بالإيمان وسائر أبواب البر
الصالحين. وَمَا تَفْعَلُوا۟ بالتاء أيتها الأمة، والياء أي الأمة القائمة مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ
الفوقية لما عدا الكوفيين التحتية للكوفيين
بالوجهين، أي تعدموا ثوابه بل تجاوزون عليه وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ تدفع عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ أي من عذابه شَيْـًٔا وخصهما
بالذكر؛ لأن الإنسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال، وتارة بالاستعانة بالأولاد،
بفداء نفسه بالمال
وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ صفة مَا يُنفِقُونَ أي الكفار فِى هَٰذِهِ
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا في عداوة النبي ﷺ أو صدقة ونحوها كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ حـــرّ، ....
كصلة الرحم

= منهم أسعد بن زرارة، والبراء بن معرور، ومحمد بن مسلمة، وأبو قيس صرمة بن أنس ﷺ، كانوا موحدين، يغتسلون من الجنابة، ويقومون بما يعرفون من شرائع الحنيفية حتى بعث الله النبي ﷺ فصدقوه ونصروه. (تفسير أبي السعود)
آناء الليل: أي في تهجدهم، وقيل: في صلاة العشاء، وخصت؛ لأن أهل الكتاب كانوا لا يصلونها. (تفسير الكمالين)
يصلون: لأن التلاوة لا تكون في السجود. (الخطيب) وقوله: "حال" أي من فاعل "يتلون". **ويسارعون:** أي يبادرون بامتثال أمر الله، إن قلت: إن العجلة مذمومة، ففي الحديث: "العجلة من الشيطان"، إلا في أمور؟ أجيب: بأن معنى المسارعة أنه إذا تعارض حق الله وحظ لنفسه، بادر لحق الله وترك حظه، وأما العجلة فهي المبادرة للشيء مطلقا كأن يبادر للصلاة قبل وقتها أو في الصلاة بأن لا يتقن ركوعها ولا سجودها، فإن ذلك مذموم إلا في أمور، فهي مسارعة لا عجلة، كالتوبة، وتقديم الطعام للضيف، وتجهيز الميت، وزواج البكر، والصلاة في أول وقتها. (حاشية الصاوي)
إن الذين كفروا: قيل: نزلت في قريظة وبني النضير، وقيل: في مشركي العرب، وقيل: فيما هو أعم وهو الأقرب. (حاشية الصاوي) **ما ينفقون إلخ:** يحتمل أن "ما" اسم موصول، و"ينفقون" صلتها، والعائد محذوف، ويحتمل أنها مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر، تقدير الأول: مثل المال الذي ينفقونه، وتقدير الثاني: مثل إنفاقهم. (حاشية الصاوي) **فيها صر:** الجملة من المبتدأ والخبر في محل جر نعت "الريح"، ويجوز أن يكون "فيها" وحده هو الصفة، و"صر" فاعل له، وجاز ذلك؛ لاعتماد الجار على الموصوف، وهذا أحسن؛ لأن الأصل في الأوصاف هو الإفراد، وهذا قريب منه. **صر:** بالكسر ريح باردة تهلك الحرث والنبات، ويجيء أيضا في معنى الريح الحارة.

أو **برد** شديد ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ﴾ زرع ﴿قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر والمعصية ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾ فلم ينتفعوا به، فكذلك نفقاتهم ذاهبة لا ينتفعون بها، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بضياع نفقاتهم ﴿وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝١١٧﴾ بالكفر الموجب لضياعها. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً﴾ **أصفياء** تطلعونهم على سرِّكم ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾ أي غيركم من اليهود والمنافقين ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً﴾ **نصب بنزع الخافض** أي لا يقصرون لكم جهدهم في الفساد ﴿وَدُّواْ﴾ تمنوا ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ أي **عَنَتَكُم**، وهو شدّة الضرر ﴿قَدْ بَدَتِ﴾ ظهرت ﴿ٱلْبَغْضَآءُ﴾ العداوة لكم ﴿مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ **بالوقيعة** فيكم، وإطلاع المشركين على سركم، ﴿وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ﴾ من العداوة ﴿أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ على عداوتهم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ۝١١٨﴾ ذلك فلا توالوهم. ﴿هَٰٓ﴾ للتنبيه ﴿أَنتُمْ﴾ **يا** ﴿أُوْلَآءِ﴾ المؤمنين ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ لقرابتهم منكم وصداقتهم ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ لمخالفتهم لكم في الدين، .....

أو برد: فسره بـــ"الحر والبرد" وإن كان الشائع إطلاقه للريح البارد؛ لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية أنه قال: "ريح فيها نار، يعني الصر هو السموم الحارة". (تفسير الكمالين) **يا أيها الذين إلخ:** نزلت في قوم من المؤمنين كان لهم أقارب من المنافقين والكفار وكانوا يواصلونهم. (حاشية الصاوي) **أصفياء:** أشار بذلك إلى أن في الكلام استعارة حيث شبه "الأصفياء" بـــ "بطانة الثوب" الملتصقة به، واستعير اسم المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية، والجامع شدة الالتصاق على حد: "الناس دثار والأنصار شعار". (حاشية الصاوي)

نصب بنزع الخافض: وهو "اللام" و"في" يعني كل من "كاف الخطاب" ومن "خَبَالاً" منصوب بنـــزع الخافض، الأول بـــ"اللام" والثاني بـــ"في"، واحتاج إلى هذا؛ لأن المادة لازمة فلا يتعدى الفعل منها إلا بواسطة تضمينه المنع، من "حاشية الجمل". **عنتكم إلخ:** يشير إلى أن "ما" مصدرية، والجملة مستأنفة على التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة، وكذا الجملتان بعدها. (تفسير الكمالين) **بالوقيعة:** الغيبة، والوقيعة أيضا القتال، والجمع وقائع كما في "المختار"، وفي "الصراح": وقيعة فتنة.

يا أولاء إلخ: يشير إلى أن "أُولاءِ" منادى، حذف حرف النداء منه وقعت بين المبتدأ والخبر، وقد يجعل "أُولاءِ" خبرا، أي أنتم أولاء المخاطبون في موالاة منافقي أهل الكتاب، و"تُحِبُّونَهُمْ" بيان لخطئهم في موالاتهم أو خبر لـــ"أُولاء"، والجملة خبر لـــ"أَنْتُمْ"، أو حال والعامل فيه معنى الإشارة أي أشير إليكم في مثل هذه الحالة، و"أُولاء" موصول صلته "تُحِبُّونَهُم"، و"تؤمِنُونَ" حال. (تفسير الكمالين)

وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ أي بالكتب كلها، ولا يؤمنون بكتابكم وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ أطراف الأصابع مِنَ ٱلْغَيْظِۚ شدّة الغضب لما يرون من ائتلافكم، ويعبر عن شدّة الغضب بعضِّ الأنامل مجازا وإن لم يكن ثَمَّ عَضّ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْۗ أي ابقوا عليه إلى الموت، فلن تروا ما يسركم إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ بما في القلوب، ومنه ما يضمره هؤلاء. إِن تَمْسَسْكُمْ تصبكم حَسَنَةٌ نعمة كنصر وغنيمة تَسُؤْهُمْ تُحزِنْهم، وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ كهزيمة وجدب يَفْرَحُواْ بِهَاۖ وجملة الشرط متصلة بالشرط قبل، وما بينهما اعتراض، والمعنى: أنهم متناهون في عداوتكم فلِمَ توالونهم؟ فاجتنبوهم وَإِن تَصْبِرُواْ على أذاهم وَتَتَّقُواْ الله في موالاتهم وغيرها لَا يَضُرُّكُمْ بكسر الضاد وسكون الراء، وضمها وتشديدها كَيْدُهُمْ شَيْـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بالياء والتاء مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ عالم، فيجازيهم به. وَ اذكـــر يا محمد! إِذْ غَدَوْتَ . . . .

(الشد بالأسنان على الشيء - كناية - يعني إذا لقوكم قالوا آمنا - يعني قوله: قل موتوا - بين المعطوفين - ضم الضاد والراء)

منه: أي من الخواطر القائمة بها. (تفسير الكمالين) **إن تمسسكم:** أصل المس الحس باليد، ثم يطلق على كل ما يصل إلى الشيء على سبيل التشبيه، كما يقال: مسه نصب وتعب. (حاشية الجمل) **حسنة:** المراد بالحسنة هنا منافع الدنيا كما أشار إليه الشارح. (حاشية الجمل) **وجدب:** جدب القحط. (صراح). **وجملة الشرط:** وهي قوله: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ﴾ متصلة بالشرط، وهو قوله: ﴿إِذَا لَقُوكُمْ﴾ وما بينهما اعتراض وهو قوله: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (حاشية الجمل) **وغيرها:** أي من كل ما حرم عليكم. (تفسير الكرخي)

وسكون الراء: أي لأبي عمرو وابن كثير ونافع من ضاره يضيره أي ضره. (تفسير الكمالين) **وتشديدها:** أي تشديد الراء للباقين، وضمة الراء فيه لاتباع ضمة الضاد كضمة مد وإلا كان الأصل فيه فتحة الراء كقراءة مفضل عن عاصم؛ لأنه مجزوم على جواب الشرط. (تفسير الكمالين) **كيدهم:** الكيد احتيالك لتوقع غيرك في مكروه، وقوله: "شَيْئاً" نصب على المصدرية أي لا يضركم شيئا من ضرر بفضل الله تعالى وحفظه. (حاشية الجمل)

بالياء: وهذه القراءة اتفق عليها العشرة، وقراءة التاء شاذة، وهي للحسن البصري، فكان على الشارح أن يبين شذوذها كأن يقول: وقرئ بالتاء، كما هو عادته إذا نبه على القراءة الشاذة يقول: وقرئ. (حاشية الجمل)

إذ غدوت: جمهور المفسرين على أن هذه الآية متعلقة بغزوة أحد، وقيل: بغزوة بدر، وقيل: بغزوة الأحزاب، والصحيح الأول، ولذا مشى المفسر عليه. (حاشية الصاوي)

مِنْ أَهْلِكَ من المدينة تُبَوِّئُ تنزل ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ **مراكز** يقفون فيها لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ لأقوالكم عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ بأحوالكم، **وهو يوم أحد،** خرج النبي ﷺ بألف أو إلا خمسين رجلاً، والمشركون ثلاثة آلاف، ونزل بالشعب يوم السبت **سابع شوال** سنة ثلاث من الهجرة، وجعل ظهره وعسكره إلى أُحد، وسوّى صفوفهم، وأجلس جيشاً من الرماة، وأمَّر عليهم عبد الله بن جبير بسفح الجبل، وقال: "انضحوا عنا بالنبل، لا يأتونا من ورائنا، ولا تبرحوا غُلبنا أو نُصرنا" ....

من حجرة عائشة — متعلق بتبوئ — عرضه

من أهلك: أي من بيت أهلك وهي زوجته عائشة ﵂، وكان قدوم جيش الكفار يوم الأربعاء رابع شوال، وأميرهم إذ ذاك أبو سفيان، فجمع ﷺ الأنصار والمهاجرين وشاورهم في الخروج لهم، أو المكث في المدينة ينتظرونهم، فأشار عبد الله بن أبي ابن سلول رئيس المنافقين هو وجماعة من الأنصار بعدم الخروج، فإن أبوا قاتلهم الرجال والنساء، وأشار جماعة بالخروج، فدخل ﷺ منزله ولبس لأمته وخرج، فقال: "هلموا إلى الخروج"، فقالوا: "يا رسول الله! ما لنا رأي معك"، فقال: "ما من نبي يلبس لأمته ويرجع حتى يحكم الله بينه بين عدوه"، فخرج ﷺ وأصحابه بعد صلاة الجمعة. (حاشية الصاوي)

مراكز: [من الميمنة والميسرة والقلب والجناحين.] أي أماكن، وعبر عنها بالمقاعد إشارة إلى طلب ثبوتهم فيها وإن كانوا وقوفا كثبوت القاعد في مكانه. (حاشية الجمل) **سميع إلخ:** إن كان "سميع" و"عليم" من صيغ المبالغة الملحقة باسم الفاعل فهذا بيان لتقدير معموله، و"اللام" للتقوية كما صرح به في قوله: "إن ربي لسميع الدعاء" وإن كان صفة مشبهة فلا عمل لها في المفعول. **وهو يوم أحد:** الضمير راجع لـــ "إذ" أي هذا الزمان الذي أمر بتذكره هو يوم أحد، وقد كان المشركون أقاموا بأحد يوم الأربعاء والخميس، فخرج رسول الله ﷺ يوم الجمعة بعد ما صلى الجمعة، فأصبح بالشعب من أحد يوم السبت.

سابع شوال: هذا ما ذهب إليه الشارح، وأما غيره من المفسرين فقالوا: إن هذا اليوم كان للنصف من الشوال، كما رأيت في "روح البيان" و"أبي السعود"، و"الخطيب"، و"الكبير" وغيره. وقوله: "أمر عليهم" أي جعله أميرا. وقوله: "بسفح الجبل" أي عرض الجبل المضطجع أو أصله وأسفله، كما في "القاموس"، وسفح الجبل ناحية الجبل. وقوله: "انضحوا عنا" أي ادفعوا وامنعوا، نضح عن نفسه أي دفع عنها. وقوله: "بالنبل" نبل بمعنى السهم كما في "الصراح"، وقوله: "لا تبرحوا" أي لا تفارقوا مكانكم.

إِذْ بدل من "إذ" قبله هَمَّت طَّآيِفَتَانِ مِنكُمْ يعني إذ غدوت بنو سَلمة بكسر اللام وبنو حارثة جناحا العسكر أَن تَفْشَلَا تجبنا عن القتال، وترجعا لمّا رجع عبد الله بن أبيّ المنافقُ وأصحابه، وقال: عَلامَ نقتل أنفسنا وأولادنا؟ وقال لأبي جابر السلمي القائل له: بالجر صفة لأبي حاتم أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم: لو نعلم قتالاً لاتبعناكم، مقولة عبد الله بن أبي فثبتهما الله ولم ينصرفا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ناصرهما وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ ليثقوا به دون غيره. ونزل لما هزموا تذكيراً لهم بنعمة الله وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ ....

همت طائفتان: أي أرادت، ولما كان الهم بالمعصية لا يكتب، مدحهم الله بقوله: "والله وليهما"، وأما بالطاعة فيكتب، وأما العزم فيكتب خيرا أو شرا، وما دون ذلك من مراتب القصد لا يكتب أصلا لا خيرا ولا شرا. (حاشية الصاوي) بنو سلمة: وهو من الخزرج، وقوله: "بنو حارثة" وهو من الأوس. (تفسير الكمالين) وقوله: "جناحا العسكر" أي جانباه يمينا وشمالا.

أن تفشلا: متعلق بـــ"همت"؛ لأنه يتعدى بالباء، والأصل: "بأن تفشلا"، فيجري في محل: "أن" الوجهان المشهوران، والفشل: الجبن والخور، وقال بعضهم: الفشل في الرأي العجز، وفي البدن الإعياء وعدم النهوض، وفي الحرب الجبن والخور، والفعل منه فشل بكسر العين من باب تعب، وتفاشل الماء إذا سال. "سمين" (حاشية الجمل)

وأصحابه: وكانوا ثلاث مائة، وقوله: "علام" أي لأي شيء، وقوله: "لأبي جابر" مقول هذا القول "لو نعلم إلخ"، وفي بعض النسخ "لأبي حاتم" موضع "لأبي جابر" أي قال عبد الله بن أبي المنافق لأبي جابر السلمي، وقوله: "القائل" بالجر صفة لـــ"أبي جابر" ومرجع الضمير في "له" هو عبد الله بن أبي المنافق، وقوله: "أنشدكم" أي أسألكم، وهذا قول لأبي جابر السلمي، و"الله" منصوب بنـــزع الخافض أي "بالله". وقوله: "في نبيكم وأنفسكم" أي في حفظهما ووقايتهما، فإنكم لو رجعتم فأتتكم نصرة نبيكم فلم تحفظوه، وفاتتكم وقاية أنفسكم من العذاب المرتب على تخلفكم عن نبيكم. وقوله: "فثبتهما" أي الطائفتين.

علام نقتل: يعني ليس ما تدعون إليه من جنس القتال، إنما هو من جنس التهلكـــة، ولو نعلم قتالا لاتبعناكم.

ولم ينصرفا: أي لم يرجعا من العسكر إلى المدينة. (تفسير الكمالين) لما هزموا: أي في أحد بسبب إقبالهم إلى الغنيمة، ومخالفة أمر النبي ﷺ بالثبات بالمركز.

ولقد نصركم الله: هذا الكلام تسلية للنبي ﷺ وأصحابه ﷺ فيما وقع لهم في غزوة أحد، أي سبق لكم النصر فلا تحزنوا بتلك الشدة، وحكمتها تمييز المنافق من المؤمن. (حاشية الصاوي)

بِبَدْرٍ موضع بين مكة والمدينة وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ بقلة العدد والسلاح فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ نعمه. إِذْ ظرف لـ"نصركم" تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ توعدهم تطمينا لقلوبهم أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ يعينكم رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بالتخفيف والتشديد. بَلَىٰ يكفيكم ذلك، وفي الأنفال بألف؛ لأنه أمدّهم أوّلاً بها، ثم صارت ثلاثة، ثم صارت خمسة كما قال تعالى: إِن تَصْبِرُوا على لقاء العدو وَتَتَّقُوا الله في المخالفة وَيَأْتُوكُم أي المشركون مِّن فَوْرِهِمْ وقتهم هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ بكسر الواو وفتحها، ....

(أو اسم بئر — مع رسوله — في الثبات مع رسوله — للأكثر — لابن عامر — لأبي عمرو وابن كثير)

ببدر: أي فيها، وكانت وقتها في السابع عشر من رمضان في السنة الثانية. و"بدر" بئر ماء بين مكة والمدينة، حفرها رجل اسمه "بدر" فسمي به، كذا في "روح البيان". وفي "معالم التنـــزيل": هذا هو اسم موضع بين مكة والمدينة، وعليه الأكثرون. **وأنتم أذلة:** وإنما قال: "أذلة" بجمع القلة ولم يقل: "ذلائل" بجمع الكثرة؛ ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلين. (تفسير الكشاف)

بقلة العدد إلخ: وإنما فسر "الذل" بقلة العدد والسلاح؛ لئلا ينافي مدلول هذه الآية ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون:٨)، ونقيضه العز والقوة والغلبة، وروي: أن المسلمين كانوا ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلا، ستة وسبعون من المهاجرين وبقيتهم من الأنصار، وما كان فيهم إلا فرس واحد، والكفار قريب من ألف مقاتل ومنهم مائة فرس مع الأسلحة الكثيرة. (التفسير الكبير) **إذ ظرف:** أي فهذا القول في وقعة بدر، قدم عليه الأمر بالتقوى لإظهار كمال الغاية. (تفسير أبي السعود)

توعدهم: روى ابن أبي حاتم بسند صحيح إلى الشعبي: أن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر يمد المشركين فشق عليهم، فأنزل الله: "ألن يكفيكم". (تفسير الكمالين) **بثلاثة آلاف:** إن قلت: ما الحاجة إلى ذلك العدد الكثير، فإن جبريل وحده وأي ملك كاف في قتال الكفار؟ أجيب: بأن ذلك ينسب النصر لرسول الله والمؤمنين، لقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ (التوبة:١٤)، فلو هلكوا بشيء مما هلك به الأمم السابقة، لم يكن في ذلك مزية فخر للمؤمنين ولا شفاء تغيظهم؛ لكونه خارجا عن اختيارهم. (حاشية الصاوي)

من فورهم: أي فور في اللغة الغليان وبمعنى والعجلة. **وفتحها:** أي في قراءة الباقين اسم مفعول، والفاعل "الله" أي على إرادة الله سومهم. (حاشية الجمل)

أي **معلمين**، وقد صبروا، **وأنجز الله** وعدهم بأن قاتلت معهم الملائكة على خيل بلق، جمع أبلق
عليهم **عمائم صفر** أو بيض أرسلوها بين أكتافهم. جمع أصفر كما روي عن الضحاك الإرسال سنة الأنبياء **وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ** أي الإمداد **إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ** بالنصر **وَلِتَطْمَئِنَّ** تسكن **قُلُوبُكُم بِهِۦ** **فلا تجزع** من كثرة العدو وقلّتكم **وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ** ﴿١٢٦﴾ يؤتيه من يشاء، وليس بكثرة الجند. **لِيَقْطَعَ** **متعلق بـ"نصركم"**، أي **ليُهلك** **طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟** ....

معلمين: اسم فاعل على الأول أي معلمين أنفسهم أي بعمامة صفراء كما في "الكبير"، أو خيولهم بعلوق الصوف الأبيض في نواصيها وأذنابها، أو اسم مفعول أي معلَمين بالقتال من جهة الله تعالى، كما قال: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (الأنفال:١٢). (تفسير أبي السعود) **وأنجز الله:** أي أوفى الله تعالى.

عمائم صفر إلخ: روي عن عروة بن الزبير: كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء، فنـزلت الملائكة كذلك. (الخطيب) وقوله: "أو بيض" هذا ما رواه ابن إسحاق والطبراني عن ابن عباس قال: "كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء"، والتطبيق بين الروايتين: أن جبريل كانت عمامته صفراء، وغيره كانت عمامته بيضاء، هكذا في "تفسير الكمالين" وغيره، وروي: أن حمزة بن عبد المطلب ﷺ كان يعلم بريشة نعامة، وأن عليا ﷺ كان يعلم بصوفة بيضاء، وأن الزبير كان يتعصب بعصابة صفراء، وأن أبا دجانة كان يعلم بعصابة حمراء. (التفسير الكبير) وقد سئل السبكي عن الحكمة في قتال الملائكة مع أن جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه؟ فأجاب بأن ذلك لإرادة أن يكون الفضل للنبي وأصحابه، وتكون الملائكة مددا على عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الأسباب التي أجراها الله تعالى في عباده.

صفر: ولابن أبي حاتم: نزلت الملائكة يوم بدر وعليهم عمائم صفر، ولابن مردويه: عمائم سود. (تفسير الكمالين)

ولتطمئن: عطف على "بشرى لكم" إلا أنه عدل عن الاسم إلى الفعل، وأدخل حرف التعليل عليه تنبيها على أن حصول المطلوب في الطمأنينة أقوى. (تفسير الكمالين) **فلا تجزع:** الجزع بالتحريك عدم الصبر على ما نـزل.

وما النصر إلخ: أي لا من العدة والعدد، فيه إشارة إلى أنه لا حاجة في نصرهم إلى مدد الملائكة، وإنما أمدهم ووعدهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم، من حيث إن نظر العامة إلى الأسباب الظاهرة. (السراج المنير)

متعلق بـ نصركم: [في قوله: "ولقد نصركم الله ببدر"، فيكون في شأن بدر. (تفسير الكمالين)] أي نصركم الله يوم بدر ليهلك وينقص. (تفسير الكمالين) أي ليهلك: نبه به على المراد به هنا؛ لأنه وقع في القرآن بمعنى "جعل" وبمعنى "اختلف". (حاشية الجمل)

بالقتل والأسر أَوْ يَكْبِتَهُمْ يذلهم بالهزيمة فَيَنقَلِبُوا۟ يرجعوا خَآئِبِينَ ﴿١٣٧﴾ لم ينالوا **ما راموه**. ونزل لما كُسرت **رباعيته** ﷺ **وشج** وجهه يوم أحد، وقال: "كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم؟" لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ بل الأمر لله فاصبر أَوْ **بمعنى إلى أن** يَتُوبَ عَلَيْهِمْ بالإسلام أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ بالكفر. وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ملكاً وخلقاً وعبيداً يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ المغفرة له وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ تعذيبه وَٱللَّهُ غَفُورٌ لأوليائه رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ بأهل طاعته. يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً بألف ودونها بأن تزيدوا..............................

بالقتل والأسر: وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم، كذا في "الخطيب".
أو يكبتهم: يذلهم، في "القاموس": كبته يكبته صرعه، وأخزاه، وكسره، وأذله. و"أو" في هذه الآية للتنويع لا للترديد. (تفسير الكمالين) **خائبين:** الخيبة هو الحرمان عن المطلوب بعد الخيبة، وضده الظفر. (تفسير الكمالين) **ما راموه:** وفي "القاموس" الروم الطلب. **رباعيته:** رباعيته بالفتح الأسنان الأربعة بين الثنايا والأنياب.
وشج: أي جرح، في "الصراح": شج شق الرأس. وقوله: "خضبوا" تلوين بالدم.
ليس لك إلخ: يعني إنما أنت عبد مبعوث مأمور من الله، لا تدعو عليهم بل تدعو لهم، روي عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ يوم أحد: اللهم العن الحارث بن هشام، اللهم العن صفوان بن أمية، فنـزلت هذه الآية، وقال قوم: نزلت في أهل بئر معونة، وهم سبعون رجلا من القراء بعثهم رسول الله ﷺ إلى بئر معونة في سفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد؛ ليعلموا الناس القرآن والعلم، أميرهم المنذر بن عمرو، فقتلهم عامر بن الطفيل، فوجد عليهم رسول الله ﷺ وجدا شديدا، وقنت شهرا في الصلوات كلها يدعو على جماعة من تلك القبائل باللعن والسنين، وبالجملة على كل التقدير علم أن النبي ﷺ أراد الدعاء على قوم، فنهاه الله تعالى وقال: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾. (ملخص من "السراج المنير")
بمعنى إلى أن: فـ"يتوب" منصوب بـ"أن" مضمرة، لا بالعطف على "ليقطع"، و"إلى" متعلقة بما قدره، وعلى هذا القول فالكلام متصل بقوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، والمعنى: ليس لك من الأمر شيء إلى أن يتوب عليهم. **يا أيها الذين إلخ:** سبب نزول هذه الآية: أن الرجل كان في الجاهلية إذا كان له دين على آخر، وحل الأجل و لم يقدر الغريم على أدائه، قال له صاحب الدين: "زدني في الدين أزيدك في الأجل"، فكانوا يفعلون ذلك مرارا، فربما زاد الدين زيادة عظيمة. (حاشية الصاوي)

في المال عند **حلول الأجل**، وتؤخروا الطلب ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بتركه ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠﴾ تفوزون. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١﴾ أن تعذبوا بها. ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢﴾ ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ **بواو ودونها** ﴿إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ أي **كعرضهما لو وصلت** إحداهما بالأخرى، **والعرض: السعة** ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ الله بعمل الطاعات وترك المعاصي. ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ صفة للمتقين في طاعة الله ﴿فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ أي اليُسر والعُسر ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ الكافين عن إمضائه مع القدرة

حلول الأجل: حتى يستغرق الشيء اللطيف مال المديون. (تفسير الكمالين) **بواو ودونها:** أي بغير واو قبل السين وبواو قبلها. (الخطيب) فعلى قراءة الواو عطف على "أطيعوا"، وبغير واو استئناف.

عرضها إلخ: صفة للجنة، وتخصيص العرض بالذكر؛ للمبالغة في وصفها بالسعة على طريقة التمثيل؛ فإن العرض في العادة أدنى من الطول. (تفسير أبي السعود) وقال الزهري: إنما وصف عرضها، فأما طولها فلا يعلم إلا الله تعالى. فإن قيل: أنتم تقولون: "الجنة في السماء"، فكيف يكون عرضها كعرض السماء؟ فالجواب: أن المراد من قولنا: "إنها في السماء" أنها فوق السماوات وتحت العرش، قال عليه السلام في صفة الجنة الفردوس: "سقفها عرش الرحمن".

وسئل أنس بن مالك عن الجنة: أفي الأرض أم في السماء؟ فقال: "وأي أرض وسماء تسع الجنة"، قيل: فأين هي؟ قال: "فوق السماوات السبع تحت العرش". (التفسير الكبير) فإن قلت: فكيف تقولون: إنها في السماء؟ قلت: لأن باب الجنة في السماء، لأجل هذا أقول: "في السماء" إطلاق الكل للجزء، وهذا شائع في كلام العرب.

كعرضهما: أشار بذلك إلى أن في الكلام حذف مضاف وأداة التشبيه، وقد صرح بهما في سورة الحديد، قال الله تعالى: ﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾(الحديد:٢١)، واختلف هل هذا التشبيه حقيقي؟.

لو وصلت إحداهما: بأن جعلت السماوات والأرض طبقا طبقا، ثم وصل البعض بالبعض حتى صار كل طبقا واحدا. **والعرض السعة:** أشار به إلى أن ليس المراد بـــ"العرض" ههنا ما هو خلاف الطول، بل هو عبارة عن السعة كما تقول العرب: "بلاد عريضة"، ويقال: هذا دعوى عريضة، أي واسعة عظيمة، كما في "الكبير"، وهذا هو المعنى الآخر مغاير لما حررت سابقا. **السعة:** ودلت الآيتان على أن الجنة والنار مخلوقتان، ثم المتقي من يتقي الشرك، كما قال: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ (الحديد:٢١)، أو من يتقي المعاصي، فإن كان المراد الثاني فهي لهم بغير عقوبة، وإن كان الأول فهي لهم أيضا في العاقبة.

والكاظمين: يقال: كظم القربة إذا ملأها وشد فاها، ومنها كظم الغيظ وهو أن يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له أثرا، والغيظ توقد حرارة القلب من الغضب، وعن النبي ﷺ: "من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا". (تفسير الكمالين)

وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ ممن ظلمهم أي التاركين عقوبته **وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾** بهذه الأفعال، أي يُثيبهم. **وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً** ذنباً قبيحاً كالزنا **أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ** بما دونه كالقبلة **ذَكَرُواْ ٱللَّهَ** أي وعيده **فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ** اقلعوا عنها وتابوا **وَمَن** أي **لا يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ** يديموا **عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ** بل أقلعوا عنه **وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾** حال من ضمير يصروا أن الذي أتوه معصية. **أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ** حال **مقدّرة**، أي مقدّرين الخلود فيها إذا دخلوها **وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾**

والعافين عن الناس: عطف على "الكاظمين" من عطف العام على الخاص؛ لأن العفو أعم من أن يكون معه كظم غيظ أو لا، كما إذا سبه وهو غائب فبلغه ذلك فعفا عنه من غير أن يستفز الغضب، واتفق للإمام زين العابدين أن جاريته كانت تصب عليه ماء الوضوء، فسقط الإبريق على رأسه فشج وجهه، فرفع بصره لها، فقالت له: "والكاظمين الغيظ"، فقال: "كظمت غيظي"، قالت: "والعافين عن الناس"، فقال: "عفوت عنك"، فقالت: "والله يحب المحسنين"، فقال: "أنت حرة لوجه الله". (حاشية الصاوي)

والذين إذا فعلوا إلخ: اختلف في سبب نزول هذه الآية، فقال عطاء: نزلت في أبي سعيد التمار، أتته امرأة حسناء تبتاع تمرا، فقال لها: "إن هذا التمر ليس بجيد، وفي البيت أجود منه،" فذهب بها إلى بيته، وضمها إلى نفسه وقبلها، فقالت له: "اتق الله"، فتركها وندم على ذلك، ثم أتى رسول الله ﷺ وذكر ذلك له، فنـزلت هذه الآية. وقال مقاتل والكلبي: آخى رسول الله ﷺ بين رجلين، أحدهما من الأنصار والآخر من ثقيف، فخرج الثقفي في غزوة واستخلف الأنصاري في أهله، فاشترى لهم اللحم ذات يوم، فلما أرادت المرأة أن تأخذ منه دخل على أثرها وقبل يدها، ثم ندم وانصرف، ووضع التراب على رأسه وهام على وجهه، فلما رجع الثقفي لم يستقبله الأنصاري، فسأل الثقفي امرأته عن حاله فقالت: "لا أكثر الله في الإخوان مثله"، ووصفت له الحال، والأنصاري يصيح في الجبال تائبا مستغفرا فطلبه الثقفي، فأتى به أبا بكر، فقال الأنصاري: "هلكت" وذكر القصة، فقال أبو بكر: "ويحك! أما علمت أن الله تعالى يغار للغازي ما لا يغار للمقيم"، ثم أتيا عمر فقال مثله، ثم أتيا رسول الله ﷺ فقال مثل مقالهما، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وسكن قلبه، وبشر للفاحشين والظالمين الغير المصرين. (ملخص من "السراج المنير")

لا يغفر: النفي مستفاد من الاستفهام الإنكاري. (تفسير الكمالين) **مقدرة:** وإلا فالخلود لا يكون حال الجزاء.

ونعم أجر العاملين: "نعم" فعل ماض و"أجر" فاعل، والمخصوص بالمدح محذوف قدره المفسر بقوله: "هذا الأجر" الذي هو المغفرة والجنة. (حاشية الصاوي)

بالطاعة **هذا الأجر**. ونزل في هزيمة أُحد قَدْ خَلَتْ مضت مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ طرائق في الكفار بإمهالهم ثم أخذهم فَسِيرُواْ أيها المؤمنون! فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ الرسل أي آخر أمرهم من الهلاك، فلا تحزنوا لغلبتهم، فإنما أمهلهم **لوقتهم**. هَـٰذَا القرآن بَيَانٌ لِّلنَّاسِ كلهم وَهُدًى من الضلالة وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ (أو ما تقدم ذكره) منهم. وَلَا تَهِنُواْ تضعفوا عن قتال الكفار وَلَا تَحْزَنُواْ (لما أصابكم من الهزيمة) على ما أصابكم بأُحد، وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ بالغلبة عليهم. إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ حقاً، وجوابه دل عليه **مجموع ما قبله**. إِن يَمْسَسْكُمْ يصبكم بأحد قَرْحٌ بفتح القاف **وضمها**، جهد من جرح ونحوه فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ الكفار قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ببدر، وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا نُصرِّفها بَيْنَ ٱلنَّاسِ يوماً لفرقة، ويوماً لأخرى؛ **ليتعظوا** ....

هذا الأجر: يشير إلى تقدير المخصوص بالمدح. **لوقتهم**: أي وقت هلاكهم الذي سبق علمي هلاكهم فيه.
ولا تحزنوا: أي على ما فاتكم من الغنيمة، أو على من قتل منكم وجرح، وهذا تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين عما أصابهم يوم أحد، وتقوية لقلوبهم. (تفسير المدارك) **وأنتم الأعلون**: أي لأنكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم يوم أحد، وأنتم الأعلون بالنصر والظفر في العاقبة، وهي بشارة لهم بالعلو والغلبة وأن جندنا لهم الغالبون، أو وأنتم الأعلون شأنا؛ لأن قتالكم لله ولإعلاء كلمته، وقتالهم للشيطان ولإعلاء كلمة الكفر، ولأن قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار. (تفسير المدارك)

إن كنتم مؤمنين: متعلق بالنهي أي ولا تهنوا إن صح إيمانكم، يعني أن صحة الإيمان توجب قوة القلب، والثقة بوعد الله، وقلة المبالاة بأعدائه، أو متعلق بـــ "أعلون" أي وأنتم الأعلون إن كنتم مصدقين بما يعدكم الله، ويبشركم به من الغلبة. (تفسير المدارك) **مجموع ما قبله**: وهو قوله: "فسيروا ولا تهنوا ولا تحزنوا" **قرح**: بالفتح والضم الجرح، وقوله: "جهد" بالفتح بمعنى مشقة، كذا في "القاموس". **وضمها**: لحمزة والكسائي وأبي بكر، وهما لغتان كالضُّعف والضَّعف، أو المفتوح: الجرح، والمضموم: ألمه. (تفسير الكمالين)

فقد مس القوم: أي تبين مس القرح للقوم، ولا بد من التأويل، فإن المس لا يكون إلا في المستقبل، والمعنى: "فاصبروا ولا تهنوا ولا تحزنوا فقد مس القوم"، فأقيم علة الجزاء مقامه. (تفسير الكمالين) **ليتعظوا**: قدره؛ ليعطف عليه، "وليعلم" إلى آخر المعطوفات للأربع.

﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ﴾ **علم ظهور** ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أخلصوا في إيمانهم من غيرهم، ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ﴾ متعلق بيعلم ﴿شُهَدَآءَۗ﴾ **يكرمهم بالشهادة**، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠﴾ الكافرين أي **يعاقبهم**، وما ينعم به عليهم **استدراج**. ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ **يطهرهم** من الذنوب بما يصيبهم ﴿وَيَمۡحَقَ﴾ يهلك ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤١﴾ ﴿أَمۡ﴾ **بل** أ ﴿حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا﴾ **لم** ﴿يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ﴾ **علم ظهور** ﴿وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢﴾ في الشدائد. ﴿وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ﴾ فيه حذف إحدى التائين في الأصل ﴿ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ﴾ حيث قلتم: "ليت لنا يوما كيوم بدر؛ لننال ما نال شهداؤه" ﴿فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ﴾ أي **سببه** وهو الحرب ﴿وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ١٤٣﴾

وإن كانت الدولة عليهم

وليعلم: وههنا وجه آخـــر، وهو أن الفعل المعلل به محذوف أي وقلنا ذلك ليعلم الله. (تفسير الكمالين)
علم ظهور: أي علم وجود، أي علما متعلقا بالوجود الخارجي. وعبارة "الكرخي": قوله: "علم ظهور" وهو الذي يتعلق به الثواب والعقاب، كما علمه غيبا، وله نظائر كثيرة في القرآن.
يكرمهم بالشهادة: أي في سبيل الله وهم شهداء أحد. (تفسير الكمالين) وليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الأمم يوم القيامة بما وجد منهم من الثبات والصبر على الشدائد، كما قال تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (البقرة:الآية١٤٣). (الخطيب) **يعاقبهم:** أشار إلى أن نفي المحبة كناية عن البغض، وفي إيقاعه على الظالمين تعريض بمحبته تعالى لمقابليهم إلخ (تفسير الكرخي) **استدراج:** أي تدريج لهم في مراتب العذاب، استدراج: الإمهال.
يطهرهم إلخ: هذا التفسير مراد، وإلا فأصل المحص في اللغة: التنقية والخلوص. **بل:** يشـــير إلى أن "أم" منقطعة، ومعنى الهمزة فيه للإنكار أي لا تحسبوا. (تفسير الكمالين) **لم إلخ:** الفرق بين "لما" و"لم" أن فيه توقع الفعل فيما يستقبل، فدل على نفي الجهاد فيما مضى وتوقعه فيما يستقبل، قاله الزمخشري، وتعقبه أبو حيان بأن ما قاله لا أعلم أحدا ذكره، بل ذكروا أنك إذا قلت: "لما يخرج زيد" دل ذلك على انتفاء الخروج فيما مضى متصلا نفيه إلى وقت الخروج. (تفسير الكمالين)
علم ظهور: والمعنى: و لم يجاهدوا؛ لأن العلم متعلق بالمعلوم فنـــزل نفي العلم منـــزلة نفي متعلق؛ لأنه منتف بانتفائه. تقول: "ما علم الله في فلان خيرا" يريد ما فيه خير حتى يعلمه. (تفسير الكمالين) **فقد رأيتموه:** أي الموت، ولكونه لا يرى أشار الشارح إلى حذف المضاف بعوله أي سببه، وقوله: "الحرب" بيان لذلك السبب. **سببه:** أي رأيتم سبب الموت الذي هو الحرب، وإلا فهم لم يروا نفس الموت. (تفسير الكمالين)

أي **بصراء** تتأملون الحال، كيف هي، **فلم الهزمتم؟** ونزل في هزيمتهم **لما أشيع** أن النبي ﷺ قتل، وقال لهم المنافقون: "إن كان قتل فارجعوا إلى دينكم" **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ** من الأنبياء **أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ** كغيره **ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ** **رجعتم إلى الكفر، والجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري،**......................

بصراء: بضم الموحدة جمع بصير، يشير إلى أن قوله: "تنظرون" نزل منـــزلة اللازم لا يقدر له مفعول. (تفسير الكمالين) **فلم الهزمتم:** هزم كسر الجيش الهزام لازم منه. (الصراح. **لما أشيع:** لما رمى ابن قمية رسول الله عليه السلام بحجر فكسر رباعيته، أقبل يريد قتله فذب عنه عليه السلام مصعب بن عمير وهو صاحب الرأية حتى قتله ابن قمية، وهو يرى أنه رسول الله عليه السلام فقال: "قتلت محمدا"، وصرخ صارخ -قيل: هو الشيطان-: "ألا إن محمدا قد قتل"، ففشا في الناس خبر قتله فانكفؤوا، وجعل رسول الله عليه السلام يدعو: "إلي عباد الله!" حتى انحازت إليه طائفة من أصحابه، فلامهم على حربهم، فقالوا: "يا رسول الله، فديناك بآبائنا وأمهاتنا، أتانا خبر قتلك فولينا مدبرين". (تفسير المدارك)

وما محمد إلخ: أي لا رب معبود، فالقصر قصر قلب، والمقصود من ذلك الرد على المنافقين حيث قالوا لضعفاء المسلمين: "إن كان محمد قتل فارجعوا إلى دينكم ودين آبائكم" فأفاد أن محمدا عبد مرسل يجوز عليه الموت، لا رب معبود حتى تترك عبادة الله من أجل موته؛ لأن المقصود من وجوده تبليغ رسالة ربه، ولذلك نزل قرب وفاته ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ ...﴾ (المائدة:٣). (حاشية الصاوي)

قد خلت: أي فيخلو كما خلوا، وكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم، فعليكم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوه؛ لأن المقصود من بعثة الرسول تبليغ الرسالة وإلزام الحجة، لا وجوده بين أظهر قومه. (تفسير المدارك) **أفإن مات:** الفاء معلقة للجملة الشرطية الجملة التي قبلها على معنى التسبب.

رجعتم إلى الكفر: أشار بذلك إلى أن قوله: "انقلبتم على أعقابكم" كناية عن الرجوع للكفر، لا حقيقة الانقلاب الذي هو السقوط إلى خلف. وهذه الآية قالها أبو بكر الصديق يوم وفاته ﷺ، حين طاشت عقول الصحابة وارتد من ارتد، حتى قال عمر: كل من قال: إن محمدا قد مات رميت عنقه بسيفي"، فبلغ أبا بكر الخبر، فدخل على النبي ﷺ وكشف اللثام عن وجهه وقبل بين عينيه، فقال: طبت يا حبيبي! حيا وميتا، كنت أودّ لو أفديك بنفسي ومالي، ولكن قال الله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (الزمر:٣٠). (حاشية الصاوي)

والجملة الأخيرة: وهي "انقلبتم" محل الاستفهام الإنكاري أي إنكار لارتدادهم وانقلابهم عن الدين. (تفسير أبي السعود)

محل الاستفهام الإنكاري: فالهمزة داخلة عليها في المعنى، والتقدير: انقلبتم على أعقابكم إن ما ت أو قتل، أي لا ينبغي منكم الانقلاب والارتداد حينئذ؛ لأن محمدا ﷺ مبلغ لا معبود، وقد بلغكم أن المعبود باق، فلا وجه لرجوعكم عن الدين الحق لو مات من بلغكم. (حاشية الجمل)

أي **ما كان** معبودا فترجعوا، وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وإنما يضر نفسه، وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ نعمه بالثبات. وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ بقضائه كِتَٰبًا مصدر أي كتب الله ذلك مُّؤَجَّلًا مؤقتاً، لا يتقدّم ولا يتأخر، **فلمَ انهزمتم**؟ والهزيمة لا تدفع الموت، والثبات لا يقطع الحياة؟ وَمَن يُرِدْ بعمله ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا أي جزاء منها نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ما قسم له ولا حظّ له في الآخرة، وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْأَخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا أي من ثوابها وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن كم مِّن نَّبِىٍّ قُتِلَ وفي قراءة: "قاتَل"، والفاعل ضميره مَعَهُۥ خبر، مبتدؤه رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ جموع كثيرة فَمَا وَهَنُوا۟ جبنوا لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ من الجراح، وقتل أنبيائهم وأصحابهم وَمَا ضَعُفُوا۟ عن الجهاد . . . .

(متعلق بالشاكرين — وما جاز — أي الموت — من القتال وغيره — للباقين — على القراءتين)

ما كان: مـــا كان محمد معبودا. **ومن ينقلب:** والانقلاب على العقبين مجاز عن الارتداد أو عن الانهزام. (تفسير المدارك) **فلم انهزمتم:** أي فالغرض من هذا السياق توبيخ المنهزمين يوم أحد. (حاشية الجمل) **ومن يرد:** فيه تعريض لمن شغلتهم الغنائم يوم أحد. (تفسير الكمالين)

ثواب الآخرة: إعلاء كلمة الله، والدرجة في الآخرة. (تفسير المدارك) **وكأين من نبي:** هذا من جملة التسلية لأهل أحد، وفيه توبيخ لمن انهزم منهم وتحريض على القتال. وأصل "كأين": "أي" الاستفهامية دخلت عليها "كاف" التشبيه فاكتسبتها معنى "كم" الخبرية، فلذا فسر بها. (حاشية الصاوي)

قتل: [بزنة المجهول لأبي عمرو وابن كثير ونافع. (تفسير الكمالين)] فعل ماض ونائب الفاعل مستتر فيه يعود على المبتدأ وهو "كائن"، والجملة خبر المبتدأ، وكذلك على قراءة المبني للفاعل، فقوله: "والفاعل ضميره" أراد بالفاعل الفاعل حقيقة أو حكما، فيشتمل نائب الفاعل على القراءة الأولى، وقوله: "خبر مبتدؤه إلخ"، والجملة في محل نصب على الحال من الضمير المستتر في "قتل" على القراءتين، وهذا أحد الوجهين في الإعراب، والوجه الآخر أن نائب الفاعل على القراءة الأولى، والفاعل على الثانية هو "ربيون". (حاشية الجمل)

معه: حال كون الربيين معه في القتال. **ربيون:** [نسبة إلى الرب للمبالغة، وهي الجماعة، وفيه لغتان الكسر والضم. (تفسير الكمالين)] واحده "ربي". في "الصراح": "ربيين" وهم ألوف من الناس، قال الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ (آل عمران:١٤٦).وقوله: "وهضما" الهضم الكسر.

فما وهنوا: أي فما افتروا عند قتل نبيهم.

وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ خضعوا لعدوّهم، كما فعلتم حين قيل: قُتل النبي ﷺ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ على البلاء أي يثيبهم. وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ عند قتل نبيهم مع ثباتهم وصبرهم إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا تجاوزنا الحدّ فِيٓ أَمۡرِنَا إيذاناً بأن ما أصابهم لسوء فعلهم، وهضماً لأنفسهم وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا بالقوّة على الجهاد وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا النصر والغنيمة وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ أي الجنة، وحُسْنُه: التفضل فوق الاستحقاق وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فيما يأمـــرونكم به يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ إلى الكفر فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ ناصركم وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ فأطيعوه دونهم. سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بسكون العين **وضمها**: الخوف، وقد عزموا بعد ارتحالهم من أحد على العود **واستيصال المسلمين، فرعِبوا** و لم يرجعوا

(حواشٍ بين السطور: جهاد الكافرين — تفسير الثواب — الثواب — هذا وعد حسن للأكثر — إلى المؤمنين)

وما استكانوا: وأصله "استكن" من السكون؛ لأن الخاضع يسكن بصاحبه؛ ليفعل به ما يريد، والألف من إشباع الفتحة، أو "استكون" من الكون؛ لأنه يطلب من نفسه أن تكون لمن يخضع له. (تفسير الكمالين)

وما كان قولهم: الربيون، هذا بيان لمحاسن أقوالهم بعد بيان محاسن أفعالهم. (حاشية الصاوي)

يا أيها الذين آمنوا: نزلت في أهل أحد حين تفرقوا، وصار عبد الله بن أبي ابن سلول يقول لضعفائهم: "امضوا بنا إلى أبي سفيان؛ لنأخذ لكم منه عهدا، ألم أقل لكم: إنه ليس بنبي". (حاشية الصاوي)

فتنقلبوا خاسرين: في الدنيا وفي الآخرة، أما خسران الدنيا؛ فلأن أشق الأشياء على العقلاء في الدنيا الانقياد إلى العدو، وإظهار الحاجة إليه، وأما خسران الآخرة فالحرمان عن الثواب المؤبد، والوقوع في العقاب المخلد. (السراج المنير) **وضمها:** على الأصل لابن عامر والكسائي في كل القرآن، وقد عزموا أي كفار قريش أبو سفيان وأصحابه. (تفسير الكمالين) **استيصال المسلمين:** قلعهم من أصلهم وقتلهم جميعا.

فرعبوا: و لم يرجعوا، يعني أن الكفار لما ذهبوا متوجهين إلى مكة، فلما كانوا في بعض الطريق ندموا وقالوا: "ما صنعنا شيئا، قتلنا أكثرهم و لم يبق منهم إلا الشريد تركناهم، ارجعوا حتى نستأصلهم بالكلية"، فلما عزموا على ذلك ألقى الله الرعب في قلوبهم. (الخطيب)

بِمَآ أَشْرَكُواْ **بسبب إشـــراكهم** بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا حجة على عـــبادته وهو الأصنام وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى مأوى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ الكافرين **هي**. وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إياكم بالنصر إِذْ تَحُسُّونَهُم **تقتلونهم** بِإِذْنِهِۦ بإرادته حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ **جبنتم** عن القتال وَتَنَٰزَعْتُمْ اختلفتم فِى ٱلْأَمْرِ أي أمر النبي ﷺ بالمقام في سفح الجبل للرمي، فقال بعضكم: "نذهب، فقد نُصر أصحابنا"، وبعضكم: "لا نخالف أمر النبي ﷺ" وَعَصَيْتُم أمره، فتركتم **المركز** لطلب الغنيمة مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم الله مَّا تُحِبُّونَ **من النصر**، وجواب "إذا" دل عليه **ما قبله** أي **منعكم نصره** مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا فترك المركز للغنيمة وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ فثبت به، حتى قُتِلَ كعبد الله بن جبير وأصحابه ﷺ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عطف على **جواب "إذا" المقدر** ردّكم **بالهزيمة** عَنْهُمْ أي الكفار لِيَبْتَلِيَكُمْ ليمتحنكم، ....

(الضمير لـ"ما" الموصولة) (المقام)

بسبب إشراكهم: يشير إلى أن "الباء" للسببية و"ما" مصدرية، وقوله: "ما لم ينـــزل" مفعول "أشركوا". (تفسير الكمالين)
ومأواهم النار: هذا بيان لحالهم في الآخرة بعد أن بين حالهم في الدنيا، وكل ذلك سبب عن الإشراك بالله، فهم في الدنيا مرعوبون، وفي الآخرة معذبون. (حاشية الصاوي) **هي:** أي النار، وهذا إشارة إلى أن المخصوص بالذم محذوف.
ولقد صدقكم الله: قال محمد بن كعب القرظي: لما رجع رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المدينة من أحد وقد أصابهم ما أصابهم، قال ناس من أصحابه: "من أين أصابنا هذا؟ وقد وعدنا الله النصر،" فأنزل الله تعالى هذه الآية؛ لأن النصر كان للمسلمين في الابتداء . (السراج المنير)
تقتلونهم: إشارة إلى أن الحس ههنا بمعنى القتل؛ لأن الحس مشترك بين الحيلة والقتل والاستيصال. في "القاموس": الحس: الحيلة والقتل والاستيصال. **جبنتم:** الجبن: امتناع الإقدام والخوف الشديد ومسكن الرجل.
من النصر: أي في ابتداء الأمر، ولما خالفوا أمر النبي ﷺ تغير الحال عليهم. **ما قبله:** وهو قوله: "ولقد صدقكم الله وعده". **منعكم نصره:** إذ انهزمتم، أو بان لكم أمركم، أو انقسمتم قسمين. (تفسير الكمالين)
جواب إذا المقدر: أي منعكم نصره ثم إذا انهزمتم أو بان لكم أمركم أو انقسمتم قسمين. (تفسير الكمالين)
بالهزيمة: أي بسبب ردكم بالهزيمة عنهم، وقال الزمخشري: "كف معونة عنكم فغلبوكم". (تفسير الكمالين)

فيظهر المخلص من غيره ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ ما ارتكبتموه ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ بالعفو. **اذكروا** ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ تبعدون في الأرض هاربين ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ﴾ **تُعَرِّجُون** ﴿عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ أي **من ورائكم** يقول: "**إليَّ عباد الله!** إليَّ عباد الله!" ﴿فَأَثَـٰبَكُمْ﴾ **فجازاكم** ﴿غَمًّۢا﴾ بالهزيمة ﴿بِغَمٍّ﴾ بسبب غمكم للرسول بالمخالفة، وقيل: الباء بمعنى "على"، أي مضاعفاً على غم فوت الغنيمة ﴿لِّكَيْلَا﴾ متعلق بـ"عفا" أو بـ"أثابكم" فـ"لا" **زائدة** ﴿تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من الغنيمة ﴿وَلَا مَآ أَصَـٰبَكُمْ﴾ (أي في الصورة الأخيرة) من القتل والهزيمة، ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً﴾ **أمناً** ....

اذكروا: بزنة الجمع، وهذا أحسن من تقدير "اذكر" بالإفراد، فإنه لا يستقيم إلا بتكلف، فقوله: "إذ تصعدون" ظرف لمقدر، وقد يجعل متعلقا لـ"صرفكم" أو "ليبتليكم". (تفسير الكمالين) **إذ تصعدون:** الإصعاد: الذهاب في الأرض والإبعاد فيه، يقال: صعد في الجبل وأصعد في الأرض، يقال: أصعدنا مكة إلى مدينة، قال الزمخشري في "القاموس": أصعد في الأرض مضى. (تفسير الكمالين) **تعرجون:** أي تقيمون من التعريج وهو الإقامة، والمعنى: ولا تلتفتون إلى ما وراءكم، ولا يقف واحد منكم بواحد. (حاشية الجمل)

من ورائكم: هذا يقتضي أن "في" بمعنى "من" وأخرى بمعنى آخر. **إلي عباد الله:** وتمامه: أنا رسول الله، من يكر فله الجنة. (روح البيان) **فأثابكم:** عطف على "صرفكم"، ولفظ الثواب لا يستعمل في الأغلب إلا في الخير، وقد يجوز استعماله في الشر؛ لأنه مأخوذ من قولهم: "ثاب إليه عقله" أي رجع إليه، وأصل الثواب كل ما يعود إلى الفاعل من جزاء فعله سواء كان خيرا أو شرا، من "الكبير" وغيره. **فجازاكم:** أشار بذلك إلى أن المراد بالثواب مطلق المجازاة، وإلا فالثواب هو ما يكون في نظير الأعمال الصالحة، وإنما سماه ثوابا؛ لأن عاقبته محمودة. (حاشية الصاوي)

زائدة: وقد يجعل "لا" غير مزيدة، والمعنى: لتتمرنوا على تجرع الغموم، فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنفعة. (تفسير الكمالين) **أمنا:** نصب على المفعول، وقوله: "نعاسا" بدل منها. قال أبو البقاء: والأصل: أنزل عليكم نعاسا ذا أمنة؛ لأن النعاس ليس هو الأمن بل هو الذي جعل الأمن وهو المفعول. و"أمنة" حال منه متقدمة، أو مفعول له، أو حال من المخاطبين بمعنى ذوي أمنة أو على أنه جمع آمن كـ"بار وبررة"، والمعنى: أنزل الله عليهم الأمن وأزال الخوف حتى نعسوا وغلبهم النوم. (تفسير الكمالين)

نُعَاسًا بدل يَغْشَىٰ بالياء والتاء طَآبِفَةً مِّنكُمْ وهم المؤمنون، فكانوا **يميدون** أي يتحركون تحت **الحَجَف**، وتسقط السيوف مرة بعد مرة منهم **وَطَآبِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ** أي حملتهم على الهم، فلا رغبة لهم إلا نجاهّا دون النبي ﷺ وأصحابه، فلم يناموا وهم المنافقون يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ **ظـــناً** غَيْرَ **الظن** ٱلْحَقِّ ظَنَّ أي **كظن** ٱلْجَٰهِلِيَّةِ حيث اعتقدوا: أن النبي ﷺ قتل أو لا ينصر..

نعاساً: أنزل الله عليكم الأمن حتى أخذكم النعاس، وعن أبي طلحة: "غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه". (تفسير البيضاوي) **يميدون:** أي يميلون من النعاس، و"الحجف" بفتحتين جمع حجفة اسم للترس. **الحجف:** بتقديم الحاء المهملة المضمومة على الجيم كذلك، جمع حجفة وهي الترس، وروى البخاري عن أبي طلحة: "كنت فيمن تغشاه الناس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مرارا، يسقط وآخذه ثم يسقط وآخذه". (تفسير الكمالين)

وطائفة: وذلك؛ لأن أصحاب محمد عليه السلام الذين كانوا معه يوم أحد فريقان، أحدهما: الجازمون بصدقه ونبوته، فهؤلاء كانوا قاطعين بأن الله ينصر هذا الدين، وأن هذه الوقعة لا تؤدي إلى الاستيصال فلا جرم كانوا آمنين، وبلغ ذلك الأمن إلى أن غشيهم النعاس، فإن النوم لا يجيء مع الخوف، والفريق الثاني: هم المنافقون الذين كانوا شاكين في نبوته عليه السلام، وما حضروا إلا لطلب الغنيمة، فهؤلاء اشتد جزعهم وعظم خوفهم. **تنبيه:** قال ابن مسعود: "النعاس في القتال أمنة والنعاس في الصلاة من الشيطان"، وذلك؛ لأنه لا يكون النعاس في القتال إلا من هذا الوثوق بالله والفراغ من الدنيا، ولا يكون في الصلاة إلا من غاية البعد. (مختصر من "السراج المنير")

ظنا غير الظن: أشار بذلك إلى أن قوله: "غير الحق" صفة لموصوف محذوف مفعول لــ"يظن"، وقوله: "الحق" صفة لمصدر محذوف مضاف لـــ"غير"، وقوله: "ظن الجاهلية" صفة ثانية، هو منصوب بنـــزع الخافض، والمعنى: أن هذه الطائفة حملتهم أنفسهم على الهزيمة لنجاهّا، ومن أوصافهم أنهم يظنون في ربهم ظنا باطلا مثل ظن الجاهلية بمعنى أهل الجهل والكفر، حيث ظنوا أن النبي ﷺ قتل وأن دينه قد بطل، قال الله تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (فصلت: ٢٣)، وقال تعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ (الحجر: ٥٦)، فحسن الظن بالله من علامات الإيمان، قال تعالى في الحديث القدسي: "أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء". وبالجملة: من أراد أن يعلم عاقبة أمره فلينظر إلى ظنه بربه. (حاشية الصاوي)

كظن الجاهلية: أشار به إلى أنه مصدر منصوب بنـــزع الخافض.

يَقُولُونَ هَل ما لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ أي النصر الذي وعدناه مِن شَيۡءٍۗ قُلۡ لهم إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ بالنصب توكيدا، والرفع مبتدأ خبره لِلَّهِۗ أي القضاء له يفعل ما يشاء يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ يظهرون لَكَۖ يَقُولُونَ بيان لما قبله لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ أي لو كان الاختيار إلينا لم نخرج فلم نقتل، لكن أخرجنا كرهاً قُل لهم لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ وفيكم من كتب الله عليه القتل لَبَرَزَ خرج ٱلَّذِينَ كُتِبَ قضي عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ منكم إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ مصارعهم، فيقتلوا ولم ينجهم قعودهم؛ لأن قضاءه تعالى كائن لا محالة. وَ فعل ما فعل بأحد لِيَبۡتَلِيَ يختبر ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ قلوبكم من الإخلاص والنفاق..

(للأكثر، للأمر، لأبي عمرو، خوفا من السيف، أي يخفون أو بدل منه)

يقولون: أي لرسول الله ﷺ. **هل لنا:** لفظ استفهام، ومعناه جحد أي ما لنا. (السراج المنير)

كله بالنصب: توكيد الأمر، فإن لفظة "كل" للتأكيد فكانت كلفظة "أجمع"، ولو قيل: "إن الأمر أجمع" لم يكن إلا النصب، فكذا إذا قال: "كله". (التفسير الكبير) **بيان لما قبله:** كأنه قيل: أي شيء يخفون؟ فقيل: يحدثون أنفسهم، أو يقول بعضهم لبعض فيما بينهم خفية لو كان لنا إلخ. (تفسير الكمالين)

قل لو كنتم إلخ: أي ولم تخرجوا إلى أحد وقعدتم بالمدينة، كما تقولون: لبرز الذين كتب عليهم القتل في اللوح المحفوظ بسبب من الأسباب الداعية إلى البروز إلى مضاجعهم، أي مصارعهم التي قدر الله تعالى قتلهم فيها، وقتلوا هناك البتة، ولم تنفع العزيمة على الإقامة بالمدينة قطعا، فإن قضاء الله لا يرد وحكمه لا يعقب. وفيه مبالغة في رد مقالتهم الباطلة حيث لم يقتصر على تحقيق نفس القتل، كما في قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ﴾ (النساء:٧٨)، بل عين مكانه، ولا ريب في تعيين زمانه أيضا لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (الأعراف:٣٤). (حاشية الجمل)

مصارعهم: الأماكن التي ماتوا فيها عند أحد، وقوله: "فيقتلوا" في نسخة: "فيقتلون" وهي أظهر؛ لعدم مقتضى حذف النون. (حاشية الجمل) **فعل ما فعل:** ما فعله بالمؤمنين في أحد، فهذه العلة أي قوله: "ليبتلي" معطوفة في الحقيقة على علة مقدرة كأنه قيل: "فعل ما فعل لمصالح جمة وليبتلي إلخ"، وجعلها علة البروز يأباه الذوق؛ فإن مقتضى المقام بيان حكمة ما وقع يومئذ من الشدة والهول، لا بيان حكمة البروز المفروض. **ليبتلي:** فهو علة فعل محذوف أو عطف على محذوف، أي ليبرز لنفاذ القضاء أو لمصالح جمة وللابتلاء. (تفسير الكمالين)

وَلِيُمَحِّصَ يميز مَا فِي قُلُوبِكُمْۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ بما في القلوب، لا يخفى عليه شيء، وإنما يبتلي؛ ليظهر للناس إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ عن القتال يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ جمع المسلمين وجمع الكفار بأُحُد، وهم المسلمون **إلا اثني عشر رجلاً** إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ **أزلهم** ٱلشَّيۡطَٰنُ بوسوسته بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ من الذنوب **وهو مخالفة** أمر النبي ﷺ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ للمؤمنين حَلِيمٞ ﴿١٥٥﴾ لا يُعجِّل على العصاة. يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ أي المنافقين وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ اللام بمعنى في أي في شأنهم إِذَا ضَرَبُواْ سافروا فِي ٱلۡأَرۡضِ **فماتوا** أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى جمع "غاز"، فقتلوا لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ...

وليمحص: أي يخلصه من الوساوس، والتمحيص في الأصل: التخليص من الشيء المعيب، وقوله: "إلا اثني عشر رجلا": أبو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن مالك وأبو عبيدة من المهاجرين، والخباب بن المنذر وأبو دجانة والحارث بن الصمة وسعد بن معاذ وسهل بن حنيف من الأنصار، قيل: "وسعد ابن عبادة وعاصم بن ثابت"، رضي الله عنهم أجمعين.

إلا اثني عشر رجلا: أي أقاموا مع النبي ﷺ ولم ينهزموا. وعبارة "الكبير": وأما الذين ثبتوا مع الرسول ﷺ، فكانوا أربعة عشر رجلا، سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار، فمن المهاجرين أبو بكر وعلي وعبد الرحمن ابن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله وأبو عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام ﷺ، ومن الأنصار الخباب ابن المنذر وأبو دجانة وعاصم بن ثابت والحارث بن صمة وسهل بن حنيف وأسيد بن حضير وسعد بن معاذ ﷺ. وعبارة الخطيب: ولم يبق مع النبي ﷺ إلا ثلاثة عشر رجلا.

أزلهم: يشير إلى أن السين فيه ليس للطلب بل للتعدية كــ"أفعل"، أو دعاهم إلى الزلة وحملهم عليها. (تفسير الكمالين)

وهو مخالفة إلخ: بتركهم المركز الذي أمرهم النبي ﷺ بالثبات عليه. (تفسير الكمالين)

لا تكونوا كالذين إلخ: أي لا تشبهوهم في قولهم في شأن من مات أو قتل: "لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا"، فهم يعتقدون أن الفرار نافع من قضاء الله. (حاشية الصاوي) **إذا ضربوا:** "إذا" هنا لمجرد الزمان، وأتى بـــ "إذا" إشارة إلى أن هذا الأمر محقق منهم. (حاشية الصاوي) **فماتوا:** أخذه من قوله: "ما ماتوا"، وقوله: "فقتلوا" أخذه من قوله: "وما قتلوا". (حاشية الجمل)

أي **لا تقولوا** كقولهم لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ القول **في عاقبة أمرهم** حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۗ فلا يمنع عن الموت قعود وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بالتاء والياء بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ فيجازيكم به. وَلَئِن لام قسم قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أي الجهاد أَوْ مُتُّمْ بضم الميم وكسرها من "**مات** يموت ويمات" أي أتاكم الموت فيه لَمَغْفِرَةٌ كائنة مِّنَ ٱللَّهِ لذنوبكم وَرَحْمَةٌ منه لكم **على ذلك**، واللام ومدخولها **جواب القسم**، وهو في موضع الفعل مبتدأ خبره خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ من الدنيا بالتاء والياء. وَلَئِن لام قسم مُّتُّمْ بالوجهين أَوْ قُتِلْتُمْ في الجهاد أو غيره لَإِلَى ٱللَّهِ لا إلى غيره تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾

للأكثر التحتية لحفص

لا تقولوا: هو مستفاد من قوله: "ولا تكونوا". ليجعل الله: "اللام" يتعلق بـــ "لا تكونوا" أي لا تكونوا كهؤلاء في النطق بذلك القول واعتقاده؛ ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم، أو بـــ"قالوا" أي قالوا ذلك واعتقدوه؛ ليكون حسرة في قلوبهم. والحسرة: الندامة على فوت المحبوب. (تفسير الكمالين)

في عاقبة أمرهم: يشير إلى أن "اللام" لام العاقبة مثلها في قوله: "ليكون لهم عدوا وحزنا". (تفسير الكمالين)

والله يحيي ويميت: رد لقولهم: إن القتال يقطع الآجال أي الأمر بيده، قد يحيي المسافر والمقاتل، ويميت المقيم والقاعد. (تفسر المدارك) مات إلخ: أي على قراءة الضم من باب نصر ينصر، ومات يمات على قراءة الكسر من باب خاف يخاف. وقوله: "فيه" أي في سبيل الله. لمغفرة: جواب القسم، وهو ساد مسد جواب الشرط، وكذلك "لإلى الله تحشرون"، كذب الكافرين أولا في زعمهم أن من سافر من إخوانهم أو غزا لو كان بالمدينة لما مات، ونهى المسلمين عن ذلك؛ لأنه سبب التقاعد عن الجهاد، ثم قال لهم: ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت أو القتل في سبيل الله، فإن ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا، فإن الدنيا زاد المعاد، فإذا وصل العبد إلى المراد لم يحتج إلى زاد. (تفسير المدارك)

على ذلك: أي على ما ذكر من الموت والقتل، و"على" بمعنى لام التعليل. وقوله: "واللام" أي لام الابتداء ومدخولها، وهو مجموع المبتدأ والخبر، وقوله: "وهو في موضع الفعل" الضمير عائد إلى مدخول اللام الذي هو مجموع المبتدأ والخبر. جواب القسم: وجواب الشرط محذوف، و"هو" في موضع الفعل مبتدأ، خبره "خير مما يجمعون". (تفسير الكمالين) خير إلخ: والمعنى: والله ما ينالونه من المغفرة بالموت خير مما يجمعون من الدنيا. (تفسير الكمالين)

لإلى الله تحشرون: قال بعضهم: إن الآية تشير إلى مقامات العبودية الثلاثة، الأول: من يعبد الله خوفا من ناره، وإليه الإشارة بقوله: "لمغفرة". الثاني: من يعبد الله شوقا إلى جنته، وإليه الإشارة بقوله: "ورحمة". الثالث: من =

في الآخرة فيجازيكم. ﴿فَبِمَا﴾ **"ما" زائدة** ﴿رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ﴾ يا محمد! ﴿لَهُمْ﴾ أي سهلت أخلاقك إذ خالفوك ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ سيّيء الخلق ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ **جافياً** فأغلظت لهم ﴿لَٱنفَضُّوا۟﴾ **تفرّقوا** ﴿مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ﴾ **تجاوز** ﴿عَنْهُمْ﴾ ما أتوه ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ **ذنوبهم** حتى أغفر لهم ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾ **استخرج آراءهم** ﴿فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أي شأنك من الحرب وغيره **تطييباً لقلوبهم** وليُستَنَّ بك، فكان ﷺ كثير المشاورة لهم ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ على إمضاء ما تريد بعد المشاورة ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ثق به بعد المشاورة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ عليه. ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ﴾ يُعنكم على عدوّكم كيوم بدر ....

برحمة وإحسان من الله — يوم أحد — ليقتدى بك

= يعبد الله لذاته لا طمعا ولا خوفا، وإليه الإشارة بقوله: "لإلى الله تحشرون"، وفي الحقيقة الثالث قد جاز جميعها لكن من غير قصد منه؛ لأن مشاهدة الله تعالى لا تكون إلا في الجنة لا بد من ذلك. (حاشية الصاوي)

فبما: "الفاء" عاطفة على مضاف أي خالفوا أمرك فلنت لهم برحمة من الله. (تفسير الكمالين) **ما زائدة:** للتوكيد والدلالة على أن لينه ﷺ لهم ما كان إلا برحمة من الله. (تفسير المدارك) **فظا:** في "الجمل": الفظاظة: الجفوة في المعاشرة قولا وفعلا، والغلظة: التكبر، ثم تجوز به عن عدم الشفقة وكثرة القسوة في القلب. **جافيا:** أي ظالما. الجفاء بالمد ترك الصلة والبر، كذا في "الصراح". **تفرقوا:** أي حتى لا يبقى حولك أحد منهم. (تفسير المدارك)

فاعف: شروع في ذكر ترقيقه لهم، فذكر أولا العفو عنهم ثم الاستغفار لهم؛ ليطهرهم ربهم من الذنوب، فإذا طهروا وصاروا أصفياء خلفاء شاورهم في الأمر. (حاشية الصاوي) **ذنوبهم:** فيما يختص بحق الله إتماما للشفقة عليهم. (تفسير المدارك) **استخرج آراءهم:** وهو جمع "رأي" بمعنى العقل والفهم.

تطييبا لقلوبهم: ورفعا لأقدارهم. في الحديث: "ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمرهم"، وعن أبي هريرة: "ما رأيت أحدا أكثر مشاورة من أصحاب رسول الله ﷺ"، ومعنى "شاورت فلانا": أظهرت ما عندي وما عنده من الرأي. وشرت الدابة استخرجت جريها. وشرت العسل: أخذته من مأخذه. وفيه دلالة جواز الاجتهاد وبيان أن القياس حجة. (تفسير المدارك)

فإذا عزمت: أي بعد المشاورة، أشار به إلى أن التوكل ليس هو إهمال التدبير بالكلية، وإلا لكان الأمر بالمشاورة منافيا للأمر بالتوكل، بل مراعاة الأسباب الظاهرة مع تفويض الأمر إلى الله تعالى والاعتماد عليه بالقلب. (حاشية الجمل) **المتوكلين:** التوكل: الاعتماد على الله وتفويض الأمر إليه، وقال ذوالنون: خلع الأرباب وقطع الأسباب. (تفسير المدارك)

فَلَا غَالِبَ لَكُمْ **وَإِن يَخْذُلْكُمْ** يترك نصركم كيوم أُحُد **فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ** أي بعد خذلانه أي لا ناصر لكم **وَعَلَى ٱللَّهِ** لا غيره **فَلْيَتَوَكَّلِ** **ليثق** **ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾** **ونزل** لما فُقِدت قطيفة حمراء (الرداء) يوم بدر، **فقال بعض الناس:** لعل النبي ﷺ أخذها **وَمَا كَانَ** ما ينبغي **لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ** يخون في الغنيمة، فلا تظنوا به ذلك، وفي قراءة (لنافع وهمزة والكسائي) بالبناء للمفعول، أي **ينسب إلى الغلول** **وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ** حاملا له على عنقه **ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ** الغال وغيره جزاء **مَّا كَسَبَتْ** عملت **وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾** شيئاً. **أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ** فأطاع ولم يَغُل **كَمَنۢ بَآءَ** رجع **بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ** لمعصيته وغلوله **وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾** المرجع هي، **لا.** **هُمْ دَرَجَٰتٌ** أي **أصحاب درجات** **عِندَ ٱللَّهِ** .....

(وهم المنافقون والكفار)

فلا غالب لكم: أي فلا أحد يغلبكم، وإنما يدرك نصر الله من اعتمد على حوله وقوته واعتصم بربه وقدرته. (تفسير المدارك) **وإن يخذلكم:** الخذلان ترك النصرة والذلة. **ليثق:** أي وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل عليه والتفويض إليه؛ لعلمهم أنه لا ناصر سواه، ولأن إيمانهم يقتضي ذلك. (تفسير المدارك)

ونزل: رواه الترمذي عن ابن عباس ﷺ وقال: حديث حسن غريب. **فقال بعض الناس:** قيل: وهم المنافقون، أو ظن به الرماة يوم أحد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا: نخشى أن يقول رسول الله ﷺ: من أخذ شيئا فهو له، ولا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر. (البيضاوي) **أن يغل:** يقال: غل شيئا من المغنم غلولا، وأغل إغلالا إذا أخذه في خفية، ويقال: أغله إذا وجده غالا، والمعنى: وما صح له ذلك، يعني أن النبوة تنافي الغلول، وكذا من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع إلى هذا؛ لأن معناه: وما صح له أن يوجد غالا ولا يوجد غالا إلا إذا كان غالا. (تفسير المدارك) **ينسب إلى الغلول:** كقولهم: أكذبته أي نسبته إلى الكذب. من "أبي البقاء". **يأت بما غل:** أي يأت بالشيء الذي غله بعينه حاملا على ظهره، كما جاء في الحديث: "أو يأت بما احتمل من وباله وإثمه". (تفسير المدارك)

أفمن اتبع: الهمزة للإنكار، و"الفاء" لعطف مدخولها على محذوف أي استوى الأمران، ونحوه لا يريد أن الاستفهام في قوله: "أفمن اتبع" إنكاري. (تفسير الكمالين) **رضوان الله:** أي رضاء الله، قيل: هم المهاجرون والأنصار. (تفسير المدارك) **لا:** أشار به أن الاستفهام هنا للنفي، فالمراد إنكار استوائهم. من "حاشية الجمل".

أصحاب درجات: والمعنى: هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات، أو المعنى: تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين، أو التفاوت بين الثواب والعقاب. (تفسير المدارك)

أي مختلفو المنازل فلمن اتبع رضوانه الثواب، ولمن باء بسخطه العقاب وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ فيجازيهم به. لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ أي **عربيا** مثلهم؛ ليفهموا عنه ويَشْرُفُوا به لا ملكاً **ولا عجمياً** يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ القرآن وَيُزَكِّيهِمۡ يطهرهم من الذنوب من دنس أو يأخذ منهم الزكاة وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ القرآن وَٱلۡحِكۡمَةَ **السنة** وَإِن **مخففة** أي إنهم كَانُواْ مِن قَبۡلُ أي قبل بعثه لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ بيِّن. أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ بأُحُد بالإيمان بقتل سبعين منكم قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا ببدر بقتل سبعين، **وأسر سبعين** ....

لقد من الله إلخ: هذا ترق في تعظيمه ﷺ، فنــزهه أولا عن الغلول، ثم بين أن وجوده بينهم نعمة عظيمة أنعم بها عليهم، وفي الحقيقة: هو نعمة حتى على الكفار، وإنما خص المؤمنين؛ لأنهم منتفعون بها وتدوم عليهم، وأما الكفار وإن أمنوا به من الخسف والمسخ وكل بلاء عام ورزقوا به، إلا أن عاقبتهم الخلود في دار البوار، ويتبرأ منهم ولا يشفع لهم في النجاة من العذاب. (حاشية الصاوي)

عربيا: أو من ولد إسماعيل كما أنهم من ولده، والمنة في ذلك من حيث إنه إذا كان منهم كان اللسان واحدا، فيسهل أخذ ما يجب عليهم أخذه عنه، وكانوا واقفين على أحواله في الصدق والأمانة، وكان ذلك أقرب لهم إلى تصديقه، وكان لهم شــرف بكونه منهم، وفي قــراءة: "رسولا من أنفسهم" أي من أشرفهم. (تفسير المدارك)

ولا عجميا: لعدم فهمهم عنه ما أرسل به، ومن نعم الله أيضا كون القرآن عربيا. (حاشية الصاوي)

السنة: أي الشريعة المعروفة بوحي غير متلو لمقابلة الكتاب. (تفسير الكمالين) **وإن مخففة:** و"اللام" هي الفارقة بينه وبين النافية أي إنهم جعل اسم "إن" الضمير المقدر الراجع إليهم، وصاحب الكشاف جعل اسمها ضمير الشأن. قال أبو حيان: "ولم يقل به نحوي، وأنها إذا دخلت على الفعلية كما ههنا وجب إهمالها، والأكثر كون مدخولها ماضيا ناسخا لــ"كان". (تفسير الكمالين)

أو لما أصابتكم: الهمزة للاستفهام الإنكاري داخلة في التقدير على قوله: "قلتم أنى هذا"، والتقدير: أقلتم ما ذكر لما أصابتكم أي حين أصابتكم، أي ما ينبغي لكم أن يصدر عنكم القول المذكور. ولفظة "لما" هذه هي الرابطة للشرط بالجواب وهي غير جازمة، واختلف في أنها حرف أو ظرف، وشرطها ما بعدها وجوابها "قلتم: أنى هذا؟"، و"الواو" التي بعد الهمزة للاستئناف، كما قاله أبو السعود. (حاشية الجمل)

قد أصبتم: أي نلتم مثليها، محله رفع صفة لــ"مصيبة"، الكرخي ومثله في أبي البقاء. **وأسر سبعين:** والأسير في حكم المقتول؛ لأن الآسر يقتل أسيره إن أراد، وجواب "لما" "قلتم". (تفسير الكرخي)

منهم ﴿قُلۡتُمۡ﴾ متعجبين ﴿أَنَّىٰ﴾ من أين لنا ﴿هَٰذَاۖ﴾ الخذلان، ونحن مسلمون ورسول الله فينا؟ والجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري ﴿قُلۡ﴾ لهم ﴿هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ لأنكم تركتم **المركز** فخُذلتم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾ ومنه النصر ومنعه، وقد جازاكم بخلافكم. ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ بأحد ﴿فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَلِيَعۡلَمَ﴾ الله علم ظهور كائن به ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦﴾ **حقاً**. ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ﴾ والذين ﴿قِيلَ لَهُمۡ﴾ لما انصرفوا عن القتال وهم عبد الله بن أُبيّ وأصحابه ﴿تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أعداءه ﴿أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ﴾ عنا القوم **بتكثير سوادكم** إن لم تقاتلوا ﴿قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ﴾ نحس بالعين ﴿قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ﴾ قال تعالى تكذيباً لهم: ﴿هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ﴾ **بما أظهروا** من خذلانهم للمؤمنين، ....

المركز: المأمور ثباتكم فيه، أو لاختياركم الخروج من المدينة، أو الفداء يوم بدر. (تفسير الكمالين)

وما أصابكم: "ما" بمعنى الذي وهو مبتدأ، والخبر: "فبإذن الله" أي واقع بإذن الله. (تفسير أبي البقاء)، ودخلت "الفاء" في الخبر لشبه المبتدأ بالشرط، نحو: "الذي يأتيني فله درهم". (الخطيب) التقى الجمعان: شروع في بيان الحكم التي ترتبت على هزيمة المؤمنين بأحد. (حاشية الصاوي)

وليعلم: وفي هذا اللام قولان، أحدهما: أنها معطوفة على معنى قوله: "فبإذن الله" عطف سبب على سبب، فتعلق لما تعلق به الباء، والثاني: أنها متعلقة بمحذوف أي وفعل ذلك أي ما أصابكم ليعلم. حقا: أشار به إلى أن التمييز محذوف، وفي "الجمل": ولما ضمن "يعلم" معنى "يظهر" تعدى لمفعول واحد فقط. بتكثير سوادكم: عددكم وأشخاصكم. في "الصراح": "سواد" عدد كثير، وقال: وسوادك من سواده أي شخصك من شخصه.

لو نعلم: أي لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالا لاتبعناكم، يعنون ما أنتم فيه لخطأ آرائكم ليس بشيء، ولا يقال لمثله: قتال، إنما هو إلقاء النفس في التهلكة. (تفسير الكمالين) هم للكفر يومئذ إلخ: في "روح البيان": ومعنى كون قربهم إلى الكفر أزيد يومئذ من قربهم إلى الإيمان أنهم كانوا قبل ذلك الوقت كاتمين للنفاق، فكانوا في الظاهر أبعد من الكفر، فلما ظهر منهم ما كانوا يكتمون صاروا أقرب للكفر. وفي "أبي السعود": الضمير مبتدأ و"أقرب" خبره، و"اللام" في "للكفر" و"للإيمان" متعلقة به، وكذا "يومئذ" و"منهم"، ويجوز تعلق الحرفين المتحدين لفظا ومعنى بأفعل التفضيل.

بما أظهروا: أي أنهم كانوا يتظاهرون بالإيمان قبل ذلك، وما ظهرت منهم أمارة تؤذن بكفرهم، فلما انحرفوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الإيمان المظنون بهم، واقتربوا من الكفر، أو هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان؛ لأن تقليلهم سواد المسلمين بالانخذال تقوية للمشركين.

وكانوا قبل أقرب إلى الإيمان من حيث الظاهر يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ولو علموا قتالاً لم يتبعوكم وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ من النفاق. ٱلَّذِينَ **بدل من** "الذين" قبله، أو نعت قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ في الدين وَ **قد** قَعَدُواْ عن الجهاد لَوْ أَطَاعُونَا أي شهداء أحد أو إخواننا في القعود مَا قُتِلُواْ قُلْ لهم فَٱدْرَءُواْ ادفعوا عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ في أن القعود **ينجي منه. ونزل في الشهداء:** وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ بالتخفيف والتشديد فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أي لأجل دينه أَمْوَٰتًا بَلْ هم أَحْيَآءٌ ...

(الذين نافقوا — لأجل — لابن عامر لكثرة المقتولين — للأكثر)

الذين قالوا إلخ: ألقاب الأعراب ثلاثة، الرفع والنصب والجر، فالرفع من ثلاثة أوجه، أحدها: أن يكون مرفوعا على خبر مبتدأ محذوف تقديره: هم الذين. الثاني: أنه بدل من واو "يكتمون". الثالث: أنه مبتدأ والخبر قوله: "قل فادرؤوا"، ولا بد حينئذ من حذف عائد في جانب الخبر، تقديره: "قل لهم فادرؤوا". والنصب أيضا من ثلاثة أوجه، أحدها: النصب على الذم أي أذم الذين قالوا. الثاني: أنه بدل من "الذين نافقوا".الثالث: أنه صفة لهم. والجر من وجهين، أحدهما: أنه بدل من الضمير في "أفواههم". والثاني: أنه بدل من الضمير في "قلوبهم". قوله: "لإخوانهم" أي لأجل إخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم أحد، أو إخوانهم في النسب أو في سكنى الدار أو في عداوة النبي ﷺ. وقوله: "وقعدوا" حال مقدرة بـــ"قد" أي قالوا قاعدين عن القتال. (السراج المنير)

بدل من إلخ: أي قوله: "الذين نافقوا"، وقوله: "أو نعت" أي "الذين نافقوا"، وقوله: "لإخوانهم" أي في شأنهم. **وقد قعدوا:** أشار به إلى أن الجملة حال من ضمير "قالوا"، كما صرح به أبو البقاء. **فادرؤوا إلخ:** ورد أنه نزل بهم الموت وهم في دورهم، فمات منهم سبعون من غير قتال في يوم واحد. (حاشية الصاوي)

ينجي منه: أو معناه: قل إن كنتم صادقين في أنكم وجدتم إلى دفع القتال سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا إلى دفع الموت سبيلا. (تفسير الكمالين) **ونزل في الشهداء:** قيل: شهداء بدر، وقيل: شهداء أحد وهو الراجح، وفي تفسير "روح البيان": المراد بهم شهداء أحد، وكانوا سبعين رجلا، أربعة من المهاجرين وباقيهم من الأنصار، وأما شهداء بدر فنـــزلت فيهم آية البقرة: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (البقرة:١٥٤). أفاده زكريا على "البيضاوي". سبب نزول هذه الآية: أنهم لما وجدوا أطيب مأكلهم ومشربهم، قالوا: من يبلغ عنا إخواننا أننا أحياء في الجنة؟ فقال الله تعالى: "أنا أبلغهم عنكم"، فأنزل: "لا تحسبن إلخ". (الخازن) **أحياء إلخ:** وهذه الحياة ليست كحياة الدنيا، بل هي أعلى وأجل منها؛ لأنهم يسرحون حيث شاءت أرواحهم. (حاشية الصاوي)

عِندَ رَبِّهِمۡ "أرواحهم في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت" كما ورد في الحديث يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ يأكلون من ثمار الجنة. فَرِحِينَ حال من ضمير "يُرزقون" بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَ هم يَسۡتَبۡشِرُونَ يفرحون بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ من إخوانهم المؤمنين، **ويبدل** من "الذين" أ نْ أي بأن أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ أي الذين لم يلحقوا بهم وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ في الآخرة. المعنى: يفرحون بأمنهم وفرحهم. يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٍ ثواب مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٍ زيادة عليه وَأَنَّ بالفتح عطفاً على "نعمة"، والكسر استئنافاً ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٧١﴾ **بل يأجرهم.** ٱلَّذِينَ مبتدأ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ **دعاءه بالخروج** ....

عند ربهم: صفة لـــ"أحياء"، و"يرزقون" صفة لـــ"أحياء"، ويجوز أن يكون حالا من الضمير في "أحياء" أي حين مرزوقين. وقوله: "فرحين" حال من الضمير في "يرزقون". وقوله: "من فضله" حال من العائد المحذوف في الظرف، تقديره: آتاهموه كائنا من فضله. وقوله: "ويستبشرون" معطوف على "فرحين"، ويجوز أن يكون التقدير: وهم يستبشرون، فتكون الجملة حالا من الضمير في "فرحين"، أو من الضمير في "آتاهم". وقوله: "من خلفهم" متعلق بـــ "يلحقوا"، ويجوز أن يكون حالا تقديره: متخلفين عنهم. من "أبي البقاء".

ويبدل إلخ: أشار به إلى أن "أن" و"ما" في حيزها في محل خبر بدل من "الذين لم يلحقوا بهم" بدل اشتمال مبين؛ لكون استبشارهم بحال إخوانهم لا بذواتهم؛ لأن الذوات لا يستبشر بها. والمراد: بيان دوام انتفاء الحزن والخوف، لا بيان انتفاء دوامهما لما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا، فإن النفي وإن دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام. والخوف غم يلحق الإنسان بما يتوقعه من السوء، والحزن غم يلحقه من فوات نافع أو حصول ضار، فمن كانت أعماله مشكورة فلا يخاف العاقبة، ومن كان متقلبا في نعمة من الله وفضل فلا يحزن أبدا. (حاشية الجمل) **بل يأجرهم:** في "المصباح": "أجره الله أجرا" من باب ضرب وقتل، وآجره بالمد لغة ثالثة إذا أثابه.

دعاءه بالخروج: وكان هذا الدعاء في يوم الأحد التالي ليوم أحد الذي هو يوم السبت، وهذا إشارة إلى غزوة حمراء الأسد، وقوله: "وتواعدوا مع النبي إلخ" إشارة إلى غزوة بدر الصغرى الثالثة، وكانت في شعبان من السنة الرابعة، وأحد كانت في شوال من السنة الثالثة، فقوله: "الذين استجابوا لله والرسول إلخ" إشارة إلى غزوة حمراء الأسد، وتقدم أنها كانت في اليوم التالي ليوم أحد، وقوله: "الذين قال لهم الناس إلخ" إشارة إلى غزوة بدر الثالثة، فكلام الشارح فيه تخليط، فقوله: "بالخروج للقتال" كان في اليوم التالي ليوم أحد، وقوله: "وتواعدوا مع النبي ﷺ" وذلك التواعد كان في أحد حين شرع أبو سفيان في الانصراف منها إلخ، فهذه صارت غزوات ثلاثة، =

للقتال لما أراد أبو سفيان وأصحابه العَوْدَ، **وتواعدوا مع النبي** ﷺ وأصحابه سوق بدر العام المقبل **من يوم أُحُد** ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ﴾ بأُحد، وخبر المبتدأ ﴿لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ﴾ بطاعته ﴿وَٱتَّقَوۡاْ﴾ مخالفته ﴿أَجۡرٌ عَظِيمٌ ١٧٢﴾ هو الجنة.

= أحدها: غزوة أحد، وثانيها: غزوة حمراء الأسد كانت متصلة بغزوة أحد، وثالثها: غزوة بدر الصغرى وقعت بعدها بسنة، والغزوة هي الخروج للقتال وإن لم يقع قتال. (روح البيان والجمل)

وتواعدوا من النبي إلخ: معطوف على "لما أراد"، فالضمير عائد إلى أبي سفيان وأصحابه، وقوله: "من يوم أحد" ظرف لـــ "تواعدوا"، فالتواعد كان في يومها كما تقدم. روي أن أبا سفيان نادى عند انصرافه من أحد: يا محمد! موعدنا موسم بدر القابل إن شئت، فقال ﷺ: "إن شاء الله تعالى"، فلما كان القابل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مر الظهران، فألقى الله الرعب في قلبه فبدا له أن يرجع، فلقي نعيم بن مسعود الأشجعي وقد قدم معتمرا، فقال: يا نعيم! إني واعدت محمدا أن تلقى بموسم بدر، وأن هذا عام جدب ولا يصلح لنا إلا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن، وقد بدا لي أن أخرج إليه، وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج أنا، فيزيدهم ذلك جرأة، ولأن يكون الخلف من قبلهم أحب إلي من أن يكون من قبلي، فالحق بالمدينة، فثبطهم وأعلمهم أني في جمع كثير ولا طاقة لهم بنا، ولك عندي عشرة من الإبل أضعها في يد سهيل بن عمرو ويضمنها، فجاء سهيل، فقال له نعيم: يا أبا يزيد! تضمن لي ذلك وأنطلق إلى محمد وأثبطه، فقال: نعم، فخرج نعيم حتى أتى المدينة، فوجد الناس يتجهزون لميعاد أبي سفيان، فقال: أين تريدون؟ فقالوا: واعدنا أبو سفيان بموسم بدر الصغرى أن نقتل بها، فقال: بئس الرأي؛ لأنهم أتوكم في دياركم وقراركم، فلم يلفت منكم أحدا إلا شريدا، فتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم، والله، لا يلفت منكم أحد، فكره بعض أصحاب رسول الله ﷺ الخروج، فقال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيده لأخرجن لو وحدي"، أي ولو لم يخرج معي أحد، فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون: حسبنا الله ونعم الوكيل، ولم يلتفتوا إلى ذلك القول حتى بلغوا بدرا الصغرى، وكانت موضع سوق للعرب يجتمعون فيها كل عام ثمانية أيام، فأقام النبي ﷺ وأصحابه بها تلك المدة، وصادفوا الموسم وباعوا ما كان معهم من التجارات فربحوا. (الخطيب)

من يوم أحد: قال البغوي، قال مجاهد وعكرمة: نزلت هذه الآية في غزوة بدر الصغرى. **منهم:** "من" للتبيين، مثلها في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً﴾ (الفتح:٢٩)؛ لأن الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا، لا بعضهم. **أجر عظيم:** هو مبتدأ، والجار والمجرور قبله خبره، والجملة خبر "الذين استجابوا". (تفسير الكمالين)

ٱلَّذِينَ بدل من "الذين" قبله أو نعت قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ أي **نعيم بن مسعود** الأشجعي إِنَّ ٱلنَّاسَ أبا سفيان وأصحابه قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ الجموع؛ ليستأصلوكم فَٱخْشَوْهُمْ ولا تأتوهم فَزَادَهُمْ **ذلك القول** إِيمَٰنًا تصديقاً بالله ويقيناً وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ **كافينا** أمرهم وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ المفوَّض إليه الأمر هو، وخرجوا مع النبي ﷺ، فوافوا سوق بدر، وألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان وأصحابه فلم يأتوا، وكان معهم تجارات فباعوا وربحوا. قال الله تعالى: فَٱنقَلَبُوا۟ رجعوا من بدر بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ بسلامة وربح لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ من قتل أو جرح وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ بطاعته ورسوله في الخروج وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ على أهل طاعته. إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ أي القائل لكم: "إن الناس إلخ" ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ **كم** أَوْلِيَآءَهُۥ الكفار فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ في ترك أمري إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ حقًّا.

قال لهم الناس إلخ: فإن قيل: المثبط هو نعيم الأشجعي، فكيف قال الناس؟ أجيب: بأنه من جنس الناس، كما يقال: فلان يركب الخيل وما له إلا فرس واحد. (الخطيب) أو لأنه انضم إليه ناس من المدينة، وأذاعوا كلامه. (البيضاوي)
نعيم بن مسعود: هذا كان قبل إسلامه؛ لأنه هاجر يوم الخندق. روي: أن أبا سفيان ... إلخ [كما مر في الحاشية السابقة وفي "تفسير الكمالين" لفظ: قد قدم (نعيم بن مسعود) معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الإبل].
ذلك القول: أي المقول الذي هو: "أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم"، أو القول أو نعيم. (تفسير المدارك)
كافينا: يعني إن "حسب" بمعنى المحسب من أحسبه إذا كفاه، قال الزمخشري: ويدل على ذلك أنه لا يفيد بالإضافة تعريفا في قولك: "هذا رجل حسبك". **فانقلبوا:** معطوف على مقدر دل عليه السياق وهو قول الشارح: "وخرجوا مع النبي ﷺ". **لم يمسسهم:** وهو حال من الضمير في "انقلبوا"، وكذا "بنعمة"، والتقدير: فرجعوا من بدر منعمين بريئين من سوء. **واتبعوا إلخ:** يجوز في هذه الجملة وجهان، أحدهما: أنها معطوف على "انقلبوا". والثاني: أنها حال من فاعل "انقلبوا"، ويقدر حينئذ "قد" أي قد اتبعوا. (تفسير الجمالين)
يخوف: جملة مستأنفة بيان لشيطنته، و"الشيطان" صفة لاسم الإشارة، و"يخوف" الخبر. (تفسير المدارك)
كم: يشير إلى أن قوله: "أولياءه" مفعول ثان والأول محذوف، وقيل: المراد بأوليائه المنافقون فهو مفعول أول. (تفسير الكمالين) **إن كنتم مؤمنين:** لأن الإيمان يقتضي أن يؤثر العبد خوف الله على خوف غيره. (تفسير المدارك)

وَلَا يَحْزُنكَ بضم الياء وكسر الزاي، وبفتحها وضم الزاي من "حزنه" لغة في "أحزنه" ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ **يقعون فيه** سريعاً بنصرته وهم أهل مكة، أو المنافقون أي لا هتم لكفرهم إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا بفعلهم، وإنما يضرون **أنفسهم** يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا نصيباً فِي ٱلْأَخِرَةِ أي الجنة، فلذلك خذلهم الله وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ في النار. إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ أي **أخذوه بدله** لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ بكفرهم شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ مؤلم. وَلَا يَحْسَبَنَّ **بالياء والتاء** ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي ....

عطف على ولا يحزنك

ولا يحزنك: نزلت تسلية للنبي ﷺ وللمؤمنين. (حاشية الصاوي) **يقعون فيه:** أشار بذلك أن "يسارعون" مضمن معنى "يقعون"، فعداه بـــ "في" إشارة إلى أهم تلبسوا بالكفر وليسوا بخارجين عنه. (حاشية الصاوي)

أنفسهم: أو المراد بأهم لن يضروا الله أي أولياء الله، يعني لا يضرون بمسارعتهم في الكفر إلا أنفسهم، وما وبال ذلك عائدا إلى غيرهم، ثم بين كيفية عود الوبال عليهم بقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ﴾ (آل عمران:١٧٦) ". (تفسير المدارك)

يريد الله إلخ: هذه الآية تدل على إرادة الكفر والمعاصي؛ لأن إرادة أن لا يكون لهم ثواب في الآخرة لا تكون بدون إرادة كفرهم ومعاصيهم. (تفسير المدارك) **أخذوه بدله:** أي كفروا ولم يؤمنوا، وهذا تعميم للكفرة بعد تخصيص المنافقين، أو تكرير للتأكيد؛ لأن هذه الآية مساوية لما قبلها لفظا في ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ (آل عمران:١٧٦) ومعنى في الباقي؛ إذ معنى "يسارعون في الكفر" مساو لمعنى "اشتروا الكفر بالإيمان". (حاشية الجمل)

شيئا: هو نصب على المصدر أي شيئا من الضرر. الآية الأولى فيمن نافق من المتخلفين أو ارتد عن الإسلام، والثانية في جميع الكفار أو على العكس. (تفسير المدارك) **ولهم عذاب أليم:** إنما وصف العذاب هنا بكونه أليما؛ لأن من اشترى سلعة وخسر فيها تألم منها، ووصفه فيما تقدم بالعظيم؛ لأن المسارعة للشيء تقتضي عظمه. (حاشية الصاوي)

بالياء والتاء: أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى التاء الخطاب للنبي ﷺ، وقوله: "الذين كفروا" مفعول أول لـــ"تحسبن"، وقوله: "إنما نملي لهم" في محل المفعول الثاني، وهو تسلية للنبي ﷺ، والمعنى: لا تظن أن إمهال الكافر بطول عمر وأكله من رزق الله ومقاتلته في أولياء الله خير له، وإنما إمهاله ليزداد إثما وجرما. (حاشية الصاوي)

الذين كفروا: فيمن قرأ بالياء رفع أي لا يحسبن الكافرون، و"أن" مع اسمه وخبره في قوله تعالى: "إنما نملي لهم خير لأنفسهم" في موضع المفعولين لــ"يحسبن"، والتقدير: ولا يحسبن الذين كفروا إملاءنا تأخيرا لأنفسهم، و"ما" مصدرية وكان حقها في قياس علم الخط أن تكتب مفصولة، ولكنها وقعت في الإملاء متصلة فلا يخالف، وفيمن قرأ بالتاء نصب أي ولا تحسبن الكافرين إنما نملي لهم خير لأنفسهم بدل من "الكافرين"، أي ولا تحسبن أن ما نملي للكافرين خير لهم، و"أن" مع "ما" في حيزه ينوب عن المفعولين، والإملاء لهم إمهالهم وإطالة عمرهم. (تفسير المدارك)

أي إملاءنا لَهُمْ بتطويل الأعمار وتأخيرهم خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ و"أنّ" ومعمولاها **سدّت مسدّ المفعولين** في قراءة التحتانية، ومسدّ الثاني في الأخرى إِنَّمَا نُمْلِى نمهل لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا بكثرة المعاصي وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ذو إهانة في الآخرة. مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ليترك ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ أيها الناس عَلَيْهِ من اختلاط المخلص بغيره حَتَّىٰ يَمِيزَ بالتخفيف **والتشديد** يفصل ٱلْخَبِيثَ المنافق مِنَ ٱلطَّيِّبِ المؤمن **بالتكاليف الشاقة** المبينة لذلك، ففعل ذلك يوم أحد وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ فتعرفوا المنافق من غيره قبل التمييز وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى يختار مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ فيطلعه على غيبه كما أطلع النبي ﷺ على حال المنافقين فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ النفاق فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ **بالتاء** والياء ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ أي **بزكاته** هُوَ أي بخلهم خَيْرًا لَّهُم مفعول ثان، والضمير للفصل، ....

(لقوله: ولا يحسبن — والمفعول الأول الذين كفروا — اللام لتأكيد المعنى — ولا تحسبن)

سدت مسد المفعولين: أي لقوله: "لا يحسبن" والفاعل هو "الذين كفروا"، وقوله: "ومسد الثاني إلخ" أي معمول "أن" قائم مقام المفعول الثاني لقوله: "ولا تحسبن"، والمفعول الأول هو "الذين كفروا"، والفاعل ضمير المخاطب وهو النبي ﷺ. وعبارة "أبي البقاء": "ولا يحسبن إلخ"، يقرأ بالياء، وفاعله "الذين كفروا"، وأما المفعولان فالقائم مقامهما قوله: "أنما نملي لهم إلخ"، فـ"أن" و"ما" عملت فيه تسد مسد المفعولين عند سيبويه، وقوله: "في الأخرى" أي في قراءة أخرى، وهي أن تقرأ: "لا تحسبن" بالفوقانية.

إنما نملي لهم: في هذه الجملة وجهان، أحدهما: أنها مستأنفة تعليل للجملة التي قبلها، كأنه قيل: ما بالهم يحسبون الإملاء خيرا لهم، فقيل: "إنما نملي لهم؛ ليزدادوا إثما"، و"إن" هذا مكفوفة بـ"ما"، ولذلك كتبت متصلة على الأصل، ولا يجوز أن تكون موصولة اسمية أو حرفية؛ لأن "لام كي" لا يصح وقوعها خبرا لمبتدأ ولا لنواسخه، والوجه الثاني: أن هذه الجملة تكرير للأولى. (تفسير الجمالين) **والتشديد:** من باب التفعيل لحمزة والكسائي. **بالتكاليف الشاقة:** التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها إلا المخلصون من بذل الأموال والأنفس. **بالتاء:** الفوقية لأبي عامر ونافع وحمزة. **بزكاته:** إشارة إلى تقدير مضاف.

والأوّل "بخلهم" مقدّراً قبل الموصول على الفوقانية، **وقبل الضمير** على التحتانية بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ أي بزكاته من المال يَوْمَ الْقِيَامَةِ بأن يُجْعَل حية في عنقه تنهشه، كما ورد في الحديث وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يرثهما بعد فناء أهلهما وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بالتاء والياء خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ فيجازيكم به. لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ **وهم اليهود** قالوه لما نزل ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ (البقرة:٢٤٥)، وقالوا: لو كان غنيا ما استقرضنا سَنَكْتُبُ نأمر بكتب مَا قَالُوا في صحائف أعمالهم؛ ليجازوا عليه، وفي قراءة بالياء مبنيا للمفعول وَ نكتب قَتْلَهُمُ .....

(مضافا — البخل — فالمضاف محذوف — الفوقانية للأكثر — التحتية لأبي عمرو وابن كثير — التحتية سيكتب — لهمزة)

والأول: أي المفعول الأول "بخلهم" مقدر، فتقديره: ولا تحسبن بخل الذين يبخلون. وفي "الجمل": وفي تقدير مجموع المضاف والمضاف إليه على الفوقانية مسامحة؛ إذ المقدر عليها لفظ "بخل" فقط، فيقدر مضافا لـــ"الذين"، ولا يقدر معه ضمير؛ لئلا يلزم إضافة الشيء مرتين، وأما على قراءة التحتانية فيقدر مجموع المضاف والمضاف إليه.

وقبل الضمير: على التحتانية، فيكون تقديره: ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خير لهم. **سيطوقون:** تفسير لقوله: "بل هو شر لهم" أي سيجعل مالهم الذي منعوه عن الحق طوقا في أعناقهم كما جاء في الحديث: "من منع زكاة ماله يصير حية ذكرا أقرع، له نابان فيطوق في عنقه، فتنهشه ويدفعه إلى النار". (تفسير الكمالين)

ولله ميراث إلخ: قال الأكثرون: إن معناه أنه يفني أهل السماوات والأرض، ويفني الأملاك ولا مالك إلا الله، فجرى هذا مجرى الوراثة، قال ابن الأنباري: ويقال: ورث فلان علم فلان؛ إذ انفرد به بعد أن كان مشاركا فيه، وقال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ (النمل:١٦)؛ لأنه انفرد بذلك بعد أن كان داود مشاركا فيه. أقول: صورة الميراث ومجازه، قبل فناء الخلق يثبت، ويطلق فيما بيننا أيضا، وأما بعد فناء الخلق فيرتفع صورة الميراث ومجازه أيضا عنا، ويختص الميراث لله سبحانه تعالى حقيقة وصورة، والله سبحانه أعلم.

لقد سمع الله إلخ: "اللام" موطئة لقسم محذوف أي والله لقد سمع إلخ، وسبب ذلك: أن رسول الله ﷺ لما أمرهم بالدخول في الإسلام وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وأن يقرضوا الله قرضا حسنا، قال كبراء اليهود كـــ حيي بن الأخطب وكعب بن الأشرف وفخاص بن عاذوراء لأبي بكر الصديق حين أمرهم بما ذكر على لسان رسوله: "إن الله فقير ونحن أغنياء، ولو كان غنيا ما استقرضنا"، ومعنى سمعه له: علمه وإحصائه والمجازاة عليه. (حاشية الصاوي)

وهم اليهود: أي فرقة منهم وهم فخاص وكعب بن أشرف وحيي بن أخطب وغيره.

بالنصب والرفع ﴿ٱلْأَنبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ﴾ بالنون والياء، **أي الله** لهم في الآخرة على لسان الملائكة ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ (١٨١) النار. ويقال لهم "إذا ألقوا فيها": ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ **عبر بهما** عن الإنسان؛ **لأنّ أكثر الأفعال** تُزَاول بهما ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ﴾ أي بذي ظلم ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾ (١٨٢) فيعذبهم بغير ذنب. ﴿ٱلَّذِينَ﴾ **نعت لـــ"الذين"** قبله ﴿قَالُوٓاْ﴾ لمحمد ﷺ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ قد ﴿عَهِدَ إِلَيْنَآ﴾ في التوراة ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ﴾ بأن لا نؤمن ﴿لِرَسُولٍ﴾ نصدّقه ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾ فلا نؤمن لك حتى تأتينا به،............

بالنصب: على قراءة النون، والرفع على قراءة الياء. (حاشية الجمل) أي يقرأ "قتلهم" بالرفع عطفا على الموصول، و"يقول" بياء الغيبة و"قتلهم" بالنصب عطفا على "ما" التي هي منصوبة المحل و"نقول" بالنون، وفي "أبي البقاء": "سنكتب ما قالوا" يقرأ بالنون، و"ما قالوا" منصوب به، و"قتلهم" معطوف عليه ويقرأ بالياء، و"قتلهم" بالرفع وهو ظاهر إلخ أي لأنه معطوف على محل الرفع وهو "ما قالوا" على تقدير "سيكتب" بالياء وضمها. وفي "معالم التنزيل": قرأ حمزة "سيكتب" بضم الياء و"قتلهم" برفع "اللام" و"يقول" بالياء.

أي الله: تفسير للفاعل على قراءة الياء، وأما على قراءة النون فالمناسب في تفسيره أن يقول: "أي نحن"، ويصح أن يكون تفسيرا له على القراءتين نظرا للمعنى. (حاشية الجمل) **عبر بهما إلخ:** يعني ففي الكلام مجاز مرسل من إطلاق اسم الجزء وإرادة الكل، ويشترط في هذا المجاز أن يكون لهذا الجزء خصوصية خاصة للأيدي من بين سائر أجزاء بدن الإنسان، فإذا أطلق اليد وأريد بها الإنسان حصل المجاز المرسل. (ملخص من الجمل) وكان الأحسن أن يقول: عبر بهما عن النفس كما عبر بها أكثر المفسرين، وقوله: "تزاول بهما" المزاولة الممارسة، وتزاولوا أي تعالجوا.

لأن أكثر الأفعال: أو لأنه يقال: الآمر بالشيء فاعله، فذكر الأيدي للتحقيق يعني أنه فعل بنفسه لا غيره بأمره. (تفسير الكمالين) **ليس بظلام:** فإن قيل: "ظلام" للمبالغة المقتضية للتكثير فهو أخص من "ظالم"، و لا يلزم من نفي الأخص نفي الأعم؟ فأجاب القاضي عنه: بأن العذاب الذي توعد بأن يفعله بهم لو كان ظلما لكان عظيما، فنفاه على حد عظمه لو كان ثابتا، من "الكبير". وبأنه لما قوبل بـــ"العبيد" وهم كثيرون ناسب أن يقال: الكثير بالكثير، وبأن "الظلام" من معاني النسب فيكون "ظلام" بمعنى ذي ظلم كما في "عطار" و"بزاز". (الخطيب) وقد يورد لمجرد معنى اسم الفاعل بدون لحاظ المبالغة، كالطباخ والحداد والصباغ والحمال.

نعت لـــ الذين: أو بدل من "الذين قالوا" أو نصب بإضمار "أعني" أو رفع بإضمارهم. (تفسير الكمالين)

وهو ما يتقرّب به إلى الله من نعم وغيرها، فإن قُبِلَ **جاءت نار** بيضاء من السماء فأحرقته، وإلا بقي مكانه وَعَهِدَ إلى بني إسرائيل ذلك **إلا في المسيح** ومحمد ﷺ، قال تعالى: قُلْ لهم توبيخاً: قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِٱلْبَيِّنَٰتِ بالمعجزات وَبِٱلَّذِي قُلْتُمْ سوى القربان كزكريا ويحيى، فقتلتموهم، **والخطاب لمن** في زمن نبينا محمد ﷺ **وإن كان الفعل** لأجدادهم؛ لرضاهم به فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ في أنكم تؤمنون عند الإتيان به؟ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ المعجزات وَٱلزُّبُرِ كصحف إبراهيم وَٱلْكِتَٰبِ وفي قراءة لابن عامر **بإثبات الباء** فيهما بالزبر وبالكتاب ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ الواضح هو التوراة والإنجيل، فاصبر كما صبروا. كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ....

جاءت نار إلخ: كما كان عليه أمر أنبياء بني إسرائيل حيث كان يقرب بالقربان، فيقوم النبي فيدعو، فتنزل نار من السماء، فتأكل أي تحيله إلى طبعها بالإحراق. (تفسير أبي السعود) **إلا في المسيح إلخ:** قال السدي: إن هذا الشرط جاء في التوراة ولكنه مع شرط، وذلك أنه تعالى قال في التوراة: "من جاءكم يزعم أنه نبي فلا تصدقوا حتى يأتيكم بقربان تأكله النار إلا المسيح ومحمدا عليهما السلام، فإنهما إذا أتيا فآمنوا بهما، فإنهما يأتيان بغير قربان تأكله النار". (تفسير الكبير) **وبالذي قلتم:** وهو الإتيان بالقربان.

والخطاب لمن إلخ: أي بقوله: "جاءكم" وبقوله: "قلتم" وبقوله: "قتلتموهم" وبقوله: "إن كنتم". (تفسير الكمالين) **وإن كان الفعل:** لأجدادهم أي فعل القتل للأنبياء. (حاشية الجمل) **فإن كذبوك:** أي داموا على تكذيبك، وجواب الشرط محذوف قدره المفسر بقوله: "فاصبر كما صبروا"، والمناسب ذكره بلصقه، وأما "فقد كذب الرسل" دليل الجواب، ولا يصح أن يكون جوابا؛ لأنه ماض بالنسبة للشرط، وهذا تسلية له ﷺ. (حاشية الصاوي)

بإثبات الباء: أي في الزبر والكتاب، هذا ما نقله صاحب "الجمل"، وأما غيره فقال: أي في البينات والزبر، فيقرأ: "بالبينات وبالزبر"، والزبر الكتب، واحدها زبور، وكل كتاب فيه الحكمة زبور، وأصله من الزبر وهو الزجر؛ لأنه يزجر عن الباطل. **كل نفس:** خبر، وجاز الابتداء بالنكرة لما فيه من العموم، والمعنى: لا يحزنك تكذيبهم إياك، فمرجع الخلق إلي، فأجازيهم على الصبر، وذلك قوله: "وإنما إلخ". (تفسير المدارك)

ذائقة الموت: يدل أن النفوس لا تموت بموت البدن؛ لأنه جعل النفس ذائقة الموت، والذائق لا بد أن يكون باقيا حال حصول الذوق، والمعنى: أن كل نفس ذائقة موت البدن. (التفسير الكبير)

وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ **جزاء أعمالكم** أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ **بُعِّد** عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ نال غاية مطلوبه وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا أي العيش فيها إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ الباطل يُتمتَّع به قليلاً، ثم يفني. لَتُبْلَوُنَّ **حذف منه** نون الرفع؛ لتوالي النونان، والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين، لتُختَبَرُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ بالفرائض فيها **والجوائح** وَأَنفُسِكُمْ بالعبادات **والبلاء** وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ اليهود والنصارى وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا من العرب أَذًى كَثِيرًا من السب والطعن **والتشبيب** بنسائكم وَإِن تَصْبِرُوا على أذاهم على ذلك وَتَتَّقُوا الله فَإِنَّ ذَلِكَ الصبر والتقوى مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

وإنما توفون إلخ: لأن بعد هذه الدار دار يتميز فيها الكافر والمؤمن، والعاصي والمطيع، ويجازي كل بما يستحقه. **جزاء أعمالكم:** أي تعطون ثواب أعمالكم على الكمال يوم القيامة فإن الدنيا ليست بدار الجزاء. (تفسير المدارك)
بعد: في "القاموس": زحه نحاه عن موضعه ودفعه وجذبه في محله، و"زحزحه عنه" باعده بالفرائض بتكليف الإنفاق. (تفسير الكمالين) **متاع الغرور:** شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المبتاع ويضر حتى يشتريه، ثم يتبين له فساده ورداءته، والشيطان هو المدلس الغرور، وعن سعيد بن جبير: إنما هذا لمن آثرها على الآخرة، فأما من طلب الآخرة بها فإنها متاع بلاغ، وعن الحسن: "كخضر النبات ولعب البنات لا حاصل له". (كمالين)
لتبلون إلخ: شروع في تسلية النبي ﷺ ومن معه من المؤمنين عما سيلقونه من جهة الكفرة من المكاره؛ ليوطنوا أنفسهم على احتماله. (حاشية الجمل) **حذف منه:** نون الرفع لتوالي النونات، أصله: "لتبلوون" زيدت نون التأكيد فحذف نون الأولى للرفع وهي النون الإعرابية. **والجوائح:** جمع جائحة بالجيم والحاء المهملة في آخره، وهي الآفة التي تصل إلى الثمر كالغرق والحرق. (تفسير الكمالين) **والبلاء:** [كالقتل والجرح والأسر والمرض] وما يرد عليها من أنواع المخاوف والمصائب، وهذه الآية دليل على أن النفس هي الجسم المعاين دون ما فيه من المعنى الباطل، كما قال بعض أهل الكلام والفلاسفة، كذا في "شرح التأويلات". (تفسير المدارك)
والتشبيب: هو ذكر أوصاف الجمال، وكان يفعل ذلك كعب بن الأشرف بنساء المؤمنين. (حاشية الجمل)
وإن تصبروا: خوطب المؤمنون بذلك؛ ليوطنوا أنفسهم على احتمال ما سيلقون من الشدائد والصبر عليها، حتى إذا لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من نصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه. (تفسير الكمالين)

أي **من معزوماتها** التي يُعزم عليها لوجوبها. وَ اذكر إِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ أي العهد عليهم في التوراة لَتُبَيِّنُنَّهُۥ أي الكتاب لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ أي الكتاب بالياء والتاء **في الفعلين** فَنَبَذُوهُ طرحوا الميثاق وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ **فلم يعملوا** به وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ أخذوا بدله ثَمَنًا قَلِيلًا من الدنيا من سفلتهم برئاستهم في العلم، فكتموه خوف فوته عليهم فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ **شراؤهم** هذا. لَا تَحْسَبَنَّ بالتاء والياء ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ **فعلوا** من إضلال الناس وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ من التمسك بالحق وهم على ضلال فَلَا تَحْسَبَنَّهُم **بالوجهين** تأكيد بِمَفَازَةٍ بمكان ينجون فيه مِّنَ ٱلْعَذَابِ في الآخرة، بل هم في مكان يعذبون فيه وهو جهنم وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ مؤلم فيها، **ومفعولا "تحسب" الأولى** دل عليهما مفعولا الثانية على قراءة التحتانية، وعلى الفوقانية **حذف الثاني فقط**. وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ......

الباء سببية

من معزوماتها إلخ: أشار به إلى جعل المصدر بمعنى اسم المفعول أي المعزوم عليه، وجمعه لإضافته إلى الأمور، وأصله: ثبات الرأي على الشيء إلى إمضائه. من "الجمل". **في الفعلين:** وهما "لتبيننه" و"لا يكتمونه"، أشار به إلى القراءتين. من "الكرخي". **فلم يعملوا:** وهو دليل على أنه يجب على العلماء أن يبينوا الحق للناس وما علموه، وأن لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم أو لجر منفعة أو دفع أذية أو لبخل بالعلم، وفي الحديث: "من كتم علما عن أهله ألجم بلجام من نار". (تفسير المدارك)

شراؤهم: فاعل "بئس"، وقوله: "هذا" هو المخصوص بالذم. **فعلوا:** أشار به إلى أن المراد من "أتى" فعل؛ لأنه يأتي بمعنى أعطى وغيره. (تفسير الكرخي) **بالوجهين:** أي بالفوقية والتحتية، وحذف مفعولا "تحسب" الأولى دل عليهما مفعول الثانية على القراءة التحتانية، كأنه قيل: "ولا يحسبن الذين يفرحون أنفسهم بمفازة، وعلى الفوقانية حذف الثاني فقط، أي بمفازة والمفعول الاول "الذين يفرحون"، والخطاب فيه للنبي ﷺ. (تفسير الكمالين)

ومفعولا تحسب الأولى إلخ: أي مفعولا "يحسبن" الأولى محذوفان يدل عليهما مفعولا مؤكده وهو "يحسبن" الثانية، فالفاعل لـــ"يحسبن" الأولى قوله: "الذين" والمفعولان "أنفسهم" و"بمفازة". **حذف الثاني فقط:** ففاعل "لا تحسبن" ضمير المخاطب، و"الذين" مفعول أول والثاني مقدر تقديره: "بمفازة من العذاب".

خزائن المطر والرزق والنبات وغيرها ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٨٩﴾ ومنه تعذيب الكافرين وإنجاء المؤمنين. ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وما فيهما من العجائب ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بالمجيء والذهاب، والزيادة والنقصان ﴿لَأَيَٰتٍ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠﴾ لذوي العقول. ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت لما قبله أو بدل ﴿يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ مضطجعين أي في كل حال وعن ابن عباس رضي الله عنهما: يصلون كذلك........

لأولي — يصلون — أي قائمين عند القدرة — عند العجز — على الهيئات الثلاث

إن في خلق السماوات إلخ: سبب نزولها: أن كفار مكة قالوا للنبي ﷺ: "ائتنا بآية تدل على أن الله واحد"، فقال الله تعالى ردا عليهم: "إن في خلق السماوات إلى آخره". (حاشية الصاوي)

لذوي العقول إلخ: أي الذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار، ولا ينظرون إليها نظر البهائم غافلين عما فيه من عجائب الفطرة. وفي "النصائح": املأ عينيك من زينة هذه الكواكب، وأجلها في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة مقدرها متدبرا حكمة مدبرها قبل أن يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر. (السراج المنير) **في كل حال:** إشارة إلى أن المراد من الآية العموم، وإنما ذكرت هذه الثلاثة؛ لأنها الأغلب إلخ، وفي تفسير محي الدين بن العربي: الذين يذكرون الله في جميع الأحوال وعلى جميع الهيئات.

وعن ابن عباس: أي في معنى "يذكرون"، فمعناه عنده يصلون، وقوله: "كذلك" أي قياما وقعودا وعلى جنوبهم، وقوله: "حسب الطاقة" إشارة إلى الترتيب، وأنه يجب تقدم القيام ثم القعود ثم الاضطجاع، فلا تصح صلاة الفرض من القعود مع القدرة على القيام، ولا من الاضطجاع مع القدرة على القعود. (حاشية الجمل). واعلم أن الآية تدل على جواز ذكر الله تعالى قائما، ولهذا قال المشايخ: "ولا بأس أن يقوموا ترويحا لقلوبهم ولا يتحركوا في ذلك ولا يستظهروا بحال ليس عندهم منه حقيقة".

والحاصل: أن التوحيد إذا قرن بالآداب فليس له وضع مخصوص، يجوز قائما وقاعدا ومضطجعا، ولكن ورد في الأحاديث ما يدل على استحباب الإخفاء في ذكر الله، وذكر الشارح الكشاف: أن هذا بحسب المقام، والشيخ المرشد يأمر المبتدئ برفع الصوت؛ لتنقلع عن قلبه الخواطر الراسخة فيه، كذا في "شرح المشارق". ويوافقه ما ذكر في المظهر حيث قال: الذكر برفع الصوت جائز بل مستحب إذا لم يكن عن رياء؛ ليغتنم الناس بإظهار الدين، ووصول بركة الذكر على السامعين في الدور والبيوت والحوانيت، وليوافق الذاكر من سمع صوته، ويشهد له يوم القيامة كل رطب ويابس سمع صوته، كذا في "تفسير الكمالين"، وأيضا فيه: وإذا كانوا مجتمعين على الذكر فالأولى في حقهم رفع الصوت بالذكر والقوة، فإنه أكثر تأثيرا لرفع الحجب، ومن حيث الثواب فلكل واحد ثواب ذكر نفسه وسماع ذكر رفقائه. =

حسب الطاقة وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ليستدلوا به على قدرة صانعهما [وفي نسخة: بهما]، **يقولون:** رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا الخلق الذي نراه بَٰطِلًا **حال**، عبثا بل دليلا على كمال قدرتك سُبْحَٰنَكَ اعتراض تنزيهاً لك عن العبث فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ **للخلود فيها** فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ **أهنته** وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ الكافرين، فيه وضع الظاهر موضع المضمر إشعاراً بتخصيص الخزي بهم مِنْ زائدة أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ يمنعونهم من عذاب الله تعالى. رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا فمفعول ينادي محذوف يُنَادِي يدعو الناس لِلْإِيمَٰنِ اللام بمعنى إلى أي **إليه وهو محمد** ﷺ

= وفي "رد المحتار": أقول: اضطرب كلام صاحب البزازية في ذلك، فتارة قال: إنه حرام، وتارة قال: إنه جائز. وفي "الفتاوى الخيرية" من الكراهية والاستحسان: جاء في الحديث ما اقتضى طلب الجهر به، نحو: "إن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم"، رواه الشيخان، وهناك أحاديث اقتضت طلب الإسرار، والجمع بينهما بأن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال كما جمع بذلك بين أحاديث الجهر والإخفاء بالقراءة، ولا يعارض ذلك حديث: "خير الذكر الخفي"؛ لأنه حيث خيف الرياء أو تأذي المصلين أو النيام، فإن خلا مما ذكر فقال بعض أهل العلم: إن الجهر أفضل؛ لأنه أكثر عملا، ولتعدى فائدته إلى السامعين ويوقظ قلب الذاكر، فيجمع همه إلى الفكر ويصرف سمعه إليه، ويطرد النوم ويزيد النشاط.

حسب الطاقة: بحديث عمران بن حصين عند البخاري: "صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنب". (تفسير الكمالين) **يقولون:** يشير إلى أن قوله: "ربناإلخ"، بتقدير القول. (تفسير الكمالين) **حال:** من المفعول به وهو "هذا"، تقديره: ما خلقت هذا خاليا عن حكمة. **فقنا:** و"الفاء" دخلت بمعنى الجزاء تقديره: إذا نزهناك فقنا. (تفسير المدارك) **للخلود فيها:** "للخلود" جواب عن سؤال مقدر تقديره: أن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ﴾ (التحريم:٨) يقتضي أن جميع المؤمنين غير مخزيين مع أن بعض العصاة منهم يدخل النار تطهيرا لما اقترفه، وهذه الآية تدل على أن من دخل النار فخزي وإن كان مؤمنا ؟ فأجاب المفسر بحمل الآية على الكفار، وارتفع امتساك المعتزلة على أن صاحب الكبيرة غير مؤمن. (حاشية الصاوي وغيره)

أهنته: فأذللته وأفضحته، وأبلغت في إخزائه. **إليه:** يشير إلى أن "اللام" بمعنى "إلى" كقوله: ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا ...﴾ إلخ، (التفسير الكبير). فإن قيل: أي فائدة الجمع بين "مناديا" و"ينادي"؟ أجيب: بأنه ذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالإيمان تفخيما لشأن المنادي؛ لأنه لا منادي أعظم من مناد ينادي للإيمان. (الخطيب) **وهو محمد:** فإسناد النداء إليه حقيقي. قوله: "أو القرآن" أي فإسناد النداء إليه مجازي، والمعنى منادي به. (تفسير الكمالين)

أو القرآن أَنْ أي **بأن** ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّاۚ به رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ غط عَنَّا [في نسخة: حط] سَيِّـَٔاتِنَا فلا تظهرها بالعقاب عليها وَتَوَفَّنَا اقبض أرواحنا مَعَ **في جملة** ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ الأنبياء والصالحين. رَبَّنَا وَءَاتِنَا أعطنا مَا وَعَدتَّنَا به عَلَىٰ **ألسنة** رُسُلِكَ من الرحمة والفضل. وسؤالهم ذلك وإن كان وعده تعالى لا يخلف سؤال **أن يجعلهم من مستحقيه؛ لأنهم** لم يتيقنوا استحقاقهم له، **وتكرير "ربنا" مبالغة في التضرّع** وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ **الوعد** بالبعث والجزاء. فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ دعاءهم أَنِّي أي **بأني** لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ....

مبتدأ خبر علة لقوله آتنا أي أجاب صفة العامل

بأن: أشار إلى أن "أن" مصدرية في موضع نصب على حذف حرف الجر، ويصح كونها تفسيرية فيكون أي آمنوا. (تفسير أبي السعود) **فاغفر لنا ذنوبنا:** أي كبائرنا، وقوله: "كفر عنا سيآتنا" أي صغائرنا، فإنها مكفرة عن مجتنب الكبائر. (تفسير الكمالين) **في جملة الأبرار:** أي معدودين ومحسوبين في جملة الأبرار أي منهم، وإنما احتيج إلى هذا التقدير لعدم إمكان التوفي معهم؛ إذ بعضهم تقدم وبعضهم لم يوجد، والمراد في سلكهم على سبيل الكناية، فإنه إذا كان منخرطا في سلكهم لا يكون مع غيرهم، من "الكرخي". وفي تفسير محي الدين بن العربي: وتوفنا عن ذواتنا في صحبة الأبرار من الأبدال الذين تتوفاهم بذاتك عن ذواتهم، لا الأبرار الباقين على حالهم في مقام محو الصفات غير المتوفين بالكلية.

على ألسنة رسلك: أفاد أن الكلام على حذف مضاف كقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ (يوسف:٨٢). من "الكرخي".

أن يجعلهم من مستحقيه: وذلك بدوام الإيمان عليهم، وقوله: "لأنهم لم يتيقنوا إلخ" أي لأن المدار على العاقبة وهي مجهولة أو لقصور في الامتثال فمرجعها إلى الدعاء بالتثبيت أو للمبالغة في التعبد والخشوع. (روح البيان)

لأنهم إلخ: أو لأن معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم أسباب إنجاز الميعاد، أو المراد ثبتنا على ما يوصلنا إلى عدتك يؤيده قوله: "ولا تخزنا إلخ". (تفسير المدارك) **وتكرير ربنا:** جواب عن سؤال مقدر، حاصله: أنه لم كرر لفظ "ربنا" خمس مرات؟ فأجاب: بأنه مبالغة في التضرع أي الخضوع والتذلل، ولما ورد أنه الاسم الأعظم.

مبالغة في التضرع: عن جعفر الصادق: "من حزبه أمر فقال خمس مرات: "ربنا"، أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد"، وقرأ الآيات. (تفسير المدارك) **الوعد:** أشار به إلى أن الميعاد اسم مصدر بمعنى الوعد لا بمعنى الموضع. (تفسير الكرخي) **بأني:** هكذا قراءة أبيّ ﷺ و"الباء" سببية، وفي "السمين": "أني لا أضيع عمل عامل"، الجمهور على فتح "أن" والأصل: "بأني". (ملخصا من الجمل)

كائن بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍۖ أي الذكور من الإناث وبالعكس، **والجملة** مؤكدة لما قبلها: أي هم سواء في المجازاة بالأعمال وترك تضييعها، نزلت لما قالت أم سلمة: يا رسول الله! إني لا أسمع ذكر النساء في الهجرة بشيء فاستجاب لهم ربهم رواه الترمذي فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ من مكة إلى المدينة وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي ديني وَقَٰتَلُواْ الكفار وَقُتِلُواْ بالتخفيف والتشديد. وفي قراءة لابن كثير وابن عامر للتكثير **بتقديمه** لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ **أسترها** بالمغفرة وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مصدر **مِن** معنى **لأكفرنّ** مؤكد له مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۗ فيه التفات عن التكلم وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ الجزاء. ونزل لما قال المسلمون: "أعداء الله **فيما نرى** من الخير ونحن في الجهد" أي الجوع لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تصرّفهم فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾

والجملة: معترضة بين بها شركة النساء بالرجال. **فالذين هاجروا:** مبتدأ وهو تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له، كأنه قال: فالذين عملوا هذه الأعمال السنية الفائقة وهي المهاجرة عن أوطانهم فارين إلى الله بدينهم إلى حيث يأمنون عليه، فالهجرة كائنة في آخر الزمان كما كانت في أول الإسلام". (تفسير المدارك)
وأخرجوا: يشير بذلك إلى أن الإخراج قهري؛ لأنه وإن كان في الظاهر طائع إلا في الباطن مكره.
من ديارهم: التي ولدوا فيها ونشؤوا. (تفسير المدارك) **بتقديمه:** أي بتقديم "قتلوا" على "قاتلوا"؛ لأن "الواو" لا يوجب ترتيبا؛ أو لأن المراد بما قتل منهم قوم قاتل الباقون و لم يضعفوا. (تفسير الكمالين)
أسترها: أشار به إلى أن الكفر ههنا بمعنى اللغوي وهو الستر. **لأكفرن:** أي لأثيبنهم بالتكفير إثابة، وضع "ثوابا" موضع الإثابة، وإلا فهو في الأصل اسم لما يثاب به كالعطاء، وقيل: إنه حال من "جنات" لوصفها أو من ضمير المفعول أي مثابين، وقيل: بدل من "جنات"، فيه التفات من التكلم إلى الغيبة. (تفسير الكمالين)
فيما نرى إلخ: أي كانوا يتجرون ويتنعمون، فقال بعض المؤمنين هذه الكلمة فنـــزلت. (التفسير الكبير)
لا يغرنك: الخطاب لكل أحد أو للنبي ﷺ، والمراد به غيره؛ لأنه قدوة القوم ومقدمهم يخاطب لشيء، فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا، فكأنه قيل: لا يغرنكم، ولأن رسول الله ﷺ كان غير مغرور بحالهم فأكد عليه ما كان عليه، وثبت على التزامه كقوله: ﴿فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكَافِرِينَ﴾ (القصص:٨٦) و﴿وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام:١٤)، وهذا في النهي نظير قوله في الأمر، كقوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة:٦)، و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾ (النساء:١٣٦). (تفسير المدارك)

بالتجارة والكسب. **هو** مَتَٰعٌ قَلِيلٌ يتمتعون به يسيراً في الدنيا ويفنى ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ الفراش هي. لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ عن الشرك لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ أي مقدّرين الخلود فِيهَا نُزُلًا مصدر مؤكد هو ما يعدّ للضيف، **ونصبه على الحال** من "جنات"، والعامل فيها معنى الظرف مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ صفة لـ"نزلا" أي ثبت لهم وَمَا عِندَ ٱللَّهِ من الثواب خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ **من متاع الدنيا**. وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ كعبد الله بن سلام وأصحابه **والنجاشي** وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ أي القرآن وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ أي التوراة والإنجيل خَٰشِعِينَ حال من ضمير "يؤمن" **مراعى فيه** معنى "من" أي متواضعين لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ التي عندهم في التوراة والإنجيل من بعث النبي ﷺ ثَمَنًا قَلِيلًا بيان للشراء من الدنيا بأن يكتموها خوفاً على الرياسة، كفعل غيرهم من اليهود أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ ثواب أعمالهم عِندَ رَبِّهِمْ . . .

هو: يشير إلى أنه مبتدأ محذوف أي تقلبهم في البلاد متاع قليل. (تفسير المدارك) **لكن إلخ:** "لكن" بالتشديد، يزيد وهو للاستدراك أي لا بقاء لتمتعهم لكن ذلك للذين اتقوا، ونزل في ابن سلام وغيره من مسلمي أهل الكتاب، أو في أربعين من أهل نجران، واثنين وثلاثين من أهل الحبشة، وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فأسلموا. (تفسير المدارك) **خالدين:** حال مقدرة من الضمير، والعامل فيه ما في الظرف من معنى الاستقرار. كذا في "أبي السعود". **ونصبه على الحال:** [لكونه موصوفا بصفاته] من "جنات" لتخصيصها بالوصف، وقوله: "معنى الظرف" وهو الاستقرار. (تفسير أبي السعود) **من متاع الدنيا:** أشار به إلى أن "خير" هنا للتفضيل وهو ظاهر. (الكرخي)

وإن من أهل الكتاب: قال ابن عباس وجابر وأنس وقتادة: نزلت في النجاشي ملك الحبشة، واسمه أصحمة وهو بالعبرية عطية، وذلك: أنه لما مات النجاشي نعاه جبريل عليه السلام في اليوم الذي مات فيه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: "اخرجوا فصلوا على أخ لكم بغير أرضكم النجاشي"، فخرج إلى البقيع وكشف له إلى أرض الحبشة، فأبصر سرير النجاشي، وصلى عليه وكبر أربع تكبيرات واستغفر له، فقال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط، وليس على دينه، فأنزل الله هذه الآية. (معالم التنزيل) **لمن يؤمن بالله:** دخلت لام الابتداء على اسم "إن" لفصل الظرف بينهما. (تفسير المدارك) **والنجاشي:** وهو ملك الحبشة كان من النصارى، اسمه أصحمة، ومعناه بالعبرية عطية الله، من "الخازن". **مراعى فيه:** أي الحال المذكور وهو الخاشعين.

يؤتونه **مرتين**، كما في "القصص" [٥٠-٢٨:٥٥] إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يحاسب الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا. لنفوذ علمه في كل شيء يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ على الطاعات والمصائب وعن المعاصي وَصَابِرُواْ الكفار فلا يكونوا أشدَّ صبراً منكم وَرَابِطُواْ أقيموا على الجهاد وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ في جميع أحوالكم لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ تفوزون بالجنة، وتنجون من النار.

سورة النساء **مدنية**، مائة وخمس أو ست أو سبع وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ من أهل مكة ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ أي عقابه بأن تطيعوه ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ آدم وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا **حواء**.....................................

مرتين: أي لإيمانهم بكتابهم وبالقرآن، وقوله: "كما في القصص" أي في سورة القصص، ففيها: ﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ (القصص:٥٤) و﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ (الحديد:٢٨)، من "أبي السعود" **سريع الحساب:** لكونه عالما بجميع معلومات فيعلم ما لكل واحد من الثواب والعقاب. اصبروا: وقال جنيد: "الصبر حبس النفس على المكروه بنفي الجزع". (تفسير المدارك) **وصابروا:** [أي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب.] أي وغالبوا أعداء الله في الصبر. (الخطيب) **ورابطوا:** أصل المرابطة أن يربط هؤلاء خيولهم في الثغور، ويربط أولئك خيولهم أيضا بحيث يكون كل واحد من الخصمين مستعدا لقتال الآخر. (التفسير الكبير)

مدنية: أي كلها، وإن خوطب بمطلعها أهل مكة؛ لأن القاعدة أنه متى قيل في القرآن: "يا أيها الناس" كان خطابا لأهل مكة، ومتى قيل: "يا أيها الذين آمنوا" كان خطابا لأهل المدينة. (حاشية الصاوي) **يا أيها الناس:** الخطاب عام للذكور والإناث. اتقوا: أي امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه.

حواء: وإنما سميت حواء؛ لأنها مخلوقة من شيء حي، وخلقها لم يكن بتوليد كخلق الأولاد من الآباء، فلا يلزم منه ثبوت حكم البنتية والأختية فيها، فلا يرد أن يقال: إذا كانت مخلوقة من آدم، ونحن مخلوقون منه أيضا تكون نسبتها إليه نسبة الولد، فتكون أختا لنا لا أما؟ وإلى هذا أشار المصنف في التقرير. (الكرخي) واختلف في أي وقت خلقت حواء؟ فقال كعب الأحبار ووهب وابن إسحاق: "خلقت قبل دخول الجنة"، وقال ابن مسعود وابن عباس: "أنها خلقت في الجنة بعد دخوله إياها"، من "الخازن". (حاشية الجمل)



سورة النساء - تفسير النسفى

ادارہ تحقیق وتالیف، جامعۃ الرشید، احسن آباد، کراچی



بسم الله الرحمن الرحيم

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً

١ - ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يا بني آدم ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ فرَّعكم من أصل واحد، وهو نفس آدم أبيكم ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ معطوف على محذوف، كأنه قيل: من نفس واحدة، أنشأها، وخلق منها زوجها. والمعنى: شعَّبكم من نفس واحدة هذه صفتها، وهي أنه أنشأها من تراب، وخلق منها زوجها حواء من ضلع من أضلاعه ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا﴾ [ونشر من آدم وحواء﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ كثيرة، أي: وبثّ منهما نوعي جنس الإنس، وهما: الذكور والإناث][1]. فوصفها بصفةٍ هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها. أو: على خلقكم، والخطاب في ﴿يا أيها الناس﴾ للذين بعث إليهم رسول الله ﷺ. والمعنى: خلقكم مِن نفس آدم، وخلق منها أمكم حواء، وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساء غيركم من الأمم الفائتة للحصر. فإنْ قلت: الذي تقتضيه جزالة النظم أن يجاء عقيب الأمر بالتقوى بما يدعو إليها، فكيف كان خلقه إياهم من نفس واحدة على التنصيل الذي ذكره داعياً إليها؟ قلت: لأن ذلك مما يدلُّ على القدرة العظيمة، ومن قدر على نحوه كان قادراً على كل شيء، ومن المقدورات عقاب

(١) ما بين حاصرتين مستدرك من المطبوع.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾

الكفار والفجار، فالنظر فيه يؤدي إلى أن يتقي القادر عليه، ويخشى عقابه؛ ولأنه يدلُّ على النعمة السابغة عليهم، فحقّهم أن يتقوه في كفرانها. قال ﷺ عند نزول الآية: «خُلقت المرأة من الرجل فهمّها في الرجل، وخلق الرجل من التراب فهمّه في التراب»[1] ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾[2] والأصل: تتساءلون، فأدغمت التاء في السين بعد إبدالها سيناً لقرب التاء من السين للهمس. «تساءلون به» ـ بالتخفيف ـ كوفي، على حذف التاء الثانية استثقالاً لاجتماع التاءين. أي: يسأل بعضكم بعضاً بالله وبالرحم، فيقول: بالله وبالرحم افعل كذا، على سبيل الاستعطاف ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ بالنصب على أنه معطوف على اسم الله تعالى، أي: واتقوا الأرحام أن تقطعوها. أو على موضع الجار والمجرور، كقولك: مررت بزيد وعمراً. أو: بالجر، حمزة، على عطف الظاهر على الضمير، وهو ضعيف؛ لأن الضمير المتصل كاسمه متصل، والجار والمجرور كشيء واحد، فأشبه العطف على بعض الكلمة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ حافظاً أو عالماً.

٢ ـ ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ يعني: الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم. واليتم: الانفراد، ومنه: الدرة اليتيمة. وقيل: اليتم في الأناسي من قبَل الآباء، وفي البهائم من قبل الأمهات. وحقّ هذا الاسم أن يقع على الصغار والكبار؛ لبقاء معنى الانفراد عن الآباء، إلا أنه قد غلب أن يسمُّوا به قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال، فإذا استغنوا بأنفسهم عن كافل وقائم عليهم زال هذا الاسم عنهم. وقوله عليه الصلاة والسلام: «لا يُتْمَ بعد الحلم»[3] تعليم شريعة لالغة. يعني: أنه إذا احتلم لم تجرِ عليه أحكامُ الصغار. والمعنى: وآتوا اليتامى أموالهم بعد

---

(١) ذكره السيوطي في (الدر المنثور ٢/٤٢٣) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي.

(٢) في الأصل المخطوط أثبتت قراءة: ﴿تسَّاءلون﴾ وهي قراءة: نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، وأبي جعفر، ويعقوب، وخلف. معجم القراءات القرآنية (١٠٣/٢).

(٣) رواه أبو داود (٢٨٧٣).

وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ

البلوغ. وسمَّاهم يتامى لقرب عهدهم ـ إذا بلغوا ـ بالصغر. وفيه إشارة إلى ألا يؤخر دفع أموالهم إليهم عن حدِّ البلوغ إن أونس منهم الرشد، وأن يؤتوها قبل أن يزول عنهم اسم اليتامى والصِّغار ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾ ولا تستبدلوا الحرام ـ وهو مال اليتامى ـ بالحلال ـ وهو مالكم ـ أو: لا تستبدلوا الأمر الخبيث ـ وهو اختزال أموال اليتامى ـ بالأمر الطيب ـ وهو حفظها، والتورُّع عنها ـ. والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز، ومنه التعجل بمعنى الاستعجال ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ «إلى» متعلقة بمحذوف، وهو في موضع الحال، أي: مضافة إلى أموالكم. والمعنى: ولا تضمُّوها إليها في الإنفاق حتى لا تفرقوا بين أموالكم وأموالهم قلة مبالاة بما لا يحلُّ لكم، وتسوية بينه وبين الحلال ﴿إِنَّهُۥ﴾ إنّ أكلها ﴿كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ ذنباً عظيماً.

٣ ـ ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟﴾ أي: لا تعدلوا. أقسط، أي: عدل ﴿فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [يقال للإناث اليتامى، كما يقال للذكور، وهو جمع يتيمة ويتيم، وأما أيتام فجمع يتيم لا غير][1] ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم﴾ ما حلَّ لكم ﴿مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾؛ لأنَّ منهن ما حرم الله كاللاتي في آية التحريم. وقيل: ﴿مَا﴾ ذهاباً إلى الصفة؛ لأنَّ «ما» يجيءُ في صفات من يعقل، فكأنه قيل: الطَّيبات من النساء. ولأنَّ الإناثَ من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء. ومنه قوله تعالى: ﴿أو ما ملكت أيمانكم﴾. قيل: كانوا لا يتحرَّجون من الزنى، ويتحرَّجون من ولاية اليتامى، فقيل: إن خفتم الجور في حقِّ اليتامى فخافوا الزنى، فانكحوا ما حلَّ لكم من النساء، ولا تحوموا حول المحرمات. أو: كانوا يتحرَّجون من الولاية في أموال اليتامى، ولا يتحرَّجون من الاستكثار من النساء، مع أنَّ الجورَ يقعُ بينهن إذا كثرن، فكأنه قيل: إذا تحرَّجتم من هذا فتحرَّجوا من ذلك. وقيل: ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في﴾ نكاح ﴿اليتامى فانكحوا﴾ من البالغات. يقال: طابت الثمرة،

(١) ما بين حاصرتين مستدرك من المطبوع.

﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾

أي: أدركت ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ نكرات. وإنما مُنعت الصرف للعدل والوصف، وعليه دلَّ كلام سيبويه. ومحلُّهن النصب على الحال من النساء، أو مما طاب، تقديره: فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين، وثلاثاً ثلاثاً، وأربعاً أربعاً. فإن قلت: الذي أطلق للناكح في الجمع أن يجمع بين اثنتين أو ثلاث أو أربع، فما معنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع؟ قلت: الخطاب للجميع، فوجب التكرير ليصيب كلُّ ناكح يريد الجمع ما أراد من العدد الذي أطلق له. كما تقول للجماعة: اقتسموا هذا المال ـ وهو ألف درهم ـ درهمين درهمين، وثلاثة ثلاثة، وأربعة أربعة. ولو أفردت لم يكن له معنى. وجيء بالواو لتدلَّ على تجويز الجمع بين الفرَق، ولو جيء بأو مكانها لذهب معنى التجويز ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ بين هذه الأعداد ﴿فَوَٰحِدَةً﴾ فالزموا، أو: فاختاروا واحدة ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ سوى في اليسر بين الحرَّة الواحدة وبين الإماء من غير حصر ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى اختيار الواحدة والتَّسرِّي ﴿أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ أقرب من ألا تميلوا ولاَ تجوروا. يقال: عال الميزان عولاً: إذا مال، وعال الحاكم في حكمه: إذا جار. ويُحكى عن الشافعي ـ رحمه الله ـ أنه فسَّر ﴿ألا تعولوا﴾: ألا تكثر عيالكم. واعترضوا عليه بأنه يقال فيه أعال يعيل: إذا كثر عياله. وأجيب بأن يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم، كقولك: مانهم يمونهم: إذا أنفق عليهم؛ لأنَّ مَن كثر عياله لزمه أن يعولهم، وفي ذلك ما يصعّب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال. وكلام مثله من أعلام العلم حقيق بالحمل على السداد، وألا يظن به تحريف تعيلوا إلى تعولوا، كأنه سلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات.

٤ ـ ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ﴾ مهورهن ﴿نِحْلَةً﴾ مِن: نحله كذا: إذا أعطاه إياه، ووهبه له عن طيبة من نفسه، نحلةً ونحلاً. وانتصابها على المصدر؛ لأن النحلة والإيتاء بمعنى الإعطاء، فكأنه قال: وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة، أي: أعطوهن مهورهن عن طيبة أنفسكم. أو: على الحال من المخاطبين، أي:

﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ۝٤ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾

آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالإعطاء. أو: من الصدقات، أي: منحولة معطاة عن طيبة الأنفس. وقيل: نحلة من الله تعالى: عطية من عنده وتفضُّلاً منه عليهن. وقيل: النحلة: الملة، وفلان ينتحل كذا، أي: يدين به، يعني: وآتوهن مهورهن ديانة، على أنها مفعول لها. والخطاب للأزواج، وقيل،: للأولياء؛ لأنهم كانوا يأخذون مهور بناتهم ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ﴾ للأزواج ﴿عَن شَيْءٍ مِّنْهُ﴾ أي: من الصداق، إذ هو في معنى الصدقات ﴿نَفْسًا﴾ تمييز. وتوحيدها لأنَّ الغرضَ بيانُ الجنس، والواحد يدل عليه. والمعنى: فإن وهبن لكم شيئاً من الصداق، وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن إلى الهبة من شكاسة أخلاقكم، وسوء معاشرتكم. وفي الآية دليلٌ على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس، فقيل: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ ولم يقل: فإن وهبن لكم[1] إعلاماً بأن المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة ﴿فَكُلُوهُ﴾ الهاء تعود على شيء ﴿هَنِيٓـًٔا﴾ لا إثم فيه ﴿مَّرِيٓـًٔا﴾ لا داء فيه. فسَّرهما النبي ﷺ. أو: هنيئاً في الدنيا بلا مطالبة، مريئاً في العقبى بلا تبعة. وهما صفتان من: هنؤ الطعام ومرؤ؛ إذا كان سائغاً لا تنغيصَ فيه. وهما وصف مصدر، أي: أكلاً هنيئاً مريئاً، أو حال من الضمير، أي: كلوه، وهو هنيء مريء. وهذه عبارةٌ عن المبالغة في الإباحة، وإزالة التبعة. هنياً مرياً بغير همز: يزيد. وكذا حمزة في الوقف. وهمزهما الباقون. وعن عليّ ـ رضي الله عنه ـ: إذا اشتكى أحدُكم شيئاً فليسأل امرأته ثلاثة دراهم من صداقها، ثم ليشتر بها عسلاً فليشربه بماء السماء، فيجمع الله له هنيئاً ومريئاً وشفاء ومباركاً.

٥ ـ ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ﴾ المبذرين أموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي، ولا قدرة لهم على إصلاحها، وتثميرها، والتصرف فيها. والخطاب للأولياء. وأضاف إلى الأولياء أموال السفهاء؛ بقوله: ﴿أَمْوَٰلَكُمُ﴾ لأنهم يلونها،

---

(١) من المطبوع.

ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ﴿٦﴾

ويمسكونها. ﴿ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ أي: قواماً لأبدانكم، ومعاشاً لأهلكم وأولادكم. ﴿قِيَماً﴾ بمعنى قياماً، نافع وشامي، كما جاء عوذاً بمعنى عياذاً. وأصل قيام: قوام: فجعلت الواو ياء لانكسار ما قبلها. وكان السلفُ يقولون: المال سلاح المؤمن، ولأن أترك مالاً يحاسبني الله عليه خير من أن أحتاج إلى الناس. وعن سفيان ـ وكان له بضاعة يقلبها ـ: لولاها لتمندل بي بنو العباس(١) ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ واجعلوها مكاناً لرزقهم، بأن تتجروا فيها، وتتربَّحوا، حتى تكون نفقتهم من الأرباح لا من صلب المال، فيأكلها الإنفاق ﴿وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ قال ابنُ جريج: عدة جميلة: إن صَلَحتم ورَشَدتم سلمنا إليكم أموالكم. وكل ما سكنت إليه النفس لحسنه عقلاً أو شرعاً من قول أو عمل، فهو معروف. وما أنكرته لقبحه، فهو منكر.

٦ ـ ﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ واختبروا عقولهم، وذوقوا أحوالهم ومعرفتهم بالتصُّرف قبل البلوغ. فالابتلاء عندنا: أن يدفع إليه ما يتصرَّف فيه حتى تتبيَّن حاله فيما يجيء منه. وفيه دليلٌ على جواز إذن الصبي العاقل في التجارة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾ أي: الحُلم؛ لأنه يصلح للنكاح عنده، ولطلب ما هو مقصود به، وهو: التوالد ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ﴾ تبينتم ﴿رُشْدًا﴾ هداية في التصرفات، وصلاحاً في المعاملات ﴿فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ من غير تأخير عن حدِّ البلوغ. ونظم هذا الكلام أنَّ ما بعد حتى إلى ﴿فادفعوا إليهم أموالهم﴾ جعل غاية للابتلاء. وهي «حتى» التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله:

.... حتـــى مـــاءُ دجلَـــةَ أشكـــلُ(٢)

والواقعة بعدها جملة شرطية؛ لأن إذا متضمنة معنى الشرط، وفعل الشرط:

(١) أي: لاتخذوني كالمنديل يتمسّحون بي.

(٢) البيت لجرير، وهو بتمامه:

فمـا زالـتِ القتلـى تمـجُّ دمـاءهـا بـدجلـةَ حتـى مـاءُ دجلـةَ أَشْكَـلُ

وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ

بلغوا النكاح، وقوله: ﴿فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم﴾ جملة من شرط وجزاء واقعة جواباً للشرط الأوّل؛ الذي هو «إذا بلغوا النكاح»، فكأنه قيل: وابتلوا اليتامى إلى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع أموالهم إليهم بشرط إيناس الرشد منهم. وتنكير الرشد يفيد أن المرادَ رشدٌ مخصوص، وهو الرشد في التصرف والتجارة، أو يفيد: التقليل، أي: طرفاً من الرشد حتى لا ينتظر به تمام الرشد. وهو دليلٌ لأبي حنيفة ـ رحمه الله ـ في دفع المال عند بلوغ خمس وعشرين سنة ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ﴾ ولا تأكلوها مسرفين ومبادرين كبرهم. فإسرافاً وبداراً مصدران في موضع الحال و﴿أن يكبروا﴾ في موضع المصدر منصوب الموضع ببداراً. ويجوز أن يكونا مفعولاً لهما. أي: لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم تُفْرطون في إنفاقها، وتقولون: ننفق فيما نشتهي قبل أن يكبر اليتامى، فينتزعوها من أيدينا ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ قسم الأمر بين أن يكون الوصي غنياً، وبين أن يكون فقيراً، فالغني يستعفّ من أكلها، أي: يحترز من أكل مال اليتيم. واستعف أبلغ من عف، كأنه طالب زيادة العفة. والفقير يأكل قوتاً مقدّراً محتاطاً في أكله. عن إبراهيم: ما سدّ الجوعة، ووارى العورة ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ﴾ بأنهم تسلّموها وقبضوها دفعاً للتجاحد، وتفادياً عن توجه اليمين عليكم عند التخاصم، والتناكر ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ محاسباً. فعليكم بالتصادق، وإياكم والتكاذب. أو: هو راجع إلى قوله: ﴿فليأكل بالمعروف﴾ أي: ولا يسرف، فإن الله يحاسبه عليه، ويجازيه به. وفاعل كفى: لفظة الله، والباء زائدة. وكفى يتعدّى إلى مفعولين، دليله: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

٧ ـ ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ

﴿وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾

﴿وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ هم المتوارثون من ذوي القرابات دون غيرهم ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ بدل ﴿مما ترك﴾ بتكرير العامل. والضمير في ﴿منه﴾ يعود إلى ما ترك ﴿نَصِيبًا﴾ نصب على الاختصاص، بمعنى: أعني نصيباً ﴿مَّفْرُوضًا﴾ مقطوعاً لا بدّ لهم من أن يحوزوه. رُوي أن أوس بن ثابت ترك امرأته أم كُحّة وثلاث بنات، فزوى ابنا عمه ميراثه عنهن. وكان أهلُ الجاهلية لا يورثون النساء والأطفال، ويقولون: لايرث إلا من طاعنَ بالرماح، وحاز الغنيمة. فجاءت أم كحة إلى رسول الله ﷺ فشكت. فقال: «ارجعي حتى أنظر ما يحدث الله» فنزلت الآية. فبعث إليهما: «لا تفرقا من مال أوس شيئاً، فإن الله تعالى قد جعل لهن نصيباً، ولم يبين حتى يبين» فنزلت: ﴿يوصيكم الله﴾ فأعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين، والباقي ابني العم[1].

٨ ـ ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾ أي: قسمة التركة ﴿أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ممن لا يرث ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ﴾ من الأجانب ﴿فَٱرْزُقُوهُم﴾ فأعطوهم ﴿مِّنْهُ﴾ مما ترك الوالدان والأقربون. وهو أمر ندبٍ، وهو باق لم ينسخ. وقيل: كان واجباً في الابتداء، ثم نُسِخ بآية الميراث ﴿وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ عذراً جميلاً، وعدة حسنة. وقيل: القول المعروف: أن يقولوا لهم: خذوا بارك الله عليكم، ويستقلوا ما أعطوهم، ولا يمنّوا عليهم.

٩ ـ ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ المراد بهم الأوصياء. أمروا بأن يخشوا الله فيخافوا على مَن في حجورهم من اليتامى، فيشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافاً، وأن يقدّروا ذلك في أنفسهم، ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف

---

(١) قال الحافظ: هكذا أورده الثعلبي ثم البغوي بغير إسناد (حاشية الكشاف ١ / ٤٧٧).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ﴾

الشفقة والرحمة. و«لو» مع ما في حيزه: صلة للذين، أي: وليخش الذين صفتهم وحالهم أنهم لو شارفوا أن يتركوا خلفهم ذرية ضعافاً ـ وذلك عند احتضارهم ـ خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم. وجواب ﴿لو﴾ خافوا. والقول السديد من الأوصياء: أن يكلموهم كما يكلمون أولادهم بالأدب الحسن، والترحيب، ويدعوهم بـ: يا بني، ويا ولدي.

١٠ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ ظالمين، فهو مصدر في موضع الحال ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ﴾ ملء بطونهم ﴿نَارًا﴾ أي: يأكلون ما يجرُّ إلى النار. فكأنه نار. رُوي أنه يُبعث آكلُ مال اليتامى يوم القيامة والدخان يخرجُ من قبره، ومِن فيه، وأنفه، وأذنيه، فيعرف الناس أنه كان يأكلُ مال اليتيم في الدنيا[1] ﴿وَسَيَصْلَوْنَ﴾ ﴿وسيُصْلَون﴾ شامي، وأبو بكر. أي: سيدخلون ﴿سَعِيرًا﴾ ناراً من النيران، مبهمة الوصف.

١١ ـ ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ يعهد إليكم، ويأمركم ﴿فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ في شأن ميراثهم، وهذا إجمال تفصيله: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ أي: للذكر منهم، أي: من أولادكم، فحذف الراجع إليه؛ لأنه مفهوم، كقولهم: السمن منوان بدرهم. وبدأ بحظ الذكر، ولم يقل للأنثيين مثل حظ الذكر، أو للأنثى نصف حظ الذكر لفضله، كما ضوعف حظّه لذلك، ولأنهم كانوا يورثون الذكور دون الإناث، وهو السبب لورود الآية. فقيل: كفى الذكور أن ضُوعِف لهم نصيب الإناث، فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع إدلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به. والمراد: حال الاجتماع، أي: إذا اجتمع الذكر والأنثيان كان له سهمان، كما أن لهما سهمين. وأما في حال الانفراد فالابن يأخذ المال كله، والبنتان تأخذان الثلثين. والدليل عليه أنه أتبعه حكم الانفراد بقوله: ﴿فَإِن كُنَّ

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٥٥٦٦) بلفظ: «يبعث يوم القيامة قوم من قبورهم تأجّج أفواههم ناراً...».

فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ

﴿نِسَآءً﴾ أي: فإن كانت الأولاد نساء خلصاً، يعني: بنات ليس معهن ابن ﴿فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾ خبر ثان لكان، أو: صفة لنساء، أي: نساء زائدات على اثنتين ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ أي: الميت؛ لأن الآية لما كانت في الميراث علم أن التارك هو الميت ﴿وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ﴾ أي: وإن كانت المولودة منفردة ﴿وَاحِدَةٌ﴾: مدني على كان التامة. والنصب أوفق لقوله: ﴿فإن كن نساء﴾. فإن قلت: قد ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد، ولم يذكر حكم البنتين في حال الانفراد فما حكمهما؟ قلت: حكمهما مختلف فيه. فابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: نزلهما منزلة الواحدة، لا منزلة الجماعة. وغيره من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أعطوهما حكم الجماعة بمقتضى قوله: ﴿للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ وذلك لأن من مات، وخلَّف بنتاً وابناً، فالثلث للبنت، والثلثان للابن، فإذا كان الثلث لبنت واحدة كان الثلثان للبنتين. ولأنه قال في آخر السورة: ﴿إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك﴾ والبنتان أمسّ رحماً بالميت من الأختين، فأوجبوا لهما ما أوجب الله للأختين، ولم ينقصوا حظهما عن حظِّ مَن هو أبعد منهما. ولأنَّ البنت لما وجب لها مع أخيها الثلث كان أحرى أن يجبَ لها الثلث إذا كانت مع أخت مثلها، ويكون لأختها معها مثل ما كان يجب لها أيضاً مع أخيها لو انفردت معه ، فوجب لهما الثلثان. وفي الآية دلالةٌ على أنَّ المال كله للذكر إذا لم يكن معه أنثى؛ لأنه جعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وقد جعل للأنثى النصف إذا كانت منفردة، فعلم أن للذكر في حال الانفراد ضعف النصف، وهو الكلّ. والضمير في: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ﴾ للميت، والمراد: الأب والأم، إلا أنه غلب الذكر ﴿لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ بدل من «لأبويه» بتكرير العامل. وفائدة هذا البدل أنه لو قيل: ولأبويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه. ولو قيل: ولأبويه السدسان لأوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية، وعلى خلافها. ولو قيل:

﴿مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ أَوْ دَيْنٍۗ﴾

ولكل واحد من أبويه السدس لذهبت فائدة التأكيد، وهو التفصيل بعد الإجمال. والسدس: مبتدأ خبره: لأبويه، والبدل متوسط بينهما للبيان. وقرأ الحسن: السدْس والربْع والثمْن والثلْث بالتخفيف ﴿مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ هو يقع على الذكر والأنثى ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾ أي: مما ترك. والمعنى ﴿وورثه أبواه﴾ فحسب؛ لأنه إذا ورثه أبواه مع أحد الزوجين كان للأم ثلث ما يبقى بعد إخراج نصيب الزوج، لا ثلث ما ترك؛ لأنَّ الأب أقوى من الأم في الإرث، بدليل أن له ضعف حظها إذا خلصا. فلو ضرب لها الثلث كَمَلاً لأدى إلى حط نصيبه عن نصيبها. فإن امرأة لو تركت زوجاً وأبوين، فصار للزوج النصف وللأم الثلث، والباقي للأب، حازت الأم سهمين والأب سهماً واحداً، فينقلب الحكم إلى أن يكون للأنثى مثل حظ الذكرين. فلأمه - بكسر الهمزة - حمزة، وعليّ لمجاورة كسر اللام ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ﴾ أي: للميت ﴿إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ إذا كان للميت اثنان من الإخوة والأخوات فصاعداً فلأمه السدس. والأخ الواحد لا يحجب. والأعيان والعَلات والأخياف في حجب الأم سواء ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ﴾ متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلّها، لا بما يليه وحده. كأنه قيل: قسمة هذه الأنصباء ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ﴾[1] هو وما بعده بفتح الصادين: مكي، وشامي، وحماد. ويحيى وافق الأعشى في الأولى. وحفص في الثانية لمجاورة يورث. وكسرَ الأولى لمجاورة يوصيكم الله. الباقون بكسر الصادين. أي: يوصي الميت ﴿أَوْ دَيْنٍ﴾ والإشكال أن الدين مُقدَّم على الوصية في الشرع، وقدمت الوصية على الدين في التلاوة. والجواب: أن أو لا تدلُّ على الترتيب، أَلا ترى أنك إذا قلت: جاءني زيد أو عمرو كان المعنى: جاءني أحد الرجلين، فكان التقدير في قوله: ﴿من بعد وصية يوصي بها أو دين﴾ من بعد أحد هذين الشيئين الوصية، أو الدين. ولو قيل بهذا اللفظ لم

---

(١) في الأصل المخطوط أثبتت قراءة ﴿يُوصَى﴾.

ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم

يدر فيه الترتيب، بل يجوز تقديم المؤخر وتأخير المقدم كذا هنا. وإنما قدّمنا الدين على الوصية بقوله عليه الصلاة والسلام: «ألا إن الدَّيْن قبل الوصية»[1]. ولأنها تشبه الميراث من حيث إنها صلة بلا عوض، فكان إخراجها مما يشقّ على الورثة، وكان أداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين، فقدّمت على الدين ليسارعوا إلى إخراجها مع الدين ﴿ءَابَآؤُكُمْ﴾ مبتدأ ﴿وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ عطف عليه. والخبر ﴿لَا تَدْرُونَ﴾ وقوله: ﴿أَيُّهُمْ﴾ مبتدأ خبره: ﴿أَقْرَبُ لَكُمْ﴾ والجملة في موضع نصب بتدرون ﴿نَفْعًا﴾ تمييز. والمعنى: فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة. ولو وكل ذلك إليكم لم تعلموا أيُّهم أنفع لكم، فوضعتم أنتم الأموال على غير حكمة. والتفاوت في السهام بتفاوت المنافع، وأنتم لا تدرون تفاوتها، فتولى الله ذلك فضلاً منه، ولم يكلها إلى اجتهادكم لعجزكم عن معرفة المقادير. وهذه الجملة اعتراضية مؤكدة، لا موضع لها من الإعراب ﴿فَرِيضَةً﴾ نصبت نصب المصدر المؤكد، أي: فرض ذلك فرضاً ﴿مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بالأشياء قبل خلقها ﴿حَكِيمًا﴾ في كل ما فرض، وقسم من المواريث، وغيرها.

١٢ ـ ﴿۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ﴾ أي: زوجاتكم ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ أي: ابن، أو بنت. ﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾ منكم، أو من غيركم ﴿فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم

(١) رواه أحمد (١/ ٧٩ و١٣١ و١٤٤) والبخاري (٥/ ٣٧٧) تعليقاً، والترمذي (٢٠٩٤) وابن ماجه (٢٧١٥) بلفظ: قضى رسولُ الله ﷺ بالدَّيْن قبل الوصية.

مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿١٢﴾

﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖ﴾ والواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن. جعل ميراث الزوج ضعف ميراث الزوجة؛ لدلالة قوله: ﴿للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٞ﴾ يعني: الميت، وهو اسم كان ﴿يُورَثُ﴾ من ورِث، أي: يورث منه، وهو صفة لرجل ﴿كَلَٰلَةً﴾ خبر كان. أي: وإن كان رجل موروث منه كلالة. أو: «يورث» خبر كان، و«كلالة» حال من الضمير في يورث. والكلالة: تطلق على من لم يُخلّف ولداً ولا والداً، وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلَّفين. وهو في الأصل مصدر بمعنى الكلال، وهو: ذهاب القوّة من الإعياء ﴿أَوِ ٱمۡرَأَةٞ﴾ عطف على رجل ﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ﴾ أي: لأم. فإن قلت: قد تقدم ذكر الرجل والمرأة، فلم أفرد الضمير وذكَّره؟ قلت: أما إفراده: فلأن «أو» لأحد الشيئين. وأما تذكيره: فلأنه يرجع إلى رجل؛ لأنه مذكر مبدوء به، أو يرجع إلى أحدهما وهو مُذكَّر ﴿فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ من واحد ﴿فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِ﴾ لأنهم يستحقون بقرابة الأم، وهي لا ترث أكثر من الثلث. ولهذا لا يفضّل الذكر منهم على الأنثى ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾ إنما كررت الوصية لاختلاف الموصين، فالأول: الوالدان والأولاد، والثاني: الزوجة، والثالث: الزوج، والرابع: الكلالة ﴿غَيۡرَ مُضَآرّٖ﴾ حال، أي: يوصي بها وهو غير مضار لورثته. وذلك بأن يوصي بزيادة على الثلث، أو لوارث ﴿وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد، أي: يوصيكم بذلك وصية ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمن جار، أو عدل في وصيته ﴿حَلِيمٞ﴾ على الجائر لا يعاجله بالعقوبة، وهذا وعيد. فإن قلت: أين ذو الحال فيمن قرأ يوصى بها؟ قلت: يضمر يوصي فينتصب عن فاعله؛ لأنه لما قيل يُوصَى بها علم أن ثَمّ موصياً. كما كان ﴿رجال﴾ فاعل ما يدل عليه يسبح؛ لأنه لما قيل ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ﴾ [النور: ٣٦] علم أن ثم مسبِّحاً فأضمر يسبِّح.

تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ

واعلم أن الورثة أصناف: أصحاب الفرائض، وهم الذين لهم سهام مقدرة: كالبنت: ولها النصف، وللأكثر الثلثان. وبنت الابن وإن سفلت: وهي عند عدم الولد كالبنت، ولها مع البنت الصلبية السدس، وتسقط بالابن وبنتي الصلب إلا أن يكون معها غلام فيعصبها. والأخوات لأب وأم: وهن عند عدم الولد وولد الابن كالبنات، والأخوات لأب، وهن كالأخوات لأب وأم عند عدمهن. ويصيرُ الفريقان عصبة مع البنت أو بنت الابن. ويسقطن بالابن وابنه وإن سفل والأب وبالجد عند أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ. وولد الأم، فللواحد السدس وللأكثر الثلث، وذكرهم كأنثاهم. ويسقطون بالولد وولد الابن وإن سفل والأب والجد. والأب: وله السدس مع الابن أو ابن الابن وإن سفل، ومع البنت أو بنت الابن وإن سفلت السدس والباقي. والجد: وهو أبو الأب، وهو كالأب عند عدمه، إلا في رد الأم إلى ثلث ما يبقى. والأم: ولها السدس مع الولد أو ولد الابن وإن سفل، أو الاثنين من الإخوة والأخوات فصاعداً من أي جهة كانا. وثلث الكل عند عدمهم. وثلث ما يبقى بعد فرض أحد الزوجين في زوج وأبوين، أو زوجة وأبوين. والجدة: ولها السدس وإن كثرت لأم كانت أو لأب. والبعدى تحجب بالقربى. والكل بالأم، والأبويات بالأب. والزوج: وله الربع مع الولد، أو ولد الابن وإن سفل. وعند عدمه النصف. والزوجة: ولها الثمن مع الولد أو ولد الابن وإن سفل. وعند عدمه الربع. والعصبات: وهم الذين يرثون ما بقي من الفرض. وأولاهم: الابن، ثم ابنه وإن سفل، ثم الأب، ثم أبوه وإن علا، ثم الأخ لأب وأم، ثم الأخ لأب، ثم ابن الأخ لأب وأم، ثم ابن الأخ لأب، ثم الأعمام، ثم أعمام الأب، ثم أعمام الجد، ثم المعتق، ثم عصبته على الترتيب. واللاتي فرضهن النصف والثلثان يصرن عصبة بإخوتهن لا غيرهن. وذوو الأرحام: وهم الأقارب الذين ليسوا من العصبات ولا من أصحاب الفرائض، وترتيبهم كترتيب العصبات.

١٣ ـ ﴿ تِلْكَ ﴾ إشارة إلى الأحكام التي ذكرت في باب اليتامى، والوصايا، والمواريث ﴿ حُدُودُ ٱللَّهِ ﴾ سمَّاها حدوداً؛ لأن الشرائع كالحدود

وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾

المضروبة للمكلفين، لا يجوز لهم أن يتجاوزوها ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

١٤ ـ ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا﴾ انتصب خالدين وخالداً على الحال. وجمع مرة، وأفرد أخرى نظراً إلى معنى مَنْ ولفظها ﴿ندخله﴾ فيهما، مدني، وشامي ﴿وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ لهوانه عند الله. ولا تعلق للمعتزلة والخوارج بالآية فإنها في حق الكفار، إذ الكافر هو الذي تعدَّى الحدود كلها، وأما المؤمن العاصي فهو مطيع بالإيمان غير متعد حدّ التوحيد. ولهذا فسَّر الضحاك المعصية هنا بالشرك. وقال الكلبي: ﴿ومن يعص الله ورسوله﴾ بكفره بقسمة المواريث ﴿ويتعد حدوده﴾ استحلالاً.

١٥ ـ ثم خاطب الحكام فقال: ﴿وَٱلَّٰتِى﴾ هي جمع التي، وموضعها رفع بالابتداء، ﴿يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ أي: الزنى لزيادتها في القبح على كثير من القبائح. يقال: أتى الفاحشة، وجاءها، ورهقها، وغشيها بمعنى. ﴿مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ للتبعيض. والخبر: ﴿فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾ فاطلبوا الشهادة. ﴿أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾ من المؤمنين ﴿فَإِن شَهِدُوا۟﴾ بالزنى ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ﴾ فاحبسوهن ﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ﴾ أي: ملائكة الموت، كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [النحل: ٢٨] أو: حتى يأخذهن الموت، ويستوفي أرواحهن. ﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ﴾ قيل: أو بمعنى: إلا أن ﴿سَبِيلًا﴾ غير هذه. عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: السبيل للبكر جلد مئة وتغريب عام، وللثيب الرجم؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «خذوا عني، خذوا عني، قد

وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ

جعل الله لهن سبيلاً: البكر بالبكر جلد مئة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مئة ورجم بالحجارة»[1].

١٦ ـ ﴿وَٱلَّذَانِ﴾ يريد: الزاني والزانية. وبتشديد النون، مكي ﴿يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ﴾ أي: الفاحشة ﴿فَـَٔاذُوهُمَا﴾ بالتوبيخ والتعيير، وقولوا لهما: أمَا استحييتما؟ أما خفتما الله؟ ﴿فَإِن تَابَا﴾ عن الفاحشة ﴿وَأَصْلَحَا﴾ وغيّرا الحال ﴿فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ﴾ فاقطعوا التوبيخ والمذمة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ يقبل توبة التائب ويرحمه. قال الحسن: أول ما نزل من حد الزنى الأذى، ثم الحبس ، ثم الجلد أو الرجم، فكان ترتيب النزول على خلاف ترتيب التلاوة. والحاصل: أنهما إذا كانا محصنين فحدّهما: الرجم لا غير. وإذا كانا غير محصنين فحدهما: الجلد لا غير. وإن كان أحدهما محصناً والآخر غير محصن، فعلى المحصن منهما الرجم، وعلى الآخر الجلد. وقال ابن بحر: الآية الأولى في السَّحَّاقات، والثانية في اللوَّاطين، والتي في سورة النور في الزاني والزانية. وهو دليلٌ ظاهرٌ لأبي حنيفة ـ رحمه الله ـ في أنه يعزّر في اللِّواطة ولا يحدّ. وقال مجاهد: آية الأذى في اللّواطة.

١٧ ـ ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ﴾ هي من: تاب الله عليه: إذا قبل توبته، أي: إنما قبولها ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ وليس المراد به الوجوب؛ إذ لا يجب على الله شيء، ولكنه تأكيد للوعد، يعني: أنه يكون لا محالة، كالواجب الذي لا يترك ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ﴾ الذنب لسوء عقابه ﴿بِجَهَـٰلَةٍ﴾ في موضع الحال، أي: يعملون السوء جاهلين سفهاء؛ لأن ارتكاب القبيح مما يدعو إليه السفه. وعن مجاهد: من عَصَى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته. وقيل: جهالته: اختياره اللذة الفانية على الباقية. وقيل: لم يجهل أنه ذنب، ولكنه جهل كنه

---

(١) رواه أحمد (٥/٣١٣) ومسلم (١٦٩٠) (١٢) وأبو داود (٤٤١٦) والترمذي (١٤٣٤).

﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾

عقوبته ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ من زمان قريب، وهو ما قبل حضرة الموت. أَلا ترى إلى قوله: ﴿حتى إذا حضر أحدهم الموت﴾ فبين أن وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة. وعن الضحاك: كل توبة قبل الموت فهو قريب. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: قبل أن ينظر إلى ملك الموت. وعنه ﷺ «إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»[1]. ومن: للتبعيض، أي: يتوبون بعض زمان قريب، كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زماناً قريباً ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ عدة بأنه يفي بذلك، وإعلام بأن الغفران كائن لا محالة ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا ﴾ بعزمهم على التوبة ﴿ حَكِيمًا ﴾ حكم بكون الندم توبة.

١٨ ـ ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ ﴾ أي: ولا توبة للذين يذنبون، ويسوّفون توبتهم إلى أن يزول حال التكليف بحضور أسباب الموت، ومعاينة ملك الموت، فإن توبة هؤلاء غير مقبولة؛ لأنها حالة اضطرار لا حالة اختيار، وقبول التوبة ثواب، ولا وعد به إلا لمختار ﴿ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ ﴾ في موضع جر بالعطف على ﴿للذين يعملون السيئات﴾ أي: ليست التوبة للذين يعملون السيئات ولا للذين يموتون ﴿ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾. قال سعيد بن جبير: الآية الأولى في المؤمنين، والوسطى في المنافقين، والأخرى في الكافرين. وفي بعض المصاحف بلامين، وهو مبتدأ، خبره: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي: هيأنا من العتيد، وهو الحاضر، أو الأصل أعددنا، فقلبت الدال تاء.

---

(١) رواه أحمد (٢ / ١٣٢) والترمذي (٣٥٣٧) وابن ماجه (٤٢٥٣) من حديث ابن عمر ـرضي الله عنهما ـ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾

---

١٩ ـ كان الرجل يرث امرأة مورّثه بأن يلقي عليها ثوبه فيتزوجها بلا مهر، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ أي: أن تأخذوهن على سبيل الإرث، كما تحاز المواريث، وهنّ كارهات لذلك، أو مكرهات ﴿كرهاً﴾ بالفتح من الكراهة. وبالضم: حمزة، وعليّ، من الإكراه. مصدر في موضع الحال من المفعول. والتقييد بالكره لا يدلُّ على الجواز عند عدمه؛ لأن تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه، كما في قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: ٣١] ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ كان الرجل إذا تزوج امرأة، ولم تكن من حاجته حبَسَها مع سوء العشرة لتفتدي منه بمالها وتختلع. فقيل: ﴿ولا تعضلوهن﴾. وهو منصوب عطفاً على «أن ترثوا». و«لا» لتأكيد النفي، أي: لا يحل لكم أن ترثوا النساء ولا أن تعضلوهن. أو مجزوم بالنهي على الاستئناف، فيجوز الوقف حينئذ على ﴿كرهاً﴾. والعضل: الحبس، والتضييق ﴿لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهر. واللام متعلقة بـ«تعضلوا» ﴿إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ﴾ هي النشوز، وإيذاء الزوج وأهله بالبذاء. أي: إلا أن يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع. وعن الحسن: الفاحشة: الزنى، فإن فعلت حلَّ لزوجها أن يسألها الخلع ﴿مُّبَيِّنَةٍ﴾ وبفتح الياء: مكي، وأبو بكر. والاستثناء من أعم عام الظرف أو المفعول له، كأنه قيل: ﴿ولا تعضلوهن﴾ في جميع الأوقات إلا وقت ﴿أن يأتين بفاحشة﴾ أو ﴿ولا تعضلوهن﴾ لعلة من العلل ﴿إلا أن يأتين بفاحشة﴾. وكانوا يسيئون معاشرة النساء، فقيل لهم: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وهو: النَّصَفَة في المبيت، والنفقة، والإجمال في القول ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ لقبحهن، أو سوء خلقهن ﴿فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ في ذلك الشيء، أو في الكره. ﴿خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ثواباً جزيلاً، أو ولداً صالحاً. والمعنى: فإن كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الأنفس وحدها. فربما كرهت النفس ما هو أصلح في

وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾

الدين، وأدنى إلى الخير، وأحبت ما هو بضدِّ ذلك. ولكن للنظر في أسباب الصلاح. وإنما صحَّ قوله ﴿فعسى أن تكرهوا﴾ جزاء للشرط؛ لأن المعنى: ﴿فإن كرهتموهن﴾ فاصبروا عليهن مع الكراهة، فلعل لكم فيما تكرهونه خيراً كثيراً ليس فيما تحبونه.

٢٠ ـ كان الرجل إذا رأى امرأةً فأعجبته بَهَتَ التي تحته ورماها بفاحشة[1]، حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها. فقيل: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ أي: تطليق امرأة وتزوّج أخرى ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ﴾ وأعطيتم إحدى الزوجات، فالمراد بالزوج: الجمع؛ لأن الخطابَ لجماعة الرجال ﴿قِنطَارًا﴾ مالاً عظيماً كما مرَّ في آل عمران. وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ على المنبر: لا تغالوا بصدُقات النساء، فقالت امرأة: أنتبع قولك أم قول الله ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾؟ فقال عمر: كل أحد أعلم من عمر، تزوَّجوا على ما شئتم ﴿فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ﴾ من القنطار ﴿شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ أي: بيِّناً. والبهتان: أن تستقبلَ الرجلَ بأمرٍ قبيح تقذفه به وهو بريء منه؛ لأنه يُبهَت عند ذلك، أي: يتحير. وانتصب بهتاناً على الحال، أي: باهتين وآثمين.

٢١ ـ ثم أنكر أخذ المهر بعد الإفضاء، فقال: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: خلا بلا حائل، ومنه: الفضاء. والآية حجة لنا في الخلوة الصحيحة أنها تؤكِّد المهر، حيث أنكر الأخذ. وعلّل بذلك ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ عهداً وثيقاً، وهو قول الله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. والله تعالى أخذ هذا الميثاق على عباده لأجلهن، فهو كأخذهن. أو قول النبي عليه الصلاة والسلام:

---

(١) أي: رماها بالباطل.

وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ

«استوصوا بالنساء خيراً؛ فإنهن عوان في أيديكم، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله»(١).

٢٢ ـ ولما نزل: ﴿لايحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً﴾ قالوا: تركنا هذا، لا نرثهن كرهاً ولكن نخطبهن فننكحهن برضاهن، فقيل لهم: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾. وقيل المراد بالنكاح: الوطء، أي: لا تطؤوا ما وطىء آباؤكم. وفيه تحريم وطء موطوءة الأب بنكاح، أو بملك يمين، أو بزنى، كما هو مذهبنا، وعليه كثيرٌ من المفسرين. ولما قالوا: كنا نفعل ذلك، فكيف حال ما كان منا؟ قال: ﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾. أي: لكن ما قد سلف، فإنكم لا تؤاخذون به. والاستثناء منقطع، عن سيبويه. ثم بيَّن صفة هذا العقد في الحال فقال: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ﴾ بالغة في القبح ﴿ وَمَقْتًا ﴾ وبغضاً عند الله، وعند المؤمنين، وناس منهم يمقتونه من ذوي مروءاتهم، ويسمُّونه: نكاح المقت، وكان المولود عليه يقال له: المقتي ﴿ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ وبئس الطريق طريقاً ذلك.

٢٣ ـ ولما ذكر في أول السورة نكاح: ﴿ما طاب﴾ أي: حَلَّ ﴿من النساء﴾ وذكر بعض ما حرم قبل هذا، وهو نساء الآباء، ذكر المحرَّمات الباقيات، وهن: سبع من النسب، وسبع من السبب، وبدأ بالنسب فقال: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ﴾. والمراد: تحريم نكاحهن عند البعض. وقد ذكرنا المختار في «شرح المنار». والجدة من قبل الأم أو الأب ملحقة بهن ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ وبنات الابن وبنات البنت ملحقات بهن. والأصل: أنَّ الجمعَ إذا قُوبِل بالجمع ينقسم الآحاد على الآحاد، فتحرم على كل واحد أمه وبنته.

---

(١) هذا مركب من حديثين: الأول بلفظ: «واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هُنَّ عَوَانٌ عندكم» رواه الترمذي (١١٦٣) وابن ماجه (١٨٥١). والثاني بلفظ: «فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله» رواه مسلم (١٢١٨) (١٤٧) وأبو داود (١٩٠٥) وابن ماجه (٣٠٧٤). «العوان»: جمع عانية وهي الأسيرة.

وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ ٱلَّاتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ

﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ لأب أو أم، أو لأب أو لأم. ﴿وَعَمَّاتُكُمْ﴾ من الأوجه الثلاثة. ﴿وَخَالَاتُكُمْ﴾ كذلك. ﴿وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ﴾ كذلك. ﴿وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ كذلك. ثم شرع في السبب فقال: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ ٱلَّاتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَاعَةِ﴾. الله تعالى نزّل الرضاعة منزلة النسب، فسمَّى المرضعة أمّاً للرضيع، والمراضعة أختاً. وكذلك زوج المرضعة أبوه، وأبواه جداه، وأخته عمته، وكل وَلَد وُلِدَ له من غير الرضعة قبل الرضاع وبعده فهم إخوته وأخواته لأبيه، وأم المرضِعة جدته، وأختها خالته، وكلّ من ولد لها من هذا الزوج فهم إخوته وأخواته لأبيه وأمه. ومن ولد لها من غيره فهم إخوته وأخواته لأم، وأصله قوله عليه الصلاة والسلام: «يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب»[1] ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ﴾ وهنّ محرمات بمجرد العقد ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ﴾ سمّى ولد المرأة من غير زوجها ربيباً وربيبة؛ لأنه يَرُبُّهما كما يَرُبُّ ولده في غالب الأمر، ثم اتسع فيه فسمِّيا بذلك وإن لم يَرُبّهما ﴿ٱلَّاتِي فِي حُجُورِكُم﴾ قال داود: إذا لم تكن في حجرة لا تحرم. قلنا: ذكر الحجر على غلبة الحال دون الشرط، وفائدته: التعليل للتحريم، وأنهن لاحتضانكم لهن، أو لكونهن بصدد احتضانكم، كأنكم في العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ متعلق بربائبكم. أي: الربيبة من المرأة المدخول بها حرام على الرجل، حلال له إذا لم يدخل بها. والدخول بهن كناية عن الجماع، كقولهم: بنى عليها، وضرب عليها الحجاب، أي: أدخلتموهن الستر. والباء للتعدية. واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول. وقد جعل بعضُ العلماء اللاتي دخلتم بهن وصفاً للنساء المتقدمة والمتأخرة. وليس كذلك؛ لأن الوصفَ الواحد لا يقع على موصوفين مختلفي العامل، وهذا لأن النساءَ

---

(١) رواه البخاري (٥٢٣٩) ومسلم (١٤٤٤) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ

الأولى مجرورة بالإضافة والثانية بمن. ولا يجوز أن تقول: مررت بنسائك، وهربت من نساء زيد الظريفات، على أن تكون الظريفات نعتاً لهؤلاء النساء وهؤلاء النساء. كذا قال الزجاج وغيره، وهذا أولى مما قاله صاحب «الكشاف» فيه ﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فلا حرج عليكم في أن تتزوَّجوا بناتهن إذا فارقتموهن، أو متن ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ﴾ جمع حليلة، وهي: الزوجة؛ لأن كلَّ واحد منهما يحلُّ للآخر، أو يُحلُّ فراش الآخر، من الحل، أو من الحلول ﴿ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ دون مَن تبنيتم، فقد تزوج رسول الله ﷺ زينب حين فارقها زيد، وقال الله تعالى: ﴿لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٧]. وليس هذا لنفي الحرمة عن حليلة الابن من الرضاع ﴿وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾ أي: في النكاح، وهو في موضع الرفع عطف على المحرمات، أي: وحرم عليكم الجمع بين الأختين ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ ولكن ما مضى مغفور، بدليل قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

وعن محمد بن الحسن ـ رحمه الله ـ: إنَّ أهلَ الجاهلية كانوا يعرفون هذه المحرمات إلا نكاح امرأة الأب، ونكاح الأختين؛ فلذا قال فيهما: ﴿إلا ما قد سلف﴾.

٢٤ ـ ﴿۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ أي: ذوات الأزواج لأنهن أحصنّ فروجهن بالتزوج. قرأ الكسائي بفتح الصاد هنا، وفي سائر القرآن بكسرها. وغيره بفتحها في جميع القرآن ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ بالسبي، وزوجها في دار الحرب. والمعنى: وحرم عليكم نكاح المنكوحات، أي: اللاتي لهن أزواج إلا ما ملكتموهن بسبيهن، وإخراجهن بدون أزواجهن، لوقوع الفرقة بتباين الدارين لا بالسبي، فتحل للغانم بملك اليمين بعد الاستبراء ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ

عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾

﴿عَلَيْكُمْ﴾ مصدر مؤكد، أي: كتب الله ذلك عليكم كتاباً، وفرضه فريضة، وهو تحريم ما حرّم. وعطف ﴿وَأُحِلَّ لَكُم﴾[1] على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله، أي: كتب الله عليكم تحريم ذلك ﴿وأَحل لكم﴾ ﴿مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ ما سوى المحرمات المذكورة ﴿وأُحِل﴾ كوفي غير أبي بكر عطف على ﴿حُرِّمَت﴾ ﴿أَن تَبْتَغُواْ﴾ مفعول له. أي: بيّن لكم ما يحلُّ مما يحرم لأن تبتغوا. أو بدل من ﴿ما وراء ذلكم﴾. ومفعول ﴿تبتغوا﴾ مقدر، وهو: النساء. والأجود ألا يقدر ﴿بِأَمْوَٰلِكُم﴾ يعني: المهور. وفيه دليلٌ على أن النكاح لا يكون إلا بمهر، وأنه يجب وإن لم يُسَمَّ، وأن غير المال لا يصلح مهراً، وأنَّ القليلَ لا يصلحُ مهراً، إذا الحبة لا تعدُّ مالاً عادة ﴿مُّحْصِنِينَ﴾ في حال كونكم محصنين ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ لئلا تضيعوا أموالكم. وتفقروا أنفسكم فيما لا يحلُّ لكم فتخسروا دينكم ودنياكم، ولا فساد أعظم من الجمع بين الخسرانين. والإحصان: العفة، وتحصين النفس من الوقوع في الحرام. والمسافح: الزاني، من: السفح، وهو: صبُّ المني ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾ فـ«ما» نكحتموه منهن ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن؛ لأن المهر ثواب على البُضْع. فـ«ما» في معنى النساء. و﴿من﴾ للتبعيض، أو للبيان. ويرجع الضمير إليه على اللفظ في ﴿به﴾ وعلى المعنى في ﴿فآتوهن﴾ ﴿فَرِيضَةً﴾ حال من الأجور، أي: مفروضة، أو: وضعت موضع إيتاء؛ لأنَّ الإيتاءَ مفروض. أو مصدر مؤكَّد، أي: فرض ذلك فريضة ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾ فيما تحطّ عنه من المهر، أو تهب له من كله، أو يزيد لها على مقداره. أو فيما تراضيا به من مقام، أو فراق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بالأشياء قبل خَلْقها ﴿حَكِيمًا﴾ فيما فرض لهم من عقد النكاح؛ الذي به حُفِظت الأنساب.

(١) في الأصل المخطوط أثبتت قراءة: ﴿وأَحَلَّ﴾.

وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ

وقيل: إن قوله: ﴿فما استمتعتم﴾ نزلت في المتعة؛ التي كانت ثلاثة أيام حين فتح الله مكة على رسوله، ثم نُسِخت.

٢٥ ـ ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا ﴾ فضلاً. يقال: لفلان عليّ طوْل، أي: فضل وزيادة. وهو مفعول يستطع ﴿ أَن يَنكِحَ ﴾ مفعول الطول، فإنه مصدر فيعمل عمل فعله، أو بدلاً من ﴿طولاً﴾ ﴿ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ الحرائر المسلمات ﴿ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ أي: فلينكح مملوكة من الإماء المسلمات. وقوله ﴿من فتياتكم﴾ أي: من فتيات المسلمين. والمعنى: ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة، فلينكح أمة. ونكاح الأمة الكتابية يجوز عندنا. والتقييد في النص للاستحباب؛ بدليل أنَّ الإيمانَ ليس بشرطٍ في الحرائر اتفاقاً مع التقييد به. وقال ابن عباس: ومما وسع الله على هذه الأمة نكاح الأمَة، واليهودية، والنصرانية، وإن كان موسراً. وفيه دليلٌ لنا في مسألة الطوْل ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ﴾ فيه تنبيهٌ على قبول ظاهر إيمانهن، ودليلٌ على أنَّ الإيمانَ هو التصديق دون عمل اللسان؛ لأنَّ العلمَ بالإيمان المسموع لا يختلف ﴿ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ أي: لا تستنكفوا من نكاح الإماء، فكلكم بنو آدم، وهو تحذيرٌ عن التعيير بالأنساب، والتفاخر بالأحساب ﴿ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ ﴾ سادتهن. وهو حجةٌ لنا في أنَّ لهن أن يباشرن العقد بأنفسهن؛ لأنه اعتبر إذن الموالي لا عقدهم، وأنه ليس للعبد أو للأمة أن يتزوج إلا بإذن المولى ﴿ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ وأدُّوا إليهن مهورهن بغير مطل وإضرار. ومُلّاك مهورهن مواليهن، فكان أداؤها إليهن أداء إلى الموالي؛ لأنهن وما في أيديهن مال الموالي. أو: التقدير: وآتوا مواليهن، فحذف المضاف ﴿ مُحْصَنَٰتٍ ﴾ عفائف. حال من المفعول في ﴿وآتوهن﴾ ﴿ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ ﴾ زوانٍ علانية ﴿ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ﴾ زوانٍ سراً.

فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ

والأخدان: الأخلاَّء في السر ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ بالتزويج. أَحْصَنَّ: كوفي غير حفص ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ﴾ زنى ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ أي: الحرائر ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ من الحد، يعني: خمسين جلدة. وقوله: ﴿نصف ما على المحصنات﴾ يدلُّ على أنه الجلدَ لا الرجم، لأنَّ الرجم لا يتنصف، وأن المحصنات هنا: الحرائر اللاتي لم يزوجن ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: نكاح الإماء ﴿لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ لمن خاف الإثم الذي تؤدِّي إليه غلبةُ الشهوة. وأصل العنت: انكسار العظم بعد الجبر، فاستعير لكل مشقة وضرر، ولا ضرر أعظم من مواقعة المآثم. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هو الزنى؛ لأنه سبَبُ الهلاك ﴿وَأَن تَصْبِرُوا۟﴾ في محل الرفع على الابتداء، أي: وصبركم عن نكاح الإماء متعففين ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لأن فيه إرقاق الولد، ولأنها خراجة، ولاجة، ممتهنة، مبتذلة، وذلك كله نقصان يرجع إلى الناكح ومهانة. والعزة من صفات المؤمنين. وفي الحديث: «الحرائر صلاحُ البيت، والإماء هلاك البيت»[1] ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ يستر المحظور ﴿رَّحِيمٌ﴾ يكشف المحذور.

٢٦ ـ ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ أصله: يريد الله أن يبين لكم، فزيدت اللام مؤكدة لإرادة التبيين، كما زيدت في: لا أبالك؛ لتأكيد إضافة الأب. والمعنى: يريد الله أن يُبيِّن لكم ما هو خفيٌّ عليكم من مصالحكم، وأفاضل أعمالكم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ وأن يهديكم مناهج مَن كان قبلكم من الأنبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم. ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ ويوفِّقكم للتوبة عمَّا كنتم عليه من الخلاف ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس (٢٨٢٠). وقال ابن حجر: أخرجه الثعلبي، وفي إسناده: أحمد بن محمد، وهو متروك، وكذَّبه أبو حاتم، ويونس لا أعرفه. (حاشية الكشاف ١/ ٥٠١).

حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ

بمصالح عباده ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما شرع لهم.

٢٧ ـ ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ التكرير للتأكيد، والتقرير، والتقابل ﴿وَيُرِيدُ﴾ الفجرة ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ وهو الميل عن القصد والحق، ولا ميل أعظم منه، بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات. وقيل: هم اليهود؛ لاستحلالهم الأخوات لأب، وبنات الأخ، وبنات الأخت. فلما حرمهن الله قالوا: فإنكم تحلّون بنت الخالة والعمة، والخالة والعمة عليكم حرام، فانكحوا بنات الأخت والأخ، فنزلت. يقول: يريدون أن تكونوا زناة مثلهم.

٢٨ ـ ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ بإحلال نكاح الأمة وغيره من الرخص. ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ لا يصبر عن الشهوات، وعلى مشاقّ الطاعات.

٢٩ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ بما لم تُبحه الشريعةُ من نحو السرقة، والخيانة، والغصب، والقِمار، وعقود الربا ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً﴾[1] إلا أن تقع تجارةٌ، ﴿تجارةً﴾ كوفي، أي: ﴿إلا أن تكون﴾ التجارة ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ صفة لتجارة، أي: تجارة صادرة عن تراض بالعقد، أو بالتعاطي. والاستثناء منقطع، معناه: ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض. أو: ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه. وخصّ التجارة بالذكر؛ لأنَّ أسبابَ الرزق أكثرها مُتعلِّق بها. والآية تدلُّ على جواز البيع بالتعاطي، وعلى جواز البيع الموقوف إذا وجدت الإجازة لوجود الرضا، وعلى نفي خيار المجلس؛ لأن فيها إباحة الأكل بالتجارة عن تراض من غير

---

(١) في الأصل المخطوط أثبتت قراءة: ﴿تجارةٌ﴾ وهي قراءة: نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر. معجم القراءات القرآنية (٢/ ١٢٦).

وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾

تقييد بالتفرق عن مكان العقد. والتقييد به زيادة على النَّصِّ ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ مَن كان مِن جنسكم من المؤمنين؛ لأن المؤمنين كنفس واحدة، أو: ولا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعضُ الجهلة، أو: معنى القتل: أكل الأموال بالباطل، فظالم غيره كمهلك نفسه، أو: لا تتبعوا أهواءها فتقتلوها، أو: تركبوا ما يوجب القتل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ ولرحمته بكم نبَّهكم على ما فيه صيانة أموالكم، وبقاء أبدانكم. وقيل: معناه: أنه أمر بني إسرائيل بقتلهم أنفسهم ليكون توبة لهم، وتمحيصاً لخطاياهم، و﴿كان بكم﴾ ياأمة محمد ﴿رحيماً﴾ حيث لم يكلِّفكم تلك التكاليف الصَّعبة.

٣٠ ـ ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: القتل، أي: ومن يقدم على قتل الأنفس ﴿عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا﴾ لا خطأ ولا قصاصاً، وهما مصدران في موضع الحال، أو مفعول لهما ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ ندخله ناراً مخصوصة، شديدة العذاب ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ أي: إصلاؤه النار ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ سهلاً. وهذا الوعيد في حقِّ المستحلِّ للتخليد، وفي حقِّ غيره لبيان استحقاقه دخول النار، مع وعد الله بمغفرته.

٣١ ـ ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: الكبائر: كلُّ ما نهى الله عنه من أول سورة النساء إلى قوله: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾ وعنه أيضاً: الكبائر ثلاث: الإشراك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله. وقيل: المراد به أنواع الكفر بدليل قراءة عبد الله (كبير ما تنهون عنه) وهو الكفر ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا﴾ مَدخلاً: مدني. وكلاهما بمعنى المكان والمصدر. ﴿كَرِيمًا﴾ حسناً. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الأمة ممَّا طَلَعَتْ عليه الشمس وغَرَبت ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [النساء: ٢٦] ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧] ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾

﴿يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ [النساء: ٢٨] ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ﴾ [النساء: ٣١] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠] ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ [النساء: ١١٠] ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ [النساء: ١٤٧] وتشبَّث المعتزلةُ بالآية على أن الصغائر واجبة المغفرة باجتناب الكبائر، وعلى أن الكبائر غيرُ مغفورة، باطل، لأنَّ الكبائر والصغائر في مشيئته تعالى سواء، إن شاء عذب عليهما، وإن شاء عفا عنهما؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] فقد وعد المغفرة لما دون الشرك، وقرنها بمشيئته تعالى. وقوله: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ فهذه الآية تدلُّ على أن الصغائر والكبائر يجوزُ أن يذهبا بالحسنات؛ لأن لفظَ السيئات ينطلقُ عليهما.

٣٢ ـ ولَمَّا كان أَخْذُ مال الغير بالباطل، وقَتْل النفس بغير حق، بتمني مال الغير وجاهه، نهاهم عن تمني ما فضَّل الله به بعضَ الناس على بعض من الجاه والمال بقوله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ لأن ذلك التفضيلَ قسمةٌ من الله، صادرة عن حكمة وتدبير وعلم بأحوال العباد، وبما ينبغي لكلِّ مَن بسط في الرزق، أو قبض. فعلى كلِّ واحد أن يرضى بما قسم له، ولا يحسد أخاه على حظِّه. فالحسدُ: أن يتمنى أن يكون ذلك الشيءُ له، ويزول عن صاحبه. والغبطة: أن يتمنَّى مثل ما لغيره. وهو مرخَّص فيه، والأوَّلُ منهيٌّ عنه. ولما قال الرجال: نرجو أن يكون أجرنا على الضعف من أجر النساء كالميراث، وقالت النساء: يكون وِزْرُنا على نصف وِزْر الرجال كالميراث، نزل: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ أي: ليس ذلك على حسب الميراث ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ فإنَّ خزائنه لا تنفد، ولا تتمنوا ما للناس من الفضل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ فالتفضيل منه عن علم بمواضع الاستحقاق. قال ابن عيينة: لم يأمر بالمسألة إلا ليعطي.

وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ

وفي الحديث: «من لم يسأل الله من فضله غضب عليه»[1]. وفيه: «إن الله تعالى يمسك الخير الكثير عن عبده، ويقول: لا أعطي عبدي حتى يسألني». «وسلوا»: مكي، وعليّ.

٣٣ ـ ﴿وَلِكُلٍّ﴾ المضاف إليه محذوف، تقديره: ولكل أحد، أو: ولكل مال ﴿جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ﴾ ورّاثاً يلونه ويحرزونه ﴿مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ هو صفة مال محذوف، أي: لكل مال ممّا تركه الوالدان. أو: هو متعلق بفعل محذوف دلَّ عليه الموالي، تقديره: يرثون مما ترك ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ عاقدتهم أيديكم. وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط، فوقع خبره، وهو ﴿فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾، مع الفاء. عقَدَت: كوفي. أي: عقدت عهودَهم أيمانكم. والمراد به عقد الموالاة، وهي مشروعة، والوراثة بها ثابتة عند عامة الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وهو قولنا. وتفسيره: إذا أسلم رجل أو امرأة لا وارث له، وليس بعربي؛ ولا معتق؛ فيقول لآخر: واليتك على أن تعقلني إذا جنيت، وترث مني إذا مت، ويقول الآخر: قبلت، انعقد ذلك، ويرث الأعلى من الأسفل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ أي: هو عالم الغيب والشهادة، وهو أبلغ وعد ووعيد.

٣٤ ـ ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ يقومون عليهن آمرين ناهين، كما يقوم الولاة على الرعايا، وسُمُّوا قوّاماً لذلك ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ الضمير في ﴿بعضهم﴾ للرجال والنساء، يعني: إنما كانوا مسيطرين عليهن لسبب تفضيل الله بعضهم ـ وهم الرجال ـ على بعض ـ وهم النساء ـ بالعقل، والعزم، والحزم، والرّمي، والقوّة، والغزو، وكمال الصوم والصلاة، والنبوّة، والخلافة، والإمامة، والأذان، والخطبة، والجماعة، والجمعة، وتكبير

(١) رواه ابن ماجه (٣٨٢٧).

وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾

التشريق عند أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ والشهادة في الحدود والقصاص، وتضعيف الميراث، والتعصيب فيه، وملك النكاح، والطلاق، وإليهم الانتساب، وهم أصحابُ اللِّحى والعمائم ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ وبأن نفقتهن عليهم، وفيه دليل وجوب نفقتهن عليهم. ثم قسمهن على نوعين، النوع الأول: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ﴾ مطيعات، قائمات بما عليهنَّ للأزواج ﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ لمواجب الغيب، وهو خلافُ الشهادة. أي: إذا كان الأزواجُ غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه في حال الغيبة من الفروج، والبيوت، والأموال. وقيل: ﴿للغيب﴾ لأسرارهم ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ بما حفظهن الله حين أوصى بهن الأزواج بقوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]. أو: بما حفظهنَّ الله، وعصمهن، ووفَّقهن لحفظ الغيب. أو: بحفظ الله إياهن حيث صيَّرهن كذلك. والثاني: ﴿وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ عصيانهن، وترفُّعهن عن طاعة الأزواج. والنَّشْز: المكان المرتفع. عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما: هو أن تستخفَّ بحقوق زوجها، ولا تطيع أمره. ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ خوِّفوهنَّ عقوبة الله تعالى، والضَّربَ. والعظة: كلام يلين القلوب القاسية، ويرغب الطبائع النَّافرة ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ﴾ في المراقد، أي: لا تداخلوهن تحت اللُّحُف. وهو كناية عن الجماع. أو: هو أن يوليها ظهره في المضجع؛ لأنه لم يقل عن المضاجع ﴿وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ ضرباً غير مبرح. أمر بوعظهن أوّلاً، ثم بهجرانهن في المضاجع، ثم بالضرب إن لم ينجع فيهن الوعظ والهِجْران ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾ بترك النشوز ﴿فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ فأزيلوا عنهن التعرّض بالأذى. و﴿سبيلاً﴾ مفعول تبغوا. وهو من: بغيت الأمر، أي: طلبته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ أي: إن علت أيديكم عليهن، فاعلموا أن قدرته عليكم أعظم من قدرتكم عليهن، فاجتنبوا ظلمهن. أو: ﴿إن الله كان علياً كبيراً﴾ وإنكم تعصونه على علو شأنه، وكبرياء سلطانه، ثم تتوبون فيتوب عليكم، فأنتم أحق بالعفو عمن يجنى عليكم إذا رجع.

وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا

٣٥ ـ ثم خاطب الولاة بقوله: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ﴾. أصله: شقاقاً بينهما، فأضيف الشقاق إلى الظرف على سبيل الاتساع، كقوله: ﴿ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ [سبأ: ٣٣] وأصله: بل مكر في الليل والنهار. والشقاق: العداوة والخلاف؛ لأن كلاّ منهما يفعل ما يشُقُّ على صاحبه، أو: يميل إلى شقّ، أي: ناحية غير شق صاحبه. والضمير للزوجين، ولم يجرِ ذكرهما لجري ذكر ما يدلُّ عليهما، وهو الرجال والنساء ﴿ فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ ﴾ رجلاً يصلح للحكومة والإصلاح بينهما ﴿ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ وإنما كان بعث الحكمين من أهلهما؛ لأنَّ الأقاربَ أعرفُ ببواطن الأحوال، وأطلبُ للصلاح، ونفوس الزوجين أسكنُ إليهم، فيبرزان ما في ضمائرهما من الحب، والبغض، وإرادة الصحبة والفرقة. والضمير في: ﴿ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا ﴾ للحكمين. وفي: ﴿ يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾ الضمير للزوجين، أي: إن قصدا إصلاح ذات البين، وكانت نيتهما صحيحة، بورك في وساطتهما، وأوقع الله بحسن سعيهما بين الزوجين الألْفة والوفاق، وألقى في نفوسهما المودّة والاتفاق. أو: الضميران للحكمين، أي: إن قصدا إصلاحَ ذات البين والنصيحة للزوجين، يوفق الله بينهما، فيتفقان على الكلمة الواحدة، ويتساندان في طلب الوفاق حتى يتمَّ المراد. أو: الضميران للزوجين، أي: إن يريدا إصلاحَ ما بينهما، وطلبا الخير، وأن يزول عنهما الشقاق، يُلْقِ الله بينهما الأُلْفة، وأبدلهما بالشقاق الوفاق، وبالبغضاء المودّة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا ﴾ بإدارة الحكمين ﴿ خَبِيرًا ﴾ بالظالم من الزوجين. وليس لهما ولاية التفريق خلافاً لمالك ـ رحمه الله ـ.

٣٦ ـ ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ قيل: العبودية أربعة: الوفاء بالعهود، والرضا بالموجود، والحفظ للحدود، والصبر على المفقود ﴿ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ صنماً وغيره. ويحتمل المصدر، أي: إشراكاً ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ وأحسنوا

وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ

بهما إحساناً بالقول، والفعل، والإنفاق عليهما عند الاحتياج ﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ وبكلّ من بينكم وبينه قربى من أخ، أو عم، أو غيرهما ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ الذي قرب جواره ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ أي: الذي جواره بعيد. أو: الجار: القريب النسيب، والجار الجنب: الأجنبي ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ أي: الزوجة، عن عليّ ـ رضي الله عنه ـ: أو الذي صحبك بأن حصل بجنبك، إما رفيقاً في سفر، أو شريكاً في تعلُّم علم، أو غيره، أو قاعداً إلى جنبك في مجلس أو مسجد ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ الغريب، أو الضيف ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ العبيد، والإماء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا﴾ متكبراً يأنف عن قرابته وجيرانه، فلا يلتفت إليهم ﴿فَخُورًا﴾ يعدِّد مناقبه كبراً. فإن عدَّها اعترافاً كان شكوراً.

٣٧ ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ نصب على البدل من ﴿من كان مختالاً فخوراً﴾. وجمع على معنى مَن، أو على الذم، أو رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره: هم ﴿الذين يبخلون﴾ ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ بالبَخَل: حمزة، وعليّ، وهما لغتان كالرُّشْد والرَّشَد. أي: يبخلون بذات أيديهم، وبما في أيدي غيرهم، فيأمرونهم بأن يبخلوا به مقتاً للسَّخاء. قيل: البخل أن يأكل بنفسه، ولا يُؤكل غيره. والشح: ألا يأكل ولا يؤكل. والسخاء: أن يأكل ويؤكل. والجود: أن يؤكل ولا يأكل ﴿وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ ويخفون ماأنعم الله عليهم به من المال، وسعة الحال. وفي الحديث: «إذا أنعم الله على عبده نعمة أحب أن يرى نعمته على عبده»[(١)]. وبنى عاملٌ للرشيد قصراً حذاء قصره، فنُمّ به. فقال الرجل: ياأمير المؤمنين!

---

(١) رواه الترمذي (٢٨١٩) بلفظ: «إن الله يحب أن يرى أَثَر نعمته على عبده».

وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾

إن الكريمَ يسرُّه أن يرى أثر نعمته، فأحببت أن أسُرَّك بالنظر إلى آثار نعمتك. فأعجبه كلامه. وقيل: نزلت في شأن اليهود الذين كتموا صفة محمد ﷺ ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ أي: يهانون به في الآخرة.

٣٨ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ معطوف على الذين يبخلون، أو: على الكافرين ﴿رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ مفعول له، أي: للفخار، وليقال: ما أجودهم! لا لابتغاء وجه الله. وهم المنافقون، أو مشركو مكة ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾ حيث حملهم على البخل والرياء وكلِّ شر. ويجوزُ أن يكون وعيداً لهم بأن الشَّيطانَ يُقْرَنُ بهم في النار.

٣٩ ـ ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ وأيّ تبعة ووبال عليهم في الإيمان، والإنفاق في سبيل الله. والمراد: الذم والتوبيخ، وإلا فكلُّ منفعة ومصلحة في ذلك. وهذا كما يقال للعاق: ما ضرَّك لو كنتَ باراً؟! وقد علم أنه لا مَضرَّة في البرِّ، ولكنه ذمّ وتوبيخ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ وعيد.

٤٠ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ هي: النملة الصغيرة. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أنه أدخل يده في التراب، فرفعه، ثم نفخ فيه، فقال: كل واحدة من هؤلاء ذرة. وقيل: كل جزء من أجزاء الهباء في الكون ذرة ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً﴾ وإن تك مثقال الذرة حسنة. وإنما أنّث ضمير المثقال لكونه مضافاً إلى مؤنّث. ﴿حَسَنَةٌ﴾: حجازي على كان التامة. وحذفت النون من تكن تخفيفاً لكثرة الاستعمال ﴿يُضَٰعِفْهَا﴾ يضاعف ثوابها. ﴿يضعِّفها﴾: مكي، وشامي ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ويُعْطِ صاحبها من عنده ثواباً عظيماً. وما وصفه الله بالعظم فمن يعرف مقداره مع أنه سمَّى متاع الدنيا

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾

قليلاً؟! وفيه إبطال قول المعتزلة في تخليد مرتكب الكبيرة، مع أن له حسنات كثيرة.

٤١ ـ ﴿فَكَيْفَ﴾ يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم ﴿إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ يشهد عليهم بما فعلوا، وهو نبيُّهم. ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: أمتك ﴿شَهِيدًا﴾ حال، أي: شاهداً على مَن آمن بالإيمان، وعلى مَن كفر بالكفر، وعلى مَن نافق بالنفاق. وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: أنه قرأ سورة النساء على رسول الله ﷺ حتى بلغ قوله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ فبكى رسولُ الله ﷺ، وقال: «حسبنا»[1].

٤٢ ـ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرف لقوله: ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالله ﴿وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ لو يدفنون فتسوَّى بهم الأرض كما تسوَّى بالموتى. أو: يودون أنهم لم يبعثوا، وأنهم كانوا والأرض سواء. أو: تصير البهائم تراباً فيودُّون حالها ﴿تَسْوى﴾ بفتح التاء وتخفيف السين والإمالة وحذف إحدى التاءين من: تتسوى، حمزة وعليّ. ﴿تَسَوَّى﴾ بإدغام التاء في السين: مدني، وشامي ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ مستأنف، أي: ولا يقدرون على كتمانه؛ لأنَّ جوارحهم تشهدُ عليهم.

٤٣ ـ لما صنع عبد الرحمن بن عوف طعاماً وشراباً، ودعا نفراً من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ حين كانت الخمرُ مباحةً، فأكلوا وشربوا، فقدَّموا أحدهم ليصلي بهم المغرب، فقرأ: قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون وأنتم عابدون ما أعبد، نزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾. أي: لا تقربوها في هذه الحالة ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ أي: تقرؤون. وفيه دليلٌ على أنَّ رِدّة السكران ليست بِردة؛ لأن قراءة سورة الكافرين بطرح اللامات كفر،

(١) رواه أحمد (١/ ٣٨٠) والبخاري (٤٥٨٢) ومسلم (٨٠٠).

﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾

ولم يحكم بكفره حتى خاطبهم باسم الإيمان. وما أمر النبيُّ عليه الصلاة والسلام بالتفريق بينه وبين امرأته، ولا بتجديد الإيمان، ولأنَّ الأمة اجتمعت على أنَّ من أجرى كلمة الكفر على لسانه مخطئاً لا يُحكم بكفره ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ عطف على ﴿وأنتم سكارى﴾ لأنَّ محلَّ الجملة مع الواو النصب على الحال، كأنه قيل: لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنباً، أي: ولا تصلُّوا جنباً. والجنب يستوي فيه الواحد والجمع، والمذكر والمؤنث؛ لأنه اسمٌ جرى مجرى المصدر الذي هو الإجناب ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ صفة لقوله: «جنباً»، أي: لا تقربوا الصلاة جنباً غير عابري سبيل، أي: جنباً مقيمين غير مسافرين، والمراد بالجنب: الذين لم يغتسلوا، كأنه قيل: لا تقربوا الصلاة غير مغتسلين ﴿حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾. أي: إلا أن تكونوا مسافرين عادمين الماء متيممين. عبَّر عن المتيمم بالمسافر؛ لأنَّ غالبَ حاله عدمُ الماء. وهذا مذهب أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ وهو مروي عن عليّ ـ رضي الله عنه ـ وقال الشافعي ـ رحمه الله ـ: ﴿لا تقربوا الصلاة﴾ أي: مواضع الصلاة، وهي: المساجد ﴿ولا جنباً﴾ أي: ولا تقربوا المسجد جنباً ﴿إلا عابري سبيل﴾ إلا مجتازين فيه. فيجوز للجنب العبور في المسجد عند الحاجة ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾ أي: المطمئن من الأرض، وكانوا يأتونه لقضاء الحاجة، فكنى به عن الحدث ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ جامعتموهن. كذا عن عليّ ـ رضي الله عنه ـ وابن عباس ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ فلم تقدروا على استعماله لعدمه، أو بعدِه، أو فقد آلة الوصول إليه، أو لمانع من حية، أو سبع، أو عدو ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ أدخل في حكم الشرط أربعة، وهم: المرضى، والمسافرون، والمحدثون، وأهل الجنابة. والجزاء الذي هو الأمر بالتيمم يتعلَّق بهم جميعاً. فالمرضى إذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول إليه، والمسافرون إذا عدموه لبعده، والمحدثون وأهل الجنابة إذا لم يجدوه [لبعض الأسباب][1].

(١) ما بين حاصرتين من المطبوع.

صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن

فلهم أن يتيمموا. ﴿لمستم﴾ حمزة وعلي. ﴿صَعِيدًا﴾ قال الزجاج: هو وجه الأرض، تراباً كان أو غيره، وإن كان صخراً لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده ومسح، لكان ذلك طهوره. و﴿من﴾ في سورة المائدة لابتداء الغاية لا للتبعيض ﴿طَيِّبًا﴾ طاهراً ﴿فَٱمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ قيل الباء زائدة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا﴾ بالترخيص، والتيسير﴿غَفُورًا﴾ عن الخطأ والتقصير.

٤٤ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ من رؤية القلب. وعدّي بإلى على معنى: ألم ينته علمك إليهم. أو: بمعنى: ألم تنظر إليهم ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ حظاً من علم التوراة، وهم: أحبارُ اليهود ﴿يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ يستبدلونها بالهدى، وهو: البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله ﷺ، وأنه هو النبيُّ العربيُّ المبشَّر به في التوراة والإنجيل ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا﴾ أنتم أيها المؤمنون ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾ أي: سبيل الحق كما ضلّوه.

٤٥ ـ ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾ منكم ﴿بِأَعْدَآئِكُمْ﴾ وقد أخبركم بعداوة هؤلاء فاحذروهم، ولا تستنصحوهم في أموركم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا﴾ في النفع ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ في الدفع. فثقوا بولايته، ونُصْرته دونهم. أو: لا تبالوا بهم، فإن الله ينصركم عليهم، ويكفيكم مكرهم. «ولياً» و«نصيراً» منصوبان على التمييز، أو على الحال.

٤٦ ـ ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا﴾ بيان للذين أوتوا نصيباً من الكتاب، أو: بيان لأعدائكم. وما بينهما اعتراض. أو: يتعلق بقوله «نصيراً»، أي: ينصركم ﴿من الذين هادوا﴾ كقوله: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [الأنبياء: ٧٧]. أو: يتعلق بمحذوف تقديره: ﴿من الذين هادوا﴾ قوم ﴿يحرفون الكلم﴾. فقوم: مبتدأ، ويحرفون: صفة له، والخبر من الذين هادوا مقدَّم عليه، وحذف الموصوف وهو «قوم»، وأقيم صفته، وهو: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن

﴿مَوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ﴾

﴿مَوَاضِعِهِۦ﴾ يميلونه عنها، ويزيلونه؛ لأنهم إذا بدلوه ووضعوا مكانه كَلِماً غيره، فقد أمالوه عن مواضعه في التوراة؛ التي وضعه الله تعالى فيها، وأزالوه عنها. وذلك نحو تحريفهم: «أسمر ربعة» عن موضعه في التوراة بوضعهم: «آدم طويل» مكانه. ثم ذكر هنا ﴿عن مواضعه﴾ وفي المائدة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ٤١]. فمعنى عن مواضعه على ما بينا من إزالته عن مواضعه؛ التي أوجبت حكمة الله وضعه فيها؛ بما اقتضت شهواتهم من إبدال غيره مكانه. ومعنى ﴿من بعد مواضعه﴾ أنه كانت له مواضع هو جدير بأن يكون فيها، فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقارّه. والمعنيان متقاربان ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك. قيل: أسرّوا به ﴿وَاسْمَعْ﴾ قولنا ﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ حال من المخاطب، أي: اسمع وأنت غير مسمع. وهو قولٌ ذو وجهين يحتمل الذم. أي: اسمع منّا مدعوّاً عليك بلا سمعت؛ لأنه لو أُجيبت دعوتُهم عليه لم يسمعْ شيئاً، فكان أصم غير مسمع. قالوا ذكل اتكالاً على أنَّ قولهم: لا سمعت، دعوة مستجابة. أو: اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه. ومعناه: غير مسمع جواباً يوافقك، فكأنك لم تسمعْ شيئاً. أو: اسمع غير مسمع كلاماً ترضاه، فسمعك عنه ناب. ويحتمل المدح، أي: اسمع غير مسمع مكروهاً، من قولك: أسمع فلان فلاناً: إذا سبّه ﴿وَرَاعِنَا﴾ يحتمل راعنا: نكلمك، أي: ارقبنا، وانتظرنا. ويحتمل شبه كلمة عبرانية، أو سريانية كانوا يتسابون بها، وهي «راعينا» فكانوا سخرية بالدين، وهزؤاً برسول الله ﷺ يكلمونه بكلام محتمل، ينوون به الشتيمة، والإهانة، ويظهرون به التوقير، والإكرام ﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ فتلاً بها. وتحريفاً، أي: يفتلون بألسنتهم الحق إلى الباطل، حيث يضعون ﴿راعنا﴾ موضع «انظرنا» و﴿غير مسمع﴾ موضع: «لا أسمعت مكروهاً» أو يفتلون بألسنتهم ما يضمرونه من الشتم إلى ما يظهرونه من التوقير نفاقاً ﴿وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ هو قولهم: لو كان نبياً حقاً لأخبر بما نعتقد فيه ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ ولم يقولوا: ﴿وَعَصَيْنَا﴾ ﴿وَاسْمَعْ﴾ ولم يلحقوا به ﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾

وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ

﴿وَانظُرْنَا﴾ مكان ﴿راعنا﴾ ﴿لَكَانَ﴾ قولهم ذاك ﴿خَيْرًا لَّهُمْ﴾ عند الله ﴿وَأَقْوَمَ﴾ وأعدل، وأسدّ ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ طردهم، وأبعدهم عن رحمته بسبب اختيارهم الكفر ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم قد آمنوا كعبد الله بن سلام وأصحابه. أو: إلا إيماناً قليلاً ضعيفاً لا يعبأ به، وهو إيمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره.

٤٧ ـ ولما لم يؤمنوا نزل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا﴾ يعني: القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾ يعني: التوراة. ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾ أي: نمحو تخطيط صورها من عين، وحاجب، وأنف، وفم ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا﴾ فنجعلها على هيئة أدبارها، وهي الأقفاء مطموسة مثلها. والفاء للتسبيب. وإن جعلتها للتعقيب على أنهم تُوُعِّدوا بعقابين أحدهما عقيب الآخر، رَدُّها على أدبارها بعد طمسها، فالمعنى: أن نطمس وجوهاً فننكس الوجوه إلى خلف، والأقفاء إلى قدام. وقيل: المراد بالطمس: القلب والتغيير، كما طمس أموال القبط فقلبها حجارة، وبالوجوه: رؤوسهم ووجهاؤهم. أي: من قبل أن نغير أحوال وجهائهم، فنسلبهم إقبالهم، ووجاهتهم، ونكسوهم صغارهم، وإدبارهم ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ أي: نُخزيهم بالمسخ كما مسخنا أصحاب السبت. والضمير يرجع إلى الوجوه إن أريد الوجهاء، أو: إلى الذين أوتوا الكتاب على طريقة الالتفات. والوعيد كان معلقاً بألا يؤمن كلهم، وقد آمن بعضهم، فإنَّ ابن سلام قد سمع الآية قافلاً من الشام، فأتى النبيَّ ﷺ مُسْلِماً قبل أن يأتي أهله، وقال: ما كنت أرى أن أصلَ إلى أهلي قبل أن يطمسَ الله وجهي. أو: أن الله تعالى أوعدهم بأحد الأمرين بطمس الوجوه، أو بلعنهم. فإن كان الطمس تبدل أحوال رؤسائهم فقد كان أحد الأمرين، وإن كان غيره فقد حصل اللعن، فإنهم ملعونون بكل لسان. وقيل: هو منتظر في اليهود ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي: المأمور به، وهو العذاب، الذي وعدوا به

مَفۡعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾

﴿مَفۡعُولًا﴾ كائناً لا محالة، فلا بُدَّ أن يقعَ أحدُ الأمرين إن لم يؤمنوا.

٤٨ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ إن مات عليه ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: ما دون الشرك، وإن كان كبيرة مع عدم التوبة. والحاصل: أن الشرك مغفور عنه بالتوبة، وأنَّ وَعْد غفران ما دونه لمن لم يتب، أي: لا يغفر لمن يشرك وهو مشرك، ويغفر لمن يذنب وهو مذنب. قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام: «من لقي الله تعالى لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ولم تضره خطيئته»[1]. وتقييده بقوله: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ لا يخرجه عن عمومه، كقوله: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ [الشورى: ١٩]. قال عليّ ـ رضي الله عنه ـ: ما في القرآن آية أحبّ إليّ من هذه الآية. وحَمْلُ المعتزلة على التائب، باطل؛ لأنّ الكفرَ مغفورٌ عنه بالتوبة؛ لقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨] فما دونه أولى أن يغفر التوبة. والآية سيقت لبيان التفرقة بينهما. وذا فيما ذكرنا ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ كذب كذباً عظيماً استحقَّ به عذاباً أليماً.

٤٩ ـ ونزل فيمن زكّى نفسه من اليهود والنصارى، حيث قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، وقالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ ويدخلُ فيها كلُّ مَن زكّى نفسه، ووصفها بزكاء العمل، وزيادة الطاعة، والتقوى ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ إعلام بأن تزكية الله هي التي يعتدُّ بها، لا تزكية غيره؛ لأنه هو العالم بمن هو أهل للتزكية. ونحوه: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]. ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ﴾ أي: الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تزكية أنفسهم حق جزائهم، أو من يشاء يثابون على زكائهم، ولا ينقص من ثوابهم ﴿فَتِيلًا﴾ قدر فتيل، وهو: ما يحدث بفتل الأصابع من الوسخ.

---

(١) رواه أحمد (٢ / ١٧٠ـ ٣٦٢).

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ﴾

٥٠ ـ ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ في زعمهم أنهم عند الله أزكياء ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ﴾ بزعمهم هذا ﴿إِثْمًا مُّبِينًا﴾ من بين سائر آثامهم.

٥١ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: اليهود ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ﴾ أي: الأصنام، وكلّ ما عبدوه من دون الله ﴿وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ الشيطان ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾ وذلك أن حيي بن أخطب، وكعب بن الأشرف اليهوديين خرجا إلى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشاً على محاربة رسول الله ﷺ، فقالوا: أنتم أهل الكتاب، وأنتم إلى محمد أقرب منا، وهو أقربُ منكم إلينا، فلا نأمن مكركم، فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم. ففعلوا. فهذا إيمانُهم بالجبت والطاغوت؛ لأنهم سجدوا للأصنام، وأطاعوا إبليس عليه اللعنة فيما فعلوا. فقال أبو سفيان: أنحن أهدى سبيلاً أم محمد؟ فقال كعب: أنتم أهدى سبيلاً.

٥٢ ـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أبعدهم من رحمته ﴿وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ يعتدّ بنصره.

٥٣ ـ ثم وصف اليهود بالبخل والحسد، وهما من شرِّ الخصال، يمنعون مالهم، ويتمنون ما لغيرهم، فقال: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾ فـ «أم» منقطعة، ومعنى الهمزة: الإنكار أن يكون لهم نصيبٌ من الملك ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ أي: لو كان لهم نصيب من الملك ـ أي: ملك أهل الدنيا، أو ملك الله ـ فإذاً لا يؤتون أحداً مقدارَ نقير لفرط بخلهم. والنقير: النقرة في ظهر النواة. وهو مثل في القلّة كالفتيل.

٥٤ ـ ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ بل أيحسدون رسول الله

فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾

ﷺ والمؤمنين، على إنكار الحسد واستقباحه. وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم اللهُ من النصرة، والغلبة، وازدياد العز، والتقدم كلَّ يوم ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: التوراة ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ الموعظة، والفقه ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ يعني: ملك يوسف، وداود، وسليمان عليهم السلام. وهذا إلزامٌ لهم بما عرفوه من إيتاء الله الكتاب والحكمة آل إبراهيم الذين هم أسلاف محمد ﷺ، وأنه ليس ببدع أن يؤتيه الله مثل ما أُوتي أسلافه.

٥٥ ـ ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ فمن اليهود من آمن بما ذكر من حديث آل إبراهيم ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾ وأنكره مع علمه بصحته. أو: من اليهود من آمن برسول الله ﷺ، ومنهم من أنكر نبوته، وأعرض عنه ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ للصَّادِّين.

٥٦ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ﴾ ندخلهم ﴿نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم﴾ أحرقت ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ أعدنا تلك الجلود غير محترقة، فالتبديل والتغيير لتغاير الهيئتين، لا لتغاير الأصليين عند أهل الحق، خلافاً للكرامية. وعن فضيل: يجعل النضيج غير نضيج ﴿لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ ليدوم لهم ذوقه، ولا ينقطع، كقولك للعزيز: أعزك الله، أي: أدامك على عزك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ غالباً بالانتقام، لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين. ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يفعل بالكافرين.

٥٧ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ من الأنجاس، والحيض، والنِّفاس. ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ هو صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه، كما يقال: ليل أليل،

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ

وهو ما كان طويلاً فَيْناناً: لا جُوَب فيه، ودائماً لا تنسخه الشمس، وسَجْسَجاً لا حرَّ فيه ولا برد. وليس ذلك إلا ظل الجنة.

٥٨ ـ ثمَّ خاطب الولاة بأداء الأمانات، والحكم بالعدل بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾. وقيل: قد دخل في هذا الأمر أداء الفرائض التي هي أمانة الله تعالى؛ التي حملها الإنسان، وحفظ الحواس التي هي ودائع الله تعالى. ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ قضيتم. ﴿أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ بالسوية، والإنصاف. وقيل: إنَّ عثمان بن طلحة بن عبد الدار كان سادن الكعبة، وقد أخذ رسولُ الله ﷺ منه مفتاحَ الكعبة. فلما نزلت الآية أمر علياً ـ رضي الله عنه ـ بأن يردَّه إليه، وقال رسولُ الله ﷺ: «لقد أنزل الله في شأنك قرآناً» و قرأ عليه الآية. فأسلم عثمان. فهبط جبريل عليه السلام وأخبر رسول الله ﷺ أن السِّدانة في أولاد عثمان أبداً[1] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾ «ما» نكرة منصوبة موصوفة بـ: يعظكم به، كأنه قيل: نعم شيئاً يعظكم به. أو: موصولة مرفوعة المحل صلتها ما بعدها، أي: نعم الشيء الذي يعظكم به. والمخصوص بالمدح محذوف، أي: نعما يعظكم به ذاك. وهو المأمورُ به من أداء الأمانات، والعدل في الحكم. وبكسر النون وسكون العين، مدني، وأبو عمرو. وبفتح النون وكسر العين، شامي، وحمزة، وعليّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا﴾ لأقوالكم ﴿بَصِيرٗا﴾ بأعمالكم.

٥٩ ـ ولما أمر الولاة بأداء الأمانات والحكم بالعدل أمر الناس بأن يطيعوهم بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ أي: الولاة، أو: العلماء؛ لأن أمرهم ينفذ على الأمراء ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ﴾ فإن اختلفتم أنتم وأولو الأمر في شيء من أمور الدين ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ أي:

---

(١) قال ابن حجر: هكذا ذكره الثعلبي ثم البغوي بغير إسناد، وذكره الواحدي في الوسيط والأسباب. انظر: حاشية الكشاف (١/ ٥٢٣).

إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ

ارجعوا فيه إلى الكتاب والسنة ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ أي: إن الإيمان يوجب الطاعة دون العصيان. ودلَّت الآيةُ على أن طاعةَ الأمراء واجبةٌ إذا وافقوا الحق، فإذا خالفوه فلا طاعة لهم؛ لقوله ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[1]. وحُكي أنَّ مسلمةَ بن عبدالملك بن مروان قال لأبي حازم: ألستم أُمرتم بطاعتنا بقوله ﴿وأولي الأمر منكم﴾؟ فقال أبو حازم: أليس قد نزعت الطاعة عنكم إذا خالفتم الحق بقوله: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾؟ أي: القرآن والرسول في حياته، وإلى أحاديثه بعد وفاته ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الردِّ. أي: الرد إلى الكتاب والسنة ﴿خَيْرٌ﴾ عاجلاً ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ عاقبة.

٦٠ ـ كان بين بشر المنافق ويهودي خصومة، فدعاه اليهودي إلى النبي ﷺ لعلمه أنه لا يرتشي، ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف ليرشُوَه. فاحتكما إلى النبي ﷺ، فقضى لليهودي، فلم يرض المنافق، وقال: تعال نتحاكم إلى عمر. فقال اليهودي لعمر ـ رضي الله عنه ـ: قضى لي رسول الله ﷺ فلم يرض بقضائه، فقال عمر للمنافق: أكذلك؟ قال: نعم. فقال عمر: مكانكما حتى أخرج إليكما. فدخل عمر فأخذ سيفه، ثم خرج فضرب به عنق المنافق. فقال: هكذا أقضي لمن لم يرضَ بقضاء الله ورسوله. فنزل: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون﴾. وقال جبريل عليه السلام: إن عمر فرّق بين الحق والباطل، فقال له رسول الله ﷺ: «أنت الفاروق»[2] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ﴾ حال من الضمير في ﴿يزعمون﴾ ﴿أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ أي: كعب بن الأشرف. سمّاه الله طاغوتاً لإفراطه في الطغيان، وعداوة رسول الله ﷺ. أو: على التشبيه بالشيطان. أو جعل اختيار

(١) رواه أحمد (١/٤٠٩) و (٥/٦٦).

(٢) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص ١٠٧ ـ ١٠٨).

وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾

التحاكم إلى غير الله على التحاكم إليه تحاكماً إلى الشيطان، بدليل قوله: ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ﴾ عن الحق ﴿ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ مستمراً إلى الموت.

٦١ ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ للمنافقين. ﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ للتحاكم ﴿رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ يعرضون عنك إلى غيرك ليغروه بالرشوة، فيقضي لهم.

٦٢ ـ ﴿فَكَيْفَ﴾ تكون حالهم، وكيف يصنعون؟ ﴿إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾ من قتل عمر بشراً ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من التحاكم إلى غيرك، واتهامهم لك في الحكم ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾ أي: أصحاب القتيل من المنافقين ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ حال ﴿إِنْ أَرَدْنَآ﴾ ما أردنا بتحاكمنا إلى غيرك ﴿إِلَّآ إِحْسَٰنًا﴾ لا إساءة ﴿وَتَوْفِيقًا﴾ بين الخصمين، ولم نرد مخالفة لك، ولا تسخطاً لحكمك. وهذا وعيدٌ لهم على فعلهم، وأنهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم، ولا يغني عنهم الاعتذار. وقيل: جاء أولياء المنافق يطلبون بدمه، وقد أهدره الله، فقالوا: ما أردنا بالتحاكم إلى عمر إلا أن يحسن إلى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه، وما خطر ببالنا أنه يحكم له بما حكم به.

٦٣ ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ فأعرض عن قبول الأعذار، وعظ بالزجر والإنكار، وبالغ في وعظهم بالتخويف والإنذار. أو: أعرض عن عقابهم، وعظهم في عتابهم، وبلغ كنه ما في ضميرك من الوعظ بارتكابهم. والبلاغة: أن يبلغ بلسانه كنه ما في جنانه. و﴿في أنفسهم﴾ يتعلق بـ: قل لهم، أي: ﴿قل لهم في﴾ معنى ﴿أنفسهم﴾ الخبيثة وقلوبهم المطوية على

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ

النفاق ﴿قولاً بليغاً﴾ يبلغ منهم ويؤثر فيهم.

٦٤ ـ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ﴾ أي: رسولاً قط ﴿إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بتوفيقه في طاعته وتيسيره. أو: بسبب إذن الله في طاعته، وبأنه أمر المبعوث إليهم بأن يطيعوه؛ لأنه مؤدٍّ عن الله، فطاعته طاعة الله ﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بالتحاكم إلى الطاغوت ﴿جَآءُوكَ﴾ تائبين من النفاق، معتذرين عما ارتكبوا من الشقاق ﴿فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ من النفاق والشقاق ﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ بالشفاعة لهم. والعامل في ﴿إذ ظلموا﴾ خبر أنَّ وهو ﴿جاؤوك﴾. والمعنى: ولو وقع مجيئهم في وقت ظلمهم مع استغفارهم واستغفار الرسول. ﴿لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا﴾ لعلموه تواباً، أي: لتاب عليهم. ولم يقل: واستغفرت لهم، وعدل عنه إلى طريقة الالتفات تفخيماً لشأنه ﷺ، وتعظيماً لاستغفاره، وتنبيهاً على أن شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان. ﴿رَّحِيمًا﴾ بهم. قيل: جاء أعرابي بعد دفنه ﷺ فرمى بنفسه على قبره، وحثا من ترابه على رأسه، وقال: يا رسول الله! قلت فسمعنا، وكان فيما أنزل عليك ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم...﴾ الآية وقد ظلمتُ نفسي، وجئتك أستغفر الله من ذنبي، فاستغفر لي من ربي. فنُودِي من قبره: قد غفر لك!

٦٥ ـ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ أي: فوربك، كقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ﴾ [الحجر: ٩٢] و«لا» مزيدة لتأكيد معنى القسم. وجواب القسم ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أو: التقدير ﴿فلا﴾ أي: ليس الأمر كما يقولون، ثم قال: ﴿وربك لا يؤمنون﴾ ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ فيما اختلف بينهم واختلط، ومنه: الشجر؛ لتداخل أغصانه ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ ضيقاً ﴿مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ أي: لا تضيق صدورهم من حكمك، أو شكّاً؛ لأن الشاك في ضيق من أمره

وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَـٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّـَٔاتَيْنَـٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَـٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ

حتى يلوح له اليقين ﴿وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ وينقادوا لقضائك انقياداً، وحقيقته: سلم نفسه له وأسلمها، أي: جعلها سالمة له، أي: خالصة. و﴿تسليماً﴾ مصدر مؤكد للفعل بمنزلة تكريره، كأنه قيل: وينقادوا لحكمك انقياداً لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم. والمعنى: لا يكونون مؤمنين حتى يرضوا بحكمك وقضائك.

٦٦ ـ ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ على المنافقين، أي: ولو وقع كتبنا عليهم ﴿أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟﴾ أن هي المفسرة ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ أي: تعرَّضوا للقتل بالجهاد، أو: ولو أوجبنا عليهم مثل ما أوجبنا على بني إسرائيل من قتلهم أنفسهم ﴿أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَـٰرِكُم﴾ بالهجرة ﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾ لنفاقهم، والهاء: ضمير أحد مصدري الفعلين، وهو: القتل، أو الخروج، أو: ضمير المكتوب لدلالة كتبنا عليه ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ (قليلاً): شامي، على الاستثناء، والرفع على البدل من واو «فعلوه» ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ من اتباع رسول الله ﷺ، والانقياد لحكمه ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ في الدارين ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ لإيمانهم، وأبعد عن الاضطراب فيه.

٦٧ ـ ﴿وَإِذًا﴾ جواب لسؤال مقدر، كأنه قيل: وما ذا يكون لهم بعد التثبيت؟ فقيل: ﴿وإذاً﴾ لو ثبتوا ﴿لَّـَٔاتَيْنَـٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: ثواباً كثيراً لا ينقطع.

٦٨ ـ ﴿وَلَهَدَيْنَـٰهُمْ صِرَٰطًا﴾ مفعول ثان ﴿مُّسْتَقِيمًا﴾ أي: لثبتناهم على الدِّين الحق.

٦٩ ـ ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ كأفاضل صحابة الأنبياء. والصديق: المبالغ في صدْق ظاهره بالمعاملة، وباطنه بالمراقبة. أو: الذي يصدق قوله بفعله ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ والذين استشهدوا

وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ

في سبيل الله ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ومن صلحت أحوالهم، وحسنت أعمالهم ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ أي: وما أحسن أولئك رفيقاً! وهو كالصديق، والخليط في استواء الواحد، والجمع فيه.

٧٠ ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ، خبره ﴿ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أو: الفضل صفته و(من الله) خبره. والمعنى: أن ما أعطى المطيعون من الأجر العظيم، ومرافقة المنعم عليهم، من الله؛ لأنه تفضّل به عليهم. أو: أراد أن فضل المنعم عليهم ومزيّتهم من الله ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا﴾ بعباده، وبمن هو أهل الفَضْل. ودلَّتِ الآيةُ على أنَّ ما يفعل الله بعباده فهو فضل منه، بخلاف ما يقوله المعتزلة.

٧١ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ الحِذْر والحَذَر بمعنى، وهو: التَّحَرُّز، وهما كالإثر والأثر. يقال: أخذ حذره؛ إذا تيقظ، واحترز من المخوف، كأنه جَعَل الحذر آلته التي بقي بها نفسه، ويعصم بها روحه. والمعنى: احذروا واحترزوا من العدو ﴿فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ﴾ فاخرجوا إلى العدو جماعات متفرقة سريّة بعد سَريّة. فالثبات: الجماعات، واحدها: ثُبَة ﴿أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا﴾ أي: مجتمعين، أو مع النبي ﷺ؛ لأن الجمع بدون السمع لا يتم، والعقد بدون الواسطة لا ينتظم. أو: ﴿انفروا ثبات﴾ إذا لم يعم النفير ﴿أو انفروا جميعاً﴾ إذا عَمَّ النفير. و«ثبات» حال، وكذا «جميعاً».

٧٢ ـ واللام في: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن﴾ للابتداء بمنزلتها في إن الله لغفور، ومن موصولة ﴿لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ اللام جواب قسم محذوف، تقديره: وإن منكم لمن أقسم بالله ليبطئن. والقسم وجوابه صلة مَن. والضمير الراجع منها إليه ما استكن في ﴿ليبطئن﴾ أي: ليتثاقلن، وليتخلفن عن الجهاد. وبطؤ بمعنى: أبطأ، أي: تأخر. ويقال: ما بطؤ بك، فيتعدّى بالباء. والخطاب لعسكر رسول الله ﷺ. وقوله ﴿منكم﴾ أي: الظاهر دون الباطن، يعني: المنافقين، يقولون: لم تقتلون أنفسكم، تأنوْا حتى يظهر الأمر ﴿فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ قتل، أو هزيمة

قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

﴿قَالَ﴾ المبطِّىء ﴿قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾ حاضراً، فيصيبني مثل ما أصابهم.

٧٣ ـ ﴿وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فتح، أو غنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ هذا المبطىء متلهفاً على ما فاته من الغنيمة، لا طلباً للمثوبة ﴿كَأَن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي: كأنه ﴿لَّمْ تَكُنۢ﴾[1] وبالياء، مكي، وحفص ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ﴾ وهي اعتراضٌ بين الفعل، وهو ﴿ليقولن﴾ وبين مفعوله، وهو ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ﴾ والمعنى: كأن لم يتقدَّم له معكم موادة؛ لأنَّ المنافقين كانوا يوادُّون المؤمنين في الظاهر، وإن كانوا يبغون لهم الغوائل[2] في الباطن ﴿فَأَفُوزَ﴾ بالنصيب؛ لأنه جواب التَّمني ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾ فآخذ من الغنيمة حظاً وافراً.

٧٤ ـ ﴿۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ﴾ يبيعون ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ والمراد: المؤمنون الذين يستحبون الحياة الآجلة على العاجلة، ويستبدلونها بها. أي: إن صدّ الذين مرضت قلوبهم، وضعفت نياتهم عن القتال، فليقاتل الثابتون المخلصون. أو: يشترون. والمراد: المنافقون الذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة. وعظوا بأن يغيِّروا ما بهم من النفاق، ويخلصوا الإيمان بالله ورسوله، ويجاهدوا في سبيل الله حقَّ جهاده ﴿وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وعد الله المقاتل في سبيل الله ظافراً، أو مظفوراً به إيتاء الأجر العظيم على اجتهاده في إعزاز دين الله.

---

(١) في الأصل المخطوط أثبتت قراءة: ﴿يَكُن﴾. وهي قراءة: نافع، وأبي عمرو، وابن عامر، والكسائي، وحمزة، وعاصم، وأبي جعفر المدني، وحفص، ورويس البرجمي. معجم القراءات القرآنية (٢/ ١٤٥).

(٢) «الغوائل»: جمع الغائلة، وهي الفساد والشر.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾

٧٥ ـ ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ مبتدأ وخبر. وهذا الاستفهام في النفي للتنبيه على الاستبطاء، وفي الإثبات للإنكار ﴿لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ حال، والعامل فيها الاستقرار، كما تقول: مالك قائماً؟! والمعنى: وأي شيء لكم تاركين القتال، وقد ظهرت دواعيه؟! ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ مجرور بالعطف على ﴿سبيل الله﴾ أي: في سبيل الله، وفي خلاص المستضعفين. أو: منصوب على الاختصاص منه، أي: واختص من سبيل الله خلاص المستضْعَفين [من المستضعِفين][1]؛ لأن سبيل الله عام في كلِّ خير، وخلاص المستضعفين المسلمين من أيدي الكفار من أعظم الخير، وأخصّه. والمستضعفون هم الذين أسلموا بمكة، وصدّهم المشركون عن الهجرة، فبقوا بين أظهرهم مستذلين مستضعفين، يَلْقَوْن منهم الأذى الشديد ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ ذكر الولدان تسجيلاً بإفراط ظلمهم، حيث بلغ أذاهم الولدان غير المكلفين إرغاماً لآبائهم وأمهاتهم، ولأنَّ المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالاً لرحمة الله بدعاء صغارهم؛ الذين لم يذنبوا، كما فعل قوم يونس عليه السلام. عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والوِلْدان ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ يعني: مكة ﴿الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ الظالم: وصف للقرية، إلا أنه مسند إلى أهلها، فأعطي إعراب القرية؛ لأنه صفتها، وذكّر لإسناده إلى الأهل، كما تقول: من هذه القرية التي ظلم أهلها ﴿وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ يتولَّى أمرنا، ويستنقذنا من أعدائنا ﴿وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ ينصرنا عليهم. كانوا يدعون الله بالخلاص، ويستنصرونه، فيسّر لبعضهم الخروج إلى المدينة، وبقي بعضهم إلى الفتح، حتى جعل الله لهم من لدنه خير وليّ وناصر، وهو محمد ﷺ، فتولاهم أحسنَ التولي، ونصرهم أقوى

(١) ما بين حاصرتين من المطبوع.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ

النصر. ولما خرج محمد ﷺ استعمل عتاب بن أسيد، فرأوا منه الولاية والنصرة كما أرادوا. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كان ينصر الضعيف من القوي، حتى كانوا أعزَّ بها من الظلمة.

٧٦ ـ ثمَّ رغَّب الله المؤمنين بأنهم يقاتلون في سبيل الله، فهو وليّهم وناصرهم، وأعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان، فلا ولي لهم إلا الشيطان ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾ أي: الشيطان بقوله: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ أي: الكفار ﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ أي: وساوسه، وقيل الكيد: السعي في فساد الحال، على جهة الاحتيال ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ لأنه غرور، لا يؤول إلى محصول، أو: كيده في مقابلة نصر الله تعالى ضعيف.

٧٧ ـ كان المسلمون مكفوفين عن القتال مع الكفار ما داموا بمكة، وكانوا يتمنون أن يؤذن لهم فيه، فنزل: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ﴾ أي: عن القتال ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ﴾ أي: فُرِض بالمدينة ﴿إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾ يخافون أن يقاتلهم الكفار، كما يخافون أن ينزل الله عليهم بأسه، لا شكاً في الدين، ولا رغبة عنه، ولكن نفوراً عن الأخطار بالأرواح، وخوفاً من الموت. قال الشيخ أبو منصور ـ رحمه الله ـ: هذه خشية طبع، لا أنَّ ذلك منهم كراهة لحكم الله وأمره اعتقاداً، فالمرء مجبولٌ على كراهة ما فيه خوف هلاكه غالباً. و«خشية الله» من إضافة المصدر إلى المفعول، ومحلُّه النصب على الحال من الضمير في ﴿يخشون﴾ أي: يخشون الناس مثل أهل خشية الله، أي: مشبهين لأهل خشية الله ﴿أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗ﴾ هو معطوف على الحال، أي: أو أشد خشية من أهل خشية الله. وأو: للتخيير، أي: أن قلت خشيتهم الناس كخشية الله فأنت مصيب، وإن قلت: إنها أشد فأنت مصيب؛ لأنه حصل لهم مثلها وزيادة ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ

عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ

عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ هلا أمهلتنا إلى الموت، فنموت على الفرش. وهو سؤالٌ عن وجه الحكمة في فرض القتال عليهم، لا اعتراض لحكمه؛ بدليل أنهم لم يوبخوا على هذا السؤال، بل أجيبوا بقوله: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ متاع الدنيا قليل زائل، ومتاع الآخرة كثير دائم، والكثير إذا كان على شرف الزوال فهو قليل، فكيف القليل الزائل؟! ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ ولا تنقصون أدنى شيء من أجوركم على مشاق القتل، فلا ترغبوا عنه. وبالياء، مكيّ، وحمزة، وعليّ.

٧٨ ـ ثم أخبر أنَّ الحذرَ لا ينجي من القدر بقوله: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ «ما» زائدة لتوكيد معنى الشرط في أين ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ﴾ حصون، أو قصور ﴿مُّشَيَّدَةٍ﴾ مرفّعة ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾ نعمة من خصب، ورخاء. ﴿يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ نسبوها إلى الله ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ بلية من قحط، وشدَّة ﴿يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾ أضافوها إليك، وقالوا: هي من عندك، وما كانت إلا بشؤمك. وذلك: أن المنافقين واليهود كانوا إذا أصابهم خير حمدوا الله تعالى، وإذا أصابهم مكروه نسبوه إلى محمد ﷺ، فكذَّبهم الله تعالى بقوله: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ والمضاف إليه محذوف، أي: كل ذلك، فهو يبسط الأرزاق ويقبضها ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ﴾ يفهمون ﴿حَدِيثًا﴾ فيعلمون أن الله هو الباسط القابض، وكل ذلك صادرٌ عن حكمة.

٧٩ ـ ثمَّ قال: ﴿مَّآ أَصَابَكَ﴾ ياإنسان! خطاباً عاماً، وقال الزجاج: المخاطب به النبي ﷺ، والمراد غيره ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾ من نعمة، وإحسان ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ تفضُّلاً منه، وامتناناً ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾ من بلية، ومصيبة ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾ فمن عندك، أي: فبما كسبت يداك ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت

وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ

أيديكم﴾ ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ لا مقدراً حتى نسبوا إليك الشدة. أو: أرسلناك للناس رسولاً، فإليك تبليغ الرسالة، وليس إليك الحسنة والسيئة ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ بأنك رسوله. وقيل: هذا متصل بالأول، أي: ﴿لا يكادون يفقهون حديثاً﴾ يقولون: ﴿ما أصابك﴾. وحَمْل المعتزلة الحسنة والسيئة في هذه الآية على الطاعة والمعصية، تعسُّف بيِّن. وقد نادى عليه ﴿ما أصابك﴾ إذ يقال في الأفعال: ما أصبت، ولأنهم لا يقولون الحسنات من الله خلقاً وإيجاداً، فأنّى يكون لهم حجة في ذلك؟! و﴿شهيداً﴾ تمييز.

٨٠ ـ ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ لأنه لا يأمر ولا ينهى إلا بما أمر الله به ونهى عنه، فكانت طاعته في أوامره ونواهيه طاعة لله ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ﴾ عن الطاعة فأعرض عنه ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ تحفظ عليهم أعمالهم، وتحاسبهم عليها، وتعاقبهم.

٨١ ـ ﴿وَيَقُولُونَ﴾ ويقول المنافقون إذا أمرتهم بشيء ﴿طَاعَةٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: أمرنا وشأننا طاعة ﴿فَإِذَا بَرَزُوا﴾ خرجوا ﴿مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ زور، وسوّى. فهو من البيتوتة؛ لأنه قضاء الأمر وتدبيره بالليل، أو من أبيات الشعر لأن الشاعر يدبِّرها ويُسوِّيها. وبالإدغام[1] حمزة، وأبو عمرو ﴿غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ خلاف ما قلت، وما أمرت به. أو: خلاف ما قالت، وما ضمنت من الطاعة؛ لأنهم أبطنوا الرد لا القبول، والعصيان لا الطاعة، وإنما ينافقون بما يقولون، ويظهرون ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ يثبته في صحائف أعمالهم، ويجازيهم عليه ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في شأنهم، فإن الله يكفيك مضرَّتهم، وينتقم لك منهم

(١) أي: بإدغام التاء مع الطاء ﴿بيَّت طَّائفة﴾.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٨١ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ﴾

إذا قوي أمر الإسلام ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ كافياً لمن توكل عليه.

٨٢ ـ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أفلا يتأملون معانيه ومبانيه. والتدبر: التأمل والنظر في أدبار الأمر، وما يؤول إليه في عاقبته، ثم استعمل في كلِّ تأمل. والتفكر تصرُّف القلب بالنظر في الدلائل. وهذا يردُّ قول من زعم من الروافض أن القرآن لا يفهم معناه إلا بتفسير الرسول الله ﷺ، والإمام المعصوم. ويدلُّ على صحة القياس، وعلى بطلان التقليد ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ﴾ كما زعم الكفار ﴿لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ أي: تناقضاً من حيث التوحيد، والتشريك، والتحليل، والتحريم. أو: تفاوتاً من حيث البلاغة، فكان بعضُه بالغاً حدَّ الإعجاز، وبعضه قاصراً عنه يمكن معارضته. أو: من حيث المعاني، فكان بعضُه إخباراً بغيب قد وافق المخبر عنه، وبعضه إخباراً مخالفاً للمخبر عنه، وبعضه دالاً على معنى صحيح عند علماء المعاني، وبعضه دالاً على معنى فاسد غير ملتئم. وأما تعلق الملاحدة بآيات يدَّعون فيها اختلافاً كثيراً من نحو قوله: ﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٠٧] ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [النمل: ١٠] ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩] فقد تفصّى عنها أهلُ الحق، وستجدها مشروحة في كتابنا هذا في مظانّها إن شاء الله تعالى.

٨٣ ـ ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ﴾ هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالأحوال. أو: المنافقون؛ كانوا إذا بلغهم خبر من سرايا رسول الله ﷺ من أمن، وسلامة، أو خوف، وخلل ﴿أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾ أفشوه، وكانت إذاعتهم مفسدة. يقال: أذاع السر، وأذاع به. والضمير يعود إلى الأمر، أو: إلى الأمن، أو: الخوف؛ لأن أو تقتضي أحدهما ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ أي: ذلك الخبر ﴿إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ أي: رسول الله ﷺ ﴿وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ يعني: كبراء الصحابة البصراء بالأمور، أو الذين كانوا يؤمَّرون منهم ﴿لَعَلِمَهُ﴾

ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾

لعَلِم تدبيرَ ما أخبروا به ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ يستخرجون تدبيره بفطنهم، وتجاربهم، ومعرفتهم بأمور الحرب ومكائدها. وقيل: كانوا يقفون من رسول الله ﷺ وأولي الأمر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الأعداء، أو على خوف واستشعار، فيذيعونه، فينتشر، فيبلغ الأعداء، فتعود إذاعتهم مفسدة، ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر، وفوَّضوه إليهم، وكانوا كأن لم يسمعوا، لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه، وما يأتون، ويذرون فيه. والنبَط: الماء الذي يخرج من البئر أول ما تُحفر. واستنباطه: استخراجه، فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني، والتدابير فيما يعضل ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بإرسال الرسول ﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾ بإنزال الكتاب ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ لبقيتم على الكفر ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لم يتبعوه، ولكن آمنوا بالعقل كزيد بن عمرو بن نفيل، وقس ابن ساعدة، وغيرهما.

٨٤ ـ لما ذكر في الآي قبلها تثبطهم عن القتال، وإظهارهم الطاعة، وإضمارهم خلافها، قال: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إن أفردوك، وتركوك وحدك ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ غير نفسك وحدها أن تُقدِّمها إلى الجهاد، فإنَّ الله تعالى ناصرك لا الجنود. وقيل: دعا الناس في بدر الصغرى إلى الخروج، وكان أبو سفيان واعد رسول الله ﷺ اللقاء فيها، فكره بعضُ الناس أن يخرجوا فنزلت، فخرج وما معه إلا سبعون، ولو لم يتبعه أحد لخرج وحده ﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وما عليك في شأنهم إلا التحريض على القتال فحسب، لا التعنيف بهم ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: بطشهم وشدتهم، وهم قريش. وقد كفَّ بأسهم بالرعب فلم يخرجوا. و﴿عسى﴾ كلمة مطمعة، غير أن إطماع الكريم أعود من إنجاز اللئيم ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ من قريش ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ تعذيباً، وهو تمييز كـ: بأساً.

مَّن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ

---

٨٥ ـ ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً حَسَنَةً﴾ هي الشفاعة في دفع شر، أو جلب نفع، مع جوازها شرعاً ﴿يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ من ثواب الشفاعة ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً سَيِّئَةً﴾ هي خلاف الشفاعة الحسنة. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: مالها مفسِّر غيري: معناه: من أمر بالتوحيد، وقاتل أهل الكفر، وضده: السيئة. وقال الحسن: هو المشي بالصلح، وضده: النميمة ﴿يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ نصيب ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ مقتدراً. من: أقات على الشيء: اقتدر عليه، أو حفيظاً. من القوت لأنه يمسك النفس، ويحفظها.

٨٦ ـ ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم﴾ أي: سُلِّم عليكم، فإنَّ التحيةَ في ديننا بالسلام في الدارين ﴿فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٦١] ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤] وكانت العرب تقول عند اللقاء: حياك الله، أي: أطال حياتك فأبدل ذلك بعد الإسلام بالسلام ﴿بِتَحِيَّةٍ﴾ هي تفعلة، من حيّا يحيّي تحية ﴿فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾ أي: قولوا: وعليكم السلام ورحمة الله، إذا قال: السلام عليكم، وزيدوا: وبركاته، إذا قال: ورحمة الله. ويقال: لكل شيء منتهى، ومنتهى السلام: وبركاته ﴿أَوْ رُدُّوهَآ﴾ أي: أجيبوها بمثلها. وردُّ السلام: جوابُه بمثله؛ لأن المجيب يردُّ قولَ المسلم. وفيه حذف مضاف، أي: ردوا مثلها. والتسليم سُنَّة، والرد فريضة، والأحسنُ فضل. وما من رجل يمرُّ على قوم مسلمين فيُسلِّمُ عليهم ولا يردون عليه إلا نزع عنهم روح القدس، وردت عليه الملائكة. ولا يرد السلام في الخطبة، وقراءة القرآن جهراً، ورواية الحديث، وعند مذاكرة العلم، والأذان، والإقامة. وعند أبي يوسف ـ رحمه الله ـ: لا يسلّم على لاعب الشطرنج والنرد، والمُغنّي، والقاعد لحاجته، ومُطَيِّر الحَمَام، والعاري من غير عذر في حمام أو غيره. ويسلّم الرجل إذا دخل على امرأته، والماشي على القاعد، والراكب على الماشي، وراكب الفرس على راكب الحمار، والصغير على الكبير، والأقل على الأكثر،

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾

وإذا التقيا ابتدرا. وقيل: ﴿بأحسن منها﴾ لأهل الملة ﴿أو ردوها﴾ لأهل الذمة. وعن النبي ﷺ: «إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم»(١) أي: وعليكم ما قلتم؛ لأنهم كانوا يقولون: السام عليكم. وقوله ﷺ: «لا غرار في تسليم»(٢) أي: لا يقال عليك، بل عليكم؛ لأن كاتبيه معه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ أي: يُحاسبكم على كل شيء من التحية وغيرها.

٨٧ ـ ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ خبر، أو اعتراض، والخبر: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ ومعناه: اللهُ، واللهِ ليجمعنكم ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: ليحشرنكم إليه، والقيامة: القيام، كالطلابة والطلاب، وهي: قيامهم من القبور، أو: قيامهم للحساب ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ هو حال من يوم القيامة، والهاء يعود إلى اليوم. أو: صفة المصدر محذوف، أي: جمعاً لا ريب فيه، والهاء يعود إلى الجمع ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ تمييز. وهو استفهام بمعنى النفي، أي: لا أحد أصدق منه في إخباره، ووعده، ووعيده؛ لاستحالة الكذب عليه لقبحه؛ لكونه إخباراً عن الشيء بخلاف ما هو عليه.

٨٨ ـ ﴿۞ فَمَا لَكُمْ﴾ مبتدأ وخبر ﴿فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ أي: ما لكم اختلفتم في شأن قوم قد نافقوا نفاقاً ظاهراً، وتفرقتم فيهم فرقتين، وما لكم لم تقطعوا القول بكفرهم. وذلك أنَّ قوماً من المنافقين استأذنوا رسول الله ﷺ في الخروج إلى البدو معتلين باجتواء المدينة. فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين، فاختلف المسلمون فيهم، فقال بعضهم: هم كفار، وقال بعضهم: هم مسلمون. و﴿فئتين﴾ حال، كقولك: مالك قائماً؟ قال سيبويه: إذا قلت مالك قائماً؟ فمعناه: لم قمت؟ ونصبه على

---

(١) رواه البخاري (٦٢٥٨) ومسلم (٢١٦٣).

(٢) رواه أحمد (٢ / ٤٦١) وأبو داود (٩٢٨ و ٩٢٩). ومعنى «لا غِرار»: لا نُقصان.

وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءًۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ

تأويل: أي شيء يستقرُّ لك في هذه الحال؟! ﴿ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم ﴾ ردَّهم إلى حُكْم الكفار ﴿ بِمَا كَسَبُوٓاْ ﴾ من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين. فردوهم أيضاً، ولا تختلفوا في كفرهم. ﴿ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ ﴾ أن تجعلوا من جملة المهتدين ﴿ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ﴾ مَن جعله الله ضالاً. أو: أتريدون أن تسموهم مهتدين، وقد أظهر الله ضلالهم، فيكون تعييراً لمن سماهم مهتدين. والآية تدلُّ على مذهبنا في إثبات الكسب للعبد، والخلق للرب جلَّت قدرته ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ طريقاً إلى الهداية.

٨٩ ـ ﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ ﴾ الكاف: نعت لمصدر محذوف، وما: مصدرية، أي: ودوا لو تكفرون كفراً مثل كفرهم ﴿ فَتَكُونُونَ ﴾ عطف على تكفرون ﴿ سَوَآءً ﴾ أي: مستوين أنتم وهم في الكفر ﴿ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ فلا توالوهم حتى يؤمنوا؛ لأنَّ الهجرة في سبيل الله بالإسلام ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ عن الإيمان ﴿ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ كما كان حُكْم سائر المشركين ﴿ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ وإن بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم.

٩٠ ـ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمِۭ ﴾ أي: ينتهون إليهم، ويتصلون بهم. والاستثناء من قوله: ﴿فخذوهم واقتلوهم﴾ دون الموالاة ﴿ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ﴾ القوم هم الأسلميون، كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد، وذلك أنه وَادَعَ قبل خروجه إلى مكة هلال بن عويمر الأسلمي على ألا يعينه ولا يعين عليه، وعلى أن من وصل إلى هلال، والتجأ إليه، فله من الجوار مثل الذي لهلال. أي: فاقتلوهم إلا من اتصل بقوم بينكم وبينهم ميثاق ﴿ أَوْ جَآءُوكُمْ ﴾ عطف على صفة قوم، أي: إلا الذين يصلون إلى قوم معاهدين، أو قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم. أو: على صلة الذين، أي: إلا الذين يتصلون

حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔاۚ

بالمعاهدين، أو الذين لا يقاتلونكم ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ حال بإضمار قد. والحصر: الضيق، والانقباض ﴿أَن يُقَٰتِلُوكُمْ﴾ عن أن يقاتلوكم، أي: عن قتالكم ﴿أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ﴾ معكم ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ بتقوية قلوبهم، وإزالة الحصر عنها ﴿فَلَقَٰتَلُوكُمْ﴾ عطف على «لسلطهم» ودخول اللام للتأكيد ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ﴾ فإن لم يتعرضوا لكم ﴿فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ أي: الانقياد، والاستسلام ﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى القتال.

٩١ ـ ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ﴾ بالنفاق ﴿وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ﴾ بالوفاق. هم قومٌ من أسد وغَطَفان، كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا، وعاهدوا ليأمنوا المسلمين، فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا، ونكثوا عهودهم ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ﴾ كلما دعاهم قومهم على القتال المسلمين ﴿أُرْكِسُواْ فِيهَا﴾ قلبوا فيها أقبح قلب وأشنعه، وكانوا شرّاً فيها من كلِّ عدو ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾ فإن لم يعتزلوا قتالكم ﴿وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ عطف على لم يعتزلوكم، أي: ولم ينقادوا لكم بطلب الصلح ﴿وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ﴾ عطف عليه أيضاً، أي: ولم يمسكوا عن قتالكم ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ حيث تمكنتم منهم، وظفرتم بهم ﴿وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ حجة واضحة لظهور عداوتهم، وانكشاف حالهم في الكفر والغدر، وإضرارهم بالمسلمين، أو تسلطاً ظاهراً حيث أذنّا لكم في قتلهم.

٩٢ ـ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ وما صح له، ولا استقام، ولا لاق بحاله ﴿أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ ابتداء من غير قصاص، أي: ليس المؤمن كالكافر الذي تقدَّم إباحة دمه ﴿إِلَّا خَطَـًٔا﴾ إلا على وجه الخطأ، وهو استثناء منقطع بمعنى:

﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ﴾

لكن، أي: لكن إن وقع خطأ. ويحتمل أن يكون صفة للمصدر، أي: إلا قتلاً خطأ. والمعنى: من شأن المؤمن أن ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة، إلا إذا وجد منه خطأ من غير قصد بأن يرمي كافراً، فيصيب مسلماً، أو يرمي شخصاً على أنه كافر، فإذا هو مسلم ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا﴾ صفة مصدر محذوف، أي: قتلاً خطأ ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ مبتدأ، والخبر محذوف، أي: فعليه تحرير رقبة. والتحرير: الإعتاق. والحر والعتيق: الكريم؛ لأن الكرم في الأحرار، كما أن اللؤم في العبيد، ومنه عتاق الطير، وعتاق الخيل لكرامها. والرقبة: النسمة، ويعبّر عنها بالرأس في قولهم: فلان يملك كذا رأساً من الرقيق ﴿مُّؤْمِنَةٍ﴾ قيل: لما أخرج نفساً مؤمنة من جملة الأحياء، لزمه أن يدخل نفساً مثلها في جملة الأحرار لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها، من قبل أن الرقيق ملحق بالأموات، إذ الرق أثر من آثار الكفر، والكفر موت حكماً ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] ولهذا منع من تصرف الأحرار. وهذا مشكل، إذ لو كان كذلك لوجب في العمد أيضاً. لكن يحتمل أن يقال: إنما وجب عليه ذلك لأن الله تعالى أبقى للقاتل نفساً مؤمنة، حيث لم يوجب القصاص، فأوجب عليه مثلها رقبة مؤمنة ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ مؤداة إلى ورثته يقتسمونها، كما يقتسمون الميراث، لا فرق بينها وبين سائر التركة في كل شيء، فيُقْضَى منها الدين، وتنفذ الوصية، وإذا لم يبق وارث فهي لبيت المال. وقد ورث رسول الله ﷺ امرأةَ أشيم الضبابي من عَقْل زوجها أشيم. لكن الدية على العاقلة، والكفارة على القاتل ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾ إلا أن يتصدقوا عليه بالدية، أي: يعفوا عنه، والتقدير: فعليه دية في كل حال، إلا في حال التصدُّق عليه بها ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ﴾ فإن كان المقتول خطأ من قوم أعداء لكم، أي: كفرة، فالعدو يطلق على الجمع ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ أي: المقتول مؤمن ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ يعني: إذا أسلم الحربي في دار الحرب، ولم يهاجر إلينا، فقتله مسلم خطأ، تجب

وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

الكفارة بقتله للعصمة المؤثمة، وهي الإسلام، ولا تجب الدية؛ لأن العصمة المقومة بالدار، ولم توجد ﴿وَإِن كَانَ﴾ أي: المقتول ﴿مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ﴾ بين المسلمين. ﴿وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ عهد ﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ أي: وإن كان المقتول ذمياً فحكمه حكم المسلم. وفيه دليلٌ على أنَّ دية الذمي كدية المسلم، وهو قولنا ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ رقبة، أي: لم يملكها، ولا ما يتوصل به إليها ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾ فعليه صيام شهرين ﴿مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ قبولاً من الله، ورحمة منه، من: تاب الله عليه: إذا قبل توبته، يعني: شرع ذلك توبة منه، أو فليتب توبة، فهي نصب على المصدر ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بما أمر ﴿حَكِيمًا﴾ فيما قدر.

٩٣ ـ ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ حال من ضمير القاتل، أي: قاصداً قتله لإيمانه، وهو كفر، أو قتله مستحلاً لقتله، وهو كفر أيضاً ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ أي: إن جازاه. قال ﷺ: «هي جزاؤه إن جازاه»(١). والخلود قد يراد به طول المقام. وقول المعتزلة بالخروج من الإيمان يخالف قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾ [البقرة: ١٧٨] ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ أي: انتقم منه، وطرده من رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ لارتكابه أمراً عظيماً، وخطباً جسيماً. في الحديث: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرىء مسلم»(٢).

٩٤ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ سرتم في طريق الغزو.

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢ / ٦٢٧).
(٢) رواه الترمذي (١٣٩٥).

﴿فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾

﴿فَتَبَيَّنُوا۟﴾ فتثبتوا، حمزة، وعليّ. وهما من التفعل بمعنى الاستفعال. أي: اطلبوا بيان الأمر وثباته، ولا تتهوكوا فيه[1] ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ﴾ السَلَم: مدني، وشامي، وحمزة. وهما الاستسلام، وقيل: الإسلام، وقيل: التسليم الذي هو تحية أهل الإسلام ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ في موضع النصب بالقول. روي أنَّ مرداس بن نهيك أسلم، ولم يُسْلم من قومه غيره، فغزتهم سرية لرسول الله ﷺ فهربوا، وبقي مرداس لثقته بإسلامه، فلما رأى الخيلَ ألجأ غنمه إلى منعرج من الجبل وصَعد، فلما تلاحقوا وكبروا كبر، ونزل، وقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، السلام عليكم. فقتله أسامة بن زيد، واستاق غنمه، فأخبروا رسول الله ﷺ فوجد وجداً شديداً، وقال: «قتلتموه إرادة ما معه؟!» ثم قرأ الآية على أسامة[2] ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد، فهو الذي يدعوكم إلى ترك التثبت، وقلَّة البحث عن حال مَن تقتلونه. والعَرَض: المال، سُمِّي به لسرعة فنائه. و﴿تبتغون﴾ حال من ضمير الفاعل في ﴿تقولوا﴾ ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ يغنمكموها، تغنيكم عن قتل رجل يُظهر الإسلام، ويتعوّذ به من التعرض له لتأخذوا ماله ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ أول ما دخلتم في الإسلام سمعت من أفواهكم كلمة الشهادة، فحصنت دماءكم وأموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لألسنتكم. والكاف في ﴿كذلك﴾ خبر كان، وقد تقدم عليها وعلى اسمها ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالاستقامة، والاشتهار بالإيمان، فافعلوا بالداخلين في الإسلام كما فعل بكم ﴿فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ كرَّر الأمر بالتبين ليؤكّد عليهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فلا تتهافتوا في القتل، وكونوا محترزين، محتاطين في ذلك.

---

(١) «لا تتهوكوا فيه»: أي: لا تتحيروا أو تخبطوا بلا مبالاة.

(٢) قال الحافظ ابن حجر: أخرجه الثعلبي. (حاشية الكشاف ١/ ٥٥٢).

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ﴾

٩٥ ـ ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ﴾ عن الجهاد ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ بالنصب: مدني، وشامي، وعليّ؛ لأنه استثناء من القاعدين، أو حال منهم. وبالجر: عن حمزة، صفة للمؤمنين. وبالرفع: غيرهم، صفة للقاعدين. والضرر: المرض، أو العاهة من: عمى، أو عرج، أو زمانة، أو نحوها ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ عطف على ﴿القاعدون﴾. ونفى التساوي بين المجاهد والقاعد بغير عذر، وإن كان معلوماً، وتوبيخاً للقاعد عن الجهاد، وتحريكاً له عليه، ونحوه: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] فهو تحريك لطلب العلم، وتوبيخ على الرضا بالجهل ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ ذكر هذه الجملة بياناً للجملة الأولى، موضحة لما نفى من استواء القاعدين والمجاهدين، كأنه قيل: ما لهم لا يستوون؟! فأجيب بذلك ﴿دَرَجَةً﴾ نصب على المصدر لوقوعها موقع المرة من التفضيل، كأنه قيل: كأنه فضلهم تفضلة، كقولك: ضربه سوطاً. ونصب ﴿وَكُلًّا﴾ أي: وكل فريق من القاعدين والمجاهدين، ونصب لأنه مفعول أول؛ لقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ﴾ والثاني ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: المثوبة الحسنى، وهي: الجنة، وإن كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ بغير عذر ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

٩٦ ـ ﴿دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ قيل: انتصب ﴿أجراً﴾ بـ«فضّل» لأنه في معنى أجرهم أجراً. ودرجات، ومغفرة، ورحمة: بدل من «أجراً». أو انتصب «درجات» نصب «درجة»، كأنه قيل: فضلهم تفضيلات، كقولك: ضربه أسواطاً، أي: ضربات، و﴿أجراً عظيماً﴾ على أنه حال من النكرة؛ التي هي درجات مقدمة عليها. ومغفرة ورحمة بإضمار فعلهما، أي: وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة. وحاصله: أنّ الله تعالى فضّل المجاهدين على القاعدين بعذر درجة؛ وعلى القاعدين بغير عذر بأمر النبي ﷺ اكتفاء بغيرهم،

وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ

درجات؛ لأنَّ الجهادَ فرضُ كفاية ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ بتكفير العذر ﴿رَّحِيمًا﴾ بتوفير الأجر.

٩٧ ـ ونزل فيمن أسلم ولم يهاجر، حين كانت الهجرة فريضة، وخرج مع المشركين إلى بدر مرتداً فقتل كافراً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يجوز أن يكون ماضياً لقراءة من قرأ (توفتهم) ومضارعاً بمعنى: تتوفاهم، وحذفت التاء الثانية لاجتماع التاءين. والتوفي: قبض الروح. والملائكة: ملك الموت وأعوانه ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ حال من ضمير المفعول في توفاهم، أي: في حال ظلمهم أنفسهم بالكفر، وترك الهجرة ﴿قَالُوا۟﴾ أي: الملائكة للمتوفَّين ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ أي: في أي شيء كنتم في أمر دينكم؟ ومعناه: التوبيخ بأنهم لم يكونوا في شيء من الدين ﴿قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾ عاجزين عن الهجرة ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مكة، فأخرجونا كارهين ﴿قَالُوٓا۟﴾ أي: الملائكة موبخين لهم ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾ أرادوا أنكم كنتم قادرين على الخروج من مكة إلى بعض البلاد؛ التي لا تمنعون فيها من إظهار دينكم، ومن الهجرة إلى رسول الله ﷺ. ونصب ﴿فتهاجروا﴾ على جواب الاستفهام ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ خبر «إن»: ﴿فأولئك﴾. ودخول الفاء لما في الذين من الإبهام المشابه بالشرط. أو: ﴿قالوا فيم كنتم﴾ والعائد محذوف، أي: قالوا لهم. والآية تدلُّ على أن من لم يتمكن من إقامة دينه في بلد كما يجب، وعلم أنه يتمكن من إقامته في غيره حقّت عليه المهاجرة. وفي الحديث: «من فرَّ بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض استُوجبت له الجنة، وكان رفيق أبيه إبراهيم ونبيه محمد ﷺ»[1].

٩٨ ـ ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ استثنى من أهل الوعيد

---

(١) قال ابن حجر: أخرجه الثعلبي مرسلاً. (حاشية الكشاف ١/ ٥٥٥).

لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾

المستضعفين الذين ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ في الخروج منها لفقرهم وعجزهم ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ ولا معرفة لهم بالمسالك. و﴿لا يستطيعون﴾: صفة للمستضعفين، أو: للرجال، والنساء، والولدان. وإنما جاز ذلك والجمل نكرات؛ لأن الموصوف وإن كان فيه حرف التعريف، فليس بشيء بعينه، كقوله:

ولقـد أمـرُّ علـى اللئيـم يسبنـي[1] ... ...

٩٩ ـ ﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ وعسى وإن كان للإطماع فهو من الله واجب؛ لأنَّ الكريم إذا أطمع أنجز ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ لعباده قبل أن يخلقهم.

١٠٠ ـ ﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا﴾ مهاجَراً وطريقاً، يراغم بسلوكه قومَه، أي: يفارقهم على رغم أنوفهم. والرغم: الذل، والهوان. وأصله لصوق الأنف بالرَّغام، وهو التراب. يقال: راغمت الرجل؛ إذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلّة تلحقه بذلك ﴿كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ في الرزق، أو في إظهار الدين، أو في الصدر؛ لتبدُّل الخوف بالأمن ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا﴾ حال من الضمير في ﴿يخرج﴾ ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ إلى حيث أمر الله ورسوله ﴿ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ﴾ قبل بلوغه مهاجَره. وهو عطف على ﴿يخرج﴾ ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: حصل له الأجر بوعد الله. وهو تأكيد للوعد، فلا شيء يجبُ على الله لأحدٍ من خلقه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ قالوا: كل هجرة لطلب علم، أو حج، أو جهاد، أو فرار إلى بلد يزداد فيه طاعة، أو قناعة، أو زهداً، أو ابتغاء رزق طيب، فهي هجرة إلى الله ورسوله، وإن أدركه الموت في طريقه فقد وقع أجره على الله.

---

(١) صدر بيت، وعجزه: فمضيت ثمة قلت لا يعنيني.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (١٠١)

١٠١ - ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ سافرتم فيها، فالضرب في الأرض هو السفر ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ حرج ﴿أَن تَقْصُرُوا﴾ في أن تقصروا ﴿مِنَ الصَّلَاةِ﴾ من أعداد ركعات الصلاة، فتصلوا الرباعية ركعتين. وظاهر الآية يقتضي أنَّ القصر رخصة في السفر، والإكمال عزيمة، كما قال الشافعي ـ رحمه الله ـ لأن «لا جناح» يستعمل في موضع التخفيف والرخصة لا في موضع العزيمة. وقلنا: القصر عزيمة غير رخصة، ولا يجوز الإكمال لقول عمر ـ رضي الله عنه ـ: صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم ﷺ، وأما الآية فكأنهم ألفوا الإتمام، فكانوا مظنة لأن يخطر ببالهم أن عليهم نقصاناً في القصر، فنفى عنهم الجناح لتطيب أنفسهم بالقصر، ويطمئنوا إليه ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إن خشيتم أن يقصدكم الكفار بقتل، أو جرح، أو أخذ. والخوف: شرط جواز القصر عند الخوارج بظاهر النص. وعند الجمهور ليس بشرط؛ لما روي عن يعلى بن أمية أنه قال لعمر: ما بالنا نقصر وقد أمنّا؟ فقال: عجبت مما تعجبت منه، فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «صدقة تصدَّق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته»[1]. وفيه دليلٌ على أنه لا يجوز الإكمال في السفر؛ لأنَّ التصدق بما لا يحتمل التمليك إسقاط محض لا يحتملُ الرد، وإن كان المتصدّق ممن لا تلزم طاعته كوليّ القصاص إذا عفا، فمن تلزم طاعته أولى. ولأنَّ حالهم حين نزول الآية كذلك، فنزلت على وفق الحال. وهو كقوله: ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣] دليله قراءة عبد الله (من الصلاة أن يفتنكم) أي: لئلا يفتنكم. على أنَّ المراد بالآية قصر الأحوال، وهو أن يومىء على الدابة عند الخوف، أو يخفّف القراءة والركوع والسجود والتسبيح، كما روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ فتحرّزوا عنهم.

---

(١) رواه أحمد (١/ ٢٥) ومسلم (٦٨٦) وأبو داود (١١٩٩) والترمذي (٣٠٣٤) وابن ماجه (١٠٦٥).

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ

---

١٠٢ ـ ﴿ وَإِذَا كُنتَ ﴾ يا محمد ﴿ فِيهِمْ ﴾ في أصحابك ﴿ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ ﴾ فأردت أن تقيم الصَّلاة بهم. وبظاهره تعلّق أبو يوسف ـ رحمه الله ـ فلا يرى صلاة الخوف بعده عليه الصلاة والسلام. وقالا: الأئمة نواب عن رسول الله ﷺ في كل عصر، فكان الخطاب له متناولاً لكل إمام، كقوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ ﴾ [التوبة: ١٠٣]. دليله فعل الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بعده عليه الصلاة والسلام. ﴿ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ ﴾ فاجعلهم طائفتين، فلتقم إحداهما معك فصلِّ بهم، وتقوم طائفة تُجاه العدو ﴿ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ ﴾ أي: الذين تجاه العدو. عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. وإن كان المراد به المصلين، فقالوا: يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة، كالسيف، والخنجر، ونحوهما ﴿ فَإِذَا سَجَدُواْ ﴾ أي: قيدوا ركعتهم بسجدتين. فالسجود على ظاهره عندنا، وعند مالك بمعنى الصلاة ﴿ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ ﴾ أي: إذا صلّت هذه الطائفة التي معك ركعة، فليرجعوا ليقفوا بإزاء العدو ﴿ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ ﴾ في موضع رفع صفة لطائفة ﴿ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ ﴾ أي: ولتحضر الطائفة الواقفة بإزاء العدوّ، فليصلّوا معك الركعة الثانية ﴿ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ ﴾ ما يتحرّزون به من العدو، كالدرع، ونحوه ﴿ وَأَسْلِحَتَهُمْ ﴾ جمع سلاح، وهو: ما يقاتل به. وأخذ السلاح شرط عند الشافعي ـ رحمه الله ـ، وعندنا مستحب. وكيفية صلاة الخوف معروفة ﴿ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ ﴾ أي: تمنّوا أن ينالوا منكم غرّة في صلاتكم ﴿ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ﴾ فيشدّون عليكم شدة واحدة ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ ﴾ في أن تضعوا ﴿ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾ رخّص لهم في وضع الأسلحة إن ثقل

﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾

عليهم حملها، بسبب ما يبلّهم من مطر، أو يضعفهم من مرض، وأمرهم مع ذلك بأخذ الحذر لئلا يغفلوا، فيهجم عليهم العدو ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ أخبر أنه يهين عدوهم لتقوى قلوبهم، وليعلموا أن الأمر بالحذر ليس لتوقع غلبتهم عليهم، وإنما هو تعبُّد من الله تعالى.

١٠٣ ـ ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فرغتم منها ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ أي: دوموا على ذِكْر الله في جميع الأحوال. أو: فإذا أردتم أداء الصلاة فصلّوا قياماً إن قدرتم عليه، وقعوداً إن عجزتم عن القيام، ومضطجعين إن عجزتم عن القعود ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ﴾ سكنتم بزوال الخوف ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فأتمّوها بطائفة واحدة. أو: إذا أقمتم فأتموا ولا تقصُروا. أو: إذا اطمأننتم بالصحة فأتموا القيام، والركوع، والسجود ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ مكتوباً محدوداً بأوقات معلومة.

١٠٤ ـ ﴿وَلَا تَهِنُوا۟﴾ ولا تضعفوا، ولا تتوانوا ﴿فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾ في طلب الكفار بالقتال، والتعرض به لهم. ثم ألزمهم الحجة بقوله: ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ أي: ليس ما تجدون من الألم بالجرح والقتل مختصاً بكم، بل هو مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم، ثم إنهم يصبرون عليه فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم؟! مع أنكم أجدر منهم بالصبر؛ لأنكم ترجون من الله ما لا يرجون؛ من إظهار دينكم على سائر الأديان، ومن الثواب العظيم في الآخرة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بما يجد المؤمنون من الألم ﴿حَكِيمًا﴾ في تدبير أمورهم.

١٠٥ ـ رُوي أن طُعمة بن أبيرق ـ أحد بني ظَفَر ـ سرق درعاً من جارٍ له اسمه قتادة بي النعمان، في جراب دقيق، فجعل الدقيق ينتثرُ من خرقٍ فيه،

إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾

وخبأها عند زيد بن السمين ـ رجل من اليهود ـ فالتُمست الدرع عند طعمة فلم توجد، وحلف ما أخذها، وماله بها علم، فتركوه، واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودي فأخذوها، فقال: دفعها إليَّ طعمة، وشهد له ناسٌ من اليهود، فقالت بنو ظفر: انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ، فسألوه أن يجادل عن صاحبهم، وقالوا: إن لم تفعلْ هلك صاحبنا، وافتضح، وبرىء اليهودي، فهمَّ رسول الله ﷺ أن يفعل فنزل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: مُحقّاً ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ بما عرَّفك، وأوحى به إليك. وقال الشيخ أبو منصور ـ رحمه الله ـ: بما ألهمك بالنظر في أصوله المنزَّلة. وفيه دلالة جواز الاجتهاد في حقه ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ﴾ لأجل الخائنين ﴿خَصِيمًا﴾ مخاصماً، أي: ولا تخاصم اليهود لأجل بني ظفر.

١٠٦ ـ ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ مما هممت به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

١٠٧ ـ ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ يخونونها بالمعصية. جعلت معصية العصاة خيانة منهم لأنفسهم؛ لأن الضرر راجع إليهم. والمراد به: طعمة، ومَن عاونه من قومه، وهم يعلمون أنه سارق. أو: ذكر بلفظ الجمع ليتناول طعمة، وكلّ من خان خيانته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ وإنما قيل بلفظ المبالغة؛ لأنه تعالى عالم من طعمة أنه مُفْرط في الخيانة، وركوب المآثم. وروي أنَّ طعمة هرب إلى مكة، وارتد، ونقب حائطاً بمكة ليسرق أهله، فسقط الحائط عليه فقتله. وقيل: إذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم أنَّ لها أخوات. وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ: أنه أمر بقطع يد سارق، فجاءت أمه تبكي، وتقول: هذه أوّل سرقة سرقها فاعفُ عنه، فقال: كذبتِ إن الله لا يؤاخذُ عبده في أول مرة.

يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ

١٠٨ ـ ﴿ يَسْتَخْفُونَ ﴾ يستترون ﴿ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ حياء منهم، وخوفاً من ضررهم ﴿ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ ولا يستحيون منه ﴿ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ وهو عالم بهم، مطَّلع عليهم، لا يخفى عليه خافٍ من سرّهم. وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء، والخشية من ربهم، مع علمهم أنّهم في حضرته لا سُترة، ولا غيبة ﴿ إِذْ يُبَيِّتُونَ ﴾ يدبّرون. وأصله: أن يكون ليلاً ﴿مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ وهو تدبير طعمة أن يرمي بالدرع في دار زيد لِيُسَرَّق دونه، ويحلف أنه لم يسرقها. وهو دليلٌ على أنَّ الكلام هو المعنى القائم بالنفس، حيث سمّى التدبير قولاً ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ عالماً علم إحاطة.

١٠٩ ـ ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ ها للتنبيه في «أنتم»، و«أولاء»، وهما مبتدأ وخبر. و﴿جادلتم﴾ خاصمتم وهي جملة مبينة لوقوع «أولاء» خبراً، كقولك لبعض الأسخياء: أنتِ حاتم تجود بمالك. أو: «أولاء» اسم موصول بمعنى الذين، وجادلتم صلته. والمعنى: هبوا أنكم خاصمتم ﴿عَنْهُمْ﴾ عن طعمة، وقومه ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فمن يخاصم عنهم في الآخرة إذا أخذهم الله بعذابه. وقرىء: عنه، أي: عن طعمة ﴿ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ حافظاً ومحامياً من بأس الله، وعذابه.

١١٠ ـ ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا ﴾ ذنباً دون الشرك ﴿ أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ بالشرك. أو ﴿سوءاً﴾ قبيحاً يتعدى ضرره إلى الغير، كما فعل طعمة بقتادة واليهودي، ﴿أو يظلم نفسه﴾ بما يختصُّ به كالحلف الكاذب ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ يسأل مغفرته. ﴿ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ له. وهذا بعثٌ لطعمة على الاستغفار والتوبة.

١١١ ـ ﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ لأنَّ وباله عليها ﴿وَكَانَ

ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ

﴿ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ فلا يعاقب بالذنب غير فاعله.

١١٢ ـ ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً﴾ صغيرة. ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ أو كبيرة. أو: الأول ذنب بينه وبين ربه، والثاني ذنب في مظالم العباد ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾ كما رمى طعمة زيداً ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا﴾ كذباً عظيماً ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ ذنباً ظاهراً، وهذا لأنه بكسب الإثم آثم، وبرمي البريء باهت، فهو جامع بين الأمرين. والبهتان: كذب يَبهَت من قيل عليه مالا علم له به.

١١٣ ـ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ أي: عصمته، ولطفه من الاطلاع على سرهم ﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ من بني ظفر. أو: المراد بالطائفة بنو ظفر، والضمير في ﴿منهم﴾ يعود إلى الناس. ﴿أَن يُضِلُّوكَ﴾ عن القضاء بالحق، وتوخّي طريق العدل، مع علمهم بأن الجاني صاحبهم. ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ لأنَّ وباله عليهم ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ﴾ لأنك إنما عملت بظاهر الحال، وما كان يخطر ببالك أن الحقيقة على خلاف ذلك. ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ والسنة ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ من أمور الدين، والشرائع، أو من خفيّات الأمور، وضمائر القلوب ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ فيما علّمك، وأنعم عليك.

١١٤ ـ ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾ من تناجي الناس. ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ إلا نجوى من أمر. وهو مجرور بدل من «كثير» أو من «نجواهم»، أو منصوب على الانقطاع بمعنى: ولكن من أمر بصدقة، ففي نجواه الخير. ﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ أي: قرض، أو إغاثة ملهوف، أو كلّ جميل. أو: المراد بالصدقة: الزكاة، وبالمعروف: التطوع. ﴿أَوْ إِصْلَـٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي:

وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا

إصلاح ذات البين. ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ المذكور. ﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ طلب رضا الله. وخرج عنه من فعل ذلك رياء، أو ترؤساً. وهو مفعول له. والإشكال أنه قال: ﴿إلا من أمر﴾ ثم قال: ﴿ومن يفعل ذلك﴾ والجواب أنه ذكر الأمر بالخير ليدل به على فاعله؛ لأنه إذا دخل الآمر به في زمرة الخيّرين كان الفاعل فيهم أدخل، ثم قال: ﴿ومن يفعل ذلك﴾ فذكر الفاعل، وقرن به الوعد بالأجر العظيم. أو: المراد من يأمر بذلك، فعبّر عن الأمر بالفعل ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ يؤتيه: أبو عمرو، وحمزة.

١١٥ ـ ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ﴾ ومن يخالف الرسول من بعد وضوح الدليل، وظهور الرشد ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي. وهو دليلٌ على أنَّ الإجماعَ حجة لا تجوز مخالفتها، كما لا تجوز مخالفة الكتاب والسنة؛ لأن الله تعالى جمع بين اتّباع غير سبيل المؤمنين وبين مشاقّة الرسول في الشرط، وجعل جزاءه الوعيد الشديد، فكان اتّباعهم واجباً كموالاة الرسول ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ نجعله والياً لما تولى من الضلال، وندعه وما اختاره في الدنيا ﴿وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾ في العقبى ﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ قيل: هي في طعمة، وارتداده.

١١٦ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ مرَّ تفسيره في هذه السورة ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ عن الصواب.

١١٧ ـ ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ ما يعبدون من دون الله ﴿إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ جمع أنثى، وهي: اللات، والعزّى، ومناة، ولم يكن حيّ من أحياء العرب إلا ولهم صنم يعبدونه، يسمونه: أنثى بني فلان. وقيل: كانوا يقولون في

وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾

أصنامهم: هنّ بنات الله ﴿وَإِن يَدْعُونَ﴾ ما يعبدون ﴿إِلَّا شَيْطَٰنًا﴾ لأنه هو الذي أغراهم على عبادة الأصنام، فأطاعوه، فجعلت طاعتهم له عبادة ﴿مَّرِيدًا﴾ خارجاً عن الطاعة، عارياً عن الخير، ومنه: الأمرد.

١١٨ ـ ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ﴾ صفتان، يعني: شيطاناً مريداً جامعاً بين لعنة الله وهذا القول الشنيع ﴿مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ مقطوعاً واجباً لي، من كل ألف تسعمئة وتسعة وتسعون، وواحد لله.

١١٩ ـ ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ بالدعاء إلى الضلالة، والتزيين، والوسوسة، ولو كان إنفاذ الضلالة إليه لأضلَّ الكل ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ ولألقين في قلوبهم الأماني الباطلة من: طول الأعمار، وبلوغ الآمال ﴿وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ البتك: القطع، والتبتيك: للتكثير والتكرير، أي: لأحملنهم على أن يقطعوا آذان الأنعام. كانوا يشقّون آذان الناقة إذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكراً، وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها ﴿وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ بفقوء عين الحامي، وإعفائه عن الركوب، أو: بالخصاء. وهو مباح في البهائم محظور في بني آدم. أو بالوشم، أو: بنفي الأنساب واستلحاقها، أو بتغيير الشيب بالسواد، أو: بالتحريم والتحليل، أو: بالتخنث، أو: بتبديل فطرة الله التي هي دين الإسلام؛ لقوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠] ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وأجاب إلى ما دعاه إليه ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ في الدارين.

١٢٠ ـ ﴿يَعِدُهُمْ﴾ يوسوسهم إليهم أن لا جنة، ولا نار، ولا بعث، ولا حساب ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ ما لا ينالون ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ هو أن يرى شيئاً يظهر خلافه.

أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾

---

١٢١ ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ معدلاً، ومفرّاً.

١٢٢ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ولم يتبعوا الشيطان في الأمر بالكفر ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ وقرأ النخعي: سيدخلهم ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ مصدران، الأول: مؤكد لنفسه، والثاني: مؤكد لغيره ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ قولاً. وهو استفهام بمعنى النفي، أي: لا أحد أصدق منه. وهو تأكيد ثالث. وفائدة هذه التوكيدات مقابلة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لأوليائه.

١٢٣ ـ ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ ليس الأمر على شهواتكم وأمانيكم ـ أيها المشركون ـ أن تنفعكم الأصنام ﴿وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ولا على شهوات اليهود والنصارى، حيث قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨] ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠] ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ أي: من المشركين وأهل الكتاب، بدليل قوله: ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾. وهذا وعيد للكفار؛ لأنه قال بعده:

١٢٤ ـ ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ فقوله: ﴿وهو مؤمن﴾ حال. ومَنْ الأولى: للتبعيض، والثانية: لبيان الإبهام فيمن يعمل. وفيه إشارة إلى أن الأعمال ليست من الإيمان ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ يُدخَلون: مكي، وأبو عمرو، وأبو بكر ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ قدر النقير، وهو: النقرة في ظهر النواة. والراجع في ﴿ولا يظلمون﴾ لعمال السوء وعمال الصالحات جميعاً. وجاز أن يكون ذكره عند أحد الفريقين دليلاً على ذكره

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾

عند الآخر. وقوله: ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾ وقوله: ﴿ومن يعمل من الصالحات﴾ بعد ذكر تمني أهل الكتاب، كقوله: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [البقرة: ٨١] وقوله: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ عقيب قوله: ﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة﴾.

١٢٥ ـ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ أخلص نفسه لله، وجعلها سالمة له، لا يعرف لها رباً ولا معبوداً سواه ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ عامل للحسنات ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ مائلاً عن الأديان الباطلة، وهو حال من المتَّبِع، أو: من إبراهيم ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ هو في الأصل: المخالّ، وهو: الذي يخالك، أي: يوافقك في خلالك، أو: يداخلك خلال منزلك، أو: يسد خللك كما يسدّ خلله. فالخلة: صفاء مودة توجب الاختصاص بتخلل الأسرار. والمحبة أصفى؛ لأنها من حبة القلب. وهي جملة اعتراضية لا محلّ لها من الإعراب كقوله:

...... والحـوادث جمـة[1] ... ...

وفائدتها: تأكيد وجوب اتباع ملته وطريقته؛ لأن مَن بلغ من الزلفى عند الله أن اتخذه خليلاً، كان جديراً بأن تتبع ملّته وطريقته. ولو جعلتها معطوفة على الجمل قبلها لم يكن لها معنى. وفي الحديث: «اتخذ الله إبراهيم خليلاً لإطعامه الطعام، وإفشائه السلام، وصلاته بالليل والناس نيام»[2]. وقيل: أوحي إليه: إنما اتخذتك خليلاً لأنك تحبُّ أن تُعطِي ولا تُعْطى. وفي رواية: لأنك تعطي الناس ولا تسألهم.

---

(١) البيت بتمامه:
يـاليـت شعـري والحـوادث جمـة هـل أغـدونْ يـومـاً وأمـري مجمـع

(٢) رواه البيهقي في الشعب (٩٦١٦).

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٖ مُّحِيطٗا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِۚ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا ﴿١٢٧﴾﴾

---

١٢٦ ـ وفي قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ دليل على أن اتخاذه خليلاً لاحتياج الخليل إليه، لا لاحتياجه تعالى إليه؛ لأنه مُنزَّه عن ذلك ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٖ مُّحِيطٗا﴾ عالماً.

١٢٧ ـ ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ﴾ ويسألونك الإفتاء في النساء. والإفتاء: تبيين المبهم ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾ أي: الله يفتيكم، والمتلو في الكتاب، أي: القرآن في معنى اليتامى، يعني قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [النساء: ٣] وهو من قولك: أعجبني زيد وكرمه. «وما يتلى» في محل الرفع بالعطف على الضمير في «يفتيكم» أو: على لفظ «الله». و﴿فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾ صلة يتلى، أي: يتلى عليكم في معناهن. ويجوز أن يكون «في يتامى النساء» بدلاً من ﴿فيهن﴾. والإضافة بمعنى من ﴿ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ ما فرض لهن من الميراث. وكان الرجل منهم يضمُّ اليتيمة إلى نفسه ومالَها، فإن كانت جميلة تزوّجها، وأكل المال، وإن كانت دميمة عضلها عن التزوّج حتى تموت، فيرثها ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ أي: في أن تنكحوهن لجمالهن، أو: عن أن تنكحوهن لدمامتهن ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ﴾ أي: اليتامى، وهو مجرور معطوف على يتامى النساء. وكانوا في الجاهلية إنما يورّثون الرجال القوّام بالأمور، دون الأطفال والنساء ﴿وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ﴾ مجرور كالمستضعفين، بمعنى: يفتيكم في يتامى النساء وفي المستضعفين، وفي أن تقوموا، أو: منصوب بمعنى: ويأمركم أن تقوموا. وهو خطاب للأئمة في أن ينظروا لهم، ويستوفوا لهم حقوقهم ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل في ميراثهم ومالهم ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٖ﴾ شرط وجوابه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا﴾ أي: فيجازيكم عليه.

﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٢٨﴾

١٢٨ ـ ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا﴾ توقعت منه ذلك؛ لما لاح لها من مخايله، وأماراته. والنشوز: أن يتجافى عنها بأن يمنعها نفسه ونفقته، وأن يؤذيها بسبٍّ، أو ضرب ﴿أَوۡ إِعۡرَاضٗا﴾ عنها؛ بأن يقلَّ محادثتها ومؤانستها بسبب كبر سن، أو دمامة، أو شيء[1] في خُلُق أو خَلْق، أو ملال، أو طموح عين إلى أخرى، أو غير ذلك ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا﴾ كوفي، (يَصَّالحا) غيرهم. أي: يتصالحا، وهو أصله، فأبدلت التاء صاداً، وأدغمت ﴿صُلۡحٗا﴾ في معنى مصدر كلّ واحد من الفعلين. ومعنى الصلح: أن يتصالحا على أن تطيب له نفساً عن القسمة، أو عن بعضها، أو تهب له بعض المهر، أو كله، أو النفقة ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾ من الفرقة، أو من النشوز، أو: من الخصومة في كلِّ شيء. أو: ﴿والصلح خير﴾ من الخيور، كما أن الخصومة شرّ من الشرور. وهذه الجملة اعتراض، كقوله: ﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ أي: جعل الشح حاضراً لها لا يغيب عنها أبداً، ولا تنفك عنه، يعني: أنها مطبوعة عليه. والمراد: أن المرأة لا تكاد تسمح بقسمها، والرجل لا يكاد يسمح بأن يقسم لها إذا رغب عنها، فكلّ واحد منهما يطلب ما فيه راحته. وأحضرت يتعدَّى إلى مفعولين، والأول: الأنفس. ثم حثّ على مخالفة الطبع، ومتابعة الشرع بقوله: ﴿وَإِن تُحۡسِنُواْ﴾ بالإقامة على نسائكم، وإن كرهتموهن، وأحببتم غيرهن، وتصبروا على ذلك مراعاة لحقِّ الصحبة ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ النشوز والإعراض، وما يؤدي إلى الأذى، والخصومة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ من الإحسان، والتقوى ﴿خَبِيرٗا﴾ فيثيبكم عليه.

وكان عمران الخارجي من أدمّ بني آدم، وامرأته من أجملهم فنظرت إليه، وقالت: الحمد لله على أني وإياك من أهل الجنة. قال: كيف؟ فقالت: لأنك

---

(١) كذا في الأصل المخطوط، وفي المطبوع: سوء.

وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾

رزِقْتَ مثلي فشكرت، ورزقتُ مثلك فصبرتُ، والجنة موعودة للشاكرين والصابرين.

١٢٩ ـ ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ ولن تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميل البتة. فتمام العدل أن يسوّي بينهن بالقسمة، والنفقة، والتعهد، والنظر، والإقبال، والممالحة، والمفاكهة، وغيرها. وقيل: معناه أن تعدلوا في المحبة. وكان ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل، ويقول: «هذه قسمتي فيما أملك، فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك»[١]. يعني: المحبة؛ لأن عائشة ـ رضي الله عنها ـ كانت أحبّ إليه ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ بالغتم في تحرّي ذلك ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمها من غير رضا منها. يعني: أن اجتناب كل الميل في حدّ اليسر، فلا تفْرطوا فيه إن وقع منكم التفريط في العدل كلّه. وفيه ضرب من التوبيخ. وكلّ نصب على المصدر؛ لأن له حكم ما يضاف إليه ﴿فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ وهي: التي ليست بذات بعل، ولا مطلّقة ﴿وَإِن تُصْلِحُواْ﴾ بينهن. ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ الجور ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ يغفر لكم ميل قلوبكم، ويرحمكم فلا يعاقبكم.

١٣٠ ـ ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾ أي: إن لم يصطلح الزوجان على شيء، وتفرقا بالخلع، أو بتطليقه إياها، وإيفائه مهرها، ونفقة عِدَّتها ﴿يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا﴾ كل واحد منهما ﴿مِّن سَعَتِهِۦ﴾ من غناه، أي: يرزقه زوجاً خيراً من زوجه، وعيشاً أهنأ من عيشه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا﴾ بتحليل النكاح ﴿حَكِيمًا﴾ بالإذن في السراح. فالسعة: الغِنَى والقُدرة. والواسع: الغَنِيُّ المُقْتَدِر.

---

(١) رواه أحمد (٦/ ١٤٤) وأبو داود (٢١٣٤) والترمذي (١١٤٠) والنسائي (٧/ ٦٤) وابن ماجه (١٩٧١).

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

---

١٣١ ـ ثم بَيَّنَ غِناه وقدرته بقوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقاً، والمتملكون عبيده رقاً ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ هو اسم للجنس فيتناول الكتب السماوية ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ من الأمم السالفة، وهو متعلق بـ«وصينا» أو بـ«أوتوا» ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ عطف على الذين أوتوا ﴿أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ بأن اتقوا، أو: تكون «أن» المفسرة لأنَّ التوصية في معنى القول. والمعنى: أنَّ هذه وصية قديمة ما زال يوصي الله بها عباده ـ ولستم بها مخصوصين ـ لأنهم بالتقوى يسعدون عنده ﴿وَإِن تَكْفُرُوا﴾ عطف على «اتقوا» لأن المعنى: أمرناهم، وأمرناكم بالتقوى، وقلنا لهم ولكم: إن تكفروا ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾ عن خلقه، وعن عبادتهم ﴿حَمِيدًا﴾ مستحقاً لأن يحمد لكثرة نعمه، وإن لم يحمده أحد. وتكرير قوله: ﴿لله ما في السموات وما في الأرض﴾ تقرير لما هو موجب تقواه؛ لأن الخلق لما كان كله له، وهو خالقهم ومالكهم، فحقه أن يكون مطاعاً في خَلْقه غير معصى. وفيه دليلٌ على أن التقوى أصلُ الخير كله. وقوله: ﴿وإن تكفروا﴾ عقيب التقوى دليلٌ على أنَّ المراد: الاتقاء عن الشرك.

١٣٢ ـ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ فاتخذوه وكيلاً، ولا تتكلوا على غيره.

١٣٣ ـ ثم خوَّفهم وبين قدرته بقوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يعدمكم ﴿أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ ويوجد إنساً آخرين مكانكم، أو: خلقاً آخرين غير الإنس ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ بليغ القدرة.

١٣٤ ـ ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة ﴿فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فماله يطلب أحدهما دون الآخر، والذي يطلبه

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟

أخسّهما ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا ﴾ للأقوال ﴿ بَصِيرًا ﴾ بالأفعال. وهو وعد ووعيد.

١٣٥ ـ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ مجتهدين في إقامة العدل حتى لا تجوروا ﴿ شُهَدَآءَ ﴾ خبر بعد خبر ﴿ لِلَّهِ ﴾ أي: تقيمون شهاداتكم لوجه الله ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ ولو كانت الشهادة على أنفسكم. والشهادة على نفسه هي: الإقرار على نفسه؛ لأنه في معنى الشهادة عليها بإلزام الحق، وهذا لأنَّ الدعوى والشهادة والإقرار يشترك جميعها في الإخبار عن حق لأحد على أحد. غير أنَّ الدعوى: إخبار عن حقّ لنفسه على الغير، والإقرار: للغير على نفسه، والشهادة للغير على الغير ﴿ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ أي: ولو كانت الشهادة على آبائكم، وأمهاتكم، وأقاربكم ﴿ إِن يَكُنْ ﴾ المشهود عليه ﴿ غَنِيًّا ﴾ فلا يمنع الشهادة: عليه لغناه طلباً لرضاه. ﴿ أَوْ فَقِيرًا ﴾ فلا يمنعها ترحُّماً عليه ﴿ فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴾ بالغني والفقير، أي: بالنظر لهما والرحمة. وإنما ثنى الضمير في بهما، وكان حقه أن يوحّد؛ لأن المعنى: إن يكن أحد هذين، لأنه يرجع إلى ما دل عليه قوله: «غنياً أو فقيراً» وهو جنس الغني والفقير، كأنه قيل: فالله أولى بجنسي الغني والفقير، أي: بالأغنياء والفقراء ﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ إرادة ﴿ أَن تَعْدِلُوا۟ ﴾ عن الحق من: العدول، أو: كراهة أن تعدلوا بين الناس من العدل ﴿ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ ﴾[1] بواو واحدة وضم اللام: شامي، وحمزة، من: الولاية ﴿ أَوْ تُعْرِضُوا۟ ﴾ أي: وإن وليتم إقامة الشهادة، أو أعرضتم عن إقامتها. غيرهما: تلووا بواوين وسكون اللام، من: الليّ، أي: وإن تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق، أو حكومة العدل، أو تعرضوا عن الشهادة بما عندكم، وتمنعوها ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ فيجازيكم عليه.

١٣٦ ـ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ خطاب للمسلمين ﴿ ءَامِنُوا۟ ﴾ اثبتوا على

---

(١) في الأصل المخطوط أثبت قراءة: ﴿تلوا﴾.

بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَالْكِتَٰبِ الَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَالْكِتَٰبِ الَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَالْيَوْمِ الْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ازْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ الْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾

الإيمان، ودوموا عليه. أو: لأهل الكتاب؛ لأنهم آمنوا ببعض الكتب والرسل، وكفروا ببعض. أو: للمنافقين، أي: يا أيها الذين آمنوا نفاقاً آمِنوا إخلاصاً ﴿ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ أي: محمد ﷺ ﴿ وَالْكِتَٰبِ الَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ أي: القرآن ﴿ وَالْكِتَٰبِ الَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ﴾ أي: جنس ما أنزل على الأنبياء قبله من الكتب، ويدل عليه قوله: ﴿وكتبه﴾. ﴿نُزِّل﴾ و﴿أُنْزِل﴾: مكي، وشامي، وأبو عمرو. وعلى البناء للفاعل فيهما: غيرهم. وإنما قيل: نزّل على رسوله، وأنزل من قبل؛ لأن القرآن نزل مفرقاً منجماً في عشرين سنة، بخلاف الكتب قبله ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَالْيَوْمِ الْءَاخِرِ ﴾ أي: ومن يكفر بشيء من ذلك ﴿ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ لأن الكفر ببعضه كُفْر بكلّه.

١٣٧ ـ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ بموسى عليه السلام ﴿ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ﴾ حين عبدوا العجل ﴿ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ﴾ بموسى بعد عوده ﴿ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ﴾ بعيسى عليه السلام ﴿ ثُمَّ ازْدَادُوا۟ كُفْرًا ﴾ بكفرهم بمحمد ﷺ ﴿ لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴾ إلى النجاة، أو إلى الجنة. أو: هم المنافقون آمنوا في الظاهر، وكفروا في السر مرة بعد أخرى، وازدياد الكفر منهم: ثباتهم عليه إلى الموت. يؤيده قوله:

١٣٨ ـ ﴿ بَشِّرِ الْمُنَٰفِقِينَ ﴾ أي: أخبرهم. ووضع ﴿بشّر﴾ مكانه تهكماً بهم ﴿ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ مؤلماً.

١٣٩ ـ ﴿ الَّذِينَ ﴾ نصب على الذم، أو رفع، بمعنى: أريد الذين، أو: هم الذين ﴿ يَتَّخِذُونَ الْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ ﴾ كان المنافقون يوالون الكفرة، يطلبون منهم المَنَعَة والنُّصْرة، ويقولون: لا يتمّ أمر محمد ﷺ ﴿ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ ولمن أعزّه كالنبي ﷺ، والمؤمنين، كما قال: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨].

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠) الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾

١٤٠ ـ ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ بفتح النون: عاصم. وبضمها: غيره ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ حتى يشرعوا في كلام غير الكفر والاستهزاء بالقرآن. والخوض: الشروع. و«أن» مخففة من الثقيلة، أي: إنه إذا سمعتم. أي: نزل عليكم أن الشأن كذا. والشأن: ما أفادته الجملة بشرطها وجزائها. وأن مع ما في حيزها في موضع الرفع بـ«نُزِّل»، أو: في موضع النصب بـ«نَزَّل». والمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨] وذلك أن المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزئون به، فنُهي المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه. وكان المنافقون بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين بمكة، فنهوا أن يقعدوا معهم، كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ أي: في الوزر إذا مكثتم معهم. ولم يُرِدْ به التمثيل من كلِّ وجهٍ، فإن خوض المنافقين فيه كفر، ومكث هؤلاء معهم معصية ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ لاجتماعهم في الكفر والاستهزاء.

١٤١ ـ ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من «الذين يتخذون»، أو صفة للمنافقين، أو نصب على الذم منهم ﴿يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ ينتظرون بكم ما يتجدَّد لكم من ظفر، أو إخفاق[1] ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ﴾ نصرة، وغنيمة ﴿قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ مظاهرين، فأشركونا في الغنيمة ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ سمَّى ظفر المسلمين فتحاً؛ تعظيماً لشأنهم؛ لأنه أمر عظيم تفتح له أبواب السماء، وظفر

(١) «إخفاق»: أخفق الرجل: إذا غزا ولم يغنم.

قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾

الكافرين نصيباً تخسيساً لحظهم؛ لأنه لُمْظة[1] من الدنيا يصيبونها ﴿قَالُوٓاْ﴾ للكفار ﴿أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ ألم نغلبكم، ونتمكّن من قتلكم، فأبقينا عليكم. والاستحواذ: الاستيلاء، والغلبة. ﴿وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ بأن ثبّطناهم عنكم، وخيّلنا لهم ما ضعفت قلوبهم به، ومرضوا عن قتالكم، وتوانينا في مظاهرتهم عليكم. فهاتوا نصيباً لنا مما أصبتم ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ﴾ أيها المؤمنون والمنافقون ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ فيدخل المنافقين النار، والمؤمنين الجنة ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾ أي: في القيامة؛ بدليل أوّل الآية، كذا عن عليّ ـ رضي الله عنه ـ. أو: حجة، كذا عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

١٤٢ ـ ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ أي: يفعلون ما يفعل المخادع من إظهار الإيمان، وإبطان الكفر. والمنافق: مَن أظهر الإيمان، وأبطن الكفر. أو: أولياءَ الله وهم المؤمنون. فأضاف خداعهم إلى نفسه تشريفاً لهم ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ وهو فاعل بهم ما يفعل المغالب في الخداع، حيث تركهم معصومي الدماء والأموال في الدنيا، وأعدّ لهم الدَّرْك الأسفل من النار في العقبى. والخادع: اسم فاعل من: خادعته فخدعته: إذا غلبته، وكنت أخدع منه. وقيل: يجزيهم جزاء خداعهم ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ متثاقلين كراهة. أما الغفلة فقد يُبتلى بها المؤمن. وهو جمع كسلان، كسكارى في سكران ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ حال، أي: يقصدون بصلاتهم الرياء، والسمعة. والمراءاة: مفاعلة من الرؤية؛ لأن المرائي يريهم عمله، وهم يُرُونه استحساناً ﴿وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ولا يصلون إلا قليلاً؛ لأنهم لا يصلّون قط غائبين

---

(١) «المظة»: لمظ: إذا تتبع بلسانه بقية الطعام في فمه.

مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾

عن عيون الناس. أو: لا يذكرون الله بالتسبيح، والتهليل إلا ذكراً قليلاً نادراً. قال الحسن: لو كان ذلك القليل لله تعالى لكان كثيراً.

١٤٣ ـ ﴿مُّذَبْذَبِينَ﴾ نصب على الذم، أي: مردَّدين، يعني: ذبذبهم الشيطان والهوى بين الإيمان والكفر، فهم متردّدون بينهما، متحيرون. وحقيقة المذبذب: الذي يُذَبُّ عن كلا الجانبين، أي: يُدْفَع فلا يقرّ في جانب واحد إلا أن الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ بين الكفر والإيمان ﴿لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ لا منسوبين إلى هؤلاء، فيكونوا مؤمنين ﴿وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ ولا منسوبين إلى هؤلاء، فيسمون مشركين ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى الهدى.

١٤٤ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ حجة بينة في تعذيبكم.

١٤٥ ـ ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ[1] ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ أي: في الطبق الذي في قعر جهنم، والنار سبع دَرَكات. سُمِّيت بذلك لأنها متداركة، متتابعة، بعضها فوق بعض. وإنما كان المنافقُ أشدَّ عذاباً من الكافر؛ لأنه أمن السيف في الدنيا فاستحق الدرك الأسفل في العقبى تعديلاً، ولأنه مثله في الكفر، وضمَّ إلى كفره الاستهزاء بالإسلام وأهله. والدرْك ـ بسكون الراء ـ كوفي، غير الأعشى. وبفتح الراء: غيرهم، وهما لغتان، وذكر الزجّاج أن الاختيار فتح الراء. ﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ يمنعهم من العذاب.

---

(١) في الأصل المخطوط أثبتت قراءة ﴿الدَّرَك﴾. وهي قراءة: نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، وعاصم، وأبي بكر، وأبي جعفر، ويعقوب، وخلف. معجم القراءات القرآنية (٢/ ١٧٥).

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾

١٤٦ ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ من النفاق، وهو استثناء من الضمير المجرور في ﴿ولن تجد لهم نصيراً﴾ ﴿وَأَصْلَحُواْ﴾ ما أفسدوا من أسرارهم، وأحوالهم في حال النفاق. ﴿وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلّص ﴿وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ لا يبتغون بطاعتهم إلا وجهه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فهم أصحاب المؤمنين، ورفاقهم في الدارين ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فيشاركونهم فيه. وحذفت الياء في الخط هنا إتباعاً للفظ.

١٤٧ ـ ثمَّ استفهم مقرّراً أنه لا يعذب المؤمن الشاكر، فقال: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ﴾ لله ﴿وَءَامَنتُمْ﴾ به. فـ«ما» منصوبة بـ«يفعل». أي: أيّ شيء يفعل بعذابكم. فالإيمان: معرفة المنعم. والشكر: الاعتراف بالنعمة. والكفر بالمنعم والنعمة عناد؛ فلذا استحق الكافر العذاب. وقدّم الشكر على الإيمان؛ لأن العاقل ينظر إلى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع، فيشكر شكراً مبهماً، فإذا انتهى به النظر إلى معرفة المنعم آمن به، ثم شكر شكراً مفصلاً، فكان الشكر مُتقدِّماً على الإيمان ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا﴾ يجزيكم على شكركم، أو: يقبل اليسير من العمل، ويعطي الجزيل من الثواب ﴿عَلِيمًا﴾ عالماً بما تصنعون.

١٤٨ ـ ﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ ولا غير الجهر، ولكن الجهر أفحش ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ إلا جهر من ظلم. استثنى من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم، وهو أن يدعو على الظالم، ويذكره بما فيه من السوء. وقيل: ﴿الجهر بالسوء من القول﴾ هو الشتم ﴿إلا من ظلم﴾ فإنه إن ردّ عليه مثله فلا حرج عليه ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه﴾ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا﴾ لشكوى المظلوم ﴿عَلِيمًا﴾ بظلم الظالم.

إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ

---

١٤٩ ـ ثمَّ حثَّ على العفو، وألا يجهر أحد لأحد بسوء وإن كان على وجه الانتصار بعد ما أطلق الجهر به، حثاً على الأفضل. وذكر إبداء الخير وإخفاءه تسبيباً للعفو، فقال: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا﴾ مكان جهر السوء ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ فتعملوه سراً. ثم عطف العفو عليهما فقال: ﴿أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ﴾ أي: تمحوه عن قلوبكم. والدليل على أن العفو هو المقصود بذكر إبداء الخير وإخفائه قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ أي: أنه لم يزل عفواً عن الآثام، مع قدرته على الانتقام، فعليكم أن تقتدوا بِسُنَّته.

١٥٠ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ كاليهود كفروا بعيسى ومحمد عليهما السلام، والإنجيل، والقرآن. وكالنصارى كفروا بمحمد ﷺ، والقرآن. ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ أي: ديناً وسطاً بين الإيمان والكفر، ولا واسطة بينهما.

١٥١ ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ هم الكاملون في الكفر؛ لأن الكفر بواحد كفر بالكلّ ﴿حَقًّا﴾ تأكيد لمضمون الجملة، كقولك: هذا عبد الله حقّاً، أي: حقّ ذلك حقّاً، وهو كونهم كاملين في الكفر. أو: هو صفة لمصدر الكافرين، أي: هم الذين كفروا كفراً حقاً، ثابتاً، يقيناً، لا شك فيه ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ في الآخرة.

١٥٢ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ وإنما جاز دخول «بين» على أحد؛ لأنه عام في الواحد، المذكر، والمؤنث، وتثنيتهما،

أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْۚ

وجمعهما ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ﴾[1] وبالياء، حفص ﴿أُجُورَهُمْ﴾ أي: الثواب الموعود لهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ يستر السيئات ﴿رَّحِيمًا﴾ يقبل الحسنات. والآية تدلُّ على بطلان قول المعتزلة في تخليد مرتكب الكبيرة؛ لأنه أخبر أنَّ مَن آمن بالله ورسوله، ولم يفرّق بين أحد منهم يؤتيه أجره. ومرتكب الكبيرة ممن آمن بالله ورسله، ولم يفرّق بين أحد منهم، فيدخل تحت الوعد. وعلى بطلان قول مَن لا يقول بقدم صفات الفعل من المغفرة والرحمة؛ لأنه قال: ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ وهم يقولون: ما كان الله غفوراً رحيماً في الأزل، ثم صار غفوراً رحيماً.

١٥٣ ـ ولما قال فنحاص وأصحابه للنبي ﷺ: إن كنت نبياً صادقاً فائتنا بكتاب من السماء جملة، كما أتى به موسى عليه السلام، نزل: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ﴾ وبالتخفيف: مكي، وأبو عمرو ﴿كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: جملة كما نزلت التوراة جملة. وإنما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت. وقال الحسن: ولو سألوه مسترشدين لأعطاهم؛ لأنَّ إنزالَ القرآن جملة ممكن ﴿فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ هذا جواب شرط مقدّر، معناه: إن استكبرت ما سألوه منك، فقد سألوا موسى أكبر من ذلك. وإنما أسند السؤال إليهم؛ وقد وجد من آبائهم في أيام موسى عليه السلام، وهم النقباء السبعون؛ لأنهم كانوا على مذهبهم، وراضين بسؤالهم ﴿فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ عياناً، أي: أرنا نره جهرة ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ العذاب الهائل، أو النار المحرقة ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ على أنفسهم بسؤال شيء في غير موضعه، أو بالتحكم على نبيهم في الآيات، وتعنّتهم في سؤال الرؤية، لا بسؤال الرؤية؛ لأنها ممكنة كإنزال القرآن جملة،

---

(١) في الأصل المخطوط أثبتت قراءة ﴿نؤتيهم﴾. وهي قراءة: حمزة، وعاصم، وابن كثير، وأبي عمرو، ونافع، وابن عامر، والكسائي، وأبي جعفر، وخلف. معجم القراءات القرآنية (٢/ ١٧٦).

ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَٰلِكَ ۚ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ

ولو كان ذلك بسبب سؤال الرؤية لكان موسى بذلك أحق، فإنه قال: ﴿ربّ أرني أنظر إليك﴾ وما أخذته الصاعقة، بل أطمعه وقيّده بالممكن، ولا يعلق بالممكن إلا ما هو ممكن الثبوت، ثم أحياهم ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إلهاً ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ التوراة، والمعجزات التسع ﴿فَعَفَوْنَا عَنْ ذَٰلِكَ﴾ تفضلاً، ولم نستأصلهم ﴿وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ حجة ظاهرة على مَن خالفه.

١٥٤ ـ ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ﴾ بسبب ميثاقهم ليخافوا، فلا ينقضوه ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ﴾ والطور مطلّ عليهم ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ أي: ادخلوا باب إيلياء مطأطئين عند الدخول رؤوسكم ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا﴾ لا تجاوزوا الحد ﴿تعَدّوا﴾: ورش. ﴿تعْدّوا﴾ بإسكان العين وتشديد الدال: مدني غير ورش. وهما مدغماً (تعتدوا). وهي قراءة أبيّ، إلا أنه أدغم التاء في الدال، وأبقى العين ساكنة في رواية، وفي رواية نقل فتح التاء إلى العين ﴿فِي السَّبْتِ﴾ بأخذ السمك ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ عهداً مؤكداً.

١٥٥ ـ ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ﴾ أي: فبنقضهم. وما: مزيدة للتوكيد. والباء يتعلق بقوله: ﴿حرّمنا عليهم طيّبات﴾ تقديره: حرّمنا عليهم طيبات بنقضهم ﴿مِيثَاقَهُمْ﴾ وقوله: ﴿فبظلم من الذين هادوا﴾ بدل من قوله: ﴿فبما نقضهم﴾. ومعنى التوكيد: تحقيق أنّ تحريمَ الطيبات لم يكن إلا بنقض العهد، وما عطف عليه من الكفر، وقتل الأنبياء، وغير ذلك ﴿وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: معجزات موسى عليه السلام ﴿وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ﴾ كزكريا، ويحيى، وغيرهما ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ بغير سبب يستحقون به القتل ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ جمع أغلف، أي: محجوبة لا يتوصل إليها شيء من الذكر، والوعظ ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ

فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ

عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ هو ردّ وإنكار لقولهم: ﴿قلوبنا غلف﴾ ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ كعبد الله بن سلام، وأصحابه.

١٥٦ ـ ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾ معطوف على ﴿فبما نقضهم﴾ أو: على ما يليله من قوله: ﴿بكفرهم﴾. ولما تكرر منهم الكفر؛ لأنهم كفروا بموسى، ثم بعيسى، ثم بمحمد ﷺ عطف بعض كفرهم على بعض ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ هو النسبة إلى الزنىٰ.

١٥٧ ـ ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ﴾ سُمِّي مسيحاً لأن جبريل عليه السلام مسحه بالبركة، فهو ممسوح، أو: لأنه كان يمسحُ المريض[1]، والأكمه، والأبرص فيبرأ، فسمِّي مسيحاً بمعنى الماسح ﴿عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ هم لم يعتقدوه رسول الله، لكنهم قالوا استهزاء كقول الكفار لرسولنا: ﴿ياأيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون﴾. ويحتمل: أن الله وصفه به وإن لم يقولوا ذلك ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ رُوي أنَّ رهطاً من اليهود سبّوه، وسبّوا أمه، فدعا عليهم: اللهم أنت ربي، وبكلمتك خلقتني، اللهم العن مَن سبني وسبّ والدتي. فمسخ الله من سبّهما قردة وخنازير. فاجتمعت اليهود على قتله، فأخبره الله بأنه يرفعه إلى السماء، ويطهره من صحبة اليهود، فقال لأصحابه: أيكم يرضى أن يُلقَى عليه شبهي فيُقْتَل، ويُصْلَب، ويدخل الجنة؟ فقال رجل منهم: أنا! فألْقَى الله عليه شبهه، فقُتل، وصلب. وقيل: كان رجل ينافق عيسى، فلما أرادوا قتله قال: أنا أدلكم عليه، فدخل بيت عيسى، ورُفع عيسى، وألقى الله شبهه على المنافق، فدخلوا عليه، فقتلوه، وهم يظنون أنه عيسى، وجاز هذا على قوم متعنتين حكَم الله بأنهم لا يؤمنون. و﴿شُبِّه﴾ مسند إلى الجار والمجرور وهو ﴿لهم﴾ كقولك: خيّل إليه، كأنه قيل: ولكن وقع

---

(١) الأرجح أن لفظة «المسيح» سريانية، وأصلها «مشيحا» فعربتها العرب، ومن الأسلم عدم الخوض في البحث عن معناها في اللغة العربية. انظر تاج العروس (٧/ ١٢٤).

وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ

لهم التشبيه. أو مسند إلى ضمير المقتول لدلالة: ﴿إنا قتلنا﴾ عليه، كأنه قيل: ﴿ولكن شبه لهم﴾ من قتلوه ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ في عيسى، يعني: اليهود قالوا: إن الوجه وجه عيسى، والبدن بدن صاحبنا، أو: اختلف النصارى قالوا: إله، وابن إله، وثالث ثلاثة ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ استثناء منقطع؛ لأن اتباع الظن ليس من جنس العلم، يعني: ولكنهم يتبعون الظن. وإنما وصفوا بالشك، وهو: ألا يترجَّح أحد الجانبين، ثم وصفوا بالظن، وهو أن يترجح أحدهما؛ لأن المراد: أنهم شاكون ما لهم به من علم، ولكن إن لاحت لهم أمارة، فظنوا فذاك. وقيل: ﴿وإن الذين اختلفوا فيه﴾ أي: في قتله ﴿لفي شك منه﴾ أي: من قتله، لأنهم كانوا يقولون: إن كان هذا عيسى، فأين صاحبنا؟ وإن كان هذا صاحبنا، فأين عيسى؟ ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ أي: قتلاً يقيناً، أو: ما قتلوه متيقنين، أو: ما قتلوه حقاً، فيجعل يقيناً تأكيداً لقوله: ﴿وما قتلوه﴾ أي: حق انتفاء قتله حقاً.

١٥٨ ـ ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ إلى حيث لا حكم فيه لغير الله، أو: إلى السماء ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ في انتقامه من اليهود ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبّر من رفعه إليه.

١٥٩ ـ ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ «ليؤمننَّ به»: جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف، تقديره: ﴿وإن من أهل الكتاب﴾ أحد ﴿إلا ليؤمنن به﴾. ونحوه: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤]. والمعنى: وما من اليهود والنصارى أحد إلا ليؤمنن قبل موته بعيسى عليه السلام، وبأنه عبد الله ورسوله، يعني: إذا عاين قبل أن تزهق روحه حين لا ينفعه إيمانه لانقطاع وقت التكليف. أو: الضميران لعيسى، يعني: وإن منهم أحد إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى، وهم أهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله. رُوي أنه ينزل من السماء في آخر الزمان، فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به، حتى تكون الملة واحدة، وهي ملّة

وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

الإسلام. أو الضمير في ﴿به﴾ يرجع إلى الله، أو إلى محمد ﷺ، والثاني: إلى الكتابي ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ يشهد على اليهود بأنهم كذّبوه، وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله.

١٦٠ ـ ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ وهي ما ذكر في سورة الأنعام: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦] الآية. والمعنى: ما حرمنا عليهم الطيبات إلا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عُدِّدَ قبل هذا ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وبمنعهم عن الإيمان ﴿كَثِيرًا﴾ أي: خلقاً كثيراً، أو: صداً كثيراً.

١٦١ ـ ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ وكان الربا محرماً عليهم، كما حرم علينا، وكانوا يتعاطونه ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ بالرشوة، وسائر الوجوه المحرمة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ﴾ دون من آمن ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ في الآخرة.

١٦٢ ـ ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ أي: الثابتون فيه، المتقون، كابن سلام وأضرابه. وارتفع الراسخون على الابتداء ﴿مِنْهُمْ﴾ من أهل الكتاب ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: المؤمنون منهم، والمؤمنون من المهاجرين والأنصار، وارتفع الراسخون على الابتداء ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ خبره ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ أي: سائر الكتب ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ منصوب على المدح لبيان فضل الصلاة. وفي مصحف عبد الله (والمقيمون) وهي قراءة مالك بن دينار، وغيره ﴿وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ مبتدأ ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ عطف عليه، والخبر ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وبالياء: حمزة.

﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾

١٦٣ ـ ﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ جواب لأهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله ﷺ أن ينزل عليهم كتاباً من السماء، واحتجاجه عليهم بأن شأنه في الوحي إليه كشأن سائر الأنبياء الذين سلفوا ﴿كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ كـ: هود، وصالح، وشعيب، وغيرهم ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ أي: أولاد يعقوب ﴿وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ ﴿زُبوراً﴾ حمزة. مصدر بمعنى مفعول، سُمِّي به الكتاب المنزل على داود عليه السلام.

١٦٤ ـ ﴿وَرُسُلٗا﴾ نصب بمضمر في معنى ﴿أوحينا إليك﴾ وهو: أرسلنا، ونبأنا ﴿قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ﴾ من قبل هذه السورة ﴿وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَ﴾ سأل أبو ذر رسول الله ﷺ عن الأنبياء؟ قال: «مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً». قال: كم الرسل منهم؟ قال: «ثلاثمئة وثلاثة عشر، أول الرسل آدم، وآخرهم نبيكم محمد ﷺ وأربعة من العرب: هود، وصالح، وشعيب، ومحمد ﷺ»[1]. والآية تدلُّ على أن معرفة الرسل بأعيانهم ليست بشرط لصحة الإيمان، بل من شرطه أن يؤمن بهم جميعاً؛ إذ لو كان معرفة كل واحد منهم شرطاً لقصَّ علينا كلّ ذلك ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ أي: بلا واسطة.

١٦٥ ـ ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ الأوجه أن ينتصب على المدح، أي: أعني رسلاً. ويجوز أن يكون بدلاً من الأول، وأن يكون مفعولاً، أي: وأرسلنا رسلاً. واللام في: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ يتعلق

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٣٦١) وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٦٦ ـ ١٦٨).

وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾

بمبشرين ومنذرين. والمعنى: أن إرسالهم إزاحة للعلَّة، وتتميم لإلزامهم الحجة؛ لئلا يقولوا: لولا أرسلت إلينا رسولاً، فيوقظنا من سنة الغفلة، وينبهنا بما وجب الانتباه له، ويعلمنا ما سبيل معرفته السمع كالعبادات، والشرائع، أعني: في حق مقاديرها، وأوقاتها، وكيفياتها، دون أصولها؛ فإنها مما يعرف بالعقل ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ في العقاب على الإنكار ﴿حَكِيمًا﴾ في بعث الرسل للإنذار.

١٦٦ ـ ولما نزل: «إنا أوحينا إليك» قالوا: ما نشهد لك بهذا، فنزل: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾ ومعنى شهادة الله بما أنزل إليه: إثباته لصحته بإظهار المعجزات، كما تثبت الدعاوى بالبينات؛ إذ الحكيم لا يؤيد الكاذب بالمعجزة ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ أي: أنزله وهو عالم بأنك أهل لإنزاله إليك، وأنك مبلغه، أو أنزله بما علم من مصالح العباد. وفيه: نفي قول المعتزلة في إنكار الصفات؛ فإنه أثبت لنفسه العلم ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ لك بالنبوة ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ شاهداً، وإن لم يشهد غيره.

١٦٧ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بتكذيب محمد ﷺ، وهم: اليهود ﴿وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ومنعوا الناس عن سبيل الحق بقولهم للعرب: إنا لا نجد في كتابنا ﴿قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ عن الرشد.

١٦٨ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالله ﴿وَظَلَمُوا۟﴾ محمداً ﷺ بتغيير نعته، وإنكار نبوته ﴿لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ ما داموا على الكفر.

١٦٩ ـ ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ وكان تخليدهم في جهنم سهلاً عليه. والتقدير: يعاقبهم ﴿خالدين﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾

فهو حال مقدرة. والآيتان في قوم علم الله أنهم لا يؤمنون، ويموتون على الكفر.

١٧٠ ـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ أي: بالإسلام. أو: هو حال، أي: محقاً ﴿فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾ وكذلك ﴿انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾ [النساء: ١٧١] انتصابه بمضمر؛ وذلك: أنه لما بعثهم على الإيمان، وعلى الانتهاء عن التثليث علم أنه يحملهم على أمر، فقال: ﴿خيراً لكم﴾ أي: اقصدوا، وائتوا أمراً خيراً لكم مما أنتم فيه من الكفر والتثليث، وهو: الإيمان به والتوحيد ﴿وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فلا يضرُّه كفركم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بمن يؤمن، وبمن يكفر ﴿حَكِيمًا﴾ لا يسوي بينهما في الجزاء.

١٧١ ـ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ لا تجاوزوا الحد، فغلت اليهود في حطّ المسيح عن منزلته، حتى قالوا: إنه ابن الزنى، وغلت النصارى في رفعه عن مقداره حيث جعلوه ابن الله ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ وهو تنزيهه عن الشريك، والولد ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ لا ابن الله ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ خبر المبتدأ، وهو المسيح، و«عيسى» عطف بيان، أو: بدل ﴿وَكَلِمَتُهُ﴾ عطف على «رسول الله» وقيل له: كلمة؛ لأنه يُهتدىٰ به كما يُهتدىٰ بالكلام ﴿أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ حال، و«قد» معه مرادة، أي: أوصلها إليها، وحصَّلها فيها ﴿وَرُوحٌ﴾ معطوف على الخبر أيضاً، وقيل له: روح؛ لأنه كان يحيي الموتى، كما سُمِّي القرآن روحاً بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] لما أنه يحيي القلوب ﴿مِّنْهُ﴾ أي: بتخليقه وتكوينه؛ كقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣] وبه أجاب عليّ بن الحسين بن واقد غلاماً نصرانياً كان للرشيد في مجلسه، حيث زعم أن

﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ

في كتابكم حجة على أنَّ عيسى من الله ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: ولا تقولوا الآلهة ثلاثة ﴿ٱنتَهُوا۟﴾ عن التثليث ﴿خَيْرًا لَّكُمْ﴾ والذي يدلُّ عليه القرآن التصريح منهم بأن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة وأن المسيح ولد الله من مريم. ألا ترى إلى قوله: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ﴾ مبتدأ ﴿إِلَٰهٌ﴾ خبره ﴿وَٰحِدٌ﴾ توكيد ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ أسبّحه تسبيحاً من أن يكون له ولد ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بيان لتنزهه مما نُسب إليه بمعنى أنَّ كلَّ ما فيهما خلقه وملكه، فكيف يكون بعض ملكه جزءاً منه؟! إذ النُّبوّة والملك لا يجتمعان على أنَّ الجزء إنما يصحُّ في الأجسام، وهو يتعالى عن أن يكون جسماً ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ حافظاً، ومدبراً لهما، ولما فيهما، ومن عجز عن كفاية أمر يحتاجُ إلى ولدٍ يعينه.

١٧٢ ـ ولما قال وفدُ نجران لرسول الله ﷺ: لم تعيب صاحبنا عيسى؟ قال: «وأيّ شيء أقول؟» قالوا: تقول: إنه عبد الله ورسوله. قال: «إنه ليس بعارٍ أن يكون عبداً لله». قالوا: بلىٰ، فنزل قوله تعالى[1]: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ﴾ أي لن يأنف ﴿أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾ هو ردٌّ على النصارى ﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ردٌّ على من يعبدهم من العرب، وهو عطف على المسيح ﴿ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ أي: الكروبيون الذين حول العرش؛ كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومَن في طبقتهم. والمعنى: ﴿ولا الملائكة المُقَرَّبُون﴾ أن يكونوا عباداً لله، فحذف ذلك لدلالة ﴿عبداً لله﴾ عليه إيجازاً. وتشبث المعتزلة والقائلون بتفضيل الملك على البشر بهذه الآية، وقالوا: الارتقاءُ إنما يكون

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص ١٢٥).

﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾

إلى الأعلى، يقال: فلان لا يستنكفُ عن خدمتي، ولا أبوه، ولو قال: ولا عبده لم يحسن. وكان معنى قوله: ﴿ولا الملائكة المقربون﴾ ولا من هو أعلى منه قدراً، وأعظم منه خطراً، ويدلُّ عليه: تخصيص المقربين. والجواب: إنّا نسلم تفضيل الثاني على الأول، ولكن هذا لا يمسُّ ما تنازعنا فيه؛ لأنَّ الآية تدلُّ على أنَّ الملائكة المقربين بأجمعهم أفضل من عيسى، ونحن نسلِّم بأنَّ جميع الملائكة المقربين أفضل من رسول واحد من البشر. إلى هذا ذهب بعضُ أهل السنة؛ ولأنَّ المرادَ أنَّ الملائكة مع مالهم من القدرة الفائقة قدر البشر والعلوم اللوحية، وتجرّدهم عن التولد الازدواجي رأساً لا يستنكفون عن عبادته، فكيف بمن يتولَّد من آخر، ولا يقدر على ما يقدرون، ولا يعلم ما يعلمون؟! وهذا لأنَّ شدةَ البطش، وسعة العلوم، وغرابة التكون هي التي تورث الحمقى ـ أمثال النصارى ـ وَهْمَ الترفع عن العبودية، حيث رأوا المسيح ولد من غير أب، وهو يبرىء الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى، وينبىء بما يأكلون، ويدَّخرون في بيوتهم فبرؤوه من العبودية. فقيل لهم: هذه الأوصافُ في الملائكة أتمُّ منها في المسيح، ومع هذا لم يستنكفوا عن العبودية، فكيف المسيح؟! والحاصل: أن خواصَّ البشر ـ وهم الأنبياء عليهم السلام ـ أفضل من خواصِّ الملائكة ـ وهم الرسل ـ منهم ـ كجبريل، وميكائيل، وعزرائيل، ونحوهم. وخواصّ الملائكة أفضل من عوام المؤمنين من البشر، وعوام المؤمنين من البشر أفضل من عوام الملائكة. ودليلنا على تفضيل البشر على الملك ابتداء: أنهم قهروا نوازع الهوى في ذات الله تعالى، مع أنهم جُبلوا عليها، فضاهت الأنبياء عليهم السلام الملائكة عليهم السلام في العصمة، وتفضَّلوا عليهم في قهر البواعث النفسانية، والدواعي الجسدانية، فكانت طاعتهم أشقّ، لكونها مع الصوارف بخلاف طاعة الملائكة؛ لأنهم جُبِلُوا عليها، فكانت أزيد ثواباً بالحديث ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ﴾ يترفَّع، ويطلب الكبرياء ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ فيجازيهم على استنكافهم، واستكبارهم. ثم فصَّل، فقال:

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ

١٧٣ ـ ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ فإن قلت: التفصيل غير مطابق للمفصل؛ لأن التفصيل اشتمل على الفريقين، والمفصل على فريق واحد، قلت: هو مثل قولك: جمع الإمام الخوارج، فمن لم يخرج عليه كساه وحمله، ومن خرج عليه نكَّل به. وصحة ذلك لوجهين: أحجهما: أنه حذف ذكر أحد الفريقين لدلالة التفصيل عليه، لأنَّ ذكر أحدهما يدلُّ على ذكر الثاني، كما حذف أحدهما في التفصيل في قوله تعالى بعد هذا: ﴿فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به﴾ والثاني: أنَّ الإحسان إلى غيرهم مما يغمّهم، فكان داخلاً في جملة التنكيل بهم، فكأنه قيل: ومن يستنكف عن عبادته، ويستكبر فسيعذب بالحسرة إذا رأى أجور العاملين، وبما يصيبه من عذاب الله.

١٧٤ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: رسول يبهر المنكر بالإعجاز ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ قرآناً يُستضاء به ظلمات الحيرة.

١٧٥ ـ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ ﴾ بالله، أو بالقرآن ﴿ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ ﴾ أي: جنة ﴿وَفَضْلٍ﴾ زيادة النعمة ﴿وَيَهْدِيهِمْ﴾ ويرشدهم ﴿إِلَيْهِ ﴾ إلى الله، أو: إلى الفضل، أو: إلى صراطه ﴿صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ فـ«صراطاً»: حال من المضاف المحذوف.

١٧٦ ـ ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ﴾ كان جابر بن عبد الله مريضاً، فعاده رسول الله ﷺ فقال: إني كلالة ، فكيف أصنع في مالي؟

﴿إِنِ امْرُؤٌا هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾﴾

فنزلت[١] ﴿إِنِ امْرُؤٌا هَلَكَ﴾ ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر. ومحلُّ ﴿لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ الرفع على الصفة، أي: إن هلك امرؤ غير ذي ولد. والمراد بالولد: الابن؛ وهو مشتركٌ يقعُ على الذكر والأنثى. لأنَّ الابنَ يسقطُ الأخت، ولا تسقطها البنت ﴿وَلَهُۥٓ أُخْتٌ﴾ أي: لأب وأم، أو لأب ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ أي: الميت ﴿وَهُوَ يَرِثُهَآ﴾ أي: الأخ يرثُ الأخت جميع مالها إن قدّر الأمر على العكس من موتها، وبقائه بعدها ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾ أي: ابن؛ لأن الابن يسقط الأخ دون البنت. فإن قلت: الابن لايسقط الأخ وحده، فالأب نظيره في الإسقاط، فلم اقتصر على نفي الولد؟ قلت: بيّن حكم انتفاء الولد، ووكَلَ حكم انتفاء الوالد إلى بيان السنة، وهو قوله ﷺ: «ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فلأولىٰ عَصَبَة ذَكَر»[٢]. والأب أولى من الأخ ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ أي: فإن كانت الأختان اثنتين. دلَّ على ذلك: ﴿وله أخت﴾ ﴿فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً﴾ أي: وإن كان من يرث بالأُخُوّة. والمراد بالأخوة: الإخوة والأخوات، تغليباً لحكم الذكورة ﴿رِّجَالًا وَنِسَآءً﴾ ذكوراً وإناثاً ﴿فَلِلذَّكَرِ﴾ منهم ﴿مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ الحق، فهو مفعول ﴿يبين﴾ ﴿أَن تَضِلُّوا۟﴾ كراهة أن تضلوا. ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ يعلم الأشياء بكنهها قبل كونها وبعده.

* * *

---

(١) قال الحافظ: أخرجه الثعلبي. (حاشية الكشاف ١/ ٥٩٨).

(٢) رواه أحمد (١/ ٢٩٢) والبخاري (٦٧٣٢) ومسلم (١٦١٥).